IBN QĀSIM

Vol. 2.

OHIO STATE
UNIVERSITY
LIBRARIES

BP75
T4718J37
1879
v.2

(فهرسة الجزء الثانى من شرح الشمائل الترمذيه)

صحيفة	
٢	باب ماجاء فى صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧	باب ماجاء فى تعطر رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣	باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٧	باب ماجاء فى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٨	باب صفة مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤١	باب صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر
٤٣	باب ماجاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر
٥٠	*(حديث أم زرع)*
٥٩	باب صفة نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	باب ماجاء فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩٥	باب صلاة الضحى
١٠٤	باب صلاة التطوع فى البيت
١٠٦	باب ماجاء فى صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٢٦	باب ماجاء فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٦	باب فى بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٥	باب فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٧	باب ماجاء فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٣	باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٣	باب ماجاء فى حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٥	باب ماجاء فى خجامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠١	باب ماجاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٥	باب فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٨	باب ماجاء فى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٠	باب ماجاء فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٣٢	باب ماجاء فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٣٩	باب ماجاء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام

(تمت)

الجزء الثانى

من الشرح الموسوم بالفوائد الجليلة البهيه على الشمائل
المحمديه للعلامة المحقق الفهامة المدقق
من أضاءت معارفه اضاءة الشموس
سيدى محمد بن قاسم
جسوس

م

وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى
للعالم التحرير والحبر الكبير ذى التحقيق النفيس سيدى محمد بن أحمد بنيس
عم الله تعالى الجميع برضوانه وأكرمهم بالمشاهدة فى فسيح جنانه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(باب ماجاء فى صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى كيفية شربه هل قائما أو قاعدا وهل كان يتنفس اثناء الشرب أولا والشرب هو المص حقيقة ويطلق على غيره مجازا وهو بتثليث أوله مصدر وقد قرئ بالحركات الثلاث قوله تعالى فشاربون شرب الهيم لكن الكسر شاذ وهو فى معنى النصيب أشهر كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وأما قول ابن حجر انه بالفتح جمع شارب كصحب جمع صاحب فعلى تقدير صحة وروده فلا مناسبة له بالباب قاله فى جمع الوسائل (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم) مصغر هشام (نا عاصم الاحول ومغيرة) بضم فكسر هو ابن مقسم الضبى مولاهم الكوفى الفقيه الضرير أبو هشام ثقة متقن مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة (عن الشعبى) تابعى مشهور (عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم شرب) قيل فى حجة الوداع (من زمزم وهو قائم) هذا صحيح وفى صحيح مسلم وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما بل فى رواية لمسلم من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يشربن أحدكم قائما فمن نسى فليستقئ قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب غالبا قاعدا وقد شرب مرة قائما فقال بعضهم النهى ناسخ له وقال بعضهم انه ناسخ للنهى وقال بعضهم النهى محمول على التنزيه وشربه قائما لبيان الجواز وقال بعضهم الشرب

قائما

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هو يوم مبارك قيل للتصـ
ـريف فيه من اليهود اعتداء)

هذا كالاستدراك لرفع ما عسى ان يتوهم ان يوم السبت مذموم لذاته فهو يعود على السبت يوم مبارك لان الله تعالى ابتدأ فيه الخلق فى قول مقدم وزعم اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت فقالوا نحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله

ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب أى من تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يلحق التعب الاحادثا مخلوقا لا واجبا قديما انما امرنا الشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون أى من غير كاف ولا نون وانما اذا أردنا ان نوجده وجد فورا فلا يتخلف عن الارادة فهو كناية عن ذلك قوله قيل (٣) للتصريف فيه بناء للمجهول اضيق

قائما كان لعذر قال ابن حجر وحيث أمكن الجمع بين الحديثين وجب المصير اليه ودعوى النسخ ليست فى محلها اه وقال الشيخ محيى السنة وأما النهى فنهى أدب وارفاق ليكون تناوله على سكون وطمأنينة فيكون أبعد من الفساد اه أى لان فى الشرب قائما ضررا ومن ثم ندب الاستقاء منه حتى للناسى لانه يحرك خلطا يكون التى عدواه قال ابن القيم وللشرب قائما آفات منها انه لا يحصل به الرى التام ولا يستقر فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى أسافل البدن بغير تدريج وعند أحمد عن أبى هريرة انه رأى رجلا يشرب قائما فقال له قئه فقال له فقال أيسرك ان يشرب معك الهر قال لا فقال له قد شرب معك من هو شر منه الشيطان قال فى جمع الوسائل ويمكن ان يكون القيام مختصا بماء زمزم ويفضل ماء الوضوء كما فى صحيح البخارى ويأتى فى الاصل أيضا عن على ونكتة التخصيص فى ماء زمزم الاشارة الى استحباب التضلع من مائه وفى فضل الوضوء الايماء الى وصول بركته الى جميع الاعضاء ثم رأيت بعضهم صرح بانه يسن الشرب من ماء زمزم قائما اتباعا له صلى الله عليه وسلم ويؤيده حديث على الآتى حيث تبعه صلى الله عليه وسلم فى القيام المخصوص ولم ينظر الى عموم نهيه عن الشرب قائما وفاز عه ابن حجر بما لا طائل تحته اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة ابن سعيد نا محمد بن جعفر عن حسين المعلم عن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى (عن أبيه) شعيب (عن جده) قال ابن حجر أراد جده بواسطة أو جد أبيه وهو عبد الله الصحابى الجليل الافضل من أبيه والاكثر منه ومن غيره تلقيا وأخذا للعلم عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فحديثه موصول وروايته محتج بها ولهذا احتج بهذا السند أكثر الحفاظ الى ان قال وانما يكون ذلك اقرائن أثبتت عندهم سماعه من جد أبيه عبد الله انظر تمامه فيه ولم ير وشعيب عن أبيه محمد كما تقرر عند النقاد وفى سنن أبى داود والنسائى وغيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله ابن عمرو بن العاصى (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما) أى نادرا لبيان الجواز وحمل النهى على التنزيه أو لضرورة أو لخصوصية كما تقدم (وقاعدا) أى مرارا كثيرة لبيان الافضل والوجه الاكمل وما قيل من ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه عن فعل المكروه فكيف شرب قائما فمردود لانه اذا كان لبيان الجواز فواجب عليه فكيف يكون مكروها * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا ابن المبارك

للنظم لا اضعفه والتصريف التصرف فيه ببيع وغيره من اليهود اعتداء أى ظلم وعدوان كان سببا لمسخ كثير منهم قردة وخنازير بصيدهم الحوت فيه بقرية ايلة فى زمن داود عليه السلام كما قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية قال المفسرون وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بان ألهمهم السمك يوم السبت أنه يرفع خرطومه من البحر حتى يكون سهل التناول فاذا مضى يوم السبت تفرق ونفر فأجمع رأى جماعة منهم على حيلة بان حفروا جداول بقرب البحر فصارت تتلقى يوم السبت حوتا ويغلقون عليه ثم يأخذونه يوم الاحد فلما علم بذلك جيرانهم افترقوا أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى أما الثلث الذى صاد ففيه قال الله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين فكانوها ولاخفاء فى نجاة الثلث الناهى * قال ابن عباس ما أدرى ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس انه رفع اليه وأعجبه أى لان كراهتها بقلبها لا منكر تغييره له فى الجملة مع قيام الفرقة الناهية بذلك وهو من فروض الكفاية الذى اذا قام به البعض وظن الباقى قيامهم به وأحرى ان تحقق ذلك سقط عنه قال مالك يؤخذ من القضية المذكورة تحريم الحيلة ووجوب سد

الذرائع ولذا قيل ان السلامة من سلى وجارتها * ان لا تحل على حال بواديها

(فبظلم منهم وكفرعدتهم * طيبات فى تركهن ابتلاء)

الظلم وضع الشئ فى غير محله كخيانتهم فى السبت وأكلهم الربا وأخذهم أموال الناس بالباطل وهو متعلق بعدتهم وكفر من عطف الاخص لزيادة الاهتمام وعدتهم فاتتهم وجاوزتهم طيبات من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية وتقديم قوله فبظلم للحصر والتنكير للتعظيم أو التكثير والذى حرم عليهم هو المذكور فى قوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه وهو المذكور قبل هذه الآية وبمنعهم عن الايمان خلقا كثيرا وصدا كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه لان الربا كان محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ومن شأن الطيبات أنه يوجد فى تركهن الذى تحتم الامر به ابتلاء أى اختبارا ومحنة للعبد تكون سببا لفلاحه أو هلاكه كما فى قضية الحوت المتقدمة

(خدعوا بالمنافقين وهل ينـ ـفق الا على السفيه الشقاء)

عن عاصم الاحول عن الشعبى عن ابن عباس) زاد فى أكثر النسخ (قال) أى ابن عباس (سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم) وقد تقدم فالمراد بتعدد الاسناد قوة الاعتماد وفى سياق هذا الحديث اشارة الى تعدد شربه صلى الله عليه وسلم قائما وايماء الى أن أحدهما كان على يد ابن عباس رضى الله عنهما والله أعلم قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ومحمد بن طريف) بفتح المهملة (الكوفى قالا حدثنا الفضيل عن الاعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال ابن سبرة قال أتى على بكوز من ماء) الكوز ما اتسع رأسه من أوانى الشراب اذا كان بعرا وآذان ويجمع على كيزان واكواز فان لم يكن لها خراطيم ولا عرا فهى اكواب واحدها كوب فان كانت ملأى من شراب فهى اكواس قاله فى المشارق (وهو فى الرحبة) بفتح الراء والحاء وتسكن المكان المتسع والمراد هنا رحبة مسجد الكوفة وكانت وسطه كان على رضى الله عنه يقعد فيه ويعظ (فأخذ منه) أى الكوز أو الماء (كفا) أى قدر كف من الماء (فغسل يديه) أى الى رسغيه (ومضمض واستنشق ومسح وجهه وذراعيه ورأسه) بعد كل البعد غسل هذه الاعضاء ومسح بعضها من كف واحد فيكون قوله ومضمض وما بعده معطوفا على أخذ لا على غسل (ثم شرب وهو قائم) لم يذكر غسل الرجلين فيحتمل ان المراد وغسل رجليه كما فى رواية ثم شرب وعليه فالمراد وضوء التجديد ويحتمل انه لم يغسل رجليه فالمراد الوضوء اللغوى وهو مطلق التنظيف وعلى الاول فأراد بمسح الوجه والذراعين الغسل الخفيف وقد ورد مصرحا به فى بعض الروايات (ثم قال هذا) أى ما ذكر والاشارة لما عدا الشرب (وضوء من لم يحدث) أى من لم يرد طهر الحدث بل أراد التجديد أو التنظيف والا فوضوء المحدث معلوم بشرائط معروفة (هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل) من بعض المشار اليه الشرب قائما وهذا سبب ايراد هذا الحديث فى هذا الباب وتقدم عن جمع الوسائل ان شربه قائما من فضلة الوضوء يحتمل ان يكون اشارة لندب الشرب قائما من فضلة الوضوء ويدل عليه عمل على بعده ولو كان فعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز لكان تركه على له أفضل * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد ويوسف بن حماد قالا نا عبد الوارث بن سعيد عن أبى عاصم) كذا فى نسخة وفى أخرى عصام بكسر المهملة روى له مسلم وأبو داود والنسائى (عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الاناء ثلاثا اذا شرب) فى الصحيحين عن أبى قتادة أن النبى صلى

أى خدع يهود المدينة وما قرب منها وهو بدل من زاغوا لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالمنافقين من الاوس والخزرج اى المظهرين للاسلام المبطنين للكفر كما قال الله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب الآية قوله وهل ينفق أى وما ينفق الشقاء الاعلى السفهاء يقال نفق البيع اذا راج أى لم يكسد الله

ولم يبرفيه ارسال المثل واستعارة بالكناية حيث شبه الشقاء الحاصل لهم بدراهم تصرف والتخييل باثبات الانفاق لها

(واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اتتالكم أولياء)

اطمأنوا اسكنوا وفرحوا والاحزاب جمع حزب أى طوائف العرب من قريش (٥) وغيرهم الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق وكان سبب ذلك تحريض حيي ابن أخطب وغيره من اليهود لعنهم الله تعالى اياهم على حربه صلى الله عليه وسلم وقوله اخوانهم اى فى الكفر اتتالكم أولياء أى متوالون ومتفقون على حرب محمد حتى نستأصله فتقرب اليهود ذلك ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

(وملخص ما أشار اليه الناظم من غزوة الخندق)

وهى الاحزاب وكانت سنة أربع على قول موسى بن عقبة أو خمس على قول ابن اسحق وغيره ان نفرا من اليهود قدموا على قريش بمكة وقالوا انا سنكون معكم حتى نستأصله فاعتدوا معهم لذلك وذهبوا الى غطفان كذلك فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى فى فزارة والحرث بن عوف المرى فى مرة وكان عددهم عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف ولما سمع النبى صلى الله عليه وسلم بالاحزاب حفر الخندق باشارة سلمان اذ لم تكن العرب تعرفه وعمل النبى صلى الله عليه وسلم معهم فيه بيده ولما رأى ما بهم من التعب قال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فاجابوه

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية انه كان ينقل التراب ويقول

الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء فالمعنى انه كان يشرب ثلاث مرات وفى كل ذلك يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود والمنهى عنه هو التنفس فى الاناء بلا ابانة (ويقول) أى النبى صلى الله عليه وسلم (هو) أى الشرب بالتنفس ثلاثا (أمرأ) أى أسوغ وألذ أفعل من مرؤ الطعام والشراب فى بدنه اذا خالطه بسهولة ولذة وفى رواية أبرأ وهو بمعنى أمرأ أى أحسن شربا وأقله ضررا (وأروى) من الرى أى اشد ريا وأبلغه وأنفعه وأقمع للعطش وقد ورد بسند حسن انه صلى الله عليه وسلم كان يشرب فى ثلاثة انفاس واذا أدنى الاناء الى فيه سمى الله واذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وورد انه صلى الله عليه وسلم نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشيطان رواه البيهقى عن ابن شهاب مرسلا وفى رواية لابى نعيم فى الطب وابن السنى والبيهقى عن ابى حسين مرسلا اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعبه عبا فان الكباد من العب وفى مسند الفردوس عن على مرفوعا اذا شربتم الماء فاشربوه مصا ولا تشربوه عبا فان العب يورث الكباد بضم الكاف وتشديد الباء وجع الكبد ويخاف من الشراب عبا الشرق لانسداد مجرى الشرب لكثرة الوارد عليه فاذا شرب على دفعات أمن من ذلك وفى حديث البيهقى عن أنس مرفوعا التأنى من الرحمن والعجلة من الشيطان وفى رواية أبى داود والحاكم والبيهقى عن سعد مرفوعا التؤدة فى كل شئ خير الا فى عمل الآخرة قال عياض اختلف السلف فى الاخذ بظاهر هذه الاحاديث فكره بعضهم الشرب من نفس واحد منهم ابن عباس وطاوس وعكرمة وقالوا هو شرب الشيطان واباحه جماعة منهم ابن المسيب وعطاء بن أبى رباح وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس اه وانما نهى عن التنفس فى الاناء لانه يغير الاناء اما لتغير الفم بما كول أو ترك سواك أولان النفس يصعد ببخار المعدة قال ابن العربى وبالجملة فالتنفس فى داخل الاناء يعلوه بها روائح منكرة فيفسد الماء وذلك معلوم بالتجربة ولهذا قلنا ان الشرب على الطعام لا يكون حتى يمسح فمه ولا يدخل حرف الاناء فى فيه بل يجعل الحرف على الشفة السفلى ويشرب الماء بالشفة العليا مع نفسه الجاذب فاذا جاء نفسه الخارج نزع الاناء عن فيه * قال المصنف (حدثنا على بن خشرم) بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين (أنا عيسى بن يونس عن رشدين) بكسر فسكون معجمة فدال مكسورة فتحتية ساكنة فنون ضعيف (ابن كريب) بالتصغير (عن أبيه) أى كريب وهو ثقة (عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم على الاحزاب قوله اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب (٦) اللهم اهزمهم وزلزلهم وروى أحمد عن أبي سعيد قال قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شئ تقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح (وروى) أنه صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى مانزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه وتعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم أصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأقلقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في أرجاء عسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها انظر المواهب

(حالفوهم وخالفوهم ولم أد ولماذا تخالف الحلفاء)

آي حالفوا اليهود وعاهدوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وخالفوهم فرحلوا عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم كذا قرره ابن حجر ويصح ان يريد حالفهم المنافقون ويشهد له مابعده باعتبار وقوله ولم أد لماذا تخالف الحلفاء فيه تجاهل العارف وسماه السكاكي سوق المعلوم مساق المجهول اغراء للسامع على البحث عن سبب ذلك لانكاره والتوبيخ عليه وان كان ظاهرا وهو هنا ان الله تعالى أراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستئصال دائرتهم

مرتين) أي في بعض الاوقات وبه يجمع بين الروايات ويؤيده مارواه المصنف في جامعه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم وفي رواية البخاري مرتين أو ثلاثا واو للتنويع لانه ان روى بنفسين اكتفى بهما والا فثلاث وهذا ليس نصا في الاقتصار على المرتين بل يحتمل أن يراد به التنفس في الاناء وسكت عن التنفس الاخير لانه من ضرورة الواقع في الختم وفي كلام الحافظ العراقي مايشير الى حصول أصل السنة بالتنفس مرتين وان كمالها انما يكون بثلاث وان كفى مادونها * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا سفيان عن يزيد بن يزيد) اتفق اسم الولد والاب وهذا كثير (ابن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة) قيل اسمه أسيد وقيل اسامة (عن جدته كبشة) بفتح الكاف وسكون الموحدة فشين معجمة هي اما بنت ثابت ابن المنذر الانصارية أخت حسان لها صحبة وحديث ويقال كبيشة بالتصغير واما بنت كعب بن مالك الانصارية زوج عبد الله بن أبي قتادة لها صحبة وتعرف بالبرصاء وهي جدة عبد الرحمن بن أبي عمرة وهو الراوي عنها (قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما) ورد عنه صلى الله عليه وسلم النهي عن الشرب من في السقاء لانه ربما يكون فيها مايؤذي ولا يراه الشارب وفي رواية نهى عن اختناث الاسقية واختناثها ان يقلب رأسها ثم يشرب منه ففعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز وان النهي للتنزيه لبيان الافضل والاكمل أو لمكان الضرورة وتقدم مافي شربه قائما مع نهيه عن ذلك (فقمت الى فيها) أي قاصدا الى فم القربة (فقطعته) أي لاجل التبرك أو عدم الابتذال أولهما معا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا عزرة بن ثابت الانصاري عن ثمامة بن عبد الله قال كان أنس ابن مالك يتنفس في الاناء ثلاثا وزعم أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح ان لانه مفعول زعم وان كان بمعنى قال (كان يتنفس في الاناء ثلاثا) تقدم معناه * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عبد الكريم) أي ابن مالك الجزري (عن البراء بن زيد) بالتنوين (ابن ابنة أنس بن مالك) صفة ثانية للبراء (عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل) زاد في نسخة على أم سليم (وقربة معلقة فشرب من فم القربة وهو قائم فقامت أم سليم) هي أم أنس بن مالك وقد اختلف في اسمها (الى رأس القربة) أي فمها (فقطعتها) في نسخة فقطعته وهو القياس والتأنيث

(أسلموهم لاول الحشر لا * ميعادهم صادق ولا الايلاء)

أى أسلم المنافقون كعبد الله بن ابى وأصحابه وتركوا اليهود وهم بنو النضير لاول الحشر لا ميعادهم أى المنافقين لليهود انهم ينصرونهم صادق ولا الايلاء أى ولا حلفهم صادق قال تعالى هو الذى أخرج الذين (٧) كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر الآية أى فى اول حشرهم واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام وانما كان أولا لانهم لم يصبهم مثله قبله وآخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر منهم ومن أهلها الى الشام أو فى أول حشر الناس للشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فآخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر

(سكن الرعب والخراب قلوبا
وبيوتا منهم نعاها الجلاء)

المراد بالرعب هيبة النبى صلى الله عليه وسلم وخوف انتقامه منهم والخراب ذهاب العمران فى البيت لف ونشر مرتب ونعاها الجلاء نعت لبيوتا أى أخبرها الجلاء وهو خروج أهلها منها بخرابها الذى هو موت معنوى لان النعى الاخبار بالموت وفيه استعارة بالكناية اذ شبه خروجهم بكونه معلما بقهرهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بالموت وخيل بذكر النعى الملائم للمشبه به

(وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابـ
ـصار فيه وضلت الآراء)

يعنى ان بنى قريظة منهم خدعوا واطمأنوا بيوم الاحزاب وهو غزوة الخندق اذ جاءت قريش وغطفان وغيرهم بعشرة آلاف ونزلوا على المدينة من أعلى واسفل اذ زاغت الابصار فيه وضلت الآراء وكان المسلمون ثلاثة آلاف وجاء حيى بن اخطب الى بنى قريظة ورئيسهم كعب وقال جئتكم بعز الدهر وان العرب عامة دونى لا يبرحون حتى يستأصلوا محمدا

باعتبار ما اضاف اليه أو باعتبار كونه قطعة فى الماء زاد فى رواية لابى الشيخ وقالت لا يشرب منها أحد بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن نصر النيسابورى) كان يذاكر مائة ألف حديث وصام نيفا وثلاثين سنة وتصدق بخمسة آلاف درهم مات سنة تسع وتسعين ومائتين (نا اسحق بن محمد الفروى نا عبيدة) بالتصغير (بنت نائل) بالهمز كما تقع (عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص) الزهرية المدنية ثقة من الرابعة عمرت حتى أدركها مالك ومات بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة عن أربع وثمانين سنة ووهم من زعم ان لها رؤية خرج لها البخارى وأبو داود والنسائى (عن أبيها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشرب قائما وقال بعضهم) وفى نسخة قال أبو عيسى وقال بعضهم أى بعض المحدثين (عبيدة بنت نابل) بكسر الباء الموحدة ولم يصحح العسقلانى فى كتاب التقريب عبيدة ولا أباها بل قال عبيدة بنت نائل مقبولة من السابعة ولم يزد على ذلك شيأ

(باب ماجاء فى تعطر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى استعماله العطر أى الطيب وكان صلى الله عليه وسلم طيب الريح دائما وان لم يمس طيبا كما جاء فى الاخبار الصحاح وكان مع ذلك يحب استعمال الطيب استكثارا للروائح الحسنة لانه كان يناجى الملائكة وتشريعا لامته وسيأتى فى باب الخلق قول أنس ماشممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيأ أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر رضى الله عنه لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرق فى طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه عليه السلام وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها وكان يضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بطيب الرائحة وفى صحيح مسلم انه نام عند أم سليم فعرق فسلتت عرقه فى قارورتها فاستيقظ فقال ماهذا الذى تصنعين يا أم سليم فقالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وروى أبو يعلى والطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم سلت من عرقه لما استعان به على تجهيز بنته وجعله فى قارورة وقال مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به منهم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين قلت ويفهم من قوله الاعرف انه سلكه ومن قوله فيعرف من بين الصبيان ومن قول أم سليم هو أطيب الطيب ومن قوله منهم أهل المدينة ذلك الطيب ان طيبه عليه السلام لا يشبهه طيب فتنبه لذلك قال ابن حجر وأما الخبر المروى فى مسند الفردوس وغيره ان الورد الابيض خلق من عرقه صلى

وأصحابه فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ المسلمين ذلك وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم العدو من كل جهة حتى ظن المسلمون كل ظن وبجم النفاق من المنافقين وفي ذلك أنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله (٨) الاغرورا وود الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

(وتعدوا الى النبي حدودا كان فيها عليهم العدواء)

يعني ان اليهود تعدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حرمها الله تعالى عليهم ومنعهم من تجاوزها فلم يقفوا عندها وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان عليهم في مجاوزتها العدواء أي الفساد بوقوعهم بالهلاك وبعدهم عن النجاة والمراد بالمتعدين مطلق الكفرة فيشمل المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين واحد الظرفين من قوله كان فيها عليهم العدواء خبر والآخر حال وبين تعدوا والعدواء جناس الاشتقاق وكذا بين نهتهم وانتهت والبدا والبداء والخيل والخيلاء وأكدى وكداء وعفا وعفواء وسوى وسواء وأجمت والجون واحلم والحلم الآتيات

(ونهتهم وما انتهت عنه قوم فايد الامار والنهاء)

أي نهت أقوام منهم المتعدين عن استمرارهم على اذاية النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفته وما انتهت عنه أي عن مخالفته واذائه وقوم يتنازعه فيه نهت وانتهت فبسبب ذلك أيد أي أهلك الامار عليه جمع آمر منهم باذايته والنهاء جمع ناه أي عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلالته وبين الامار والنهاء جناس الطباق كنهتهم وما انتهت وكالغدو والعشاء والقطع والوصل والتقريب والاقصاء والملام والاطراء والتباين والوفاء الآتيات

الله عليه وسلم والاحمر من عرق جبريل والاصفر من عرق البراق فقال النووي لا يصح اه وكذا حديث من شم الورد ولم يصل علي فقد جفاني كل ذلك لا أصل له انظر ابن حجر وقد ذكر ابن حجر وغيره بعض ما للائمة من الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيل وسببه شق جوفه الشريف وغسل باطنه صلى الله عليه وسلم فانظر وقد تقدم في حديث هند عند قوله مفلج الاسنان الكلام على ريقه صلى الله عليه وسلم * (حدثنا محمد بن رافع) أي القشيري النيسابوري سمع ابن عيينة ومعن بن عيسى والنضر بن شميل وغيرهم روى عنه البخاري ومسلم وكان فوق الثقة قال زكريا بعث اليه طاهر ابن عبد الله بخمسة آلاف درهم بعد العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل فلم يقبل وقال قد بلغت الشمس رؤس الحيطان أي قربت ان تغرب مات في سنة خمس وأربعين ومائتين (وغير واحد) أي كثير من المشايخ سوى محمد بن رافع (قالوا أخبرنا أبو أحمد الزبيري نا شيبان عن عبد الله بن المختار عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال كان) وفي نسخة كانت (لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكة) بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب مركب قال الفيروزابادي صاحب القاموس السك طيب يتخذ من الرامك مذقوقا منخولا معجونا بالماء ويمسح بدهن الخيري لئلا يلتصق بالاناء ويترك ليلة ثم يسحق المسك ويخاطبه ويعرك عركا شديدا ويقرص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم في خيط قنب ويترك سنة وكلما عتق طابت رائحته والرامك كالصاحب شئ أسود وقد تفتح الميم ويحتمل ان يكون المراد بالسكة وعاء فيه طيب قال العسقلاني فان كان المراد به نفس الطيب فالظاهر ان يقال كلمة من في قوله (يتطيب منها) للتبعيض ليشعر بانه يستعمل في دفعات بخلاف ما لو قال بها فانه يوهم انه يستعمله دفعة واحدة وان كان المراد به الوعاء فمن للابتداء اه وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سألت عائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر في النهاية ذكارة الطيب وذكورته ما يصلح للرجال وهو ما لا لون له كالمسك والعنبر والعود * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا عزرة بن ثابت عن ثمامة بن عبد الله قال كان أنس بن مالك لا يرد الطيب وقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب) هذا حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري والنسائي وقد ورد النهي عن رده مقرونا ببيان الحكمة في حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي وأبو عوانة من طريق عبيد الله بن أبي جعفر عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا من عرض

(وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء)

يعنى ان الكفار لعنهم الله تعالى تداولوا فى النبى صلى الله عليه وسلم ما ينكر من القول شرعا لفساده وحمله على حسدهم وعداوتهم له عليه الصلاة والسلام فكانت اليهود لعنهم الله تعالى (٩) تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم براعنا

عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى مسلم مثله الا انه قال ريحان بدل طيب والمحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية والمراد به هنا الحمل بالفتح والمعنى انه ليس بثقيل بل قليل المنة وهو مع ذلك طيب الرائحة فالهدية اذا كانت قليلة وتتضمن منفعة فلا ترد لئلا يتأذى المهدى ويأتى تعليله أيضا بانه خرج من الجنة * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن أبى فديك) اسمه محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبى فديك (عن عبد الله بن مسلم بن جندب) بضم الجيم والدال ويفتح (عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث) أى ثلاث هدايا (لا ترد الوسائد) جمع وسادة وهى ما يجعل تحت الرأس عند النوم ويقال المخدة لوضعها تحت الخد قال المناوى والظاهر ان المراد انها اذا بسطت ليجلس عليها ينبغى ان يجلس عليها اذ لا منة فى الاستناد اليها ولو نفيسة وليس المراد قبول عين الوسادة اذا أهديت (والدهن) لعل المراد الدهن الذى فيه طيب (واللبن) قال ابن حجر وغيره ويلحق بهذه الثلاثة كل ما لا منة عرفا فى قبوله ولبعضهم

عن المصطفى سبع يسن قبولها * اذا ما بها قد أتحف المرء خلان
فلوز وألبان ودهن وسادة * ورزق لمحتاج وطيب وريحان

* قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود) قيل اسمه عمرو بن سعد (الحفرى) بفتح الحاء المهملة والفاء نسبة الى حفرة محل بالكوفة (عن سفيان) الثورى (عن الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء الاولى اسمه سعيد بن اياس (عن أبى نضرة) المنذر بن مالك (عن رجل) وفى نسخة عن الطفاوى بضم الطاء المهملة والفاء منسوب لطفاوة حى من قيس عيلان وهو مجهول أيضا فى الحديث مجهول على كل تقدير لكن حسنه المؤلف فى جامعه وان كان فيه مجهول لانه تابعى والراوى عنه ثقة فجهالته تغتفر من هذا الوجه (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الرجال) جاء الطيب مصدرا واسما وهو المراد هنا ومعناه ما يتطيب به واستبعد ابن حجر ارادة المصدر (ما ظهر ريحه وخفى لونه) كماء الورد والمسك والعنبر وأما ما يظهر لونه فمن زينة النساء وحليتهن وملعون من الرجال من تشبه بالنساء فلا يتزين الرجل بالنواوير كالقرنفل والورد والريحان والنسرين والياسمين وان كان يجوز له أن يشمه (وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه) كالزعفران والحناء قال العلماء هذا انما يتعين عند خروجهن لان ما يظهر ريحه يحرم فى الفتنة اذا خرجن فى النسائى عن أبى موسى الاشعرى قال قال

نطق الاراذل العوراء

الاراذل جمع ارذل وهو الخسيس الدنى والعوراء القبيحة أى شأنهم الفحش

(كل رجس يزيده الخلق السو * سفاها والملة العوجاء)

الرجس القذر أى كل قذر وغضب قائم بهم يزيده ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها أى القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه ويزيده أيضا سفاهة وبعدا عن الخير الملة أى الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء أى الباطلة فتضاعف رجسهم بسوء خلقهم وفساد معتقدهم فهم فى نهاية البعد عن الخير شبهها بطريق عوجاء لا يهدى سالكها الى مطلوبه بل يتيه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية واثبات العوج تخييل

(فانظروا كيف كان عاقبة الغو * م وما ساق للبذى البداء)

اى تأملوا ايها العقلاء الحنفاء كيف وقع عاقبة أى مآل ومصير القوم الذين تعدوا الحدود وخالفوا أمر ربهم المعبود

فكفروا وتعاطوا فى نبيه صلى الله عليه وسلم شنيع القول من ما لهم الى سخرى الدنيا ومصيرهم الى عذاب الآخرة وانظروا أيضا ما ساق للبذى اللسان أى فاحش النطق بذاؤه أى فحشه والمسوق له هو تخلفه عن سعادة الدارين وفيه تشبيه البذى بذابة مسوقة والبذاء بسائقها كونه فاعلا وللبذى على جهة كونه واقعا عليه تخييل

على سنن الاستعارة المكنية واثبات السوق للبذى على جهة

(وجد السب فيه سما ولم يد
راذ الميم فى مواضع باء)

فاعل وجد يعود على البذى والسب الشتم وضمير فيه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بالسم القاتل المعروف وبينه وبين السب الجناس المضارع ولم يدر ذلك البذى ان سبه هو عين السم القاتل لوقته لفظا اذ الميم باء فى مواضع من كلام العرب فاذ تعليلية والميم مبتدأ وباء خبره اذ يتقارضان ويتعاقبان وفى مواضع حال من الخبر وذلك كقولهم فى بيد مبيد وفى بكر مكر وفى ما اسمك باسمك وهى لغة مازن ربيعة وقد سأل الواثق رجلا منهم بقوله باسمك فقال بكر فقطن لذلك وانه تجنب لغته لاقتضاء المقام ذلك والمعنى ان سبهم أهلكهم كما يهلك السم بل أكثر وأبلغ لان اهلاك السم فى الدنيا وله أدوية تزيله واهلاك السب فى الدنيا والآخرة ولا دواء له

(كان من فيه قتله بيديه
فهو فى سوء فعله الزباء)

كان ناقصة واسمها قتله وبيديه الخبر ومن فيه أى فم البذى هو حال من الضمير المستتر فى الخبر ومن تعليلية أى من أجل ما صدر من فيه كان قتله بيديه وقتل الانسان نفسه أشد من قتل غيره له فبسبب ذلك هو أى البذى القاتل لنفسه فى سوء فعله بنفسه الزباء أى شبيهها وهى الملكة المشهورة فى العرب كان جذيمة الابرش قتل أباها ثم احتالت عليه حتى قتلته ثم احتال عليها ابن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وروى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة وأما اذا كانت عند زوجها فلتتطيب بما شاءت قالوا ويتأكد الطيب للرجال فى نحو يوم الجمعة والعيد وعند الاحرام وفى حضور المحافل وقراءة القرآن والعلم والذكر ليدفع عن نفسه ما يكره من الروائح وليدخل على اخوانه المؤمنين بذلك راحة ويدفع عنهم بضدها مضرة وليظهر مروأته ونظافته وقد بنى الاسلام على النظافة ولا يفعل ذلك فخرا ورياء واختيالا بدنياه ومباهاة بوجده والله لا يحب كل مختال فخور ويقال ليس شئ أضر على النفس من الروائح القبيحة وليس شئ يلائمها وينعشها أكثر من الروائح الطيبة ففيها غذاء للنفس وتقوية للقلب ويتأكد لكل من الرجل والمرأة عند المباشرة فانه من حسن المعاشرة * قال المصنف (حدثنا على بن حجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم (أنا اسمعيل بن ابراهيم عن الجريرى عن أبى نضرة عن الطفاوى) تقدم انه مجهول لا يعرف اسمه (عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله) أى مثل الحديث السابق فى اللفظ والمعنى فقوله (بمعناه) للتأكيد كما ان ايراد هذا الاسناد لزيادة الاعتماد فى الاسناد كذا فى جمع الوسائل ومقتضى ما سبق فى بيان اصطلاحهم فى نحوه ومثله ان يكون قوله بمعناه لبيان ان المثل هنا لم يستعمل فى معناه عند الاطلاق وهو ان الموافقة فى اللفظ والمعنى وانما هو مستعمل بمعنى نحوه فيكون قوله بمعناه للتأسيس لا للتأكيد وقد تقدم ان كلا منهما قد يستعمل فى موضع الآخر * قال المصنف (حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن على قالا نا يزيد بن زريع نا حجاج الصواف عن حنان) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النون الاولى وستأتى ترجمته عند المصنف وفى نسخة بفتح أوله فوحدة مخففة وفى نسخة بموحدتين (عن أبى عثمان النهدى) بفتح النون وسكون الهاء منسوب الى بنى نهد قبيلة من اليمن واسمه عبد الرحمن بن مل بتثليث ميم ولام مشددة مشهور بكنيته ادرك الجاهلية وأسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يلقه سمع عمر وابن مسعود وأبا موسى وروى عنه قتادة وغيره ثقة ثبت عابد مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر والحديث مرسل كما صرح به السيوطى فى الجامع الصغير فقال رواه أبو داود فى مراسيله والترمذى عن أبى عثمان النهدى مرسلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعطى أحدكم الريحان) هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم

أخته عمرو بن عدى حتى ظفر بها ولم يتمكن منها فتناولت خنجرا معها فضربته حتى قتلت نفسها وقالت يدى لا يد عمرو خوفا من تعذيبه اياها وقصتها مشهورة وفى غير ما ديوان مسطورة

(أو هو النحل قرصها يوجب الحتف * ف اليها وماله انكاء)

(١١)

على ما فى النهاية وأهل المغرب يخصونه بالآس والآس هو المراد فى حديث ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر وأهل العراق والشام يخصونه بالحبق وقيل يحتمل أن يراد به الطيب كله ليوافق مر ويطابق رواية أبى داود من عرض عليه طيب ورواية البخارى كان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب (فلا يرده) بفتح الدال وهو نص فى كونه نهيا وروى بضمها فيحتمل النهى والنفى بمعنى النهى كقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون (فانه خرج من الجنة) أى والجنة محبوبة ومحبها لا يرد من محبوبه فان كل ما ينسب للمحبوب محبوب ويعنى ان أصل الطيب من الجنة وليس المراد ان طيب الدنيا خرج بعينه من الجنة فان طيب الجنة يوجد ريحه من مسيرة خمسمائة عام كما فى الحديث وخلق الله سبحانه الطيب فى الدنيا ليذكر به العباد طيب الآخرة ويرغبوا فى الجنة ويزيدوا فى الاعمال الصالحة الموصلة اليها (قال أبو عيسى لا نعرف لحنان) أى المذكور فى السند (غير هذا الحديث) ينصب غير وفى نسخة لا يعرف لحنان ياء الغيبة مبنيا للمجهول فيكون غير مرفوعا ويوجد فى بعض النسخ ما نصه (وقال) عطف على لا نعرف من مقول المصنف (عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل حنان الاسدى) بفتحتين ويسكن ويقال الازدى بالزاى الساكنة بدل السين (من بنى أسد بن شريك) أسد بن شريك بطن من الازد ويقال للاسد أزد (وهو صاحب الرقيق) بفتح الراء وكسر القاف الاولى (عم والد مسدد) قال العسقلانى حنان كوفى مقبول من السادسة وقال غيره يعد من أهل البصرة وكان فى الاصل كوفيا وهو مقل جدا له هذا الحديث الواحد المرسل (وروى) أى حنان (عن أبى عثمان النهدى وروى عنه) أى عن حنان (ابن أبى عثمان الصواف) اسمه الحجاج (سمعت) أى قال عبد الرحمن سمعت (أبى) يعنى أبا حاتم (يقول ذلك) أى هذا القول فى ترجمة حنان * قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل ابن مجالد بن سعيد الهمدانى نا أبى) أى سعيد (عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير ابن عبد الله) اى البجلى صحابى مشهور سيد قبيلة بجيلة كان طويلا جدا يصل الى سنام البعير وكان مقرط الجمال ومن ثم لقب يوسف هذه الامة وكان المصطفى يتبسم عند رؤيته كما يأتى فى باب الضحك اسلم فى السنة التى توفى فيها النبى صلى الله عليه وسلم قال جرير أسلمت قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بار بعين يوما نزل الكوفة وسكنها زمانا ثم انتقل منها ومات سنة احدى وخمسين روى عنه خلق كثير وفى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى ذى الخلصة دعا له وقال اللهم ثبته على الخيل واجعله هاديا مهديا وقال

هذا تشبيه آخر للبغى فهو فى سوء فعله كالنحل لسعها غيرها يوجب الحتف أى الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها ليس له انكاء أى جرح ولا قتل ولا تاثير قوى للملسوع فكل منهما مثل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما

(صرعت قومه حبائل بغى
مدها المكر منهم والدهاء)

صرعت فعل آى ألقت فاعله حبائل جمع حبالة وهى التى يصاد بها وناصبها يسمى الحابل وقومه مفعوله والبغى الظلم والمكر ابطان السوء مع اظهار خلافه ومنهم حال من المكر والدهاء بالقصر والمد المكر وجودة الرأى والمعنى ألقت قوم النبى صلى الله عليه وسلم الذين أرسله الله اليهم فلم يؤمنوا به قتلى بين يديه شبه ذلك ظلم من تلك الشباك اليه المكر الصادر منهم والدهاء أى رأيهم الفاسد وفى كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صلى الله عليه وسلم صرعى بين يديه بصيود مصروعة بين يدى الصائد ومن حيث تشبيه البغى بشبكة الصائد ومن حيث تشبيه المكر والدهاء بالصائد كما تقتضيه نسبة المد اليها أو بحبال الشبكة التى يمدها الصائد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه وتجريدية بذكر الصرع اللائق بالمشبه وبه تعلم ان فى كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع والمكر

والدهاء لهم ورشح لها أو خيل بذكر الحبائل والمد والثانية تشبيه البغى بالشبكة وخيل لها باثبات الحبائل له ورشح بذكر المد وبرد بذكر الصرع الملائم للبغى والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصائد على سامر وخيل باثبات المدو رشح بذكر الحبائل وبرد بذكر الصرع هنا اذ لا مانع من اشتراك

مكنيتين أو أكثر فى كون الشئ الواحد تخييلا ترشيحا أو تجريدا لكل اعتبار لكل على حدتها بما يناسبها

(فاتتهم خيل الى الحرب تختا ل وللحرب فى الوغى خيلاء)

أى فبسبب مكرهم ودهائهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وسلم خيل تتبختر بهارا كبوها تيها وعجبا وللخيل النفائس وعليها الشجعان فى الوغى اى الحرب خيلاء أى كبرو تبختر وترفع وهذا تذييل والحاصل انهم مهما تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفاء أمره بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم وأظهر أمره عليهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد وباله عليهم وكيف وهو الذى أيده بنصره وبالمؤمنين

(قصدت فيهم القنا وقوافى الطـ طعن منها ما شانها الايطاء)

أى قصدت فى ابدانهم النواجع قناة أى الرماح وفى هذا الاستعارة المشهورة فى قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض فأقامه ولا ينافى ذلك عد كثير له من أنواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصلح منه وهى الارادة التى هى من صفات الحيوان لان ذلك مبنى على تشبيهه بما له للوقوع بارادته له وللاستعارة مجاز علاقته بعضهم المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز التشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هو مجاز لغوى أو عقلى خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا المشبه ولا لاعم منهما فأسد فى رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرىء

فيه النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وقال فيه انه سيدخل عليكم من هذا الباب من خير ذى يمن وان على وجهه لمسحة ملك وقال فيه جرير بن عبد الله منا أهل البيت ظهر البطن قالها ثلاثا (قال عرضت بين يدى عمر بن الخطاب) عرضت بالبناء للمجهول وعرضه عليه من أمره بذلك لينظر قوته وجلادته كعرض الجيش على الامير ليعرفهم ويتأملهم حتى يرد من لا يرتضيه وكان جرير اغاب الى خلافة عمر فلما حضر أمر بعرضه عليه ليتبين حاله (فألقى جرير رداءه ومشى فى ازار) اظهارا لقوته وتجلده وشجاعته وكان القياس فألقيت ردائى ومشيت فهو التفات من التكلم الى الغيبة ويحتمل ان يكون من كلام قيس كمل به كلام جرير اونقله بالمعنى (فقال) عطف على عرضت أى فقال عمر (له خذ رداءك) أى واترك مشيك متجردا فانه قد ظهر أمرك (فقال عمر) بعد ذلك (للقوم) أى للحاضرين أو غيرهم (ما رأيت رجلا) أى صورة رجل فالكلام على حذف مضاف بدليل قوله (أحسن من صورة جرير) أى بدنه فان دحية كان أجمل من جرير وجها وقد ورد انه كان اذا دخل بلدا خرج لرؤيته حتى العواتق من خدورهن ويدل على ما ذكرنا ان عمر لم يقل ذلك الا عند تجرد جرير انظر ابن حجر والمناوى (الا ما بغنا من صورة يوسف عليه السلام) ان كان رأيت بمعنى أبصرت فالاستثناء منقطع وان كان بمعنى علمت فهو متصل وهو أنسب وكان عمر رضى الله عنه اتكل على ما قد استقر فى الاذهان ان المصطفى صلى الله عليه وسلم أجمل العالمين وأجلهم وان يوسف عليه السلام انما أعطى شطر حسنه صلى الله عليه وسلم فلم يحتج الى استثناء صورة نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ان الله سبحانه ستر عن أصحابه كثيرا من جماله الزاهر وكماله الباهر بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما أمكنهم التلقى عنه والتعلم منه اذ لو برز لهم جماله لما استطاع أحد أن ينظر اليه بهذه الابصار الضعيفة الدنيوية ولافتتنوا به كما افتتن صواحب يوسف بيوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن ويرحم الله القائل

ما حسن يوسف النبى الكامل * الا كشطر من بحور الكامل
لو لم يك الاله ذو الجلا ل * كسا الجمال منه بالجلال
ما استطاعت العين اليه تنظر * ولرأت ما ليس منه تقدر

وراجع ما تقدم فى قول على رضى الله عنه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ولم يظهر وجه ذكر حديث جرير هذا فى ترجمة التعطر وأما قول ابن حجر ان طيب الصورة يلزمه غالبا طيب ريحها ففيه ايماء الى التعطر اه فلا يخفى ما فيه من التكلف ولهذا قال

والقوافى جمع قافية والطعن الضرب والمراد الطعنات المتوالية المشبهة بالقوافى فى تتابعها حال كون ذلك الطعن منها أى من تلك الرماح ماشانها من الشين أى ماعابها الايطاء وهو تكرير القافية لفظا ومعنى قبل سبعة أبيات وهو معيب عندهم لانه يدل على الشاعر وقصوره وكذلك هنا فى الطعن لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه أى

بعضهم لعله من ملحقات بعض النساخ سهوا

(باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم)

باب خبر لمبتدا محذوف على ماهو معروف ثم على انه منون فالجملة بعده مستقلة مستأنفة لمقصود الترجمة وكيف حال على ان كان تامة وخبرها على انها ناقصة وقدمت لصدارتها وعلى انه غير منون ففى الكلام مضاف مقدر أى هذا باب جواب كيف كان أو بيان كيف كان وانما احتجنا الى هذا المقدر لان لفظ الباب لا يضاف الى الجملة ولان المترجم له ليس هو السؤال وانما هو جوابه فانه هو المتكلم عليه فى الترجمة ونظير هذه الترجمة ماوقع فى أول كتاب صحيح البخارى باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم انه لما بعث صلى الله عليه وسلم لتعليم الحق وتبليغه وبث الحكمة ونشرها واحياء الايمان والعلم واماتة الكفر والجهل وايضاح طرق الهداية والتوفيق لتسلك واظهار سبيل الغواية والخذلان لتجتنب ولذلك كان لا ينطق الا بالحق حتى فى مزاحه كان كلامه صلى الله عليه وسلم متوفرا لشروط الحسن والكمال من جهة اللفظ والمعنى قال ابن حجر كان صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق لسانا وأعذبهم كلاما وأسرعهم ردا وأحلاهم منطقا وأحلاهم جنانا وأوضحهم بيانا كيف ولسانه أعظم سيف من سيوف الله يبين عنه مراده ويقصم بساطع نوره حجج المبطلين ويهدى الله به عباده قال له عمر رضى الله عنه مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست أى متمات فصاحتها فجاءنى بها جبريل فحفظتها رواه أبو نعيم وروى العسكرى بسند ضعيف جدا انهم قالوا نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال ان الله تعالى أدبنى فاحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر وروى الحاكم وصححه ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم اه وفى الجامع الصغير أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس وأما حديث انا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش فصرح الحفاظ بانه موضوع قاله فى جمع الوسائل *(حدثنا حميد بن مسعدة البصرى نا حميد بن الاسود عن أسامة بن زيد) أى الليثى مولاهم صدوق من السابعة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة (عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت) جلس أبو فلان يروى الحديث وكنت أصلى فاردت أن أقول له اذا أنا فرغت (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد) أى

فلم يوجد فى طعناتهم ما يطعن فيها مما يشبه الايطاء وفى بعض النسخ فقوى فى الطعن منها من شانه الايطاء فيكون قوى فعل ماض على لغة طيئ لانهم يبدلون فى كل فعل معتل الآخر على وزن فعل بكسر العين كسرته فتحة والياء ألفا كخفى ورضى قال فى الكافية

والكسر فتحا رد والياء ألفا
لطيئ كخفى اردده خفا

ومن بفتح الميم فاعل قوى ومنها بمعنى بها والمعنى فقوى فى الطعن بها من عادته الكرة على العدو بعد الكرة

(وأثارت بارض مكة نقعا
ظن ان الغدو منها عشاء)

فاعل أثارت عائد على الخيل أى رفعت تلك الخيل لما ركضت فى مهامه الحرب بارض مكة نقعا أى غبارا أظلم الجو حتى ظن الغدو من أجل تلك الخيول التى أثارت ذلك النقع وقت عشاء وفيه تلميح الى قوله تعالى فأثرن به نقعا وفى البيت اشارة الى غزوة الفتح التى هى الفتح الاعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وجنوده وحرمه الامين واستنقذ بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا خرج لها صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه قد كان وقع

الشرط انه من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب ان يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر فى بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا فى خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذى أصابهم ويشعرونه فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم مما أنصر به نفسى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب كاسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا وجمع بانه خرج بعشرة آلاف ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم واتفقوا على انه فى رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان

(حدثنا

سيدنا العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلما مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحرث ابن عمه عليه

يستعجل فى كلامه ويوالى بين جمله ويصل بعضه ببعض بحيث لا يتبين بعض حروفه لسامعه ويلتبس عليه (سردكم) مفعول مطلق وفى بعض النسخ كسردكم (هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين) بتشديد التحتية المكسورة أى ظاهر وفى بعض النسخ بينه بصيغة الماضى وفى بعضها يبينه بصيغة المضارع (فصل) يحتمل ان يكون من قبيل رجل عدل مبالغة أو بمعنى فاصل بين الحق والباطل أو بمعنى منفصل من الباطل ومصون عنه أو مفصول بعضه من بعض فلا يلتبس على سامعه وفى بعض النسخ بينه فصل على ان بين ظرف وفصل مرفوع به أى بينه مهلة وفرق لفهم يؤيده قولها (يحفظه من جلس اليه) أى لظهوره وامتيازه وكمال فصاحته وبلاغته وفى الصحيحين من حديث عائشة أيضا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه أو لان كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى برز منه وكسوة القلب الموفق هى النور ولا نور يماثل نوره صلى الله عليه وسلم فلا كلام يماثل كلامه فى الرونق والحسن والبهجة والجمال ومن ثم كان يأخذ بمجامع القلوب وتنقاد له الالباب فألف الله به بين أشتات الامم وجمع به بين الضدين العرب والعجم وأنستهم حلاوته الآباء والابناء وكانوا عند سماعه كأنما على رؤسهم الطير ولهذا كان اذا أمر تبادروا الى امتثال أمره من غير تردد كما فى قضايا كثيرة منها قضية أبى جحيفة قال أكلت ثريدة بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتحشى فقال اكفف أو احبس عليك حشاءك أبا جحيفة فما أكل الناس شبعا فى الدنيا أطول منهم جوعا يوم القيامة قال الراوى فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى انظر شرح همزية شيخنا المحقق * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أبو قتيبة سلم) بفتح فسكون (ابن قتيبة عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة) الصادقة بجزء الجملة وبالجملة وبالجمل والمراد اذا لم يتبين معناها أو معناها الا بالاعادة أو كانت تحتاج الى مزيد تأكيد أو حض (ثلاثا) معمول لمحذوف أى يتكلم بها ثلاثا لان الاعادة بحقيقتها لو كانت ثلاثا لكان تكلمه أربعا وليس كذلك (لتعقل عنه) اى لكمال هدايته وشفقته على أمته وفى هذا وما قبله دليل على انه يندب للمعلم ان يتأنى فى كلامه ويتحرى فى ايضاحه وبيانه ويعيده ثلاثا حتى يفهم عنه وحكمة الثلاث ان الاولى للاسماع والثانية للوعى والثالثة للفكرة أو الاشارة الى ان مراتب الفهم ثلاث أعلى وأوسط وأدنى وان من لم يفهم فى ثلاث مرات لم يفهم بأكثر * قال المصنف

(حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) بالتصغير (ابن عمر) وفى نسخة ابن عمرو بالواو وفى أخرى ابن عمير بالتصغير (ابن عبد الرحمن العجلى) بكسر فسكون (قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافا) تقدم هذا كله فى صدر الكتاب (قلت) بيان لسألت (صف لى منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كيفية نطقه وهيئة سكوته المقابل لمنطقه كما يدل عليه الجواب فهو من باب الاكتفاء (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان) أى لا ينفك حزنه عن حزن يعقبه قال ابن قيم الجوزية حديث هند فى صفته عليه السلام انه كان متواصل الاحزان لا يثبت وفى اسناده من لا يعرف وكيف يكون متواصل الاحزان وقد صانه الله عن الحزن فى الدنيا واسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان عليه السلام دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وقال ابو العباس بن تيمية ليس المراد بالحزن فى حديث هند الالم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهى عنه ولم يكن من حاله وانما المراد به الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الامور اه أو كان حزنه عليه السلام لاستغراقه فى شهود جلال الله تعالى وكبريائه وعظمته وغلبة غيبته على قلبه أولاهتمامه بأمر أمته وملاحظة عاقبة أمرهم وما آلهم وشدة شفقته عليهم وقد تقدم طرف من ذلك فى قوله ثيبتنى هود واخواتها وقال الترمذى الحكيم لما فاته من كمال اللقاء والوصال والشهود فى هذه الدار لاتساع ذلك بل محل ذلك الدار الآخرة فكان على غاية الاشتياق الى كمال التلاق وسيأتى ان شاء الله فى باب البكاء بسط القول فى معنى خوف الانبياء عليه السلام وسيأتى فى باب الضحك وجه الجمع بين قوله هنا متواصل الاحزان وقوله فى باب الخلق دائم البشر قال ابن حجر وغيره ثم هذا وبعض ما بعده زيادة على ما طلب منه وصفه لكمال علاقته وشدة ارتباطه به وظهور ما بينهما من المناسبة والملازمة اه وأيضا فان المؤمن مهما شرع فى مدحه صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتصر على مدح واحد لكثرة وجود أوصافه المادحة وشدة حلاوتها فى القلب ولشيخنا المحقق فى هذا المعنى

اذا ما شرعت فى مديحك راقنى * لحسنه واستحلائه فأغيب

ويتبع بعضا بعضه لارتباطه * وكثرته والكل منه عجيب

(دائم الفكرة) أى فى خلق السموات والارض وغير ذلك مما يثمر عظمة الله تعالى ومهابته

أبا سفيان بن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر فزعهم فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فأتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان بن حرب فلما سار قال العباس اجلس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى تنظر الى المسلمين فجعلت القبائل تمر مع النبى صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار قال مالى ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ثم أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار يا للمجسمة المكسورة قيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من ان ينالنى مكروه وقال ابن اسحق زعم بعض أهل العلم ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعه رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن ان يكون لسعد فى قريش صولة فقال لعلى أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال فذكر له قال كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة

قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته بالحجون وفى حديث موسى بن عقبة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وأمره ان يدخل من كدى من أعلى مكة وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره ان يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت وبعث سعد ابن عبادة فى كتيبة الانصار فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم ان يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من يقاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحرث ابن عبد مناف وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بنى بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتال الى باب المسجد حتى دخلوا الدور ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا انظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم فقال قضى الله خيرا وعند ابن اسحق فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبى صلى الله عليه وسلم لكى يجد أحدا فيعلم لاهل مكة فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه فسمع صوت أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فاردف أبا سفيان ولو خلفه وأتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة ويجمع بينه وبين ما تقدم بان الحرس لما أخذوه واستنقذه العباس ويروى ان عمر رضى الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله

ويفيضهما على القلب وفى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقد قال بشر الحافى لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى وهذا كالتوجيه والتعليل لتواصل أحزانه فان تواصل الاحزان من لوازم دوام الفكر (ليست له راحة) هذا من لوازم ما قبله وهو دوام الفكر أيضا فان من لازم اشتغال القلب انتفاء الراحة او المراد انه لا يمضى له رقت فى غير عمل لله عز وجل فظاهره فى كدح عظيم لاشتغاله بوظائف العبادات والقربات وما يصلح الامة والتعليم والجهاد والمواساة وتدبير المهمات الدينية والدنيوية وباطنه فى نعيم مقيم راضيا عن الله تعالى مسرورا بذكره وطاعته وحلاوة الانس به ولذيذ مناجاته (طويل السكت) هو أيضا تصريح بما علم ضمنا من قوله دائم الفكرة فان دوام التفكر يستدعى دوام الصمت والسكت بفتح السين وسكون الكاف بمعنى السكوت وأغرب ابن حجر حيث قال بكسر أوله فانه فى جمع الوسائل (لا يتكلم فى غير حاجة) أى من غير ضرورة دينية أو دنيوية فلا يتكلم بلا فائدة حسية أو معنوية وقد قال عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه رواه جماعة من المحدثين وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت كيف والله تعالى يقول وما ينطق عن الهوى (يفتتح) أى يبدأ (الكلام ويختمه) من الختم وفى نسخة ويختمه من الاختتام أى يتمه (باسم الله تعالى) كذا فى بعض النسخ والظاهر ان المراد ان كلامه عليه السلام كان محفوفا بذكر الله تعالى لا يخلو وص هذا اللفظ وان المراد بذكر الطرفين زمان الكلام كله على حد ما قيل فى قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وفى قوله وسبح بالعشى والابكار اذ ليس المراد خصوص الطرفين وأبعد من قال ان المعنى انه كان يفتتح كلامه بالبسملة ويختمه بها ومن قال انه يفتتحه بالبسملة ويختمه بالحمد أو بغيره كالاستغفار وهذا كله بالنسبة للذكر اللفظى والا فكلامه صلى الله عليه وسلم كله ذكر وسكوته جميعه فكر وليس الذكر منحصرا فى التسبيح والتهليل ونحو ذلك بل كل مطيع لله فى قوله أو فعله فهو ذاكر له سبحانه فقد قال عمر رضى الله عنه أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه أى بأن يمتثل ما أمر الله به وينتهى عما نهى الله عنه وانما كانت المحافظة على الامر والنهى أفضل لان ذلك هو نتيجة الذكر القلبى واللسانى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وقد قال بعض أتباعه صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فقال يارسول الله هذا أبو سفيان دعنى أضرب عنقه فقال العباس يارسول الله انى قد أجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب ياعباس به الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيأ ثم قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم انى رسول الله قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك اسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى كتيبة خضراء وهو على ناقته القصواء بين أبى بكر وأسيد بن حضير ووضع صلى الله عليه وسلم رأسه تواضعا لله لما أكرمه به من الفتح حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده ومذهب مالك هو الذى تدل عليه أحاديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يومئذ غير محرم وفى هذا اليوم اغتسل فى بيت أم هانئ أخت على بن أبى طالب وصلى الضحى ثمان ركعات خفف فيها وصلاها صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار اليه بقضيبه

ولو خطرت لى فى سوالك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

وفى بعض النسخ المصححة باشداقه جمع شدق وهو بكسر أوله طرف الفم والمراد بالجمع مافوق الواحد والمراد انه يستعمل جميع فمه فى التكلم ولا يكتفى بادنى تحريك الشفتين كما هو شأن المتكبرين وبعض الناس يتكلم بطرف لسانه وشفتيه وذلك كله غير محمود مخل بالفصاحة وبعضهم يتشدق ويتكلف فى العبارة وذلك أيضا مذموم منهى عنه وكلامه صلى الله عليه وسلم كان وسطا عدلا خارجا عن طرفى الافراط والتفريط (ويتكلم بجوامع) جمع جامع (الكلم) اسم جنس واحده كلمة والاضافة من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى انه كان يتكلم بالفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة ولا يناسب ان تفسر هنا بالقرآن وان صح ان يفسر به قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم اذ لا يقال فى وصف منطقه انه كان يتكلم بجوامع الكلم التى هى القرآن خلافا لابن حجر وقد جمع جمع من الائمة من كلامه صلى الله عليه وسلم الموجز البديع أحاديث كثيرة كقوله من آذى جاره أورثه الله داره وقوله لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وقوله ترك الشر صدقة أى لان الظلم تحت جناح كل أحد ومن ثم قال بعضهم

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

وكان الشيخ سيدى أحمد المجوري ينشد فى هذا المعنى

عديا فى زماننا * عن طريق المكارم
من كفى الناس شره * فهو فى جود حاتم

وقوله لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب وقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كيف شئت وقوله صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد للناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وقوله من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولله در القائل فى هذا المعنى

وما الحسب الموروث لا درّ درّه * بمعتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وقوله ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ونظم بعضهم

وهو بقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي *وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال ياعثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم ياعثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما ولت ناداني فرجعت اليه قال ألم يكن الذي قلت لك قلت بلى أشهد انك رسول الله وصعد صلى الله عليه وسلم على الصفا ورفع يديه الى الدعاء فقالت الانصار فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم ببلده فقال لهم صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة أو سبع عشرة أو ثمان عشرة أو تسع عشرة يقصر الصلاة انظر المواهب والله الموفق

(أحجمت عنده الحجون وأكدى
عند اعطائه القليل كداء)

معناه فقال

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته * يوم الزحام ونار الحرب تشتعل
بل الذي غض طرفا أو ثنى قدما * عن المحارم ذاك الفارس البطل

وقوله اياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في المنبت السوء وقوله استعينوا على انجاحات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وقوله الحالق الذي يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله اليمين حنث أو ندم وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وهذا بحر لا ساحل له ولكن أتينا بهذه الغرفة للبيان والتبرك انظر ابن حجر والمناوي وجمع الوسائل فقد ذكر وا من ذلك طرفا كبيرا (فصل) يحتمل احتمالات تقدم أكثرها ومنها ان يكون معناه وسطا عدلا بين الافراط والتفريط فيكون قوله (لا فضول ولا تقصير) كالبيان له والتفسير أي ليس فيه زيادة على المحتاج ولا نقص عن أداء المراد بل هو على غاية المطابقة لما يقتضيه المقام من ايجاز او اطناب أو مساواة اذ لا مساوي له في فصاحته صلى الله عليه وسلم (ليس بالجافي) من الجفاء وهو غلظ الطبع ومنه حديث من بدا جفا أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطته الناس والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ليس بالغليظ الطبع السيئ الخلق العديم البر بل كان بره وخيره عاما للاقارب والاجانب لانه نعمة مهداة للمؤمنين ورحمة مرسلة للعالمين (ولا المهين) بفتح الميم من المهانة وهي الحقارة والضعف أي ما كان حقيرا ذميما بل فخما مفخما كبيرا عظيما يغشاه من أنوار الوقار والمهابة والجلالة ما ترتعد منه فرائص الجبابرة ويخضع عند رؤيته جفاة الاعراب وتذل لعظمته عظماء الملوك فكان صلى الله عليه وسلم متواضعا للمؤمنين متكبرا على المتجبرين وقد أثنى الله سبحانه بذلك على من اتصف به من المؤمنين فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وراجع ما تقدم في قوله من رآه بديهة هابه وفي نسخة ولا المهين بضم الميم من الاهانة أي لا يهين ولا يحقر أحدا من الناس (يعظم النعمة وان دقت) أي لا يستصغر شيأ من نعم الله سبحانه وان كان صغيرا ولا يحتقره فان القليل من الجليل جليل كما قيل

قليل منك يقنعني ولكن * قليلك لا يقال له قليل

الحجون بفتح الحاء المهملة هو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كداء بالفتح والمد ومن هناك دخل النبي صلى الله عليه وسلم وقال للزبير وقد قدمه قبله بمن معه من المهاجرين والانصار اركز الراية عند الحجون وأحجمت أي كفت أو نكصت هيبة عند ذلك النفع المثار والمراد بمن أحجم هم أهل الحجون من قريش الذين يلون ناحيته فلم ولا

يقاتلوا بل تكفوا عنه ولم يعرضوا له وأكدى أى قطع وعند اعطائه القليل حال من كداء بضم الكاف والمد فى لغة ضعيفة أى وأعطى أهل كداء قتالا قليلا ثم قطعوا وفروا وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد سيف الله تعالى ورضى عنه ان يدخل بالخيل من أسفل مكة من كداء ويغرز رايته عند أدنى البيوت وان لا يقاتل فبدأه بعضهم بالقتال فقاتلهم حتى أدخلهم البيوت بل المسجد ثم كف وقال له النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لم قاتلت وقد نهيتك فقال كففت يدى ما استطعت فقال قضاء الله تعالى خير

ولا يشكر الكثير من لا يشكر القليل بل كان يقوم بتعظيمها قولا بحمده تعالى وشكره وفعلا بصرفها فى مرضاة ربه (لا يذم منها شيأ) لما عنده من شهود عظمة المنعم بها المستلزم لعظمة النعمة بأثر أنواعها فكان يجمع بين نفى المذمة وتعظيم جميع افراد النعمة (غير انه لم يكن يذم ذواقا) اسم لما يذاق من مأكول أو مشروب وهذا مما يشمله قوله لا يذم منها شيأ وانما خصه بالذكر لقوله (ولا يمدحه) فانه نفى به ما يتوهم من قوله يعظم النعمة من انه يمدح الطعام والشراب فاخبر ان الامر بخلاف ذلك أما نفى الذم فلكونه نعمة وذم النعمة كفران وازدراء بنعمة الله تعالى وفيه كسر لقلب صانعه وأما نفى مدحه فلكون مدحه يشعر بالحرص والشره والنهمة وحاصل الكلام أنه كان يعظم جميع نعم الله تعالى ولا يذم منها شيأ الا انه لا يشتغل بمدح المأكول والمشروب لانه ينبئ عن الميل اليه كما لا يشتغل بذمه لانه من أعظم نعم الله عليه ويأتى لهذا المعنى نتمة فى باب الخلق فى قول على رضى الله عنه ولا عياب (ولا تغضبه الدنيا وما كان لها) وفى بعض النسخ ولا ما كان لها أى لا يوقعه فى الغضب جاهها ومالها وكل ماله تعلق بها لعدم اعتداده بها ونظره اليها العلم بدناءتها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها فلا يبالى بما فاته منها وأما قول ابن حجر ومن تبعه وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أى للتمتع بلذاتها بل لهداية الضالين وارشاد المسترشدين وتكميل ما لا غنى له عن الكمال والشفاعة فيمن استحق العذاب والنكال اه فهو مبنى على ان ما فى قوله وما كان لها نافية ورواية ولا ما كان لها تدل على انها موصولة (فاذا تعدى الحق) بصيغة المجهول أى تجاوز أحد الحق (لم يقم لغضبه) أى لم يدفع غضبه ولم يقاومه (شئ) من الاشياء المانعة فى العرف والعادة (حتى ينتصر له) أى ينتقم للحق بالحق لانه صلى الله عليه وسلم بعث للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا يقر أحدا على منكر وسيأتى فى حديث على لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه (لا يغضب لنفسه) ولو تعدى فى حقها بالقول أو الفعل من أجلاف العرب أو من بعض المنافقين (ولا ينتصر لها) بل يقابل بالحلم والعفو أخذا بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وسيأتى ان شاء الله شواهد ذلك فى باب الخلق عند قول عائشة رضى الله عنها لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقولها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ويرحم الله القائل

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى لم يغش فى الناس مسلما

(ودهت أوجهها او بيوتا
ملّ منها الا كفاء والاقواء)

أى أصابت وأهلكت تلك الخيل أوجهها من الناس بها قاتلت أو المراد ما هو أعم فيدخل من قتل ممن أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمهم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة وهم ستة رجال وأربع نسوة منهم ابن خطل ومقيس بن صبابة والبيوت جمع بيت محل السكنى وملّ أى سئم منها الا كفاء وهو المخالفة بين هجاء القوافى كأن يكون روى بعضها ميما والآخر باء ولعل المراد به هنا ميل من قتل من قريش وأتباعهم وهم اثنان وعشرون للارض وسقوطهم عليها أو امالة الغير اياهم من الكفأ اذا مال أو أمال أو انكفاء تلك الوجوه على من قاربهم من المؤمنين يحمونهم ويجيرونهم والاقواء هو مصدر أقوى الشاعر اذا خالف قوافى شعره برفع بيت وجر آخر من أقوت الدار اذا خلت والمراد فرمنها أهلها الى مكان يأمنون فيه على أنفسهم أو خلت بيوت من قتل منهم وبما قررنا به كلامه من قوله قصدت الى هنا يعلم انه استعار القوافى للطعن المتتابع ورشح بذكر الابطاء ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت

الشعر المرشح بها وبذكر مايختص بهامن الاكتناء والاقواء الى الاستعارة الاولى وفيها توديه وانف ونشر مرتب لان الاكتناء راجع للوجوه والاقواء راجع للبيوت

(٢٠) (فدعوا أحلم البرية والعفـ ـو وجواب الحليم والاغضاء)

أى نادوا أكثر الخلق حلما وهو الصفح عن الاساءة وترك العقوبة للمسىء وهو النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه العفو والصفح عن ظلمهم واساءتهم اليه وايذائه الذى لايتحمل غيره ماأوذى به والعفو أى الصفح وعدم المؤاخذة بالذنب جواب الحليم أى العاقل المتأنى من الحلم وهو الاناة والعقل والاغضاء أى التغافل عن العورات وعقوبتها وأصله ارخاء الجفون من الجفاء وفى القاموس وأغضى أدنى الجفون وعلى الشئ سكت وفى ذكر الحلم والعفو والاغضاء مراعاة النظير

(فاشدوه القربى التى من قريش قطعتها التلات والشحناء)

فاشدوه أى سألوه العفو بالقرابة التى من قريش أى التى بينه وبين سائر بطون قريش وهم ولد فهر ابن مالك وهو الصحيح أو ولد النضر بن كنانة ومن ليس من ذرية فهر أو النضر على القولين فليس بقرشى وقطعتها حال والتلات بفوقيتين جمع ترة وهى الطلب فى الدم وفى الصحاح والموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه تقول وتره يتره وترا وترة والشحناء العداوة والبغضاء التى كانت منهم له صلى الله عليه وسلم

(فعفا عفو قادر لم يغصـ ـه عليهم بما مضى اغراء)

(واذا أشار) أى الى انسان ليجلس أو يقف أو يذهب لقضاء حاجة مثلا (أشار) اليه (بكفه كلها) ولا يقتصر على الاشارة ببعضها لانه من أفعال المتكبرين وأخلاق المتجبرين (واذا تعجب) أى فى أمر (قلبها) بان يجعل باطنها أعلى كما هو شأن كل متعجب أو المراد قلبها من الهيئة التى كانت عليها حالة التعجب الى ظاهرها أو باطنها وكأن حكمة قلبها الاشارة الى تقلب ذلك الامر المتعجب منه وتغيره الى الحال الاكمل ببركته صلى الله عليه وسلم أو يكون قلبها اكتفاء بالفعل عن القول فى اظهار التعجب قاله ابن حجر والوجه الثانى أقرب (واذا تحدث اتصل) أى حديثه المفهوم من تحدث (بها) أى بكفه بمعنى ان حديثه يقارب تحريكها القصد الافهام ورفع الابهام عن المشار اليه (وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى) كأن هذا كان عادة عندهم ان الانسان عند حديثه يحرك يمينه ويضرب بها بطن ابهام يسراه وللشراح هنا أقوال متناقضة ليس تحتها فائدة فاعرضنا عنها وقد نقل ابن حجر جملة منها (واذا غضب) من أحد وفى نسخة أغضب بصيغة المجهول من باب الافعال (أعرض) أى عما يقتضيه الغضب وعدل عنه الى الحلم والكرم والعفو (واشاح) الاشاحة تكون بمعنى الجد فى الامر أى جد فى الاعراض وبالغ فيه وتكون بمعنى الاعراض بالوجه يقال أشاح اذا عدل بوجهه فيكون من باب قوله تعالى فاعف عنهم واصفح زاد فى بعض النسخ (واذا فرح غض طرفه) أى أطرق ببصره ليكون أبعد الناس من الاشر والفرح عند الفرح فان الناس يحدقون النظر اذا فرحوا وينظرون بملء أعينهم والنبى صلى الله عليه وسلم لايستخفه الفرح ولايحركه وفى رواية وكان اذا رضى سر أى ظهر فى وجهه الشريف أثر السرور أخرج أبو الشيخ فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه من وجهه كان اذا رضى فكأنما يلاحك الجدر وجهه واذا غضب خسف لونه والمعنى ان جدر البيت ترى فى وجهه كما ترى فى المرآة لوضاءته (جل ضحكه) أى معظمه (التبسم) يأتى الكلام عليه فى الباب بعده وزاد فى نسخة (يفتر) أى يضحك (عن مثل حب الغمام) هو البرد بفتحتين الذى على هيئة اللؤلؤ شبه أسنانه صلى الله عليه وسلم به فى بياضه وصفائه وقيل حب الغمام اللؤلؤ لانه يحصل من ماء المطر النازل من الغمام الى السحاب وهذا أشبه فى باب التشبيه لما فى الاول من البرودة ولما فى الثانى من زيادة تشبيه الفم بالصدف والريق بماء الرحمة فى بحر النعمة قاله فى جمع الوسائل

*(باب

لاعفو كله لا الاعن قدرة وكان صلى الله عليه وسلم قادرا على استئصالهم ولم ينغصه أى لم يكدر ذلك العفو عليهم اغراء أى تحريش منهم لسفهائهم على اذايته من أغرى الكلب بالصيد اذا حمله عليه وأغرى بينهم العداوة القاها وفى القاموس وأنغص الله تعالى عليه العيش ونغصه وعليه كدره فتنغصت معيشته

(باب ماجاء فى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى صفته وأسبابه من الافعال والاقوال الحاملة عليه ويقال ضحك ضحكا بالفتح والكسر وبكسرتين وكتف قاله فى القاموس (حدثنا هناد بن السرى نا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة) بفتح مهملة فكسر موحدة (السلمانى) بفتح السين وسكون اللام ويفتح منسوب الى بنى سلمان قبيلة من مراد (عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف آخر أهل النار) أى من العصاة (خروجا) زاد فى بعض النسخ (من النار رجل) قيل اسمه جهينة بصيغة التصغير أو هناد الجهنى (يخرج منها زحفا) هو المشى على الاست مع اشراف الصدر وفى رواية حبوا بفتح الحاء وسكون الموحدة وهو المشى على اليدين والرجلين أو الركبتين أو المقعدة ولا تنافى بين الروايتين لان أحدهما قد يراد به الآخر أو انه يزحف تارة ويحبو أخرى قال المناوى وانما فعل ذلك لضعفه بعذاب النار أو توار يا من ملائكة العذاب ليهرب (فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل) أى منازلهم ويتخيل له انه لم يبق منزل لغيرهم (فيرجع) عن الشروع فى دخولها (فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل) كانه سأل ان يؤخذ منهم منزل له (فيقال له اتذكر الزمان الذى كنت فيه) أى أتقيس زمنك هذا الذى أنت فيه الآن بزمنك الذى كنت فيه فى الدنيا الضيقة ان الامكنة اذا امتلأت بساكنيها لم يكن للقادم فيها مسكن فيحتاج أن يأخذ منزلا من بعض أصحاب المنازل (فيقول نعم فيقال له) ليتبين له خطؤه فى قياس الآخرة التى هى دار سعة وفسحة على الدنيا التى هى دار ضيق ومحنة (تمن) أى فان كل ما تتمناه من الديار والاشجار والثمار وغير ذلك يتيسر فى هذه الدار على طريق خرق العادة بقدرة الملك الغفار (قال فيتمنى فيقال له فان لك الذى تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) أى أمثالها الان ضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه أمثاله وكأن المراد عشرة أمثال الدنيا فى المساحة والا فموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها كما فى الحديث بل جميع ما فى الدنيا لا يساوى ذرة مما فى الجنة فانظر هذا مع قول الغزالى ان هذا ليس بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل كما ان الجوهرة تكون عشرة أمثال فرس لا بالوزن والمقدار (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فيقول) من غلبة الفرح والسرور يبلوغ ما لم يخطر بباله (أتسخر بى) ولم يك ضابط لما قاله ولا عالما بما يترتب عليه بل جرى على عادته فى مخاطبة المخلوق فهو كما أخبر عليه السلام عن الآخر فى الحديث الصحيح انه لم يضبط نفسه من

تكدرت وبما مضى منهم صفة لاغراء تقدمت عليه فصارت حالا والمعنى لم يكدر عفوه عنهم اغراءهم سفهائهم الواقع منهم فيما مضى أو الذى سبق منهم حتى بالغوا فى اذايته بما لا يتحمله غيره وخلاصة ما أشار اليه انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو أهل له عز وجل ثم قال أيها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرا فان أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله تعالى أذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما أحلت لى ساعة من نهار يعنى من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال عليه الصلاة والسلام يامعشر قريش ماترون انى فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء من القتل والاسترقاق وفى رواية قال لهم أقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

(واذا كان القطع والوصل للرحم تساوى التقريب والاقصاء)

أى اذا كان قطعه ووصله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل استوى لديه تقريب الاقارب والاباعد واقصاؤهما ولم يميز

(وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء)

الفرح لما رد الله عليه راحلته فقال اللهم أنت عبدى وأنا ربك قاله فى الاكمال قال فى جمع الوسائل وخطر لى انه يمكن ان يكون المخاطب بهذا المقال واحدا من الملائكة على ما يفهم من قوله فيقال الخ وفى نسخة أتسخر منى والكل صحيح فصيح فى القاموس سخر منه وبه كفرح هزئ اه الآن الوارد فى القرآن تعديته بمن وفى رواية أتضحك منى (وأنت الملك) أى العظيم الشان استبعد أن يكون له هذا النعيم العظيم بعد ان كان فى عذاب الجحيم ولم ير نفسه أهلا لذلك (قال) أى ابن مسعود (فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) اما تعجبا من دهش الرجل أو من عظيم رتبة التواضع عند الله سبحانه أو من غلبة رحمته على غضبه (حتى بدت نواجذه) زاد البخارى وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة والنواجذ بالمعجمة جمع ناجذ قال فى القاموس هى أقصى الاسنان أو الانياب أو التى تلى الانياب أو الاضراس اه وأقصى الاضراس هى أربع آخر الاسنان كل منها يسمى ضرس العقل لانه لا ينبت الا بعد البلوغ قال السيوطى واشهر الاقوال الاول وهو ان النواجذ آخر الاضراس وحينئذ فالمراد مبالغة مثله فى الضحك بان يكون ضحكه فوق ما كان يصدر منه أى وأما ضحكه الى ان يبدو أواخر اسنانه فيعيد من شيمته صلى الله عليه وسلم ومحصول مجموع الاخبار كما فى ابن حجر وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان فى أغلب أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك والمكروه الاكثار منه والافراط فيه لاذهابه الوقار والذى ينبغى أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه وروى البخارى فى الادب المفرد وابن ماجه لا تكثروا الضحك فان كثرته تميت القلب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن على بن ربيعة قال شهدت عليا رضى الله عنه) حال كونه (أتى بدابة) فرس أو بغل أو حمار (ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله) كأن فعله صلى الله عليه وسلم المبنى عليه فعل على كرم الله وجهه مقتبس من قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله ولا بدع فى تأسى النبى صلى الله عليه وسلم بغيره من الانبياء وقد قال تعالى فبهداهم اقتده كما ان بقية الاذكار الآتية مأخوذة من قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام الآية (فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله) أى على نعمة الركوب ثم لما كان تسخير المركوب أثرا من آثار قدرته الباهرة التى انفرد بها جل وعلا ولا شريك له فيها ناسب ذكر التسبيح المقتضى لتنزيهه تعالى عن الشريك فاشار له بان قال (سبحان الذى سخر لنا هذا) أى ذلل هذا المركوب لاجلنا مع قوته وضعفنا (وما كنا له) أى لتسخيره (مقرنين)

الجرور ان فى البيت حالان من المبتدا وهو سواء أو الخبر وهو الملام بفتح الميم وهو السب والتنقيص والاطراء المدح بالمبالغة لانه لا ينظر الى نفسه وانما ينظر الى تصرف الحق فى خلقه بما أراد منهم أى مستو عنده ما جاء من غيره من الملام والاطراء لما تقدم * (تنبيه) * ما وقع للناظم هنا من العطف بالواو بعد سواء دون همزة الاستفهام لغة جرى عليها الفقهاء فى كتبهم وذكرها صاحب الصحاح فقال تقول سواء على قمت أو قعدت وصاحب القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو أى ذوا سواء واستويا وتساويا غالبا وذكرها سيبويه كما قال صاحب البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من أم اسمين كانا أو فعلين وان كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثانى بام تقول سواء على قمت او قعدت وان كان بعدها اسمان بلا ألف عطف الثانى بالواو تقول سواء على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر كان الثانى بالواو أو بأو وحملا عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقهاء واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان قراءة أولم تنذرهم من الشذوذ بمكان فاستحضر ذلك فانه مهم قاله ابن حجر

اى

(ولو أن استقامة الهوى النفس لدامت قطيعة وجفاه)

أى لو كان ذلك لهوى لنفس ومرادها لالله تعالى لداعت قطيعة لرحم وجفاء أى بعدهم ولكن لما كان لله تعالى دون نظر للهوى وصلهم ولم يعاملهم بما سبق منهم من محاربته فى غير مرة وقتل أصحابه الكرام والتمثيل بهم فى أحد وقتل عمه سيد الشهداء سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه وعنهم وشج وجهه الشريف وكسر رباعيته الكريمة وغير ذلك من اذايته ثم عفا وصفح كما أمره الله تعالى وجبله عليه حيث أسلموا الان الاسلام يجب ما قبله

أى مطيقين لولا تسخيره (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون كان وجه مناسبة هذا لما قبله التحذير من الاغترار بنعمة الاستعلاء الحسى لان الموت هادم اللذات فيحمله ذلك على التواضع لله ولعباده ويحتمل ان وجه المناسبة ان السير من مكان الى مكان يذكر بالانتقال من الدنيا الى الآخرة ومن هذا النعيم الى ذلك النعيم وعلى الوجه الاول فقوله انا الخ كناية عن الموت وعلى الثانى فمعنى الى ربنا الى جزائه وثوابه فكانه يقول كما تفضل تعالى على عبده فى الدنيا تفضل عليه فى الاخرى فهو المنعم على عبده دنيا وآخرة وهذا والله أعلم أنسب بمقام شهود المنة من قول ابن حجر ناسب ذكره لان الدابة سبب من أسباب التلف اذ كثيرا ما يسقط الراكب فيموت فيكون شهود الراكب لهذا السبب حاملا له على التقوى فى ركوبه وسيره اه (ثم قال) شكر النعمة التسخير (الحمد لله ثلاثا) فى التكرار اشعار بتعظيم تلك النعمة التى لا يقدر عليها غيره تعالى (والله أكبر ثلاثا) فى التكبير وتكريره اشارة الى تقصيره فى القيام بشكر نعمه ثم زاد هذا المعنى ايضاحا فقال (سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى) وانما طلب المغفرة بعد الاعتراف بالتقصير فى حق مولاه اشارة لى انه لا يرى لنفسه حقا ولا أهلية لما يطلبه ولا يستحق على مولاه شيأ وانما يطلب فضله بفضله (فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) فيه بعد الاقرار بالذنب والخوف من سوء عاقبته والاهتمام بحق المولى جل وعلا الاعتراف بأنه تعالى المنفرد بالقدرة العظيمة وانه الآخذ بيد عبده والمنقذ له بعد الاشراف على التلف وأن العبد مضطر الى رحمته وعفوه لا ملجأ له غيره ولا مفر له سواه لم يجد محيدا عن بابه ولا خيرا الا من قبله وجنابه وهذا المعنى باب عظيم من أبواب المعرفة بالله تعالى وضرب من العبودية له ولهذا ترتب عليه الثواب الجزيل كما سيأتى ثم اعترافه صلى الله عليه وسلم بالظلم لنفسه اما لاظهار ذلة العبودية وعظمة الربوبية واما للتشريع فانه صلى الله عليه وسلم القدوة واما من ترك الاولى واما الترقى فى درجات المقربين فانه فى الترقى دائما فيرى ما كان فيه بالنسبة لما بعده كالذنب حسنات الابرار سيئات المقربين وقد تقدم لنا شئ من هذا قبيل باب الشعر فى قوله تعالى واستغفر لذنبك (ثم ضحك) أى على (فقلت) وفى نسخة فقال أى ابن ربيعة فيكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة أو من باب النقل بالمعنى للراوى عنه (من أى شئ ضحكت) وفى نسخة من أى شئ تضحك (يا أمير المؤمنين) هذا الخطاب يدل على ان القضية فى أيام خلافته (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت) أى قولا وفعلا (ثم ضحك فقلت من أى شئ ضحكت يا رسول الله قال ان ربك ليعجب)

(قام لله فى الامور فارضى
الله منه تباين ووفاء)

التباين التخالف وهو راجع لاعداء الله تعالى كالوفاء لاوليائه وحاصل البيت انه عليه الصلاة والسلام لا تعويل له على غير رضاربه

(فعله كله جميل وهل يذ
ضح الا بما حواه الاناء)

(اطرب السامعين ذكر علاه
يا لراح مالت به الندماء)

النضح الرشح وأطرب السامعين أى حملهم على الطرب وهو خفة وأريحية تعترى الانسان عند سماع ما يسره ذكر علاه أى كماله ولام يا لراح بالفتح لانها للاستغاثة وسميت الخمر راحا لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا مادام سكرانا بها ولاجل اشتهار هذا المعنى فى المسكرات أنشد القاضى عبد الوهاب

زعم المدامة شاربوها انها
تنفى الهموم وتصرف الغما

صدقوا ومرت بعقولهم فتوهموا * ان السرور لهم بها سلبتهم آدياتهم وعقولهم * أرأيت فاقد ذين مغتما ومالت سكرت وتواجدت وذكر ضمير به العائد على الراح لانه مستعار لذكر علاه وهو مذكر لفظا ومعنى وفى الخمر نفسها الغة بالتذكير وان كان الاشهر فيها التأنيث والندماء جمع نديم بمعنى نادم أى شاربو الخمر ونادمه مناداة ونداما جالسه على الخمر وفى

هذا استعارة تصريحية وترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اطراب ساعيه بالرياح في اطرابها الشاربها ثم قرن بذلك ما يلائم المستعار منه وهو ذكر الميل والندماء

النبي خبر مبتدا محذوف والامي نعت نسبة للام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب على أصل ولادة أمه اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة الى أم القرى وهي مكة شرفها الله تعالى وقيل غير ذلك ومع ذلك فهو أعرف العارفين واعلم من أسند عنه الرواة والحكما والرواة جمع راو والحكما جمع حكيم وهم العلماء الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم هذا وقد قال ابن الهائم في الفجر المنير كونه صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب يظهر سره من ثلاثة أوجه الاول ان يتحقق الائمة العارفون بانه عليه الصلاة والسلام لم يكتب كتابا قط ولا تعاطى ذلك ولا تعلمه وان القرآن العظيم والكتاب الكريم منزل بلا علاج ولا اكتساب فيتضح وجه الصواب وينتفي اللبس والارتياب الوجه الثاني أن الكتابة علاج ضروري لاجل قصور الاذهان عن استيعاب حفظ ما يتعين حفظه والكتابة تنفع في حصول هذا الغرض فاذا أعطى الله نبيه من الحفظ والذكر ما يستغنى به عن الواسطة كان ذلك أشرف في حقه عنه عليه الصلاة والسلام وأرفع قال الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى فكان الضمان لحفظ القرآن والعصمة من النسيان والوعد بالقدرة على البيان أجل من التسبب في ذلك بكتابة يغسلها

المراد بالاعجاب في حقه تعالى أثره الناشئ عنه كالرضا بالفعل واثابته عليه وتكثير ثوابه (من عبده اذا قال رب اغفر لي ذنوبي يعلم) حال من فاعل قال ولا تحتاج هنا الى تقدير قد خلافا لمن زعم ذلك أي قال رب اغفر لي حال كوني عالما غير غافل ولا جاهل (انه) أي الشأن (لا يغفر الذنوب أحد غيره) وفي بعض النسخ غيري بياء المتكلم وهو خلاف الظاهر لانه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كلامه تعالى فسبب ضحكه صلى الله عليه وسلم هنا فرحه برضاه تعالى عن عبده المستلزم لجزيل الثواب بعد ارتكابه موجبات الغضب والعقاب بمجرد رجوعه الى ربه واعترافه بذنبه وعلمه بأنه لا يكشف الكروب الا علام الغيوب ولما تذكر ذلك على كرم الله وجهه حمله الفرح بذلك على الضحك كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ضحكه مجرد تقليد لانه غير اختياري وان كان قد يتكلف له * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا عباد بن العوام أنا الحجاج وهو ابن ارطاة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة في ساقي بصيغة التثنية (حموشة) بضم الحاء المهملة والميم أي دقة أي لم يكن فيه غلظ وذلك مما يمدح به وأما قول ابن حجر تبعا للعصام بضم أوله المعجم فخالف للاصول ومعارض للغة على ما يشهد به القاموس والنهاية ومغير للمعنى فان الخمش بالمعجمة هو خدش الوجه ولطمه وقطع عضو منه (وكان لا يضحك الا تبسما) جعل التبسم من الضحك مجازا اذ هو مبدؤه فهو بمنزلة السنة من النوم ومعنى فتبسم ضاحكا أي شارعا في الضحك الذي هو انبساط الوجه حتى تبدو الاسنان من السرور وأطلق النفي مع ثبوت انه ضحك حتى بدت نواجذه الحاقا للقليل بالعدم أو انه أراد أغلب أحواله الرواية جل ضحكه السابقة وقيل ما كان يضحك الا في أمر الآخرة وأما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسم قال في جمع الوسائل وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن وورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ضحك يتلألأ في الجدر بضم أوليه أي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق نور الشمس عليها (وكنت اذا نظرت اليه قلت) لشدة سواد جفون عينيه (أكحل العينين) أي مكحلهما بالكحل (وليس بأكحل) بالكحل بل كان أكحل بحسب الخلقة هذا أظهر ما قيل في معنى هذا الكلام قاله في جمع الوسائل وقد تقدم التنبيه على ما فيه في حديث علي رضي الله عنه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحرث بن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي (قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا كقول علي رضي الله

الماء وتأكلها الارضة وهي هدف لاسباب كثيرة وعرضة * (الوجه الثالث) * ان الكتابة تصوير وتشكيل وتخليط ومقامة عليه الصلاة والسلام أعلى من ان يتعاطى بنفسه ما يطلق عليه اسم التصوير وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن التصوير وشدد فيه ثم هي وان كانت فضيلة فانما كانت فضيلة بحاجة من اتصف بها اليها فهي فضيلة تستلزم نقيصة وغضاضة ثم يكون الافضل لمن رفع الله تعالى قدره عن هذه الطبقة عدم تلك الفضيلة الممتزجة بغضاضة الحاجة حتى تكون فضائله متمحضة متخلصة وأيضا فان الكتابة صناعة وليست بعلم وقد نزه الله تعالى نبيه عنها فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فان قلت فقد أطلق الله تعالى على الكتابة علما فقال ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب فجعل الكتابة علما وأضاف تعليمه اليه قلت المراد هنا أحكام العقود المكتوبة والعلم بشرائط الوثائق المحررة لا نفس رسم الخط فان قلت قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ما هو قلت المراد علمه المعلومات المكتوبة بالقلم لا نفس الكتابة هذا معنى كلام ابن المنير

عنه كان دائم البشر ووجه الجمع بينه وبين قول هند كان متواصل الاحزان انه كان متواصل الاحزان باطنا وكان دائم البشر ظاهرا تأليفا للناس فلا منافاة بين كثرة الحزن الذي هو من كيفيات الباطن وبين كثرة التبسم والبشر الذي هو من كيفيات الظاهر بل لا منافاة بين حزنه الذي هو أثر من آثار الخوف وبين فرحه بالله تعالى وتنعم قلبه بذكره كما لا منافاة في الجمع بين الخوف والرجاء وأبعد من قال ان المعنى ان تبسمه أكثر من ضحكه بخلاف سائر الناس فان ضحكهم أكثر من تبسمهم فلا ينافي ما قيل من انه متواصل الاحزان اه لان ما ذكره لا يستفاد من الحديث وانما معناه انه أكثر تبسما من غيره * قال المصنف (حدثنا أحمد بن خالد الخلال نا يحيى بن اسحق السيلحاني) قال ابن حجر نسبة لسيلحون قرية اه وفي صحة هذه النسبة نظر اذ لو كان كذلك لقيل السيلحوني بالواو (نا ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحرث) أي ابن جزء (قال ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسما) تقدم توجيه هذا الحصر (قال أبو عيسى هذا حديث غريب من حديث ليث بن سعد) الغرابة في السند لتفرد الليث وهو مجمع على امامته وجلالته لا في المتن فلا تنافي صحته * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا وكيع نا الاعمش عن المعرور ابن سويد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم أول رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج من النار) أول من يدخل الجنة على الاطلاق هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما آخر رجل يخرج من النار فقد تقدم في حديث ابن مسعود على ان الذي في رواية مسلم وغيره عن أبي ذر اني لاعلم آخر رجل يدخل الجنة الخ وأما قوله (يؤتى بالرجل يوم القيامة) فالظاهر انه بيان لحال رجل ثالث غير الاول والآخر فهو استئناف لا بيان لاول داخل لانه صلى الله عليه وسلم لا ذنب له (فيقال) أي يقول الله تعالى للملائكته (اعرضوا عليه صغار) بكسر الصاد أي صغائر (ذنوبه وتخبأ) من الخبء بالهمز والظاهر انه جملة حالية فلا يقال فيه عطف الخبر على الانشاء (عنه كبارها) أي للحكمة الآتية (فيقال له عملت يوم كذا) أي الوقت الفلاني من السنة والشهر والاسبوع واليوم والساعة (كذا) أي من الذنب (وكذا) أي من الذنب الآخر (وهو مقر لا ينكر وهو مشفق) أي خائف (من كبارها) أي من عرض كبارها عليه خوف ان يؤاخذ بها فان من يؤاخذ بالصغيرة يؤاخذ بالكبيرة من باب أولى (فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة) فيبدل الله سبحانه بفضله سيئاته حسنات لكونه

(وعدتني ازديارة العام وجئنا * ومنت بوعدها الوجناء)

وعدتني ازديارا فتعال بمعنى الزيارة أي زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام الحاضر

---

٤ ش ى والوجناء الناقة القوية من الوجين وهو ما غلظ من الارض ومنه الوجناء للناقة الشديدة ومنت أنعمت و وعدها موعودها تلك الوجناء بان وفت به فهو اخبار عن لسان حال مركوبه مجازا

(أفلا أطوي لها في اقتضائيه * لتطوي ما بيننا الافلاء)

من المحبوبين الذين سبقت لهم العناية فلا تضرهم الجناية وفى الحديث اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ذكره فى القوت فى كتاب المحبة وفيه أيضا عن زيد بن أسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك (فيقول) طمعا فى ان يعامل فى الكبائر بما عومل به فى الصغائر (ان لى ذنوبا ما اراها ههنا) أى فى موضع العرض (قال أبو ذر فلقد) أتى بالقسم لئلا يرتاب فى خبره لما اشتهر من ان المصطفى كان لا يضحك الا تبسما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك) أى تعجبا من اظهار الرجل كبائر ذنوبه بعد خوفه منها (حتى بدت نواجذه) تقدم تحقيقه * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن بيان عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت) أى عن الدخول معه فى مجالس كبار أصحابه لا عن أهله قال فى جمع الوسائل ويحتمل أن يكون المراد انه لم يمنعه من ساتر ملقساته بل أعطاه جميع مطلوباته (ولا رآنى) منذ أسلمت (الا ضحك) أى تبسم كما فى الرواية الآتية وتقدم انه كان جميل الصورة فيكان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتذكر برؤية الحسن الذى هو مظهر الجمال ما هو أحسن فيتبسم والله تعالى أعلم * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا معاوية بن عمرو نا زائدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم) وفى بعض النسخ تأخير منذ أسلمت عن قوله ولا رآنى * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن عبد الله الانصارى نا ابن عون عن محمد بن محمد بن الاسود عن عامر بن سعد) أى ابن أبى وقاص الزهرى القرشى سمع أباه وعثمان روى عنه الزهرى وغيره مات سنة أربع ومائة (قال قال سعد) هو أحد العشرة المبشرة أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال كنت ثالث الاسلام وأنا أول من رمى بسهم فى سبيل الله وتقدمت ترجمته فى باب العيش (لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ضحك يوم الخندق) بكسر حفير حول اسوار المدينة (حتى بدت نواجذه قال) أى عامر (قلت كيف كان) أى على أى حال كان (ضحكه) فى ذلك اليوم (قال) أى سعد (كان رجل معه ترس) الجملة خبر كان (وكان سعد راميا) الظاهر انه من كلام سعد فيكون فيه التفات ويحتمل انه من كلام عامر قال سعد (وكان) ذلك (الرجل يقول كذا وكذا) أى

أى أيليق بى ترك الزيارة فلا انضم اليها بركوبها فى اقتضائه أى طلبى اياها منها (١) وفيه ضرورة ارتكاب اتصال الضمير مع امكان انفصاله لان اقتضاء مصدر مضاف للفاعل وهو الياء والمفعول هو الهاء فان أراد الاضافة لم يصح لانه يجتمع فيها اداتا تعريف وهو الاضافة الى كل من ضعيف ان اضافة المصدر الى مرفوعه أو منصوبه لفظية فيصح ذلك ولا يجتمع اداتا تعريف وقوله لتطوى بالبناء للفاعل أو للمفعول والاول أولى اذ يلزم على الثانى الحكم بزيادة ما يخالفه على الاول فهى المفعول والافلاء خبر مبتدا محذوف أى والذى بيننا هو الافلاء وعلى الثانى هو النائب عن الفاعل وما بيننا أى بينى وبين من وعدتنى الوجناء بازديارة وهو النبى صلى الله عليه وسلم والافلاء الصحارى أى لتقطع الناقة الموصوفة بالفاوز التى بيننا وفى القاموس الفلاة الصحراء الواسعة الجمع فلا وفلوات وفلى وفلى وجمع الجمع افلاء وأفلى صار اليها ودخلها

(بألوف البطحاء يجفلها النيل وقد شف جوفها الأظماء)

ألوف بفتح الهمزة صيغة من ألف كعلم والبطحاء كالابطح مسيل متسع فيه دقاق الحصى والباء متعلقة بتطوى أى لتقطع الافلاء التى بيننا بوجناء كثيرة الالف لبطحاء مكة أو لبطحاء بلدنا أو مطلقا لان البطاح مرتعها وهو تجريد عن الوجناء الذى هو الانتزاع من أمر ذى صفة أمرا آخر مماثلا له فيها مبالغة لكماله فى ذلك الامر كقوله * وبدا اللوجود منك كريم * وقوله يجفلها النيل أى يزعجها ويقلقها نيل مصر لبطحاء مكة شرفها الله تعالى

---

(١) قوله وفيه ضرورة الخ لا يخفى ما هذه العبارة من السمو

المألوفة لها على الاحتمال الاول لشدة شوقها الى التحلي بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الآثار وقوله وقد شف أي جفف رطوبة جوفها الاظماء وهي جمع ظمء وهو ما بين الوردين والشربتين والمراد انها راضية بما أصابها في طريقها من شدة العطش والمشقة المؤدية الى التلف في جنب ما أملته في تلك الحضرة من مزايا الانعام ولطائف التحف والاكرام

عما لا يليق بجناب المصطفى وصحابته كفى به استقباحا لذكره (وكان بالترس) متعلق بقوله (يفطى جبهته) وجملة وكان الخ حال من ضمير يقول (فنزع له سعد بسهم) أي أخرج له سهما من كنانته ووضعه في الوتر قال في المصباح نزع في القوس مدها فالباء زائدة (فلما رفع رأسه) أي من تحت الترس وظهرت جبهته (رماه فلم يخط هذه منه) أي من السهم بل أصابها وفيه نوع من القلب نحو عرضت الناقة على الحوض وقوله (يعني جبهته) تفسير لقوله هذه وهو من كلام عامر أو من قبله (وانقلب) أي صار أعلاه أسفل (وشال برجله) الباء للتعدية أي رفعها يقال شالت الناقة بذنبها واشالته أي رفعته وفي نسخة واشال فالباء زائدة لتأكيد التعدية (فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه) ولما كان ذلك قد يوهم أن ضحكه من افتضاح الرجل وكشف عورته استفسر الراوي سعدا بقوله (قلت من أي شيء ضحك قال) القياس قلت ففيه التفات (من فعله بالرجل) أي من قتل سعد اياه وغرابة اصابة سهمه لعدوه والانقلاب الناشئ عنه مع رفع الرجل أي وسروا بنعمة الله تعالى عليه وبنصره على أعدائه الذين قاتلوه وآذوه وبما يترتب على ذلك من اطفاء نار الكفر واظهار نور الايمان واذلال أهل الضلال قال الله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين لا من انكشاف عورته لان ذلك مما لا يليق بجنابه صلى الله عليه وسلم

(باب صفة مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم)

المزاح بضم الميم مصدر مزح كمنع يقال مزح مزحا ومزاحا ويقال مازح مزاحا كقاتل قتالا بكسر الميم والمضموم هو المناسب هنا دون المكسور لانه مصدر باب المفاعلة وهي للمغالبة أو المبالغة وكلاهما غير صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وغيره وهو الانبساط مع الغير من غير ايذاء له وبه فارق الهزء والسخرية والمزاح من أسباب الضحك فناسب ان ينظم في سلكه ثم اعلم ان المزاح المباح هو ما كان كمزاحه صلى الله عليه وسلم ومزاحه عليه السلام انما كان على سبيل الندور لمصلحة كتطييب نفس المخاطب ومؤانسته وتأليفه ورفع خوفه وزوال خجلته وأما الافراط فيه والمداومة عليه فهو مذموم منهي عنه في حديث خرجه المصنف في جامعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تمازحه قال النووي اعلم ان المزاح المنهي عنه هو الذي فيه افراط ويداوم عليه فانه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات

(أنكرت مصر فهي تنفر مالا ح بناء لعينها أو خلاء)

انكارها مصر لاجل انها البطحاء دون الابنية وتنفر بكسر الفاء وضمها أي تجزع وتتباعد ما ظهر بناء لعينها أو خلاء أي فضاء وفسره الشارح الجوجري بالحشيش الرطب وهو بعيد لمقابلة البناء به

(فافضت على مباركها بركتها فالطيب فالخضراء)

أفضت نشرت وفرقت من الفضيض وهو الماء العذب أو السائل على مباركها وهي جمع مبرك وبركتها بكسر الباء موضع بقرب مصر والبركة في الاصل الحوض ومستنقع الماء اي أفاضت على مباركه تلك الوجناء من الماء العذب ما أرواها وراكبها وغيرهما قال ابن حجر البركة هي أول محل يلي طريق الحجاز يجتمع فيه الحجاج للتأهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما يجتمع فيه كل ما يحتاجه الحجاج سميت بذلك لان النيل يأتي اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت فضاء صرفا فعمرت فيها المتبولي رضي الله تعالى عنه من نحو سبعين سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤن القرآن فعادت بركته عليهم حتى ذكر بعض صالحيهم ممن أدركناه يوم بجامع الازهر انه اشتهى زيارة أمه بالعجم وهو ثم فاستأذن الشيخ في السفر لذلك فلم يأذن له فدخل الى خلوته والناس يقرؤن القرآن على بابها فرأى نفسه ببلده عند أمه فسلم عليها وأقام عندها أربعة أشهر بعدها بالايام والليالي ثم اشتاق الى

الشيخ فرأى نفسه فى خلوته فخرج فرأى القراء قد قرؤا فى تلك المدة نحو ربع القرآن وهذا من بعض كرامة أولياء الله تعالى أن الله تعالى يطوى لهم الارض ويوسع لهم فى الزمان ووقع لهم من نظائر ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع الزمان القليل دون حيز الكرامة فاذا جاز أحدهما جاز الآخر فتأمله ثم بنى على الامكنة تحكم لان كليهما من الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع اينية وبساتين ولا زالت تتسع ببركته حتى صارت الآن قرية كبيرة انتهى قوله فالبويب بالتصغير موضع بعد البركة والخضراء بفتح الخاء المعجمة وهى قرية بالمحل المسمى الآن بجرود طيب مائه مفقود وطعم الملح فيه موجود وهو حصنان متقاربان مبنيان بأوثق بناء وفى أحدهما بئر كبيرة تسقى دائما بالبقر ويخرج الماء من البندر الى ثلاث برك خارجه وفى الحصنين المذكورين عسكر لا يفارقهما أبدا وكذلك غيره من البنادر فى كل سنة يأتى قوم فيذهب الذين كانوا ولهم جراية من بيت المال على ذلك وشأن هذه البنادر أن يخزن فيها الطعام على الدوام ليجده الركب فى الذهاب والاياب

(فالقباب التى تليها فبئر النخل والركب قافلون رواء)

أى فوادى القباب سمى بذلك لأن كداس رمل به بيض مرتفعة شبهت بالقباب البيض المرتفعة والتى تليها يعود ضميرها المؤنث على الخضراء وبئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بيت المال وماؤها أحسن من الذى قبله ولذلك قال والركب قافلون رواء أى مستريحون عندها وقت القيلولة ورواء بكسر الراء جمع ريان وهذا هو البندر المعروف ببندر النخيل وهو قلعة حصينة فيها بئر نفيسة ثمينة ماؤها عذب بارد يطيب للصادر والوارد لا تنزح أبدا يسقى منها بالبقر الى برك خارج الحصن وهى ثلاثة مثل التى

القصد

الدين ويؤل فى كثير من الاوقات الى الايذاء ويوجب الاحقاد ويسقط المهابة والوقار فأما ما سلم من هذه الامور فهو المباح الذى كان صلى الله عليه وسلم يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة فاعلم هذا فانه مما يعظم الاحتياج اليه اه ويرحم الله القائل

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * بهجم وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وستأتى تتمة لهذا (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو اسامة عن شريك عن عاصم الاحول عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا ذا الاذنين قال محمود) أى شيخ المصنف وفى نسخة قال أبو عيسى بدل محمود (قال أبو اسامة) أى شيخ محمود (يعنى) أى يريد صلى الله عليه وسلم بقوله له يا ذا الاذنين (يمازحه) لانه سماه بغير اسمه فيوهم اختصاصه به مع احتمال كون أذنيه طويلتين أو قصيرتين وأبعد من قال ان معنى هذا الكلام الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لان السمع بحاسة الاذن ومن خلق الله له الاذنين فعقل ولم يحسن الوعى لم يعذر اه قال المصنف (حدثنا هناد) أى ابن السرى كما فى نسخة (نا وكيع عن شعبة عن أبى التياح عن أنس بن مالك قال ان) مخففة من الثقيلة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا) أى يعاشرنا بالجميل وضمير الجمع لانس وأهل بيته أى انتهت مخالطته بأهلنا كلهم (حتى يقول لاخ لى صغير) من الام اسمه كبشة وأبوه طلحة بن زيد بن سهل الانصارى وستأتى ترجمة أبى طلحة آخر باب البكاء (يا أبا عمير) بالتصغير (ما فعل النغير) تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار وقيل هو العصفور والمعنى ما حاله وما شأنه (قال أبو عيسى وفقه هذا الحديث) أى المسائل الفقهية المستنبطة منه (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمازح) لان أبا عمير كان له نغر يلعب به فمات فحزن عليه فمازحه النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ليسليه حزنه عليه كما هو شأن الصغير اذا فقد لعبته وانما كان ذلك مباسطة له لانه يفرح بمكالمة المصطفى ويرتاح لها ويفتخر بعد ذلك فيقول لاهله كلمنى وسألنى فيشتغل باغتباطه بذلك عن حزنه ويزيل فرحه بذلك تلك الاحزان وكأن هذا الصغير كان له قوة ذكاء وفطنة فلذا خاطبه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لذلك (وفيه أنه كنى) بتخفيف النون وتشديدها (غلاما صغيرا فقال له يا أبا عمير) أى جعل الصغير أبا لشخص فيؤخذ منه ان مثل هذا التكنى لا يدخل فى باب الكذب لان

فى بحر رود الان هذه أعظم منها وتقام الى جانب الحصن سوق كبيرة خيراتها ناصية وفيها كثير من الفواكه الشامية

(وغدت ايلة وحقل وقر * خلفها فالمغارة الفيحاء)

أى وغدت عقبة ايلة وهى عقبة ذات كؤد صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين فى قرية على شاطئ البحر فى سفح جبل وبها آبار كثيرة وسوق كبير يحضره أهل غزة بانواع الفواكه والنعم والاعراب بالسمن والعسل والنعم وقد ذكر المفسرون ان القرية التى كانت حاضرة البحر هى ايلة ويقال ان وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء الا انها خالية وفى هذه العقبة قيل

بطريق ايلة أجبل وعقاب
لا ترتجى فيها النجاة عقاب
فكأنما الماشى عليها مذنب
وكأنما تلك العقاب عقاب

وهى احساء كثيرة فى مضيق بين جبلين فيها نخيل وماؤها طيب عذب خفيف نافع وبين هذا الموضع ومدين مسيرة نصف يوم وهى مدينة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه وعلى يساره هذا المنزل مغارة يقال ان فيها كان شعيب عليه السلام يأوى بغنمه وبازائها بئر كبيرة معطلة وبجانبها بركة ويقال ان هنالك كانت البئر التى سقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب عليه السلام وفى هذا

القصد من الكنية التعظيم والتفاؤل لا حقيقة اللفظ من اثبات ابوة وبنوة وما ذكره المصنف مبنى على انه كان مسمى بهذا الاسم وهو كذلك فقد روى الشيخان عن أنس انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير وفى رواية لمسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء ورآه قال أبا عمير ما فعل النغير خلافا لمن قال انه تصغير عمر بضم العين والميم وانه من قبيل أبى الفضل للاشارة الى انه يعيش قليلا فلا يدل على جواز التكنى بما ليس واقعا اذ لا دليل على ما ادعاه من انه تصغير عمر وليس بعلم وأيضا لو كان كذلك كيف يسلمه عن حزنه بما يشعر بقصر عمره فان ذلك مما لا يناسب افعاله الجميلة واخلاقه الحسنة صلى الله عليه وسلم (وفيه أنه لا بأس ان يعطى الصبى الطير ليلعب به) قال ابن مخلص معنى هذا اللعب عند العلماء امساكه وتلهيته بحسنه لا تعذيبه والعبث به انتهى وليست فوائد هذا الحديث منحصرة فيما ذكره المصنف بل فيه انه يجوز للانسان ان يسأل عن الشئ وهو يعلمه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم بموت النغير وفيه اباحة تصغير الاسماء للترفق والتلطف وفيه معاشرة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم وفيه جواز السجع وموضع النهى ما فيه تكلف ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا تسمع وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يمنع من السجع كما منع من الشعر قال المناوى وفيه جواز حبس الطير فى نحو قفص لسماع صوته أو رؤية لونه اذا أحسن القيام به وقص جناح الطير اذ لا يخلو حال طير أبى عمير من واحد منهما وأيهما كان الواقع التحق به الآخر فى الحكم اه قيل وفيه جواز صيد المدينة بخلاف صيد مكة واحتمال انه صيد خارجها خلاف الاصل فيحتاج الى اثبات قيل وفيه جواز دخول الرجل على المرأة الاجنبية اذا أمن الفتنة وفيه انه ليس فى الحديث ذكر المرأة مطلقا وعلى تقدير وجودها من أين له ثبوت الخلوة معها وعلى فرض تسليم ذلك فيجب القول بالاختصاص اذ حرمة الخلوة مع الاجنبية اجماعية ولو أمن على نفسه الفتنة وقد قال بعض العارفين لو كان الرجل هو الحسن البصرى والمرأة رابعة العدوية فلا يحل الاختلاء بينهما لان الاحكام الشرعية وردت على اطلاقها قال فى جمع الوسائل ولا يلزم من دخول سفيان وغيره على رابعة العدوية وجلوسهم اليها اختلاؤهم بها حاشى الاولياء مع نزل

الوادى درم طويل كأنه نخل وعريش كثير وفيها جداول الماء الغزير وفى هذا المحل ينشد

قد وصلنا الى مغار شعيب * فرأينا المياه كالانهار
فاستقينا من مائه واشتفينا * وظفرنا بغاية الاوطار

وذكرنا بغاره غار ثور * قد حوى للصديق والمختار
خير من أنزل الاله عليه * ثانى اثنين اذهما فى الغار

بن خالد ويونس بن يزيد وفى القاموس هى بلد بين ينبع ومصر وحقل

ورعهم واحتياطهم فى الدين ان يقع من أحدهم هذا الامر المكروه المنكر شرعا وعرفا مع انه لاضرورة اليه وانما قال بهذا بعض أهل البدعة والله ولى دينه وفوائد هذا الحديث تزيد على المائة وقد أفردها ابن القاضى بجزء وقد قال الامام تاج الدين بن عطاء الله نفعنا الله تعالى به فى كتابه التنوير لما تكلم على حديث اتقوا الله واجملوا فى الطلب وذكر ان فيه عشرة أوجه ما حاصله انه ليس القصد الحصر بل الامر اوسع من ذلك لانه كلام صاحب الانوار المحيطة فلا يأخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا يحصل من جواهر بحره الا على قدر غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ومالم يأخذوا أكثر مما أخذوا وقد قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد عن اسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروا الها فهما حتى قال بعضهم علمت بحديث واحد سبعين علما وما فرغت منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضى الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم واسرار الفهوم اه وناهيك ان الله تعالى آتاه علم الاولين والآخرين ومنحه من الحكمة مالم يمنحه أحدا من العالمين فما من علم ضربت له أكباد الابل فى اشتات العلوم العقلية والنقلية عن تقدم أو تأخر الا وكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم له قدوة واشارته له حجة دون تعلم منه صلى الله عليه وسلم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا جلوس مع علمائها

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

* قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدورى أنا على بن الحسن بن شقيق أنا عبد الله ابن المبارك عن اسامة بن زيد عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا) بالدال المهملة والباء الموحدة أى تمازحنا أى وقد نهيتنا عن المزاح كما سبق ونحن مأمورون باتباعك فى الاقوال والافعال فما الحكمة فى ذلك فكأنهم قصدوا السؤال عن المداعبة هل هى من خصائصه فلا يقتدى به فيها (قال انى لا أقول الا حقا) أى حتى فى مزاحى فكل من قدر على المحافظة على قول الحق وتجنب الكذب وأنواع الباطل من السخرية والاستهزاء وعلى ابقاء المهابة والوقار أبيح له ومن لا فلا لما يترتب عليه من المفاسد بجرمة من الصغير على الكبير ونحو ذلك كما تقدم فى كلام النووى

منها جماعة من العلماء منهم عقيل محل بعدها وقد قال ابن حجر ليس هذا الاسم مشهورا اليوم عند الناس أى غدت هذه الاماكن خلف الناقة لكونها جاوزتها والمغارة الفيحاء أى الواسعة هى المنسوبة لنبى الله شعيب عليه السلام

(فعيون الاقصاب يتبعها النبك ويتلو كفافة العوجاء)

سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب وفيه يقول الشاعر

قد وصلنا العيون القصب
واستراح القلب بعد النصب
وعيون الماء فيها قد جرت
كسيول الغيث بين القصب
فجلسنا فى صفاء حولها
وظفرنا عندها بالارب
وتشوقنا لشاد مطرب
يتغنى بعيون القصب

والنبك بسكون الموحدة جمع نبكة * قال ابن حجر وهذا أيضا غير مشهور وفى القاموس النبكة محركة وتسكن اكمة محددة الرأس وربما كانت حمراء وأرض فيها صعود وهبوط أو التل الصغير الجمع نبك ونبك ونباك ونبوك والنبك بلدة بين حمص ودمشق قوله ويتلو أى يتبع النبك كفافة العوجاء أى المنحرفة عن جادة الطريق وبها على ساحل البحر قبر ولى يسمى مرزوقا مشهور البركة ولذريته كثيرون مشهورون بالصلاح وللعجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارجان عن الحد

وقله

(حاورتها الحوراء شوقا فينبو * ع فرق الينبوع والحوراء)

أى حادثت الناقة الحوراء فيماشى بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له وسائرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شئ الا يسبح بحمده أى بلسان المقال لا الحال والافأى فائدة لقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأحد جبل يحبنا ونحبه والحوراء هى ذات

وقد اختلف الشراح فى المزاح اذا سلم من المحذور هل هو مندوب لان الاصل فى أفعاله وأقواله عليه السلام وجوب أو ندب التأسى به فيما لا دليل يمنع من ذلك ولا دليل هنا يمنع فتعين الندب أو هو جائز فقط أى ليس بممنوع لوجود المانع من السنية وهو نهيه عن المزاح بطريق العموم والقاعدة الاصولية انه صلى الله عليه وسلم اذا نهى عن شئ ثم فعله يكون فعله لبيان الجواز وان نهيه للتنزيه لا للتحريم كما فى الشرب قائما والبول قائما وامثال ذلك قال فى جمع الوسائل وقد تقدم أول الباب عن النووى حمل حديث النهى على مزاح مخصوص وأحاديث الجواز على نوع آخر ولولا انه ثبت المزاح من أصحابه معه صلى الله عليه وسلم فأقره ولم يمنعهم منه لحمل مزاحه على الاختصاص به (فقد روى أبو يعلى) ان رجلا كان يهدى اليه صلى الله عليه وسلم العكة من السمن أو العسل فاذا طوالب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبى صلى الله عليه وسلم اعط متاعه أى ثمنه فما يزيد صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم ويأمر لصاحبه بثمنه وفى رواية انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشتراها ثم جاء بها فقال يا رسول الله هذه هدية لك فاذا طالبه صاحبها بثمنها جاءه فقال أعط هذا الثمن * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا خالد ابن عبد الله عن حميد عن أنس بن مالك أن رجلا) قيل كان به نوع من البلاهة (استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى سأله ان يعطيه دابة يركب عليها (فقال انى حاملك على ولد ناقة) فتوهم ان المراد بولدها هو الصغير من أولادها على ما هو المتبادر الى الفهم (فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل) صغرت أو كبرت (الا النوق) فيه مع مباسطته الارشاد له ولغيره انه اذا سمع قولا ان يتأمله ولا يبادر برده * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق نا معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ان رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا) هو ابن حرام الاشجعى شهد بدرا (وكان يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم هدية من البادية) أى مما يوجد فيها من ازهار وثمار ونبات وغيرها لانها تكون مرغوبة عزيزة عند أهل الحضر (فيجهزه النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج) أى يعطيه من الطرف والمستحسنات التى تكون فى الحاضرة مما يعينه على كفاية أهله جزاء وفاقا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان زاهرا باديتنا) أى نستفيد منه ما يستفيده الرجل من باديته من أنواع النبات فصار كأنه باديته وأبعد من قال انه على حذف مضاف أى ساكن باديتنا (ونحن) أى أهل بيت النبوة فليس الجمع للتعظيم كما قيل ويؤيده ما فى جامع الاصول من ان زاهرا كان

حفائر على ساحل البحر يحيط
بها دبس كثيب كالضلائد للنحر
وفيها قيل
جئنا الى الحوراء وهى محطة
فيها الاراك نزاهة للرائى
ناديت خلا قف بها متأملا
وانظر لرمل مغمر بالماء
واغنم زمانا مقبلا بسعوده
فيه اجتماع الشمل بالحوراء
قوله فينبوع أى حاورتها أيضا وهى بلدة معروفة ورقة
الينبوع والحوراء سماعهما
ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما
للزائرين وينبع كينصر هو
أول بلاد الحجاز فى الذهاب وآخرها
فى الاياب وقد ذكر أهل السير
ان النبى صلى الله عليه وسلم
وصل اليها فى احدى غزواته
وذكر السيد السمهودى ان
مسجد القرية التى ينزلها الحاج
من المساجد التى صلى فيها النبى
صلى الله عليه وسلم قلت وقفت
عليه ويسمى مسجد العشيرة
ببطن ينبوع وعنده عين جارية
وهناك على التل مزارة لابى
الحسن النفاتى وفى ينبع أيضا
قبر الحسن المثلث فوق القرية

(لاح بالدهنوين بدرا لها بعد حنين وحنت الصفراء)

الدهنوين بفتح الدال تثنية الدهناء قال فى القاموس موضع أمام ينبع وثناه الناظم ضرورة أو تكثيرا كقول الشاعر

* ببطن المكتبين لها عجيج * وقول الآخر * تطلبنى برامة بين سلجما * واغناى مكة وبرامة أى ظهر فيها بدر وهو

يسكن البادية وكان لا يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الا بطرفة فيهدى اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (حاضروه) أى نعوله ما يحتاجه من الحضر وليس هذا من ذكر المن بالانعام وانما هو ارشاد للامة الى مقابلة الهدية بمثلها أو خير منها لما فى ذلك من حسن المعاملة والتخلق بالمجاملة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه) يشهد له ما تقدم وما يأتى وذلك علامة على سعادته ووفور حظه من الخير (وكان رجلا دميما) بالدال المهملة أى قبيح الصورة (فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه) جملة حالية (واحتضنه) فى نسخة فاحتضنه بالفاء وهو أنسب أى ادخله فى حضنه بأن ضمه اليه والحضن ما دون الابط الى الكشح وهو ما بين الخاصرة الى الضلع وكأنه وجده مشغوفا ببيع متاعه بمجامع قلبه فاشفق عليه ان ينهار فى قعر بئر البعد عن الحق فاحتضنه احتضان المشفق على من أشرف على السقوط (من خلفه) أى من ورائه بان أدخل يديه تحت ابطى زاهر فاعتنقه ولعله أخذ عينيه بيديه كى لا يعرفه ولذلك قال (ولا يبصره) حال من مفعول احتضنه (فقال) لما شق عليه الاشتغال عن بيعه (من هذا أرسلنى من هذا فالتفت) أى ببعض بصره (فعرف النبى صلى الله عليه وسلم) فلما وجد برد الذات المتعالية فى قلبه لاما لم يكن بمجرد ذلك العناق قانعا (فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم) ما مصدرية أى لا يقصر فى الصاق ظهره بصدره تبركا بمن هو رحمة للعالمين وتحصيلا لثمرات القرب من سيد المرسلين والظاهر انه كان حينئذ ممسوكا يديه صلى الله عليه وسلم والا لوقع على رجليه وقبلهما بعقلتيه وتبرك بغبار قدميه وجعله كحل عينيه (حين عرفه) كره اهتماما بشأنه وتنبيها على ان منشأ هذا الالصاق معرفته ليس الا (فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول) تأديبا له (من يشترى العبد) وفى نسخة هذا العبد اشارة الى أن من شغل بغير الله فهو عبده وما أحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يريد ان تكون لغيره عبدا كما قال فى الحكم (فقال يا رسول الله اذن والله تجدنى كاسدا) أى غير مرغوب فيه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مبشرا له بعلى قدره وعظيم رتبته وفخره لما استشعر منه الانابة (لكن عند الله لست بكاسد) الظرف متعلق بكاسد (أو قال) شك من الراوى (أنت عند الله غال) وهذا أبلغ من الاول وبهذا تعلم ان من احبه صلى الله عليه وسلم ليس من احبا الا باعتبار الصورة لا يخلو عن بشرى فاضلة أو مصلحة شاملة أو فائدة كاملة فهو فى الحقيقة غاية الجد وقد أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر

الوقعة المكرمة التى أعز الله تعالى فيها الاسلام مشهورة الى الآن تزار ويتبرك بمن دفن فيها من الشهداء وغيرهم وفيها الآن قرية عامرة فيها عين كبيرة ونخيل وعلى ذلك البلد الانوار تلوح ورياض النصر تغدو وتروح وفيها مسجد يسمى مسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة بدر على الاصح وفيه يقول الشاعر

يا أهل بدر لقد طابت مآثركم ... وقد علا قدركم فى أرفع الدرج
فزتم بغفران أوزار وحسن ثنا ... على المدى نشره من أطيب الارج
يكفيكم فى علاكم قول مادحكم ... هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وانظر ما يسمع هنا من صوت الطبل فى ابن حجر وابن مرزوق على البردة وغيرهما وضميرها عائد على الناقة وبعد بالبناء على الضم أى بعد بدر حنين وفى نسخة قبل ويقال انه جبل صغير قرب بدر لا حنين الذى التقى فيه النبى صلى الله عليه وسلم هوازن فظفر بهم وهو بين مكة والطائف والصفراء قرية معروفة منحرفة عن طريق أهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة وحنت من الحنين وهو الشوق

(ونضت بزوة فرابغ فالجحـ
ـفة عنها ما حاكه الانضاء)

بزوة بالزاى ثم الواو موضع يسمى بقاع البزوى ووجه تسميته بذلك ان هذه الارض فى هذه المرحلة كلها تسمى بزوى لما فيها من الضيق والاحديداب وعدم الاستواء وهذا الطرف منها لما اطمأن واتسع وسهل وما ارتفع سمى بالقاع لاجل الاتساع وأضيف الى البزوى لانه بعضها الاصول أو مجاورها ونضت خلعت واسناد الخلع اليها والى ما بعده مجاز ورابغ هو واد بين الحرمين الشريفين قرب البحر يأتى اليه السيل من بعيد وتزرع فيه مقاثى كثيرة ودخن وذرة وهو من أخصب أودية الحجاز ولذلك سمى رابغا من قولهم ربغ

القوم فى النعيم أى أقاموا فيه أو من قولهم عيش رابغ أى ناعم أو من قولهم ربيع رابغ أى مخصب وفيه قرية فيها نخيل وآبار كثيرة وهناك بركة كبيرة سبخية مملوأة ينتفع الناس بها وهنا نشد

تجردت لما ان وصلت لرابغ * ولبيت للمولى كما حصل الندا
وقلت الهى عندك الفوز بالغنى * وانى فقير قد أتيت مجردا (٣٣)

الاصول فى الاصل الثانى والاربعين هذا الحديث بغير هذا اللفظ ونصه عن ثابت البنانى قال لا تسخروا من أحد فان أنسا حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع فاذا بأعرابى أعمش العينين دقيق الساقين عليه شملتان معه عكة سمن يبيعها فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا زاهر هذا يحب الله ويحبه فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يشترى منى زاهرا فقال يا رسول الله اذن تجدنى كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد اذا قدمت المدينة فانزل على واذا أنا بدوت نزلت عليك اه وفى الحديث أن المدار على حسن الباطن ولذا ورد ان الله لا ينظر الى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم * قال ابن حجر وفيه الدخول الى السوق والاعتناق من خلف وتسمية الحر عبدا والنداء على البيع ومدح الصديق بما يناسبه لقوله بادينا وقوله أنت عند الله غال وقبول الهدية والمجازاة عليها ومداعبة الاعلى للادنى * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا مصعب بن المقدام نا المبارك بن فضالة) بفتح الفاء (عن الحسن) أى البصرى لانه المراد عند الاطلاق فى اصطلاح المحدثين فالحديث مرسل (قال أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم) أى جاءته امرأة كبيرة ولا يقال عجوزة الا فى لغة رديئة على ما فى القاموس وهذه المرأة قيل انها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام وعمة النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابن حجر تبعا للشارح أسلمت وهاجرت مع ولدها الزبير شهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم توفيت فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع (فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان) كأن الراوى نسى الاسم الذى جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم فأقام لفظ فلان مقامه (ان الجنة لا تدخلها عجوز قال) الحسن (فولت تبكى فقال أخبروها أنها) أى أم فلان المذكورة وغيرها يعلم بالمقايسة وعليه فتكون مبشرة بالجنة ويحتمل أن الضمير لجنس العجوز الدال عليه قوله ان الجنة لا تدخلها عجوز وهو الاظهر وان قال بعده ابن حجر قاله فى جمع الوسائل (لا تدخلها وهى عجوز) أى بل تدخلها وهى شابة (ان الله تعالى يقول) استئناف متضمن للعلة (انا أنشأناهن انشاء) على أن ضمير الاناث يعود على النساء وهو مقتضى

والخفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة قال فى القاموس ميقات أهل الشام وكانت به قرية جامعة على اثنين وثلاثين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة فنزل بها بنو عبيد وهم اخوة عاد وكان أخرجهم العماليق عن يثرب فجاءهم السيل الجحاف فاجتحفهم فسميت الجحفة ولما هاجر الصحابة الى المدينة وجدوها كثيرة الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انقل حماها الى الجحفة فكان اذا مر الطائر بها اسقط وضمير عنها يعود على الناقة أى خلعت تلك الاماكن عن الناقة ماحاكه الانضاء أى الثوب الذى نسجه لها الهزال أى استبشرت لقطعها لتلك الاماكن فما مفعول نضت يقال نضاه من ثوبه جرده وأنضاه هزله شبه الهزال بحائك الثوب والثوب بأثر الهزال من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر قوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل باثبات ما هو من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له

ص ش نى

بذكر الخلع (وارتها الخلاص يثرعلى * فعقاب السويق فالخلصاء)

يثرعلى هو فاعل ارتها والخلاص مفعوله الثانى أى من التعب وعقاب السويق موضع بعده بقليل والخلصاء قال ابن حجر هو المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة اه وفى القاموس الخلصاء موضع بالدهناء وخليص كزبير

حصن ابن عسفان وقديد أى ارتفاقه هذه الاماكن النجاة من التعب

(فهى من ماء بئر عسفان أو من * بطن مر ظمأ آنة خمصاء)

أى فالناقة ظمأ آنة أى عطشانة خمصاء أى جوعانة من أجل وصولها ماء بئر عسفان وبطن مر المشهورة لان العادة أن الحجيج اذا وصل نحو عسفان اشتد شوقهم (٣٤) فاشتغلوا عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يصلوا مكة شرفها الله تعالى وعسفان قرية فيها سوق وآبار متعددة من جملتها البئر التى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل بها وماؤها حلو غاية شربنا منه تبركا

(قرب الزاهر المساجد منها بخطاها فالبطء منها وحاء)

قال فى القاموس الزاهر مستقى بين مكة والتنعيم والمساجد جمع مسجد بكسر الجيم وتفتح والمراد مسجد عائشة المعروف بالتنعيم وبينها وبين الزاهر نحو ميلين وسمى مسجد عائشة لانها لما أحرمت بالتنعيم مع أخيها عبد الرحمن بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بنى فيه مسجد ونسب اليها وهو أدنى الحل ويسميه الناس العمرة تسمية للشئ باسم ما يقع فيه وضمير منها عائد على الناقة والباء فى بخطاها سببية أى لما أحست بالوصول أسرعت فالبطء منها قبل ذلك المكان وحاء أى سرعة فى ذلك المكان وفى القاموس الوحا بالقصر الاسراع ويمد وههنا يحق أن ينشد

قالوا غدا نأتى ديار الحمى * وينزل الركب بمغناهم
وكل من أمسى مشوقا لهم * أصبح مسرورا بلقياهم
قلت ولى ذنب فما حيلتى * بأى وجه أتلقاهم
قالوا فان العفو من شأنهم * لاسيما عمن ترجاهم

شعرى

ماهنا يكون المعنى خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر غير خلقهن وهو قوله فجعلناهن أبكارا الخ وأما على أن الضمير للحور العين المدلول عليه بالسياق فالمعنى خلقناهن خلقا ابتداء من غير ولادة ولا تدريج فى التربية والسن وهو الذى ذكره البيضاوى وابن حجر هنا لكن على هذا وجه المطابقة بين الآية والحديث غير ظاهر فالاظهر كما فى جمع الوسائل ان يجعل الضمير الى نساء الجنة بأجمعهن ويكون حاصل المعنى أن نساء الجنة كلهن خلقهن الله خلقا آخر يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها عاشقة له وقيل الغنجة والغنج فى الجارية تكسر وتدلل وقيل الحسنة الكلام (أترابا) جمع ترب أى مستويات فى السن أبناء ثلاثين او ثلاثة وثلاثين اذ هذا أكمل أسنان نساء الدنيا ولعل اقتصاره صلى الله عليه وسلم على العجائز لسبب ورود الحديث أولا ان غيرهن يعلم بالمقايسة بل بالطريق الاولى لانه اذا كان هذا نعت النساء اللاتى خلقن للرجال فظنك بالرجال * وقد ورد ان أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على خلق آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعا عرض سبعة أذرع وان عليهم التيجان وان أدنى اؤلؤة منها لتضئ ما بين المشرق والمغرب ويعطى الرجل منهم من القوة فى اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم * ومن أحاديث الباب ما رواه ابن أبى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى أنه قال للمرأة التى سألته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض وقد ذكره القاضى عياض فى الشفا من غير اسناد * وورد أنه صلى الله عليه وسلم مج مجة فى وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين يمازحه فكان فيها من البركة أنه لما كبر ولم يبق فى ذهنه من الرواية غيرها فعد بها من الصحابة ورواتهم وجعل عمره أقل زمان التحمل وانه نضح الماء فى وجه بنت أم سلمة فلم يزل رونق الشباب فى وجهها وهى عجوز كبيرة نقله ابن حجر وغيره قبل هذا المحل

* (باب صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر) *

الشعر أصله من شعرت أى أصبت أو علمت علما دقيقا كدقة الشعر ومنه قولهم ليت

(هذه عدة المنازل لاما * عد منها السماك والعواء)

أى هذه الاماكن المذكورة هى عدة غالب المنازل بين مصر ومكة لا منازل القمر الثمانية والعشرون المعدود فيها السماك والعواء والسماك بفتح السين وكسرها المراد به الاعزل وهو الذى ينزل به القمر لا الرامح والعواء من منازل القمر خمسة أنجم معلومة (فكأنى بها أرحل من مكة * بكة شمسا سماؤها البيداء)

شعرى أى ليتنى علمت وقد صار فى العرف اسما للكلام الموزون المقفى قصدا وهذا القيد يخرج ما صدر منه صلى الله عليه وسلم من الكلام الموزون وأما ما وقع فى الكتاب المكنون نحو لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون نصر من الله وفتح قريب فلا شك أنه مقرون بالارادة والمشيئة التى هى معنى القصد لانه لا يقع فى الكون شئ بدون المشيئة ولعل الجواب أنه ليس مقصودا بالذات وانه وقع تبعا قاله فى جمع الوسائل والاخبار فى ذم الشعر ومدحه متعارضة * وقد روى باسناد حسن عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح قال العلماء معناه ان الشعر كالنثر لكن التجرد له والاقتصار عليه مذموم وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا وصديدا خير له من أن يمتلئ شعرا وفى الرسالة ولا بأس بانشاد الشعر وما خف من الشعر أحسن ولا ينبغى أن يكثر منه ومن الشغل به اه وآية وما علمناه الشعر تقتضى غضاضة على الشعر * وعن عائشة كان الشعر أبغض الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما فيه غالبا من تزوير القلب والكذب ومجاوزة الحد فى المدح والذم وتصوير الباطل بصورة الحق وعكسه وغير ذلك مما يتحاشى عنه جانب النبوة فحمى الله سبحانه نبيه منه ترفيعا له وتنزيها لقدره * وفى ذم الشعر يقول المتنبى

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا * ما الشعر الا هجنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة * والعتب ضغن والمديح سؤال

وفى مدحه يقول أبو تمام

ولم أر كالمعروف ترعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم
ولا كعلا ما يرث الشعر بينها * فكالارض غفلا ليس فيها معالم
ولولا خصال سنها الشعر ما درت * بغاة العلا من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى به وهو ظالم

وقال عمر رضى الله عنه تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى اه ويأتى لهذا المعنى تتمة (حدثنا على بن حجر نا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه) أى شريح ابن هانئ الحارثى أدرك زمان النبى صلى الله عليه وسلم وهو من جملة أصحاب على كرم الله

كان للتشبيه واسمها ضمير المتكلم أى كأنى بتلك المنازل المذكورة أو الباء بمعنى على والضمير للناقة وعليه اقتصر ابن حجر أرحل من مكة أى اليها وهى البلدة المعروفة زادها الله تعالى تعظيما وشرفا أو الى عرفة وغيرها من مواضع النسك شمسا وهى الناقة سماؤها أى محل سيرها البيداء قال ابن حجر شبه الناقة بالشمس فى ارتفاعها وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق استعارة بالكناية وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس بجامع السعة واثبات السماء لها تخييل وذكر الترحيل والبيداء تجريد للاعتماد على المشبه الذى هى الناقة وفيه نظر

(موضع البيت مهبط الوحى ماوى الر
سل حيث الانوار حيث البهاء)

موضع بالجر بدل من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر مبتدا محذوف ومهبط الوحى بالكسر بدل بعد بدل أو معطوف بحذف العاطف ضرورة وكذا يقال فيما بعده والمراد بالبيت الكعبة أى محل نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحى لغة الاشارة وكل كلام خفى وشرعا ما جاء به النبى المبعوث عن ربه على لسان الملك أو بالالهام أو فى النوم أو الالقاء فى الروع وسمى مكة شرفها الله تعالى مأوى الرسل لانه ما من نبى الا حج البيت كما جاء فى حديث واستثنا صالح وهود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام لاشتغالهما بأمر قومهما لم يصح وقوله حيث الانوار لان الله تعالى ينزلها على قلوب

الطائفين دائما والبها هنا الحسن المعنوى المكنى به عن حصول ملائم النفس من الحكم والمعارف المفاضة على أهل تلك الحضرة المكرمة وحيث ظرف مكان فهو كالذى بعده بدل مما قبله والانوار مبتدأ والخبر محذوف أى منيرة وهكذا التسلم من اضافة حيث الى المفرد وفى ذكر الوحى والرسل والانوار والبهاء مراعاة النظير وكذا الطواف وما بعده فيما يأتى

فرض الطواف محله الحج كالعمرة ان أحرم بهما وهو للغرباء أفضل من الصلاة النافلة لانه عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد فى غيره واختلفوا فيه مع الوقوف بعرفات أيهما أفضل فقيل الطواف لانه ملحق بالصلاة يشترط فيه شروطها دون الوقوف وقيل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفات أى معظمه ذلك لان من أدركها أدركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضاء المآرب كما فى الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهو الاصح والسعى ركن كالطواف والحلق أيضا ركن عند الشافعية ومنهم الناظم ولذلك قال حيث فرضه وأما رمى الجمار جمع جمرة فواجب لا ركن وقوله والاهداء أى سوق الهدى وبعثه الى مكة ليذبح ويفرق على مساكين الحرم والغرباء وهو سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله الى مكة من المدينة وهو مقيم (ويصح) أن يريد بالاهداء كل دم وجب فى النسك اثم بسببه كالحلق تعديا أم لا كالمتمتع

(حبذا حبذا صعاهد منها * لم يغير آياتهن البلاء)

حبذا فعل مدح بمعنى نعم ومحل شرحها كتب العربية وفى القاموس حبذا الامر أى هو حبيب جعل حب وذا كشئ واحد

وجهه وممن ظهرت فتواه فى زمن الصحابة (عن عائشة قال) أى شريح وفى نسخة قالت (قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل) أى يستشهد (بشئ من الشعر) فى القاموس تمثل أنشد شعرا وتمثل بشئ ضربه مثلا (قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة) هو عبد الله بن رواحة الانصارى الخزرجى أحد النقباء شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد بعدها الا الفتح وما بعده لانه قتل يوم مؤتة شهيدا أمير اسنة ثمان وهو أحد الشعراء المحسنين ومن شعره

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

* وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثل من شعره بقوله يبيت يجافى الخ (و يتمثل) أى بشعر غيره أيضا (ويقول) أى متمثلا بقول أخى قيس طرفة بن العبد (و يأتيك بالاخبار من لم تزود) من التزويد وهو اعطاء الزاد قال فى جمع الوسائل والظاهر انه أراد بالاتى بالاخبار من غير تزويد نفسه الشريفة كما تشير اليه الآية المنيفة قل ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على الله والله أعلم اه وهو بعيد وظاهر هذه الرواية أنه تمثل بهذا المصراع ولم يكسر وزنه والذى عند الشيخ أبى الليث السمرقندى عن عائشة أنه قال و يأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال ما أنا بشاعر وكذا ذكره ابن كثير فى تفسيره فكأنه صلى الله عليه وسلم تمثل بمعناه فانه كان اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما كان يحرر المعانى فقط فاما ان يقال معنى قولها هنا و يتمثل الخ انه تمثل بمادته وجوهر حروفه دون ترتيبه الموزون أو يحمل على تعدد الواقعة وظاهره أيضا ان البيت من كلام ابن رواحة لاسيما على نسخة و يتمثل بقوله وقد اتفقوا على أنه من شعر طرفة والجواب أنه كلام برأسه والضمير المجرور لشاعر مشهور به معروف عندهم والظاهر انه انما تمثل بهذا المصراع دون صدره وهو قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان الثورى عن عبد الملك بن عمير نا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصدق كلمة) المراد بها هنا الكلام

وهو اسم وما بعده مرفوع به وذا لزم حب وجرى كالمثل والمعاهد جمع معهد وهو فى الاصل المنزل الذى يعود اليه مفارقوه دائما وهذه المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة والعزم أخرى فهو وان فارقها بجسمه مقيم فيها بقلبه ولبه وضمير منها عائد على مكة شرفها الله تعالى أى حبذا معاهد من مكة امتازت على بقيتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وبالحرم مكى ومزدلفة وخارجه كعرفات

(قالها الشاعر) رواية مسلم وستاتى عند المصنف أشعر كلمة تكلمت بها العرب وفى رواية ان أصدق بيت قالته الشعراء (كلمة لبيد) هو ابن ربيعة العامرى الصحابى أدرك الجاهلية والاسلام وحسن اسلامه عاش مائة وأربعا أو سبعا وخمسين وهو أفصح شعراء العرب وفصحائهم ولم يقل شعرا بعد الاسلام وكان يقول يكفينى القرآن * قال فى جمع الوسائل وكأنه رضى الله عنه استحيا أن يقول شيأ بعد سماع كلامه تعالى المعجز للاولين والآخرين أو غاص فى لجج أمواج بحار علوم القرآن الجامع لعلوم الاولين والآخرين فأغناه الاشتغال به عن الاشتغال بغيره تحققا بقوله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم * وقد قال ابن عباس جميع العلم فى القرآن ولكن تقاصر عنه افهام الرجال ولعله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالشعر ويمدحه احيانا تألفا لقلوب المؤمنين وتدريجا بأقوال العارفين الى كلام رب العالمين لمناسبة البشرية العاجزة غالبا عن فهم الاسرار الالهية وهذا وجه ما حكى أن بعض المشايخ قرأ جزءا من القرآن بعد الصبح ولم يحصل له وجد فحضر قوال فأنشد له شعرا فحصل له تواجد عظيم فلما أفاق قال أما تعذرون القائلين فى حق انه لزنديق اه بالمعنى

(الا كل شئ ما خلا الله باطل) أى فان مضمحل وانما كان هذا أصدق الكلام لموافقته لقوله تعالى كل من عليها فان وقوله كل شئ هالك الا وجهه والمقصود من هذا الكلام التزهيد فى الاكوان والتعلق بالحى القيوم الذى هو كل يوم فى شان وذلك ان كل ماسوى الله تعالى فى نظر العارفين عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه والوجود الحقيقى انما هو لله سبحانه وأما وجود ماسواه تعالى ففى غاية الضعف لانه محفوف بالعدم السابق وبالعدم اللاحق ويجوز عليه فى كل لحظة الزوال والفقد وكما أنا اذا رأينا خيط عنكبوت فى الهواء لا نعبأ به ولا نشتغل قلوبنا بشأنه ولا نعتمد فى شئ غاية ضعفه فكذلك جميع الاكوان عند العارفين اذ كلهم لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا وكلهم يجوز عليه الانعدام فى كل لحظة والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد وعمدة أهل التفريد وفى ذلك يقول قائلهم

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال

وقوله لم يغير آثارهن وفى نسخة آياتهن أى علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن بالازدحام على التبرك بهن وزيارتهن والقيام بحقوقهن والبلاء بفتح الباء المراد به طول المدة الذى من شأنه أن يغير الاشياء عما هى عليه وقد صانها الله تعالى من التغيير بحرمتها عنده وفضلها ويستمر لهذه الامة التمتع بعبادتها الى آخر الدهر ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على الكعبة أنشد

قلت للقلب اذ تراءى لعينى
رسم دار لهم وهاج اشتياقى
هذه دارهم وأنت محب
ما احتباس الدموع فى الاماق
حل عقد الدموع واحلل رباها
واهجر النوم واقض حق الفراق
فالمعانى للصب فيها معان
فهى تدعى مصارع العشاق

(حرم آمن وبيت حرام
ومقام فيه المقام تلاه)

أى مكان محرم بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة من يوم خلق الله السموات والارض كما فى الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة المراد به انه أظهر حرمتها التى كانت خفية على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن فى مريم بناء على اثبات ذلك البدل كما هو رأى قوم قالوا به ولم ينظروا الى انكار الجمهور له كذا قال ابن حجر والظاهر انه بدل من معاهد وقوله آمن أى يأمن من فيه من شن الغارات واستباحة المحرمات بل كان الانسان يرى قاتل أبيه فى الجاهلية

فيه فلا يعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل من قوم أبرهة فيه فلم يصبه من رمى الابابيل شئ حتى خرج منه ولذا قيل

ياجيرة حلوا بوادى منى * أضرمتم فى القلب منكم جمار
أنتم كرام ياعريب النقا * وجاركم من كل جور مجار

(٣٨)

قوله وبيت حرام أى ذو حرمة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والمقام بفتح الميم هو مقام ابراهيم وهو الحجر الذى أنزل الله تعالى لابراهيم عليه السلام من الجنة ليقوم عليه عند بناء الكعبة اذا طال البناء فكان يعلو به الى أن يضع الحجر فى موضعه ثم يقصر به الى أن يتناول الحجر من اسمعيل عليهما السلام وفيه أثر قدمى ابراهيم عليه السلام وهو الذى نادى عليه لما فرغ من بناء الكعبة يا أيها الناس ان الله تعالى بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف فى الاصلاب والاجنة فى الارحام فاجابوه فى أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم لبيك وفى رواية أنه نادى بذلك على الجبون ولا تنافى لاحتمال انه نادى مرتين واختلف هل موضعه الموجود فيه هو الذى كان فيه زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاصح أولا وانما كان عند باب الكعبة وجعله عمر فى موضعه الذى هو فيه الآن وقولان ومن الغريب ماقيل المراد بالحجر الذى

واعلم بأنك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

فمن أشرق هذا النور فى قلبه انقطع الى الله ولم يسكن الى شئ سواه لاستحضاره عجز الكل وقدرة الواحد وتيقنه فقر الجميع وغنى الواحد ومعرفته بضعف الجميع وقوة الواحد وذل الجميع وعزة الواحد فأوجب له ذلك الاعراض عن الجميع والاقبال على الواحد فقصر أمله عليه وجعل وجهته كلها اليه وآخر هذا البيت

* وكل نعيم لامحالة زائل * وبعده

وكل ابن أنثى لوتطاول عهده * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل اناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وأول القصيدة

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

(وكاد أمية بن أبى الصلت) الثقفى أدرك الاسلام ولم يوفق له وكان يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث وكان ينطق فى شعره بالحقائق ويغوص على المعانى البديعة والرقائق ولذلك لما سمع عليه السلام من شعره مائة بيت كما يأتى قال فى حقه كاد أى قرب أمية (أن يسلم) وقال أيضا آمن شعره وكفر قلبه وقيل انه المراد فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى الآية فانه قرأ التوراة والانجيل فى الجاهلية وكان يعلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فطمع أن يكون هو فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حسده وكفر عاش حتى أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار ثم مات أيام حصار الطائف كافرا وذلك فى سنة ثمان وقيل تسع وقيل غير ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد ابن جعفر نا شعبة عن الاسود بن قيس عن جندب بن سفيان البجلى قال أصاب حجر اصبعه صبع رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة وفتح الباء وفى القاموس انه مثلث الهمزة والباء (فدميت) بفتح الدال وكسر الميم وفى رواية البخارى من طريق أبى عوانة عن الاسود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض المشاهد فدميت

وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فوجده غائبا فسأل زوجته عن حالهم فشكت اليه فقال هرى زوجك فليغير عتبة بابه فجاء فأخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج أخرى فوجده غائبا فسأل زوجته أيضا فأثنت خيرا ثم أمرته بالنزول لتطعمه فأبى فوضعت له حجر اليغتسل عليه فوضع قدمه الشريف وأمال لها رأسه ففاضت قدمه ثم حولته ففاضت

فيه الاخرى ثم قال لها مرى زوجك فليلزم عتبة بابه وضمير فيه عائد على الحرم أو البيت لا المقام وهو نظير ومن دخله كان آمنا
لان المفسرين صرحوا بأن ضمير دخله عائد على حرم مكة وهو معطوف على مقام ابراهيم الذى هو عطف بيان من آيات بينات
كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكرهما تان الآيتان ويطوى غيرهما
دلالة على تكاثر الآيات قيل ومعنى ومن دخله كان آمنا أى من النار

اصبعه الخ قال الكرمانى قيل ذلك كان فى غزوة أحد وفى صحيح مسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت اصبعه قال الباجى لعله غاز يا فصحف لقوله فى الرواية الاخرى فى بعض المشاهد أو المراد بالغار الجيش وقال العسقلانى وقع فى رواية شعبة عن الاسود خرج الى الصلاة أخرجه الطيالسى (فقال هل انت) أى ما أنت ويجوز قراءته بالتحقيق والنقل (الا اصبع دميت) باشباع التاء صفة لاصبع (وفى سبيل الله ما لقيت) الواو للحال وما موصولة مبتدأ حذف عائدها وفى سبيل الله خبره أى الذى لقيته حاصل فى سبيل الله أى والحب لا يبالى بما يلقاه فى رضا محبوبه ويحتمل الاستفهام والاصل وما لقيت فى سبيل الله والنفى أى ما لقيت شيأ فى سبيل الله تحقير الما لقيته وتمنيا لما زاد * قال ابن حجر ولتوجعها خاطبها احقيقة معجزة له صلى الله عليه وسلم أو على سبيل الاستعارة تسلية وتخفيفا لما أصابها اذ لم تبتل بقطع ونحوه مع ان ما ابتليت به لم يكن الا فى سبيل الله ورضاه * قال المناوى وهذا الشعر لابن رواحة أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب محاسبة النفس ان جعفر الما قتل بمؤتة دعا الناس يا ابن رواحة فأقبل وقاتل فأصيب اصبعه فارتجز وجعل يقول

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت
يا نفس الا تقتلى فموتى * هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت * ان تفعلى فعلهما هديت

وقيل للوليد بن الوليد بن المغيرة اه * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن الاسود بن قيس عن جندب بن عبد الله) أى ابن سفيان (البجلى نحوه) أى بمعناه دون لفظه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد نا سفيان الثورى نا أبو اسحق عن البراء بن عازب) صحابيان جليلان (قال قال له رجل) فى رواية أنه من قيس لكن لا يعرف اسمه (أفررتم) أى يوم حنين كما فى رواية الصحيحين (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عمارة) بضم العين وتخفيف الميم كنية البراء والاستفهام للانكار أو للاستعلام والمراد أفررتم كلكم (فقال لا) أى لم يفر جميعنا بل بعضنا وأكد بقاء البعض بقوله (والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فكيف يفر جميعنا فكأنه أشار الى أنه يلزم من ثبات الرسول عدم فرار أكابر الصحب لمثابرتهم على بذلهم نفوسهم

لقوله عليه الصلاة والسلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه الصلاة والسلام الجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينشران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه الصلاة والسلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام والمقام بضم الميم ويجوز الفتح أى الاقامة أو موضع القيام وتلاء بفتح المثناة الفوقية أى ذمة وجوار وكأن أخذ هذا من أن أهل مكة شرفها الله تعالى يسمون جيران الله تعالى لتنزل الرحمات واقالة العثرات وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق وكذا بين مقام والمقام وما يأتى من قضينا والقضاء ورمينا ورماه وينشر ونشر وشمت وشمت وقباب وقبا وروحتها والروحاء وحططنا ويحط وقرأنا والاقراء وسمعنا ويسمع وذهلنا وأذهل

(فقضينا بها مناسكنا لا يحمد الا فى فعلهن القضاء)

أى أدينا اذ القضاء يطلق لغة على الاداء كما فى قضيت الدين وضمير بها عائد على مكة وما ينسب اليها كعرفات ومزدلفة ومنى والمناسك جمع منسك من النسك وهى العبادة أى متعبدات الحج والعمرة من ركن وواجب ومندوب وقوله لا يحمد الا فى فعلهن القضاء أى لا يحمد الاداء حمدا مخصوصا بخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته أمه وبتكفير ما عنه على خلاف فيه وبكونه أشعث أغبر مع وعامن مألوفاته بفارقا لاهله ووطنه ولا يرفع قدما ولا يضعها الا كتب الله تعالى له من الثواب ما لا يحيط به غيره وقد صح

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واختار القرطبي وابن
بزيزة وغيرهما ان ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال عليه الصلاة والسلام العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور
ليس لجزاء الا الجنة قال المازري أي لا يقصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد أن يبلغ به ادخاله الجنة وقال
عليه الصلاة والسلام تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة ما بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفي
الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال عليه الصلاة والسلام من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت ما أتاه عبد
يسأل الله دنيا الا أعطاه منها ولا آخرة الا ذخر له منها وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص انه عليه الصلاة
والسلام قال له أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله وقال
عليه الصلاة والسلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان
تشفعوا شفعوا الى غير ذلك من فضائل الحج المبرور الحاملة على تجشم المشاق اليه مع الابتهاج والسرور * قال محمد بن ياسر
قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران
البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال واستتيب

زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار لا يمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

قال النسفي واعلم أن العبادة شرعت اما للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم واما بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما معا مع
ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد
والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على اعتياده

دونه وعلمهم بان الله تعالى لا يخذله وأنه ينصره ويعصمه من الناس فهذا من البراء رضي
الله عنه احتجاج على عدم فرار أكابر الصحابة لكن انما اتفقوا على ثبات العباس وأبي
سفيان بن الحرث واختلفوا فيمن عداهم من سائر الصحابة وقال ما ولى ولم يقل ما فر
تنزيها لمقامه الرفيع عن ان يستعمل فيه لفظ الفرار في النفي فضلا عن الاثبات لانه
أشنع من لفظ التولي اذ قد يكون لتحرف أو تحيز بخلاف الفرار فانه لا يكون الا للخوف
والجبن غالبا انظر ابن حجر ثم بين ان مبدأ الفرار انما كان ممن في قلبه مرض من مسلمة
الفتح ومؤلفتهم وأخلاطهم الذين لم تمكن الاسلام من قلوبهم بقوله (ولكن ولى سرعان
الناس) قال الكرماني بفتح السين وكسرها جمع سريع وبفتح السين والراء أوائلهم
واخفاؤهم الذين يسارعون الى الشيء ويقبلون عليه بسرعة فلما انكشفوا عن العدو
ظن من فر من الصحابة انه لم يبق فيهم غناء فكروا ليعرفوا الخبر فاطلق على فعلهم الفرار
في بعض الآثار أخذا بالظاهر وفي رواية لمسلم يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا الخ
وفي أخرى أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال الخ فقال النووي ما حاصله تقدير
الكلام أفررتم كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك لبعده بثباته
منفردا في مقابلة جيش عظيم فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا اه وهذا التقرير مناسب لرواية مسلم
المتقدمة اذ ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولرواية عند البخاري أوليتم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما على رواية الترمذي ومثلها عند البخاري فقول
السائل أفررتم عن رسول الله لا يدل على انه عليه السلام فر بل على انهم فروا وبقي هو
منفردا فليس فيه ما يوهم انه فر حتى يحتاج الى رفع هذا الايهام فالاولى في تقرير
رواية الترمذي ما تقدم انظر جمع الوسائل قال ابن حجر لم يرد عن أحد من الصحابة انه
صلى الله عليه وسلم انهزم ومن ثم أجمع المسلمون على انه لا يجوز عليه الانهزام فمن زعم
انه انهزم في موطن من مواطن الحرب أدب تأديبا عظيما لانتقابه عظيم جريمته الا ان
يقوله على جهة التنقيص فانه يكفر فيقتل ما لم يتب على الاصح عندنا ومطلقا عند مالك
وجماعة من أصحابنا وبالغ بعضهم فنقل فيه الاجماع بل لو أطلق ذلك قتل عندهم على
ما أشار اليه بعض محققيهم اه وانظر قوله ومطلقا عند مالك فان الذي في مختصر خليل

ولا يأكل الامن زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ماسعى فى معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطييبه مرآة لما سيأتى عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملفوفا فى كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحج بعرفات آملين راغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كوقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد والافاضة (٤١) الى المزدلفة بالسكينة هو السوق الفصل

واستتيب فى هزم ثم ذكر سبب فرارهم بقوله (تلقتهم) أى قابلتهم وواجهتهم (هوازن) قبيلة مشهورة بشدة السهم لا تكاد تخطئ سهامهم (بالنبل) أى برميه وهو اسم جنس يراد به السهام العربية لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع نبلة ويجمع على نبال وانبال وفى رواية لمسلم عن البراء وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام الخ (ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته) هى بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى كذا فى مسلم وقيل ان البغلة التى ركبها يوم حنين هى دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس وأما التى أهداها له فروة فيقال لها فضة قال العلماء وركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى موطن الحرب مع عدم صلوحها للحرب ومن ثم لم يسهم لها مع كونها من مراكب الامن والطمأنينة ومع أن الملائكة لم تقاتل فى ذلك اليوم الا على الخيل ومع انه كان له افراس متعددة هو النهاية فى الشجاعة وليكون أيضا معتمدا يرجع اليه المسلمون وتطمئن قلوبهم به وبمكانه وليكون ممتازا عن غيره وايذانا بان سبب نصرته مدده السماوى وتأييده الربانى الخارق للعادة وانه غير مكترث ولا ملتفت لحكم العدد وقد انهزم الكفرة وهم عشرة آلاف مقاتل من بين فارس وراجل بقبضة من حصى حتى سبيت نساؤهم وحيزت أموالهم بعد ما انهزم منهم المسلمون وقتل من المشركين أكثر من سبعين واستشهد من المسلمين أربعة (وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب) هو ابن عمه عليه السلام وأخوه من الرضاعة وكان يألفه قبل البعثة فلما بعث عاداه وهجاه ثم أسلم عام الفتح وحسن اسلامه ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه منذ أسلم أسلم معه ولده جعفر لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء وأسلما قبل دخول مكة وروى عنه انه قال لما حضرته الوفاة لا تبكوا على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت توفى بالمدينة سنة عشرين وقال ابن قتيبة دفن بينبع وكان رضى الله عنه هو الذى حفر قبر نفسه قبل ان يموت بثلاثة أيام وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وسيد فتيان أهل الجنة (آخذ بلجامها) فهو ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ولم يفر قيل ولم يثبت معه يومئذ الا عمه العباس وأبو سفيان بن الحرث وأبو بكر وأبو امامة الباهلى وأناس من أهل بيته وأصحابه وفى مسلم عن العباس قال لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين

القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذى من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال أنموذج لدار السلام التى من نزلها بقى سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما ان الكعبة خصت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادى مشوقا الى اللقاء يوم التنادى *(تنبيه)* قال بعض محققى المتأخرين لا يتصور القضاء فى الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته العمر وتضييعه بنحو خوف عطب أو مال أو موت لا يقتضى انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضاء فيما بعد ذلك الوقت الاعلى الوجه الضعيف فى نظيره فى صلاة يضيق عليه فعلها فى الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضاء وان فعلت فى الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا

٦ ش نى لكثير انهم أداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضاء ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا كذا فى ابن حجر وهو مبنى على مذهبه ومذهب المالكية ما أشار اليه فى المختصر بقوله وفى فوريته وتراخيه نحو الفوات خلاف ابن عرفة وعلى فوره فى كونه بعد أول عام مستطيعه قضاء أو أداء قولا ابن القصار وغيره

(ورمينا بها الفجاج الى طيبة والسير بالمطايا رماه)

ضمير بها يعود على الناقة التي هي ألوف البطحاء والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والمراد هنا الطريق مطلقا وطيبة هي المدينة المشرفة بسا كنها عليه أزكى الصلاة والسلام وعلى كل مؤمن بها بعده سميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله بجعلها دار هجرته ومحل نصرته ومكان تربته واذا قيل

(٤٢) لطيبة عرج ان بين قبابها * حبيبا الادواء القلوب طبيب

اذا لم تطب في طيبة عند طيب
به طيبة طابت فاين تطيب

وقول الآخر وهو العلامة سيدي عبد المجيد المنالي رحمه الله

قرب الحبيب ووصله محيانا
وبه تنال مرامنا ومنانا

دل الانام على الهدى فهو الذي
عرفت به عرفاتنا ومنانا

وقوله أيضا من قصيدته الطويلة

فبطيبة طابت قلوب ذوي النهى
والطيبون لطيبة كم زاروا

من لم يطب في طيبة فهو الذي
في خيبة ذهبت له الاعمار

والمطايا جمع مطية وهي الدابة تطو في سيرها اي تجد وتسرع ورماء بكسر الراء مصدر رامية أي يشبه سير السهم اذا رمي به فهي كالقوس

(فاصبنا عن قوسها غرض القرب ونعم الخبيئة الكوماء)

الغرض بفتح المعجمة والراء قرطاس الضرب وهدفه والمراد بالقرب القرب من المدينة المشرفة التي هي محل الحبيب المشبهة بالغرض في كونها المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح وقوله ونعم الخبيئة أي الذخيرة الكوماء وهي الناقة العظيمة السنام أي لانها تحمل المحب الى حبيبه والقاصد الى مقصوده قال تعالى الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها وهو نها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقد أنشد بعضهم لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله الحديث ويمكن الجمع بأن أخذ اللجام كان على سبيل المناوبة في خدمة ذلك المقام (ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) مثل هذا الا يناف قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اما لان الرجز ليس بشعر واما لانه متزن لا موزون بمنزلة ما وجد من القرآن متزنا اتفاقيا لا قصدا واما لان الشعر المنافي للآية هو الذي يقصده الشاعر ويتصرف فيه تصرف الشعراء في أفانينهم واذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر ان يجري على لسانه الشيء اليسير منه قاله الخطابي بمعناه وكانه صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم بسبب أنا متيقن ان ما وعدني الله به من النصر حق وان خذلان أعدائي صدق وفي تعريفه صلى الله عليه وسلم بنفسه وهو بين أعدائه في شرذمة من أصحابه بقوله أنا ابن عبد المطلب دليل على كمال ثباته وقوة شجاعته صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الوطيس واشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه وقيل كان الشجاع الذي يقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وانما انتسب الى جده دون أبيه لان انتسابه الى جده أشهر لوت أبيه شابا ولانه لما استفاض بينهم انه سيكون من بني عبد المطلب من يسود ويغلب على الاعداء ذكرهم بانه ابن عبد المطلب الذي قيل فيه ما قيل لتطمئن نفوسهم وتقوى قلوبهم لا للمفاخرة والمباهاة لانهي عن ذلك ونظيره قول علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

وقول سلمة

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى * فرتقطع دونه الاوهام واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

(فرأينا أرض الحبيب يغض الطـ * ـطرف منها الضياء واللألاء)

أى أبصرنا أرض الحبيب أى حبيب الله تعالى والمؤمنين وهى المدينة وما حولها واعلم ان مقام الاحبية أعلى وأشرف من مقام الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة ويغض الطرف أى يخفض البصر من جلالتها التى

أنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق أنا جعفر بن سليمان نا ثابت عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء) ابن حجر المراد بالقضاء هنا القضية أى المقاضاة والمصالحة لا القضاء الشرعى لان عمرتهم التى تحللوا منها بالحديبية لا يلزمهم قضاؤها كما هو شأن المحصر عندنا اه (وابن رواحة) أى والحال ان ابن رواحة وهو أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم (يمشى بين يديه) اى قدامه صلى الله عليه وسلم (وهو) أى ابن رواحة (يقول خلوا) أى دوموا على التخلية لانهم يومئذ تركوا مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (بنى الكفار) أى يا أولاد الكفرة بالله ورسوله (عن سبيله) أى اتركوا سبيله فى دخوله البلد الحرام أى الذى يمتنع انتهاك حرمته (اليوم نضربكم) بسكون الباء لضرورة الوزن (على تنزيله) أى النبى صلى الله عليه وسلم أى على التكذيب بارسال الله له اليكم فهو كالامر النازل من السماء أو على التكذيب بما أنزل عليه وهو القرآن فالضمير على كل حال للنبى صلى الله عليه وسلم وبعد ابن حجر فى قوله ان الضمير للقرآن وان لم يتقدم له ذكر لانه ذكر ما يفهمه نحو حتى توارت بالحجاب اه ويحتمل كما فى جمع الوسائل ان المعنى على عدم الوفاء بتنزيلكم اياه واعطائه العهد والامان فى دخول حرم الله (ضربا يزيل الهام) أى رؤس الكفار جمع هامة وهى الرأس (عن مقيله) أى محله وهو الاعناق (ويذهل الخليل عن خليله) فيصير ذلك اليوم كما قال تعالى فى يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أى يمنعه من أن يتفقده ويسأل عنه لاشغله عنه بما هو اهم من ذلك وهو خشية فوات نفسه وروى عبد الرزاق هذا أيضا من وجهين لكن بلفظ

خلوا بنى الكفار عن سبيله * قد أنزل الرحمن فى تنزيله
بأن خير القتل فى سبيله * نحن قتلناكم على تأويله
* كما قتلناكم على تنزيله *

وأخرج الطبرانى والبيهقى بلفظ المصنف لكنه ابتدأ بعجز الاول وجعل عجز الثانى

* يارب انى مؤمن بقيله * وزاد ابن اسحق على هذا * انى رأيت الحق فى قبوله *

قاله ابن حجر (فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى

أى يخفض البصر من جلالتها التى حفتها الضياء وهو النور المشرق عليها حسا ومعنى واللألاء وهو البرق اللامع على صفحاتها المنبئ عن مواهب الحق المفاضة على زائريها كذا فى المنح المكية لابن حجر وفى القاموس اللألاء الفرح التام وتلألأ البرق لمع

(فكان البيداء من حيث ما قا * بلت العين روضة غناء)

كان أداة تشبيه من اخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر مركبة من كاف التشبيه وأن المؤكدة قال بعضهم وانما تستعمل للتشبيه حيث يقوى الشبه حتى يكاد الرائى يشك فى ان المشبه هو المشبه به أو غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو وقيل وترد للظن والشك اذا كان خبرها مشتقا والبيداء الفلاة مطلقا أو المحل القريب من ذى الحليفة المشهور اليوم بابيار على ومن حيث يصح فى من ان تكون زائدة على مذهب الاخفش وهو الصواب أو تعليلية أو ابتدائية وما فى حيثما زائدة والروضة الغناء الكثيرة العشب والنبات والازهار ووصفها بغناء لان الذباب كثيرا ما يألفها ويغنى فيها

(وكأن البقاع زرت عليها * طرفى املاءة حمراء)

البقاع جمع بقعة وهى الاماكن التى حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على قبره عليه الصلاة والسلام وزرت بتقديم الزاى على الراء شدت من زر الشئ اذا شده بأزراره بان أدخلها فى عراه وضمير عليها عائد على البقاع

ولمرفيها مفعول زرت والضمير للملاءة بعده وهو فاعل والملاءة بالمد الريطة والجمع ملاء قال فى القاموس والريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كانها نسج واحد وقطعة واحدة وفى النهاية هى الازار وفى الصحاح هى الملحفة وحمراء نعت شبه تلك الانوار والاضواء التى غشيت تلك البقاع وعمتها من سائر جوانبها بخيمة حمراء شدت على ما فيها أزرارها فى عراها من سائر جوانبها

(٤٤) (وكأن الارجاء ينشر نشر المسك فيها الجنوب والجريباء)

الارجاء جمع رجا بالقصر يعنى نواحى المدينة المكرمة وينشر أى يذيع ريح المسك فيها والجنوب بفتح الجيم وهى الريح التى تقابل الشمال والجريباء كسكيماء قال فى القاموس الشمال أو الريح بين الجنوب والصبا وهى التى تثير السحاب

(فاذا شمت أو شممت رباها
لاح منها برق وفاح كباء)

أى اذا نظرت الى برق سحاب تلك الاماكن أو شممت بكسر الميم الاولى على الافصح وتفتح رباها جمع ربوة ما ارتفع من الارض لاح منها برق راجع لشمت وفاح أى سطع كباء أى ريح طيب راجع لشممت فيه لف ونشر مرتب وفى القاموس فاح المسك فوحا ونؤحا وفوحانا وفيحا وفيحانا انتشرت رائحته قال والكباء ككساء عود البخور أو ضرب منه الجمع كبى وبين لاح وفاح جناس مضارع

(فائدة) قال فى الرحلة العياشية لابى بكر السجستانى فى اثناء كلام ما نصه الذى لا يمترى فيه انه نور النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة ما عاينا ه مرارا ونحن مجاورون بالمدينة المشرفة فى الحرم الشريف الهاء فانا نجلس أحيانا نهارا حتى يستفيض من ناحية الحجرة ما يخالف ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله فيراه الناس

(أى نور وأى نور شهدنا * يوم أبدت لنا القباب قباء)

الاول بضم النون أى نور باهر والثانى بفتحها أى زهر نضير زاهر وشهدنا أبصرنا بابصارنا وبصائرنا وبينهما الجناس المحرف

حرم الله تقول شعرا) أى وقد ذم الشعر فى كلامه تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أيضا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر) أى اتركه (فلهى) أى الابيات أو الكلمات أو القصيدة المدلول عليها بقوله شعرا والمراد فلتأثيرها (أسرع فيهم) أى أعجل فى ايذائهم (من نضح النبل) أى رمى السهم والنضح فى الاصل الرش وهو سريع النفوذ والسراية والمعنى ان هجاءهم باللسان أقوى فى التكاية لهم من الضرب بالسنان كما قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

روى عن كعب بن مالك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد أنزل فى الشعر ما أنزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانما ترمونهم بالنبل فالشعر المشتمل على مدح الاسلام ومكارم الاخلاق والحث على صدق اللقاء ومبايعة النفس لله تعالى وعدم المبالاة باعدائه ليس بمذموم لانه نوع من الجهاد فى سبيل الله وضرب من الاغلاظ على أعداء الله المأمور به فى كتاب الله فلا حرج فى انشاده بين يدى رسول الله وفى حرم الله وليس الشعر مذموما على الاطلاق * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا شريك عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اشعر كلمة) أى أحسنها وأدقها وأجودها (تكلمت بها العرب) أى شعراؤهم وفصحاؤهم (كلمة لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل) تقدم الكلام عليه قال ابن حجر قيل لما سمع عثمان ما بعده وهو قوله * وكل نعيم لا محالة زائل * قال كذب لبيد فان نعيم الجنة لا يزول فلما سمع قوله بعد ذلك * نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة * البيت عرف ان مراده نعيم الدنيا فقال صدق لبيد * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا مروان ابن معاوية عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عمرو بن الشريد عن أبيه) هو الشريد بن سويد (قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم) أى رديفه زاد مسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ فقلت نعم فقال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت ففيه دلالة على ان قوله (فأنشدته مائة قافية) انما كان بعد قوله هل معك الخ وان المراد بالقافية البيت من اطلاق الجزء وارادة الكل (من قول أمية بن أبى الصلت كلما أنشدته بيتا قال لى النبى صلى الله عليه وسلم هيه) بكسر

ومنه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ويوم ظرف لشهدنا وأبدت أظهرت والقباب جمع قبة ويعنى التى هنالك وقباء بضم القاف موضع بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال

(قرمنها دمعى وفرا صطبارى * فدموعى سيل وصبرى جفاء)

أى ثبت انهمال دمعى وكثر من رؤية القباب فرحا بالوصول أو خوفا من التقصير فى واجب أدب ذلك الجناب العلى أو ندما على مافات من فراقه أو أعم من ذلك وفر أى هرب وشرد صبرى ودموعى سيل أى جارية قال فى القاموس وماء سيل أى سائل وضعوا المصدر موضع الاسم أو السيل الماء الكثير السائل والجفاء بضم الجيم وهو الزبد قال فى القاموس جفا الوادى والقدر رمى بالجفاء أى الزبد كأجفى اه ويصح ان يكون بفتح الجيم من جفاه يجفوه اذا باعده ولم يواصله والجفاء ضد الصلة قال فى المنح المكية كما أن السيل يذهب بالزبد كذلك دموعى ذهبت بصبرى فلم تبق منه شيأ وهذا من جناس التذييل كقوله الآتى وكم اذهل صبا الخ وفيه الف ونشر مرتب

(فترى الركب طائرين من الشو ق الى طيبة لهم ضوضاء)

أى فترى أيها المخاطب وفد الزائرين وفى القاموس الركب ركاب الابل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا وطائرين جادين فى السير سراعا كالطائر

الهاء واسكان الياء وكسر الهاء الثانية بالتنوين وأصله ايه يستعمل للاستزادة من حديث أو عمل معهود وبسكون الهاء كلمة زجر بمعنى حسبك فضبطها بالسكون هنا مشكل (حتى أنشدته مائة يعنى بيتا) وانما استزاده صلى الله عليه وسلم من شعره لما فيه من الاقرار بوحدانية الله تعالى والبعث ومن كلامه

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شئ أعلى منك حمدا وأمجدا

فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته أو هذا البيت منها على ما قال بعضهم (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان كاد ليسلم) ان مخففة مهملة بدليل اللام الفارقة * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى وعلى بن حجر والمعنى واحد قالا نا عبد الرحمن ابن أبى الزناد) اسمه عبد الله بن ذكوان (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت) بن المنذر بن عمرو بن حرام الانصارى الخزرجى يكنى أبا الوليد وهو من فحول الشعراء قال أبو عبيدة أجمعت العرب على أن اشعر أهل المدر حسان بن ثابت قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن وقال رفعه الشعر حتى قال رضى الله عنه الذى أوجب له الجنة عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وكذا عاش أبوه وجده وجد أبيه المذكورون وتوفى سنة أربع وخمسين (منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما) قال بعضهم قدير د المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائما أى قياما وفى نسخة يقول عليه قائما أى يقول حسان الشعر وينشده على المنبر حال كونه قائما (يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى يذكر مفاخر رسول الله ومثالب أعدائه (أو قال) أى عروة عن عائشة وفى نسخة أو قالت عائشة (يناضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى يخاصم ويدافع عن جهته والمناضحة والمكافحة المدافعة والمضاربة فالمراد انه كان يهاجى المشركين ويجيبهم عن أشعارهم (ويقول) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على تعدد هذا القول منه له وفى نسخة وقال (ان الله يؤيد حسان) بالصرف وعدمه (بروح القدس) بضم الدال وسكونه اى جبريل وسمى به لانه يأتى الانبياء بما فيه الحياة الابدية وأضيف الى القدس وهو الطهارة لانه خلق منها وتأييده له امداده بابلغ جواب والهامه لاصابة الصواب وانطاقه بما

من الشوق وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وضوضاء أصوات عالية بذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى القاموس الضوضى مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة فى المهموز

(فكأن الزوار ما مست الباً * ساء منهم خلقا ولا الضراء)

الزوار جمع زائر وهذا عطف على ترى والمراد بالبأساء مشقة السير والضراء تأكيد لما قبله وفى القاموس الضراء الزمانة والشدة والنقص فى الاموال والانفس كالضرة

(كل نفس لها ابتهال وسؤل * ودعاء ورغبة وابتغاء)

الابتهال التضرع لله تعالى فى نيل المراد (٤٦) والسؤل السؤال ورغبة أى مطلوب يرغب والكل الفاظ مترادفة لان المقام مقام اطناب وابتغاء طلب

(وزفير تظن منه صدورا صادحات يعتادهن زقاء)

الزفير توتر النفس وصعوده لشدة ما يعترى القلب من خشية المؤاخذة بما فرط منه وفى القاموس زفر يزفر زفارا وزفيرا اخرج نفسه بعد مده اياه وصادحات أى طيورا مصوتات قال فى القاموس صدح الرجل والطائر كمنع يصدح صدحا وصدادحا رفع صوته بغناء وفى الحديث ان صدره صلى الله عليه وسلم من شدة خوف الله تعالى كان يسمع له أزيز كازيز المرجل من البكاء والزقاء بضم الزاى الصياح ويعتادهن من اعتاد الشئ اذا جعله من عادته ونسبة الاعتياد الى الزقاء مجاز قال ابن حجر والحاصل ان ذلك الزفير من شدة ظهر له فى صدورهم صوت أشبه صوت الطيور والصادحات التى يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت

هو أليق بالمقام حتى لا يتبع الهوى ولا يهيم فى كل واد على عادة الشعراء الذين مادة قولهم من القاء الشيطان اليهم ومن تلقاء أنفسهم ولذلك لا يخلو الشعر من تزويق وذكر أمور لا تليق كما تقدم والجملة يتعين ان تكون خبرية ولا يصح ان تكون دعائية لان شرط الجملة المصدرة بان ان تكون خبرية خلافا لما فى جمع الوسائل نعم فى رواية عند مسلم اللهم أيده بروح القدس (ما ينافح أو يفاخر) أو للشك وتحتمل التنويع وفى رواية ما نافح أى مادام ينافح (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل لما دعاله النبى صلى الله عليه وسلم أعانه جبريل بسبعين بيتا وقد ذكر أهل السير ان الذين كانوا يهجون المسلمين أربعة عبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو سفيان بن الحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيافهم ان ينصروه بألسنتهم فانتدب لذلك حسان وهو أشهرهم وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ومن كلام حسان فى رده على أبى سفيان بن الحرث

هجوت محمدا واجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت مطهرا برا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وروى ان حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعد ان كف بصره فاذنت له فدخل عليها فاكرمته فلما خرج عنها قيل لها هذا من القوم قالت الذى يقول فان أبى ووالده الخ هذا البيت يغفر له كل ذنب نقل ذلك فى الاستيعاب ووردانه لما جاءه صلى الله عليه وسلم بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس ناداه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يرد صلى الله عليه وسلم على أن قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس فقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم
واثار رؤس الناس من كل معشر * وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقام فقال

(وبكاء يغريه بالعين مد * ونحيب يحثه استعلاء)

بكى يغريه يحمله على ملازمته لها ومد أى سيل والدموع تنشأ عن حرقة القلب بالشوق الى المحبوب أو فرحا بلقائه أو خوفا من القطيعة أو هيبة منه عند المثول بحضرته أو أعم من ذلك ونحيب بكاء شديد قال فى القاموس النحب أشد البكاء كالنحيب وقد نحب كمنع وانتحب ويحثه يحضه واستعلاء ارتفاع من الزيادة منه لعلو صوت

(وجسوم كأنما رحضتها * من عظيم المهابة الرحضاء)

رحضتها غسلتها والمهابة بفتح الميم أى هيبة الحبيب عليه الصلاة والسلام فى تلك الحضرة الجليلة والرحضاء بضم الراء وفتح الحاء العرق الكثير قال فى القاموس رحضه كمنعه غسله كأرحضه فهو رحيض ومى حوض والمرحاض بالكسر خشبة يضرب بها الثوب والمغتسل وقد يكنى بها عن مطرح العذرة قال والرحضاء العرق اثر الحمى أو عرق يغسل الجلد كثرة أى جسوم قام بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يتولد عنده كثرة عرقها حتى كأنه غسلها

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول ما بين قن وخادم

فكان أول من اسلم شاعرهم وثابت المذكور وهو خطيبه صلى الله عليه وسلم وخطيب الانصار وهو خزرجى شهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة واستشهد باليمامة سنة ثنتى عشرة قال ابن حجر وفى الحديث حل انشاد الشعر فى المسجد بل ندبه اذا اشتمل على مدح الاسلام وأهله أو هجاء الكفار وتحقيرهم والتحريض على قتالهم وندب الدعاء لمن قال شعرا كذلك وروى البخارى ان من الشعر حكمة أى قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبرى وبه يرد على من كره الشعر مطلقا ولا حجة له فى قول ابن مسعود الشعر من مزامير الشيطان لانه محمول على الافراط فيه والاكثار منه أو على شعر فيه سخف أو هجو ونحوهما مما غلب على الشعراء وبه ضلوا وغووا * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى وعلى بن حجر قالا نا ابن أبى الزناد) هو عبد الرحمن كما تقدم (عن أبيه عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله) أى مثل الحديث السابق افظا ومعنى وانما المغايرة بحسب الاسناد فالاول برواية عبد الرحمن عن هشام عن عروة عن عائشة والاسناد ان متصلان وفائدة ذكرهما تقوية الحديث والله أعلم * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان) وفى نسخة فكان بالفاء (أصحابه يتناشدون الشعر) أى يطلب بعضهم بعضا ان ينشد الشعر والانشاد أن يقرأ شعر الغير ثم يحتمل ان المراد الشعر السالم من الفحش والخنى وان كان مشتملا على ذكر شئ من أيام الجاهلية ووقائعهم فى حروبهم ومكارمهم ويحتمل ان المراد الشعر الذى فيه الحث على الطاعة والمواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وانشاد ما كان من قبيل الاول وسماعه مباح وما كان من قبيل الثانى وهو المناسب لحال الصحابة مندوب (ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية) وفى نسخة جاهليتهم (وهو ساكت) أى ساكت عنهم لم يمنعهم من انشاد الشعر وذكر أمر الجاهلية لحسن خلقه فى عشرتهم وكمال رفقه ورأفته بهم ولولا ذلك لما قدر أحد منهم ان يجتمع به هيبة له وفرقا منه ولا آخذ الفوائد والحكم من حكاياتهم كما هو شأن العارفين (وربما تبسم) وفى نسخة

(ووجوه كأنما ألبستها
من حياء ألوانها الحرباء)

الوجوه جمع وجه والحياء بالمد خلق غريزى باعتبار أصله ومكتسب باعتبار كماله والالوان جمع لون هيئة كالبياض والسواد والحرباء فاعل ألبست مؤخر عن المفعول وهو ألوانها وهى دويبة تستقبل الشمس برأسها وتتلون ألوانا متعددة والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له

(ودموع كأنما أرسلتها
من جفون سحابة وطفاء)

الدموع جمع دمع وهو ماء العين الجارى من حزن أو سرور والجفون جمع جفن وهو غطاء العين من أعلى وأسفل وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة مائها أو هى الدائمة السح الحثيثة طال مطرها أم قصر وفيها وطف أى تدات ذيولها شبه ما عندهم من الاسباب الباعثة لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة علوها ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة ففيه أربع استعارات كذا قال ابن حجر وفيه نظر اذ حيث شبهت الاسباب بالسحابة واطلق لفظ المشبه به على المشبه كانت استعارة تصريحية فكيف يقال بعد ذلك وخيل باثبات السحابة تأمل وفى قوله كل نفس الى هنا من مراعاة النظير والانسجام البديع الذى هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت الماء

العذب الذى من شأنه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة مما لا يخفى على ذى ذوق عظيم بلاغة الناظم رحمه الله تعالى

(فحططنا الرحال حيث يحط * وزرعنا وترفع الحوباء)

الرحال جمع رحل أى وضعنا الامتعة بفناء الحبيب الذى ينال فيه من الله تعالى السؤل مستطرين سحائب الانعام والقبول والوزر الذنب أى وضعناها حيث يحط الذنب عنا ببركة الحبيب وشفاعته وترفع الحوباء عنا وهى الحاجة وبين الحط والرفع طباق

(وقرأنا السلام أكرم خلق الله من حيث يسمع الاقراء)

أى أشرفهم وأعزهم عليه وأصفحهم عن الاذى وأجودهم نفسا وفعلا بان سلمنا عليه عند قبره وقلنا السلام عليك يا رسول الله كما هو شأن السلف من التسليم عند قبره تسليم اللقاء كما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره وقال المجد اللغوى السلام عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه يعنى لانه شعار اللقاء والتحية وفى الحديث ما من أحد يسلم على عند قبرى الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام ولا يعارضه حديث انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى على فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله تعالى أفضل من رده عليه الصلاة والسلام لان السلام شعار اللقاء والتحية كما تقدم ثم يصلى عليه بعد السلام كما هو الشأن المعروف يبدأ بالسلام ويختم بالصلاة وقوله فى الحديث الا رد الله تعالى على روحى معناه نطق مجازا اذ هو حى على الدوام ولا يلزم من الحياة النطق فيرد الله عليه النطق عند سلام كل مسلم وعلاقة هذا المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح كما ان الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة فعبر عليه السلام باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيد هذا قوله تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيؤخذ من الآية أن عود الروح لا يكون الا مرتين وفى بعض روايات هذا الحديث الا وقد رد الله على

يتبسم بصيغة المضارع (معهم) روى ان بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم قال ما نفع صنم أحدا مثل ما نفعنى صنمى فانى جعلته من الحيس فنفعنى فى زمن القحط ومن كان معى من الرهط فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال آخر رأيت ثعلبا صعد فوق صنمى وبال على رأسه فقلت

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فتركت طريقة الجاهلية ودخلت فى الشريعة الاسلامية فضحك الصحابة وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم معهم عند تذاكرهم أحوال الجاهلية تعجبا مما كانوا فيه من الضلالة ويفهم من هذا أن التحدث بما لا اثم فيه من شأن الاخيار قال مالك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا صلى الظهر قعد يحدث الناس بما يأتيه من أخبار الاجناد ويحدثونه قال مالك وقوم اذا رأوا الناس يتحدثون يقولون اذكروا الله ولم يكن ذلك شأن الاخيار كانوا يتحدثون وعن البخارى بسنده لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متخوفين ولا محازنين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد أحد منهم على شئ من دينه دارت حماليق عينيه فى وجهه كأنه مجنون

*(باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر)

فى القاموس السمر محركا الليل وحديثه وظل القمر والدهر اه قال ابن حجر والمراد هنا الثانى اه والظاهر ان المراد هنا الاول وانما يستقيم الثانى لو كانت الترجمة باب ما جاء فى سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تحدثه بالليل (حدثنا الحسن بن الصباح البزار نا أبو النضر نا ابو عقيل الثقفى عبد الله بن عقيل عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) كلمة ذات مقحمة للتأكيد قاله الشراح وتقدم أثناء باب الادام نحوه عن الأبى مع زيادة قال فى جمع الوسائل ولا يظهر وجه التأكيد فالاولى ان يقال انها صفة لموصوف مقدر أى ساعة ذات ليلة كما قالوا فى قوله تعالى انه عليم بذات الصدور أى بضمائرها وخواطرها اه وتأمله (نساءه) أى أزواجه كلهن أو بعضهن ويمكن أن يكون منهن بعض بناته أو أقاربه من النساء (حديثا فقالت امرأة منهن كان الحديث) أى هذا الحديث (حديث خرافة) قال ابن

روحى والمراد الاخبار بان الله يرد عليه روحه بعد الموت فيصير حيا على الدوام وعلى هذا تحمل الرواية الاولى ولا يحتاج الى ارتكاب المجاز وقد صحت الاحاديث بان الانبياء احياء فى قبورهم يصلون جمعها البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء حياة مخصوصة أعلى وأتم من حياة الشهداء المنصوص عليها فى القرآن وروى ان محمد بن عبد الله العتبى قال جاء اعرابى الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فسلم سلاما حسنا ودعا كذلك ثم قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ان الله قد خصك بوحيه وأنزل عليك كتابا جمع لك فيه علم الاولين والآخرين وقال وقوله الحق ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت مقرا بالذنوب مستشفعا بك الى ربك ثم قال

يا خير من دفنت بالترب أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الرسول الذى ترجى شفاعته
عند الصراط اذا مازلت القدم
لولاك ما خلقت شمس ولا قمر
ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك اله الخلق أجمعه
فانت أكرم من دانت له الامم

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبى فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا عتبى الحق الاعرابى وبشره بان الله قد غفر له وقوله من حيث يسمع الاقراء أى من المكان الذى يسمع فيه النبى صلى الله عليه وسلم اقراء السلام عليه وذلك عند قبره المكرم المعظم

حجر لم ترد المرأة ما يراد من هذا اللفظ وهو الكناية عن ذلك الحديث بانه كذب مستملح لانها تعلم انه لا يجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم الا الحق وانما أرادت انه حديث مستملح لا غير وذلك لان حديث خرافة يشتمل على وصفين الكذب والاستملاح فيصح التشبيه به فى احدهما اه قال فى جمع الوسائل أقول الاظهر ان يقال ان حديث خرافة يطلق على كل ما يكذبونه من الاحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه على ما فى النهاية فاستعمل هنا على المعنى الثانى من معنييه فلا اشكال اه فقولها كان الحديث حديث خرافة هو على معنى التعجب لغرابته وقلة سماع نظيره لا التكذيب كما تطلقه العامة اليوم (فقال) صلى الله عليه وسلم (أتدرون) القياس أتدرين كما فى نسخة وكانه خاطبهن بخطاب الذكور تعظيما لشأنهن وتنزيلا لهن منزلتهم فى كمال العقل ببركة صحبته صلى الله عليه وسلم كما قيل فى قوله تعالى وكانتا من القانتين (ما خرافة) ولما كان من المعلوم انهم لا يدرون حقيقة خرافة ولا حقية حديثه بادر الى بيانه قبل جوابهم فقال (ان خرافة كان رجلا من عذرة) بضم عين مهملة وسكون ذال معجمة قبيلة مشهورة من اليمن (أسرته الجن) أى اختطفته (فى الجاهلية) أى فى ايامها وهى ما قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وفى الجامع الصغير روى المفضل الضبى فى الامثال عن عائشة مرفوعا رحم الله خرافة انه كان رجلا صالحا (فمكث) بضم الكاف وفتحها أى لبث (فيهم دهرا) أى زمانا طويلا (ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة) أى فيما سمعوا من الاحاديث العجيبة والحكايات الغريبة قال ابن مخلص انظر هل يجوز استعمال هذا المثل فى التكذيب بالشئ كما تستعمله العامة اليوم اما أنه خطأ فلا اشكال فيه وانما النظر فى استعماله شرعا هل يجوز أم لا لان فيه تبديل ما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه انتهى ويؤخذ من هذا الحديث والذى بعده حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهم واستجلاب محادثتهم بما لا اثم فيه وقد وردت الاحاديث الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم وكذلك عن السلف الصالح وقد قال مالك رحمه الله فى ذلك مرضاة لربك ومحبة فى أهلك ومثراة فى مالك ومنساة فى أجلك أى زيادة وكان رحمه الله تعالى من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يقول يجب على الانسان ان يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم

(وذهلنا عند اللقاء وكم أذ * هل صبا من الحبيب لقاء)

أى غبنا عند لقاء الحبيب عن غيره ونسيناه به لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال ولا بدع فى ذلك وكم أى مرات كثيرة اذ هل صبا أى حبا سمى بذلك لكثرة ما يصبه من الدموع وفى القاموس الصبابة الشوق أو رقته أو

رقة الهوى صيبت كقنعت تصب فأنت صب وهى صبة ولا أعظم من هذا الحبيب ولا أعز ولا أربى لنفع ودفع

(ووجمنا من المهابة حتى * لا كلام منا ولا ايماء)

اى سكتنا مطرقين من المهابة اى هيبة الحبيب حتى لا كلام منا بما نريده ولا ايماء منا لما نطلبه وذلك حال من قهرته الهيبة

(٥٠) وكم رمت بث الشوق عند لقائه * فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

(ورجعنا وللقلوب التفاتا
ت اليه وللجسوم انثناء)

اى صدرنا من عند الحبيب بعد كمال زيارته وللقلوب التفاتات اليه جمع التفاتة أى تلفت والتواء اليه وللجسوم جمع جسم بالكسر وهو جماعة البدن والاعضاء انثناء أى انعطاف اليه كراهة لفراقه وارادة للبقاء عنده * وللشيخ الكبير العارف بالله سيدى أبى مدين شعيب بن الحسين الاشبيلى ما نصه بعد ما جاء من الحجاز

يا قلب زرت وما انطوى ذاك الجوى
عجبا القلب بالنعيم قد اكتوى
زاد الغرام وزال كل تصبر
عالجته قبل الزيارة فانطوى
والهيب وجدى هيجته روضة
من حلها احلت من الصبر القوى
تالله ما شوقى لطيبة بعدما
زرت الحبيب وقبله الاسوا
بل زاد شوقى للحبيب ورامة
والابرقين وما بمنعرج اللوى
أرض أحب الى العلى من العلا
نزل الرسول بها وفيها قد ثوى

وقد ذكر ابن حجر فى حديث الحسين الآتى فى باب التواضع انه صلى الله عليه وسلم كان يرسل لعائشة بنات الانصار يلعبن معها وانها شربت من اناء فأخذه ووضع فمه على موضع فمها وشرب وأنه كان يتكئ فى حجرها ويقبلها وهو صائم وانه كان يريها الحبشة يلعبون فى المسجد وهى متكئة على منكبه وهو يقول لها أشبعت وهى تقول له لا وروى أبو داود أنه سابقها فى سفر على رجليها فسبقته قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى فقال هذه بتلك وعند أحمد وغيره عن عائشة ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسى أن كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته فقال اناء كاناء وطعام كطعام وفى رواية فأخذتها من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام يلتقط اللحم والطعام ويقول غارت أمكم فوسع خلقه الكريم طفحات غيرتها ولم يتأثر بل أنصف منها وهكذا كانت أحواله معهن يعذرهن وينصف بعضهن من بعض من غير قلق ولا غضب وفى خبر لا بأس به عن عائشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه وفى الحديث ان الغيرى لا تؤاخذ لحب عقلها بما يشور عن الغيرة ويؤخذ من هذا الحديث أيضا حل السمر فى الخير كملاطفة الزوجة وقد ترجم البخارى بباب السمر مع الضيف والاهل فما ورد من النهى عن السمر بعد العشاء الاخيرة ليس على عمومه بل هو محمول على السمر بما لا يعنى خوف ان تختم صحيفته على عمل باطل ليس تحته طائل ولذلك كانت عائشة تقول لمن كان يسمر الا تريحون الكاتب وأيضا يخاف من ذلك التفريط فى قيام الليل وفى ايقاع صلاة الصبح فى وقتها وقد كان عمر رضى الله عنه يعيب السمر بعد العشاء ويطوف فى المسجد بعد العشاء الاخيرة ويقول الحقوا بر حالكم لعل الله ان يرزقكم صلاة فى بيوتكم وقيل انما كره السمر بعدها لما روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسمر بعد هدأة الرجل فانكم لا تدرون ما يأتى الله تعالى فى خلقه أغلقوا الابواب واوكؤا السقاء وخمروا الآنية وأطفؤا المصابيح

(حديث أم زرع)

أتى بهذا الحديث فى باب السمر لانه من جملة ما يسمر به قال عياض فيه من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب اه وأم زرع

يا تربة ما مثلها من تربة * فيها الشفاء لكل عاص والدوى هى
يا روضة ما مثلها من روضة * يا سعد من فى جنة المأوى أوى
كم لى أنوح على الوصال وعندما * واصلتنى أصليتنى نار الجوى
فبكأننى الظمآن صادف قطرة * فتضاعف الظمأ الشديد وما ارتوى

قسما بطه وهو ياسين الذى * قد جاء فى النجم العظيم اذا هوى
وبقاب قوسين الذى هو قدد نا * من ربه ذو مرة ثم استوى
لاجددن نياحتى بسياحتى * أسفا على ذاك المحل وما حوى
حتى أموت وان أمت متحيرا * فلكل عبد مسلم ما قد نوى (٥١)

هى واحدة من النساء المذكورات فى حديث الترجمة وسمى حديثهن كله بحديث أم زرع لطوله ولانه المقصود بالذات لقوله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابى زرع لام زرع الدال على حسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله الذى هو من جملة شمائله الكريمة واخلاقه الفخيمة صلى الله عليه وسلم (حدثنا على بن حجر نا عيسى بن يونس عن هشام ابن عروة عن أخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت جلس احدى عشرة امرأة) القياس جلست كما فى بعض النسخ ليكون الفعل مسندا الى المؤنث الحقيقى بلا فاصل والتذكير على حد قال فلانة حكاه سيبويه عن بعض العرب استغناء بظهور تأنيثه عن علامته وظاهره كالصحيحين ان الحديث كله من قول عائشة وانما المرفوع منه قوله كنت لك كابى زرع لام زرع قال العسقلانى وجاء خارج الصحيحين مرفوعا كله من رواية عباد بن منصور عند النسائى وساقه بسياق لا يقبل التأويل ولفظه قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابى زرع لام زرع قالت عائشة بأبى أنت وأمى يارسول الله ومن كان أبو زرع قال اجتمع الخ فساق الحديث كله وكذا جاء مرفوعا كله عند الزبير بن بكار وجاء فى بعض طرقه الصحيحة ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بحديث أم زرع ويقوى رفع جميعه أن التشبيه المتفق على رفعه يقتضى أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم سمع القصة وعرفها فاقرها فيكون مرفوعا كله من هذه الحيثية (تعاهدن وتعاقدن) أى ألزم أنفسهن عهدا وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقدا (ان لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيأ) سواء كان مدحا أو ذما وهؤلاء النسوة قال الكرمانى كلهن من أهل اليمن (قالت الاولى زوجى لحم جمل غث) أى مهزول شبهته بذلك لقلة خيره فان لحم الجمل أخبث اللحم خصوصا اذا كان هزيلا وأشارت بقولها (على رأس جبل وعر) الى انه مع قلة خيره لا يوصل لما عنده بسهولة لجبله وكبره وشموخ أنفه وفى نسخة وعث بدل وعر ثم بينت وجه الشبه على وجه اللف والنشر المعكوس بقولها (لا سهل فيرتقى) أى يصعد اليه كما فى رواية الطبرانى (ولا سمين فينتقل) أى يحتمل بل يترك زهدا فيه لرداءته وفى نسخة فينتقى بالالف أى فيختار للاكل بان يتناول ويستعمل أى فلا مصلحة فيه تسهل عشرته وهذا الكلام فى غاية الفصاحة والبلاغة والاختصار وفيه من أنواع البديع تقابل الجمل بالجبل والغث

يارب أسألك الرضا والعفو عن
ما قد مضى يا من على العرش
استوى
فاعتق عبيدك من لظى نار غدا
نزاعة يوم القيامة للشوى
بمحمد المختار خاتم رسله
لكن على فضل الجميع قد احتوى
فعليه من رب العلى صلواته
وسلامه ما غردت ورق اللوى

(وسمعنا بما نحب وقديسمح عند الضرورة البخلاء)

أى سمحونا بالذى نحبه من مجاورة الحبيب وعدم مفارقته ولم يذكر فى القاموس سمح متعديا وانما ذكره لازما فقال سمح ككرم سماحا وسماحة وسموحا وسموحة وسماحا وسماحا ككتاب جاد وكرم كسمح وهو سمح ولكن رجعنا من عند الحبيب مع مزيد محبة المكث بحضرته للواجب الشرعى الضرورى من القيام بحق من ترك فى الديار من الاهل والولد والمال والضرورات تبيح المحظورات فنحن فى ذلك كبخيل يرسل نفيسا من يده قهرا والضرورة الحاجة الملجئة والبخلاء جمع بخيل اى شحيح قال فى القاموس والاضطرار الاحتياج الى الشئ واضطره اليه أحوجه والجأه اضطر بضم الطاء والاسم الضرة والضرورة الحاجة اه وقال الشاعر

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك * كرائم من رب بهن ضنين

وبين السماح والبخل الطباق * (لطيفة) * قال العياشى فى رحلته لما شاورت بعض شيوخنا فى المجاورة بالمدينة حضنى عليها

لما ورد فى الحديث ان حب الوطن من الايمان والمدينة هى وطن كل مؤمن لانها وطن الايمان فلذلك يحبها كل مؤمن قال
ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها فاذا كانت وطن الايمان وهو
أشرف أوصاف المؤمن بل هو فى الحقيقة كليته التى صار بها معتبرا وجوده ولولا الايمان لكان العدم المحض أفضل منه
فاذا ثبت هذا ثبت ان وطن الايمان هو وطن المؤمن وفى هذا اشارة حسنة وهى انه لا ينبغى لساكن
المدينة بل ولو لمن بات بها ليلة
أو أقام بها لحظة ان يرى فى حال
اقامته بها أنه غريب بل هو فى
وطنه الذى هو أحب أوطانه اه
(يا أبا القاسم الذى ضمن اقسا
مى عليه مدح له وثناء)
هذه كنية نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم باكبر ولده مولانا
القاسم من خديجة رضى الله
تعالى عنها تختص به عند
الشافعية فلا يجوز لاحد
التكنى بها على الاصح عندهم
فى زمنه وبعده لمن اسمه محمد
وغيره للحديث الصحيح سموا باسمى
ولا تكنوا بكنيتى والعبرة كما
تقرر فى الاصول بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب الذى هو
ان اليهود كانوا ينادونه بذلك
فيلتفت فيقولون لا نعنيك فنهى
الناس عن ذلك هذا مذهب
الشافعية وأما مذهبنا فقال
القاضى عياض فى الاكمال فقهاء
الامصار على جواز التسمية
والتكنية بابى القاسم والنهى
عنه منسوخ وقيل المنع خاص
بحياته عليه السلام على هذا
قصره مالك وجماعة كما فى الابى وقيل خاص بمن اسمه محمد ووجه اختصاص هذه الكنية به عليه ولا
الصلاة والسلام انه هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى فى كل الامور لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات
ومن ثم قال فى الحديث الصحيح انما أنا قاسم والله تعالى يعطى ولهذا عد وامن خصائصه انه أعطى مفاتيح الخزائن قال
بعضهم وهى خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر فى هذا العالم فانما يعطيه النبى صلى الله عليه وسلم

دلوعث وفيه تشبيه متعدد بمتعدد (قالت الثانية زوجى لا ابث) أى لا أظهر وفى رواية
أنث بالنون وهى بمعنى أبث الا ان النث أكثر ما يستعمل فى الشر وفى رواية لا أنم من
النميمة (خبره) أى لطوله ولذلك قالت (انى أخاف ان لا أذره) فاعتذرت عن التفصيل
بانه طويل وهذا التفسير ان كانت هاء الضمير للخبر أى ان لا أتمه لطوله أو ان أتركه على ان
لا زائدة على حد ما منعك ألا تسجد ويحتمل أن الضمير للزوج وعليه فيحتمل أيضا ان
تكون لا غير زائدة والمعنى أخاف ان لا أقدر على فراقه ويحتمل ان تكون زائدة أى
أخاف ان أترك الزوج (ان أذكره أذكر عجره وبجره) كنت بذلك عن العيوب الظاهرة
والباطنة أى وهى كثيرة ان بدأتها لا يمكننى اتمامها واستقصاؤها وهذا على التفسير
الاول واما على الثانى فالمعنى أخاف من الطلاق لانى ان خضت فى خبره فضحته ونادبت
على مثالبه كلها فيبلغه ذلك فيكون سببا فى الفراق وضياع الاطفال والعيال والعجر
فى الاصل أن يتعقد العصب أو العروق حتى ترى ناتئة من الجسد والبجر نحوه الا أنها فى
البطن خاصة يقال رجل ابجر اذا كان عظيم البطن ويقال رجل ابجر اذا كان ناتئ
السرة ثم نقلا الى العيوب الظاهرة والباطنة والى الهموم والاحزان قال الاصمعى فى
قول على رضى الله تعالى عنه الى الله أشكو عجرى وبجرى أى همومى واحزانى قال ابن
حجر لا يقال كتمت خبر زوجها فخانت العهد الذى تحالفن على عدم الخيانة فيه لانا
نقول لم تكتم منه شيأ بل شرحته على أتم وجه لكن بدقة لا تخفى على أولئك العرب
العرباء (قالت الثالثة زوجى العشنق) هو الطويل الممتد وهو فى الغالب دليل السفه
وسوء الخلق ولهذا ذيلته بقولها (ان أنطق أطلق وان أسكت أعلق) تقول ان ذكرت
ما فيه من العيوب أو ان تعلقت له ملقنى وان سكت عن عيوبه أو غضبا عليه أو أدبا معه
تركنى معلقة لا ايم ولا ذات بعل ومنه قوله تعالى فتذروها كالمعلقة (قالت الرابعة
زوجى كليل تهامة) مكة وما حولها وهو مشهور بالاعتدال وصفته بحسن الخلق وكمال
الاعتدال فى اخلاقه ومن ثم عقبته بقولها (لا حر) أى مفرط (ولا قر) أى برد ليكون
تفسيرا للتشبيه (ولا مخافة ولا سآمة) هذا من بقية أوصاف ليل تهامة والمعنى انه حامى
الذمار فلا يوصل الى من استجار به والتجأ الى حرمه ولا يسأم الناس لسعة أخلاقه ولا
يسأمه الناس لحسن عشرته وشدة شفقته ورحمته أو المعنى ليس عنده غائلة أى خديعة

الذى بيده المفاتيح وكما اختص الله تعالى بمفاتيح الغيب الكلى فلا يعلمها الا هو كذلك اختص النبى صلى الله عليه وسلم باعطاء مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج شئ منها الا على يديه وتذكر هنا قوله * ما أرسل الرحمن أو يرسل * وقوله الذى ضمن اقسامى أى الذى فى على اقسامى عليه بالاقسام الآتية مدح له وثناء وفى مرادفة الحمد للمدح ومباينته خلاف وعلى الثانى فرقوا بامور أحدها ان الحمد انما يكون على الجميل الاختيارى والمدح على ما لا اختيار فيه كالحسن ثانيها وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون على ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما ورابعها ان فى الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس فى المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء وأكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما أخوان اى متشابهان لا مترادفان قال الطيبى وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق انتهى والاكثر على ان الحمد يختص بالاختيارى والمدح أعم واقسامى بالكسر وثناء تأكيد والاقسام ههنا بمعنى التوسل فهو مشعر بالاستشفاع فلذلك يتعدى بعلى فاذا استعمل فى اليمين المطلق تعدى بالباء انظر حاشية العارف على الحزب الكبير

(بالعلوم التى عليك من الله
بلا كاتب لها املاء)

اى اقسم عليك بالعلوم التى نزلت عليك من الله وبلا كاتب حال من العلوم واملاء القاه من محل وهو جبريل عليه السلام وجعل أول الاقسام العلوم لان مرتبة العلم لا اعلى منها ولا مساوى لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بسؤال الزيادة الا فى العلم فقال له وقل رب زدنى علما وفيه اشارة الى ان أهم شئ عند الناظم هو ان يفتح عليه فى العلوم والادراكات والفهوم فيبدل ظلام جهله بنور علمه وتفتح بصيرته وتنور سريرته

(ومسير الصبا بنصرك شهرا * فكأن الصبا لديك رخاء)

ولا شر أخافه ولا يسأمنى فيمل صحبتى وهذا كما قال ابن حجر من أبلغ المدح لانها نفت عنه سائر أسباب الاذى واثبتت له جميع أنواع اللذة فى عشرته (قالت الخامسة زوجى ان دخل فهد) أى كان كالفهد فى كثرة نومه أى غفلته فى منزله فلا يتفقد ما ذهب من ماله واصعته بيته لسخاوة نفسه وكرم قلبه أو لا يلتفت الى ما أضاعته المرأة مما يجب عليها تعهده لحله أو يتغافل عن الامور حذرا من الشرور لحسن عشرته يقال فلان أنوم من فهد اذا كان كثير النوم لان الفهد موصوف بكثرة النوم أو فى شدة وثوبه والمعنى انه كثير الجماع لان الفهد أيضا شديد الوثوب (وان خرج أسد) اى اذا صار بين الناس وخالط الحرب كان كالاسد فى قوته وشجاعته وصهابته فهو كالسيد بين الناس (ولا يسأل عما عهد) أى عما كان عنده قبل ذلك لكرمه ففيه نوع تكرار مع الوجه الاول وأما احتمال انها أرادت لذم وان المعنى انه كالفهد فى الوثوب عليها الضرب بها أو فى الكسل وعدم المبالاة بضبط أمور أهل بيته وانه كالاسد فى غضبه وسفهه وانه لا يسأل عما عهد تكاسلا فبعيد (قالت السادسة زوجى ان أكل لف) أى لا يبقى شيأ من نهمته وشرهه (وان شرب اشتف) أى استوعب جميع ما فى الاناء فهذا ذم بالاسراف فى أكله وشربه الدال على دناءة همته وعدم اعتنائه باهله وقرابته (وان اضطجع التف) أى تلفف بكسائه منعزلا وحده لعدم مبالاته بزوجه ولذلك أيضا قالت (ولا يولج الكف ليعلم البث) أى لا يدخل كفه الى بدنها ليعلم بثها وحزنها وما نزل بها من المرض لقلة شفقته عليها أو المراد انه لا يضاجعها ليعلم ما عندها من محبتها القربه وسمت ذلك بثا لان البث من جهته يكون فلا ينفع لزوجته منه لا فى الاكل ولا فى الشرب ولا فى اللباس ولا فى الفراش وأما احتمال انها أرادت المدح وان معنى لف أتى بالوان الطعام توسعة على عياله ومعنى اشتف لا يترك شيأ من أنواع الشراب الا أتى به لاهله ومعنى التف أتى بصنوف الثياب وان معنى ولا يولج الخ أنه اذا حدث بها مرض يشق عليها اطلاع الزوج عليه فانه لا يدخل يده من تحت ثيابها لئلا يطلع على ما تريد ستره منه تكرما وحلما فيكون المراد بالبث باطن الشئ فبعيد (قالت السابعة زوجى عياياء) بالعين المهملة أى عاجز عن القيام بمصالحه من العى وقيل هو العنين (أو) للشك أو بمعنى بل (غياياء) بالمعجمة قال عياض يحتمل ان يكون من الغياية وهى كل ما أظل الانسان فوق رأسه فكأنه سترت عليه أموره فلا

مسير عطف على العلوم والصبا الريح التى مهبها من مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار وهى مراد الحسن فى قوله فاذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا مقابلك وبها انصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق على الاحزاب وقال فى القاموس الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش قال والدبور ريح تقابل الصبا وقال الشمال بالفتح ويكسر الريح التى تهب من قبل الحجر أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل والصحيح أنه ما مهبه من مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطائر قال والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا اه ثم الصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وقوله بنصرك أى باعانتك على قهر عدوك شهر فى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفيه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر قال فى المنح وبه يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره وهو الرعب اى الخوف المزعج لاعدائه مسافة شهر من نواحى المدينة فلم يرفع أحد منهم رأسا الا اختطفته لوامع نصره وقواصف أسنة قهره والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا تزيد مسافته فى حياته على شهر فلا ينافى ان ملك أمته يزيد على ذلك بكثير واحترز عن غيره من الانبياء فان رعبهم ان وجد لا يصل هذه المسافة وقيل انما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق ولو كان وحده بغير عسكر وهل هى حاصلة لامته بعده فيه احتمالات أظهرها كما تقتضيه المشاهدة انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا والرخاء الريح اللينة المسخرة لسليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم وأظهر لان تلك سخرت لذات سليمان عليه السلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا عليه الصلاة

يهتدى الى مصالحه أو من الغى وهو الانهماك فى الشر أو بمعنى الخيبة قال تعالى فسوف يلقون غيا قيل خيبة بان لا يظفروا بالمطلوب وعلى هذا فالقياس غواياء بالواو فيكون قلبها ياء هنا على سبيل الشذوذ ولا وجه لانكار أبى عبيدة غياياء بالهمزة (طباقاء) هو الذى أطبقت عليه أموره يقال فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر أو هو الثقيل الذى يطبق صدره على صدر المرأة عند الحاجة لها فيرتفع أسفله عنها فلا يحصل لها منه الا الايذاء والعذاب أو هو العاجز عن الجماع أو عن الكلام لما به من اللكنة فتنطبق شفتاه (كل داء) مبتدا (له داء) الجملة خبر المبتدا والمعنى ان كل ما تفرق فى الناس من العيوب فهو مجتمع فيه (شجك أو فلك أو جمع كالك) اى اما ان يشج رأس نسائه أو يكسر عضدا من اعضائهن أو يجمع لهن بين الامرين والخطاب لنفسها أو من باب الخطاب العام (قالت الثامنة زوجى المس مس أرنب) فهو ناعم البدن أولين الجانب واللام عوض عن المضاف اليه أى مسه كمس الارنب حيوان معروف (والريح ريح زرنب) يحتمل ان تريد بهذا طيب ريح جسده ويمكن ان تريد به طيب ثنائه فى الناس وانتشاره فيهم كريح الزرنب وهو نوع من أنواع الطيب معروف (قالت التاسعة زوجى رفيع العماد) العماد الخشبة التى يقوم عليها البيت والمعنى أنه شريف النسب والحسب لان بيوت السادات عاليات مرتفعات ليراها الضيفان وذوو الحاجة فيقصدونها (طويل النجاد) بكسر النون حمائل السيف وطوله يدل على امتداد القامة وهذا مما تمدح به الشعراء وقد قال تعالى وزاده بسطة فى العلم والجسم وفيه ايماء الى شجاعته المستلزم غالبا السخاوة (عظيم الرماد) لكثرة الطبخ المستلزم لكثرة الآكلين فهو اشارة الى الكرم وأيضا فان العظماء يستكثرون من ايقاد النار ليلا ليقصدهم الضيفان (قريب البيت من الناد) أصله النادى فخفف بحذف آخره للسجع وهو مجلس القوم ومتحدثهم وذلك دليل شرف صاحب البيت وسيادته وانه لا يقطع أمر دونه وليقصد بيته (قالت العاشرة زوجى مالك) أى اسمه (وما مالك) الاستفهام للتعظيم والتفخيم على حد الحاقة ما الحاقة اشارة الى انه فوق ما يوصف ويذكر بعد (مالك خير من ذلك) أى من زوج التاسعة أو مما ذكره السابقات فى مدح أزواجهن (له ابل كثيرات المبارك) بفتح الميم جمع مبرك وهو محل بروك البعير أو زمانه أو مصدر ميمى بمعنى البروك (قليلات المسارح) جمع مسرح

والسلام وهى هيبته وأيضا فتلك كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بأمر الله تعالى من غير واسطة نبيا عليه السلام فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير كما صليت على ابراهيم عليه السلام

(وعلى لما تفلت بعينيه وكلتا هما معار مداه
فغدا ناظرا بعيني عقاب * فى غزاة لها العقاب لواه) (٥٥)

اسم محل أو زمان أو مصدر ميمى من سرحت الماشية أى رعت والمتبادر من الكلام ان المعنى ان معظم الاوقات تكون ابله حاضرة معدة لمن ينزل به من الضيفان ولا يسرحها الا قليلا قدر الضرورة لكن يلزم من هذا ان تكون شديدة الهزال ولذلك قيل ان المراد انها كثيرة فى حال بروكها قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها فى مباركها للاضياف وقيل غير ذلك (اذا ما معن صوت المزهر) بكسر الميم عود مشهور يضرب به عند الغناء (أيقن انهن هو لك) لما عودهن انه اذا نزل به ضيف نحر لهم منها وكانت العرب تتلقى الاضياف بالملاهى فرحابهم (قالت الحادية عشرة) بالتاء المفتوحة فيهما والشين ساكنة وبنو تميم يكسرونها (زوجى أبو زرع وما أبو زرع) لعله كنى به لكثرة زراعته أو تفاؤلا بكثرة أولاده (اناس) بزنة اقام من الناس وهو تحرك الشئ مضطربا واناسه حركه غيره أى أثقل (من حلى) بضم الحاء جمع حلية (أذنى) أى جعل لها قرطا يئوس أى يتحرك (وملأ من شحم عضدى) تريد انه سمنها باحسانه اليها وخصت العضدين بالذكر لانهما اذا سمنتا سمن سائر الجسد (وبجحنى فبجحت) بكسر الجيم وتفتح (الى نفسى) قال ابن الانبارى معناه عظمنى فعظمت عندى نفسى يقال فلان يتبجح بكذا أى يفخر ويترفع ومنه قول الشاعر

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا * اليك ولكنا بقربك نبجح

أى نفخر بقربنا منك (وجدنى فى أهل غنيمة بشق) بكسر الجيم عند أهل الحديث أى مشقة وضيق فى العيش وبفتحها عند أهل اللغة موضع بعينه أو ناحية من الجبل يشق فيه غار ونحوه وقيل هما لغتان بمعنى الموضع (فجعلنى فى أهل صهيل) أصوات الخيل (وأطيط) أصوات الابل وقد يطلق على صوت غيرها والمراد أهل خيل وابل تريد انهم كانت فى أهل فقر ومسكنة فنقلها الى أهل ثروة وكثرة ولذلك أيضا قالت (ودائس) اسم فاعل من داس الطعام يدوسه دياسة أى درسه ليخرج الحب من السنبل تريد انهم أصحاب بقر ودواب وزرع وقيل الدائس الانذر (ومنق) بفتح النون من التنقية تريد من ينقى الطعام من الغلث بغربال أو غيره وقيل بكسر النون مأخوذ من النقيق وهو صوت الدجاج وقيل الاولى تفسيره بذابح الطير لانه عند ذبحه ينق فيصير هو ذا نقيق أى جعلنى من أهل ذابحى الطيور وطاعمى لحومها (فعنده أقول) ما شئت من الاقوال (فلا أقبح)

على هو ابن أبى طالب كرم الله وجهه معطوف على العلوم وغدا ذهب والعقاب بضم العين طائر معلوم من الصقور وفى الكامل هو سيد الطيور له بصر قوى ومن امثالهم أبصر من عقاب والغزاة هى غزوة خيبر وهو بلد كبير ذو حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام فى سنة سبع وضمير لها عائد على الغزاة والعقاب راية للنبى صلى الله عليه وسلم قال فى المنح أراد بقوله لواء الراية اذ هو العلم الضخم لان الذى كان يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت الالوية فقط نعم قال عياض فى مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز فى النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها سوداء ولون العقاب أسود وكانت من برد لعائشة رضى الله تعالى عنها ذكر ذلك كله أهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطى وغيره وبين عقاب والعقاب الجناس التام وفى الصحاح الالوية المطارد وهى دون الاعلام والبنود وفى البخارى من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفيه ان على بن أبى طالب تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم لرمد به فلحق فلما كانت ليلة الفتح قال لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله

عليه فلما أصبح استشرف الناس لها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل يارسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث روى انه لما ذهب بالراية هرول حتى ركزها في رضم من حجارة تحت الحصن فقال له يهودي من الحصن من أنت قال انا علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما أنزل على موسى بن عمران عليه السلام فما رجع حتى فتح الله تعالى عليه وعند قتاله ضربه يهودي فطرح ترسه عن يده فأخذ بابا فتترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية أرادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فحزروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلا وفي رواية سبعون توفي رضي الله تعالى عنه شهيدا وهو خارج لصلاة الصبح ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكا اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا عليهم ان يبدل خيرا منهم وأن يبدلوا شرا منه وا كثر في تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو ما يقول والله تعالى ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان له اوز فلما خرج صحن في وجهه فطردن عنه فقال دعوهن نوائح وماتت ليلة الاحد واختلف في موضع قبره لانه أخفى خوفا من ان ينبشه الخوارج وروى انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندا الجمل فلم يدر أين ذهب فلذلك قال أهل العراق انه في السحاب

أي لا يرد علي قولي لكرامتي عليه ولا يقبحه لقبول كلامي وحسنه لديه (وارقد فاتصبح) أي أنام الصبحة وهي أول النهار لاني مكفية عنده بمن يخدمني ويخدمه فلا يوقظني لخدمته ومهنته اذ لا ينام الصبحة الا من كان كذلك (واشرب فاتقمح) أي أروى حتى أدع الشراب من كثرة الري وكأنها احتاجت الى ذكر هذه القلة الماء عندهم وروى فاتقنح بالنون وهو الري بعد الري أو الشرب على رسل لكثرة اللبن أي فلا يقطع على شربي ولم تذكر الاكل لعلمه مما سبق أو اكتفاء بالشرب لانه فرع الشبع (أم أبي زرع فأم أبي زرع) انتقلت الى مدح أمه مع ما جبل عليه النساء من كراهية أم الزوج اعلاما بامتلاء قلبها من محبته حتى أحبت كل من له تعلق به (عكومها) بضم العين وتفتح جمع عكم بالكسر بمعنى العدل اذا كان فيه متاع أي أوعية أمتعتها (رداح) بفتح الراء وروي بكسرها أي كبيرة متسعة وأخبرت عن الجمع بالمفرد على ارادة كل عكم منها رداح أو على أن رداح هنا مصدر كالذهاب ويحتمل أن تريد كفلها وموخرها وكنت عن ذلك بالعكوم وامرأة رداح عظيمة الكفل (وبيتها فساح) أي واسع يقال بيت فسيح وفساح ويحتمل أن تريد خير بيتها وسعة مالها (ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضجعه) أي مرقده (كمسل شطبة) هي جريدة النخل الخضراء الرطبة تعني ان مضجعه كموضع سل عنه شطبة أو كغلاف السيف فهو مهفهف نحيف (وتشبعه ذراع الجفرة) أنثى ولد المعز وقيل الضأن اذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فهو قليل الاكل مدحته بالضمور والنحافة وقلة الاكل وذلك محمود في الرجال (بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها) أعيد طوع اشعارا بالكثرة والمعنى لا تخالف أبويها في أمر ولا نهي (وملء كسائها) لسمنها وهو مطلوب في النساء وفي رواية وصفر ردائها بكسر الصاد وسكون الفاء وهو الخالي فقيل المراد انها خفيفة أعلى البدن ممتلئة أسفله وهو مكان الكساء لرواية وملء ازارها وقال القاضي عياض الاولى أن المراد امتلاء منكبيها وقيامها نهديها بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فلا يمسه فيصير خاليا بخلاف أسفلها (وغيظ جارتها) أي ضرتها أي لحسنها وجمالها ووضاءتها وعقلها وأدبها وفي رواية وعقر جارتها بفتح العين وسكون القاف أي هلاكها من الغيظ والحسد وفي رواية وعبر بضم العين وسكون الموحدة من الاعتبار او العبرة أي البكاء أي ترى من حسنها

(وبريحانتين طيبهما منك الذى أودعتهما الزهراء)

يعنى الحسن والحسين رضى الله عنهما وفى البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وفى رواية ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا وقوله طيبهما أى حسا ومعنى حاصل منك لانهما بضعتان منك وطيبه صلى الله عليه وسلم معروف بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتأولهما بالمذكور أى الذى أودعتهما بالبناء للمفعول الزهراء هى فاطمة سيدة نساء العالمين رضى الله تعالى عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بقوله أودعتهما الى ما هو من خصائصه أن أولادها ينسبون اليه فى الكفاءة وغيرها لانه جعلها مستودعة فهو صلى الله عليه وسلم الذى أودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت الزهراء لانها لم تحض كما فى حديث رواه الغسانى وروى الخطابى ان ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وسميت فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار رواه الغسانى مرفوعا وأخرج الحافظ الدمشقى مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير كذا فى المواهب وأخرج الطبرانى والخطيب

مانعتبر به أو ما يكيها (جارية أبى زرع فما جارية أبى زرع لا تبث) بضم الموحدة وتشديد المثلثة وروى بالنون بدل الموحدة ومعناهما واحد أى لا تنشر ولا تظهر ولا تشيع (حديثنا) أى كلامنا وأخبارنا (تبثيثا) مصدر مؤكد من غير بابه (ولا تنقث) بضم القاف وبالمثلثة وروى ولا تنقل وهما بمعنى (ميرتنا) أى طعامنا أى لا تفرقه ولا تفسده لامانتها (تنقيثا) مصدر من غير بابه وروى ولا تنقت بكسر القاف المشددة والتاء المثلثة فهو مصدر مؤكد للمبالغة فى وصفها بالامانة والديانة والصيانة (ولا تملأ بيتنا تعشيشا) بمعنى انها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه والقاء كناسته وعدم تركها فى جوانبه كانها أعشاش الطيور وفى رواية بالغين المعجمة أى غشابا لخيانة فى طعام أو بالنميمة (قالت) أى أم زرع (خرج أبو زرع والاوطاب) زقاق اللبن جمع وطب (تمخض) أى تحرك لاستخراج الزبد والجملة حال من فاعل خرج (فلقى امرأة معها ولدان كالفهدين) تثنية فهد وهو سبع مشهور يضرب به المثل فى كثرة النوم والوثوب ومن خلقه انه يأنس بمن يحسن اليه فالتشبيه فى الوثوب واللعب (يلعبان من تحت خصرها) بفتح الخاء المعجمة أى وسطها وفى رواية من تحت صدرها (برمانتين) قال أبو عبيدة تعنى أنهما ذات كفل عظيم فاذا استلقت على قفاها ارتفع الكفل بها من الارض حتى يصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان قال القاضى عياض وذهب بعضهم الى ان المراد بالرمانتين هنا الثديان وهو عندى اظهر واشبه ولا سيما وقد روى من تحت صدرها ومن تحت درعها ولان العادة لم تجر برمى الصبيان الرمان تحت أصلاب أمهاتهم ولا استلقاء النساء لهم لذلك حتى يشاهد ذلك منهن الرجال والاشبه أنهما رمانتا النهدين شبهتا بذلك لنهودهما ودل ذلك على صغرها وفتاء سنها (فطلقنى ونكحها) رجا بنجابة الولد لما رأى من نجابة ولديها اذ كانوا يرغبون ان يكون أولادهم من النساء المنجبات فى الخلق والخلق (ونكحت) بالواو وفى نسخة فنكحت (بعده رجلا سريا) أى شريفا أو سخيا (ركب شريا) أى فرسا فائقا جيدا يستشرى فى سيره أى يمضى بلا فتور ولا انكسار (وأخذ خطيا) بتشديد الطاء والتحتية بعد الخاء المعجمة المفتوحة وتكسر أى رمحا منسوبا الى الخط قرية فى ساحل البحر عند عمان والبحرين (وأراح على نعما) أى أتى بها الى مراحها بضم الميم وهو موضع مبيتها (ثريا) بمثلثة أى كثيرة ومنه الثروة فى المال أى كثرته (وأعطانى من كل رائحة) أى من كل

٨ ش نى ان الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

(كنت تأويهما اليك كما آ * وت من الخط نقطتيها الياء)

أى نضمهما المزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما وأخرج الترمذى والطبرانى هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما

وأحب من يحبهما وروى الترمذى أحب أهل بيتى الى الحسن والحسين وروى أحمد وابن ماجه والحاكم من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى وجاء من طرق صح بعضها ابناى الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وفى قوله أبوهما خير منهما حجة لاهل السنة أن الائمة الاربعة أفضل من أهل البيت علما وعملا ومعرفة نعم هما أفضل من جهة انهما بضعة (٥٨) من النبى صلى الله عليه وسلم واستشكل قوله سيدا شباب أهل الجنة بانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها الشباب والكهول والشيوخ ولكن ورد ان كل من يدخلها يكون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة والظاهر كما قال شيخ شيوخنا ان المراد هما سيدا أهل الجنة مع كونهم شبابا أى ان أهل الجنة مع كمال حسنهم وقوتهم ونضارتهم ورونقهم وبهجتهم فالحسن والحسين سيداهم فلفظ شباب ليس للتخصيص وتقسيم المفضل عليهم الى شباب وغيرهم بل لبيان كمال المفضل عليهم وذلك مستلزم لكمال التفضيل ومقتض لغاية شرف المفضل ويشهد لذلك ما فى بعض روايات الحديث سيدا أهل الجنة وهو مخصص بمن عدا الانبياء والمرسلين لقيام الدليل القاطع وهنا وجه آخر وهو ان يراد بشباب أهل الجنة أنضرهم وأكملهم حسنا وأعلاهم جمالا أطلق عليه اسم الشباب لان مسماه لغة أحسن من الكهول والشيوخ والصبيان والنساء فاعل آوت أى ضمت ومن الخطا حال منه وفى البخارى عن الحسن رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يأخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول اللهم انى أرحمهما فارحمهما وصح عن اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال طرقت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو مشتمل على شئ فلما ما هذا فكشف فاذا هو حسن وحسين على وركيه الشريفين فقال اللهم هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم أحبهما وأحب من يحبهما وصح انه

ما يروح الى المراح من الابل والبقر والغنم والعبيد (زوجا) أى اثنين وقد يطلق الزوج بمعنى الصنف ومنه قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة (وقال) أى الزوج الثانى (كلى أم زرع ومرى) أى اعطى (أهلك) أمر من المرة وهو الطعام الذى يمتاره الانسان أى يجلبه لاهله يقال مار أهله يميرهم قال الله تعالى ونمير أهلنا ثم وصفت كثرة نعم أبى زرع وكرمه بقولها (فلو جمعت كل شئ أعطانيه) أى هذا الزوج الثانى (ما بلغ أصغر آنية أبى زرع) أى قيمتها أو قدرها وقال القسطلانى والظاهر انه للمبالغة والا فالاناء لا يسع ما ذكرت انه أعطاها من أصناف النعم والحاصل انها وصفت هذا الثانى بأنواع السودد ومع ذلك لم يقع عندها موقع أبى زرع فرأت أن قليل أبى زرع لا يقوم له كثير هذا الثانى وذلك لان حبها لابى زرع الذى هو أول زوج لها بغض لها الازواج فسكنت محبته فى قلبها كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذا كره أولو الرأى تزوج امرأة لها زوج طلقها مخافة ان يميل قلبها اليه ولذا قيل الثيب نصف المرأة وقد قال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال فجعلناهن ابكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين وقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قلت ولعل النبى صلى الله عليه وسلم انما تزوج الثيبات مع حضه على الابكار للامن من ميلان قلب أزواجه لغيره صلى الله عليه وسلم لانه أحسن العالمين خلقا وخلقا فشاهدة طلعته الشريفة ورؤية محاسنه المنيفة توجب الاستغراق فى محبته وعدم القناعة من صحبته وتقديمه على الآباء والبنين وقلة الصبر عنه فى كل حين نعم يفوت فى تزوج الثيب كمال التلذذ الحاصل فى تزوج البكر وفى الحديث فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما (قالت عائشة) رضى الله عنها (فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابى زرع لام زرع) زاد فى بعض الروايات غير انى لم أطلقك وقال العسقلانى زاد فى رواية الهيثم بن عدى فى الالفة والوفاء لا فى الفرقة والخلاء وزاد النسائى فى روايته له والطبرانى قالت عائشة يا رسول الله بل أنت خير من أبى زرع وفى رواية الزبير بابى وأمى لانت خير لى من أبى زرع لام زرع وكانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييبا لها وطمأنينة لقلبها ومبالغة فى حسن عشرتها قال ابن حجر وأخبر صلى الله عليه وسلم بقوله كنت الخ عما مضى الى وقت تكلمه بذلك وأبقى المستقبل الى علم الله فلا حاجة مع ذلك الى جعل كان للدوام

صلى الله عليه وسلم أقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه التخصيص بالياء انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء

(من شهيدين ليس يغسيني الطف مصابيهما ولا كربلاء)

أي كان فيما مضى وهو كذلك ابدا اذ هو خروج عن الظاهر من غير دليل ولا ضرورة ولا الى القول بأنها زائدة لان الزائدة غير عاملة فلا يوصل بها الضمير الذي هو المبتدأ في الاصل اه بمعناه أي ولا الى القول بأن المراد كنت لك في قضاء الله تعالى وسابق علمه وفي هذا الحديث جواز اخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم وحسن صحبته اياهم واحسانه اليهم وتذكيرهم بذلك وفي تحديث النساء بهذا الحديث منفعة في الحض على الوفاء للزوج كما في كلام أم زرع والصبر على الازواج كما في حديث غيرها وفيه حل الاخبار عن الامم الماضية وفيه ان المحبة تستر الاساءة لان أبا زرع مع اساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه الى ان بلغت حد الافراط والغلو وفيه ان ذكر مساوي من ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة بل ولا يتوهم فيه ذلك لان عائشة انما ذكرت نساء مجهولات ذكرن مساوي عن أزواج لهن مجهولين فلها في ذلك كحال من قال في العالم من يعصي الله ومن يسرف ومثل ذلك لا يتوهم احد أنه من الغيبة في شيء فان كان معينا عند المتكلم دون السامع فالذي رجحه القاضي عياض انه لا حرمة اه قال ابن حجر وقضية مذهبنا بخلافه لان أئمتنا صرحوا بحرمة الغيبة بالقلب وبالضرورة ان الغيبة بالقلب لا يطلع عليها أحد فاذا حرمت به فاولى حرمتها باللسان ولو بحضرة من لا يعرف المغتاب اه قال في جمع الوسائل والاظهر قول القاضي لورود أحاديث ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ولا شك انهم كانوا معينين عنده صلى الله عليه وسلم الا أن يقال لا يلزم من جواز ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لما يترتب عليه من الحكم والمصالح الدينية والدنيوية جواز الغيبة القلبية والله أعلم اه بالمعنى قال ابن حجر العسقلاني وقد شرح هذا الحديث جماعة وافرة من أهل العلم وأجمع شروحه وأوسعها شرح القاضي عياض المسمى بغنية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد ومنه أخذ غالب الشراح وقد لخصت جميع ما ذكروه اه ثم ذكر فوائد الحديث فانظره ان شئت

(باب صفة نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكره عقب السمر لما بينهما من المناسبة وفي نسخة باب ما جاء في نوم الخ (حدثنا محمد بن المثنى نا عبد الرحمن بن مهدي نا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن يزيد عن

الله تعالى عنهما أما الحسن فولد في النصف من شهر رمضان بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وتوفي سنة خمسين عند الجمهور مسموما وروي أن يزيد بن معاوية ارسل لزوجته جعدة الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فرض أربعين يوما ومات وبعثت ليزيد بما وعدها فابى وجهد به أخوه الحسين أن يخبره بمن سمه فابى وقال الله تعالى أشد نقمة وقد حضرت وفاتي ودنا فراقي للدنيا وانى لاحق بربي وأجد كبدي تتقطع وانى لعارف من أين دهيت فبحق عليك لا تكلمت في ذلك بشيء ثم قال وأقسم عليك أن لا تريق في أمري محجمة دم وقال له لما احتضر يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله تعالى عنه الى الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى أن يجمع الله تعالى فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان منعوك فلا تراجعهم فلما مات سأل الحسين عائشة فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان وكان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح فرده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب أمه وكان مروان يكثر من اذايته فلما مات بكى في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا وأشار الى الجبل يريد وكان مروان شديد البغض لاهل البيت وروى

الحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو له فاتى عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا مروان ومروان فى صلبه ومذهب مالك ان مروان غير صحابى فانه قال ولد مروان يوم أحد قال أبو عمر فعلى قول مالك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين أو نحوها ولم يره لانه خرج الى الطائف طفلا لا يعقل مع ابيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر اليه على يوما فقال ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اذا شاب ذراعاك وصح ان الحسن جج خمسا وعشرين مرة ماشيا وان النجائب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات ومناقبه وكراماته كثيرة * وأما الحسين رضى الله تعالى عنه فولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع قال الواقدى حملت فاطمة بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة واستشهد يوم الجمعة عاشر المحرم سنة احدى وستين وحز رأسه الشريف وذهب به الى يزيد الخبيث للشام مع نسائه ومن بقى من آله ووجد به احدى وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد عقيل وجعفر تسعة عشر رجلا قال الحسن البصرى ما كان لهم على وجه الارض يومئذ شبيه واختلفوا هل كان ذلك بامر يزيد أم لا وقد روى انه لما بلغه رأس الحسين ضرب ثنايا بقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على أعقاب الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشوفات الوجوه والرؤس وأقيموا على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى * واذا قال الامام أحمد بلعنه وكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بأنه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة فى ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالى فانه أطال

البراء بن عازب) عبد الله بن يزيد لم يدرك البراء فالحديث منقطع قاله المناوى (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أخذ مضجعه) أى أراد النوم فى مضجعه بفتح الميم والجيم وتكسر محل الاضطجاع (وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن) فيه دليل ندب النوم على الشق الايمن وفى رواية مسلم وغيره يضطجع على شقه الايمن والاولى تعليل النوم على الايمن بتشريفه وتكريمه وايثاره على الايسر ولان النوم أخو الموت والمطلوب ان يكون الميت على شقه الايمن تفاؤلا بأن يكون من أصحاب اليمين وأما تعليل ذلك بانه أسرع للانتباه لعدم استقرار القلب حينئذ لانه معلق بالجانب الايسر فيبقى القلب قلقا فلا يستغرقه النوم فبحوث فيه اما أولا فيمنع ان القلب معلق بالجانب الايسر انظر الافادات للشاطبى وفتح المتعال للامام المقرى واما ثانيا فعلى تسليم ذلك فقد قال المحقق أبو زرعة اعتدت النوم على الايمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت فى دعة وراحة واستغراق واذا نمت على الشق الايسر حصل عندى قلق لذلك وعدم استغراق فى النوم اه والنوم على الظهر من أردا النوم بخلاف مجرد الاستلقاء عليه من غير نوم وأردأ منه النوم منبطحا على الوجه وقد روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم لما مر بمن هو كذلك فى المسجد ضربه برجله وقال قم أو اقعد فانها نومة جهنمية قال فى جمع الوسائل ولعل السبب فيه أنه موافق لرقاد اللوطية المحرك للناظر داعية الشهوة النفسية (وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وانما قال ذلك مع عصمته اظهارا للخوف والعبودية والافتقار لما عند الله تعالى ورغبة فى خيره والاعتراف بالتقصير فى حقوق ربوبيته وتعليما لامته ان يقولوا ذلك عند النوم لاحتمال ان هذا خاتمة العمر فيكون خاتمة عملهم ذكر الله والتواضع له والرجوع اليه بصفة الذل والافتقار والخضوع والانكسار ففى هذا دليل لندب الذكر عند النوم وفيه تنبيه على مطلوبية التفكر فى البعث والاهتمام بامور القيامة وما يكون فيها من الاهوال وجعل الموت وما يكون بعدها نصب العين وقد ورد فى الصحيح ان جهنم تجىء يوم القيامة معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر زفرة فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب الا جثا على ركبتيه أعاذنا الله منها بمنه ومن آداب النوم الوضوء لقوله فى حديث البخارى ومسلم اذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث أى مخافة الموت على غير طهارة وقد ورد ان الانسان يبعث على الحالة

فى رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا أمر بقتله ثم بالغ فى تحريم سبه ولعنه وكذلك
ابن العربى بل قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده أى بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه وقد كانت
سبقت بيعة يزيد ولا يجوز الخروج على من ثبتت بيعته ويرد هذا بأنه انما يصح بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على
تحريم الخروج على الجائر بعد تلك الاعصار بزمان واجتهاد الحسين اقتضى الخروج على يزيد لجوره بل

الحالة التى مات عليها ولما ورد من ان روحه تسجد تحت العرش ولان ذلك أقرب لصدق
رؤياه لان الوضوء سلاح المؤمن فيحفظ من تلاعب الشيطان وتروعه ولما جاء انه فى
صلاة أو ذكر حتى يستيقظ وكما ينبغى للنائم ان يكون على طهارة حسية يطلب منه أيضا
ان يبيت على طهارة معنوية بان لا يبيت وفى قلبه غل على مسلم * قال المصنف (حدثنا
محمد بن المثنى نا عبد الرحمن) أى ابن مهدى كما فى نسخة (نا اسرائيل عن أبى اسحق
عن أبى عبيدة) مصغرا واسمه عامر بن عبد الله بن مسعود (عن عبد الله) أى ابن مسعود
(مثله) أى فى صدر الحديث (وقال يوم تجمع عبادك) أى بدل يوم تبعث عبادك ولا بد من
البعث والجمع الا ان البعث يكون أولا والجمع يكون ثانيا والنشر ثالثا * قال المصنف
(حدثنا محمود بن غيلان نا عبد الرزاق نا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن ربعى)
بكسر الراء وسكون الموحدة من التابعين (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة (عن حذيفة
قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أوى) بالقصر وقد يمد أى دخل بقصد النوم (الى
فراشه قال اللهم باسمك أموت وأحيا) يحتمل ان يكون المعنى على ذكرى لاسمك أموت
وعلى ذكرى أحيا ما حييت فيكون اشارة الى انه لا يزال معظما للسيد لاهجا بالثناء عليه
مستهترا بذكره لا يفارق ذلك قياما بواجب بره وشكره ويحتمل ان يكون لفظ الاسم مقحما
والمعنى بك أموت وأحيا أى أنت تحيينى وأنت تمتنى فيكون اعترافا بالعجز وتبرؤا من
الحول والقوة وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وانه تعالى
هو النافع الضار ولا ملجأ ولا منجى منه الا اليه ويحتمل ان المراد باسمك الميت أموت
وباسمك المحيى أحيا فانه تعالى سمى نفسه بالاسماء الحسنى ومعانيها ثابتة له فيكلما ظهر فى
الوجود فهو آثار أسمائه (واذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه
النشور) معنى أحيانا أى أيقظنا ومعنى أماتنا أنامنا فجعل اليقظة حياة والنوم موتا
وذلك مشعر بان المراد بالموت فى قوله باسمك أموت النوم وان المراد بالحياة فى قوله
وباسمك احيا اليقظة فيكون نظير الحديث الآخر اللهم باسمك وضعت جنبى وباسمك
ارفعه ومعنى واليه النشور ان اليه المرجع بالبعث بعد الموت ففيه انه ينبغى لمن استيقظ
من نومه ان يتذكر بذلك الموت بعد البعث وان الامر ليس هملا وانه لا بد من مرجع
الخلق كلهم الى دار الثواب والعقاب ليجزوا باعمالهم وان يكرر ذلك على قلبه كلما نام

لم يبايعه الحسين ولا كثير والمبايعون له مكرهون على بيعته ويمثل هذا يجاب عن خروج معاوية على على والحسن فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير آثم لاجتهاده فالحسين كذلك وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة وذلك أنه لما مات معاوية وبويع ليزيد سنة ستين أرسل الى عامله بالمدينة وهو الوليد بن عقبة ان يأخذ له البيعة على الحسين فقر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه أهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحى عنهم ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وأمره ان لا يذهب باهله ان ذهب وبكى ابن عباس وقال واحسيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال أستودعك الله تعالى من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق أحد بمكة الا حزن لمسيره ولما بلغ ذلك أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ حصيرا بين يديه وكان مما بعثه على

الخروج مخافة ان يستباح حرم مكة بسببه ولذلك لما نهاه ابن عباس قال له لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب الى أن يستحل بى قال ابن عباس فذلك سلى نفسى عنه وفى رواية انه قال لابن الزبير ان أبى حدثنى ان لمكة كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون ذلك الكبش ولأن أقتل خارجا بشبرين أحب الى أن أقتل داخلها بشبر واحد وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا ثم خذلوه وسار الحسين غير عالم بذلك فلقى الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك

وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وروى ان الحسين رضى الله تعالى عنه أنشد الفرزدق

فان تكن الدنيا تعد نفيسة * فان ثواب الله أعلى وأنبل
وان تكن الابدان للموت أنشئت * فقتل امرئ فى الله بالسيف أفضل
وان تكن الارزاق قسما مقدرا * فقلة حرص المرء فى الكسب أجمل

(٦٢)

وان تكن الاموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخل

ولما وصل القادسية تلقاه الخبر وأمر بالرجوع فقال أخو مسلم لا نرجع حتى نأخذ بثارنا أو نقتل فسار فلقيه أوائل خيل عبد الله بن زياد فعدل الى كربلاء فجهز اليه عبيد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وقالوا تنزل على حكم ابن زياد فابى فقاتلوه فحمل عليهم وسيفه مصلت فى يده وانشأ يقول

انا ابن على الخير من آل هاشم
كفانى بهذا مفخرا حين أفخر
وجدى رسول الله أكرم من مشى
ونحن سراج الله فى الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد
وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا
وفينا الهدى والوحى بالخير يذكر
ولما بلغ القتل فى آله حسين
صاح أما ذاب يذب عن حريم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج يزيد بن الحرث فقاتل بين
يديه حتى قتل وكان أكثر مقاتليه
الذين كاتبوه ولولا أنهم حالوا بينه
وبين الماء ما قدروا عليه وقاتل قتال انجد الشجعان وقتل رضى الله عنه عددا كثيرا من أبطالهم وشجعانهم حتى قتل * ومن فضائله حديث حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط وفى رواية الحسن والحسين سبطان من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول وأراه من تربة الارض التى يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها انه يوم قتله يتحول دما فكان كذلك

واستيقظ حتى تصير الآخرة نصب عينيه ويرحم الله القائل

فلو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شى

وقيل معنى كون النشور اليه انه من عنده تعالى وبيده لا مدخل فيه لغيره ووجه الحمد بعد اليقظة كما أشار اليه الطيبى ان منافع الحياة التى يفوز الانسان بثوابها انما تتأتى فى اليقظة فناسب المستيقظ ان يحمد الله على الاستيقاظ من النوم الذى هو كالموت لا تحصل معه منافع الحياة وقد ورد بقية عمر المؤمن ما لها ثمن قال فى الاكمال وفائدة الذكر اذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الايمان بالله تعالى وذكره والاعتراف بان الامور كلها له وبيده ويفتتح يومه بالكلام الطيب * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا المفضل) هو أبو معاوية المصرى (ابن فضالة) بفتح الفاء (عن عقيل) بالتصغير (أراه) بضم الهمزة أى أظنه رواه (عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه كل ليلة) ظاهره فى الصحة والمرض وفى البخارى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها فظاهر هذه الرواية ان ذلك خاص بالمرض (جمع كفيه فنفث فيهما) قال النووى فى الاذكار قال أهل اللغة النفث نفخ لطيف بلا ريق قال أبو عبيدة وأما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (وقرأ فيهما) بالواو وكذا هو فى صحيح البخارى فى كتاب الدعوات (قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) وهى المسماة بالمعوذات كما فى البخارى قال العسقلانى أى يقرأ هذه السور وينفث حال القراءة فى الكفين المجتمعين اه وظاهره ان الواو هنا لعطف أحد المتصاحبين على الآخر وبعضهم جزم بان النفث بعد القراءة لان الواو لا ترتب فيحمل على النفث بعد القراءة وفى المشكاة فقرأ فيهما بالفاء وفى صحيح البخارى فى كتاب فضائل القرآن ثم نفث فيهما فقرأ فيهما بالفاء أيضا وظاهره يدل على ان النفث قبل القراءة واستبعد ذلك بعض العلماء بان ذلك لا فائدة فيه وأجاب بعضهم بان الحكمة فيه مخالفة السحرة وقيل معناه أراد النفث فقرأ ونفث وبعضهم حمله على التقديم والتأخير أى جمع كفيه وقرأ فيهما فنفث قال فى جمع الوسائل أو تخريج رواية الفاء على رواية الواو التى

وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلاء وفى رواية فاشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلاء بالطف كذا قيل وقيل كربلاء قريب من الطف وروى الطبرانى أما حسن فله هيبتى وسوددى وأما حسين فله جرأتى وجودى * وروى البغوى وغيره سمى هرون ابنيه شبرا وشبيرا وانى سميت ابنىّ الحسن والحسين وجاء أن العرب لم تسم بهما فى الجاهلية وعما ظهر من الآيات يوم قتله ان السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حتى رئيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الارئ تحته دم عبيط وان الورس انقلب دما وان الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة أشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك * وعن ابن سيرين أخبرنا ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين قال ابن الجوزى وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تأثير غضبه من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وقوله ليس ينسينى الطف باظهار اعراب لام المعتل ضرورة كقوله ولم تكن * تساوى عندى غير خمس دراهم

وفى نسخة ينسينى الطف ومصابيهما أى مصيبتهما وفجيعتهما ورزيتهما والمراد أحدهما وهو الحسين على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط وأما الحسن فانما مات بالمدينة وكربلاء تقدم انه موضع قريب من الطف أو هو عينه وهما من العراق وقبره هنالك معروف يزار ويتبرك به قاله ابن حجر * وقال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات ان بعض عمال مصر أعطى على الرأس الشريف لحوا من ثلاثين ألف دينار ونقله الى مصر وبنى عليه المشهد الحسينى وخرج هو وعسكره الى نحو الصالحية بطريق الشام مشاة حفاة يتلقون الرأس فوضعه فى برنوس

فى صحيح البخارى فقد نص الفراء كما فى المغنى على ان الفاء لا تقتضى الترتيب كالواو وفى القاموس أيضا أن الفاء تأتى بمعنى الواو وأما حمل رواية الفاء على السهو من الكاتب أو الراوى فبعيد لان فتح هذا الباب يؤدى الى اختلاط الخطا والصواب اه بمعناه وحمله بعضهم على ان النفث وقع قبل القراءة وبعدها أيضا والحاصل انهم اختلفوا فجزم بعضهم بان النفث قبل القراءة وهو المتبادر من الخبر سيما على رواية الفاء ووجهه مخالفة السحرة وجزم بعضهم بتأخيره عن القراءة قائلا ان الواو لا ترتب وتحمل رواية الفاء على رواية الواو وقال بعضهم هما سيان (ثم مسح بهما ما استطاع) أى ما اتصل اليه يده (من جسده) أى بدنه وأعضائه (يبدأ بهما) أى بكفيه (رأسه) فى رواية البخارى على رأسه (ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك) أى ما ذكر من الجمع والنفث والقراءة والمسح (ثلاث مرات) كل مرة يجمع كفيه وينفث ويقرأ ويمسح ولم يذكر من رأيت من الشراح المسح واتى ذكروا الثلاث الاول وفى هذا الحديث التعوذ والقراءة عند النوم لان الانسان عرضة لتسلط الشياطين عليه واذايتهم من الحشرات والهوام ومن حياة الحيوان فى ترجمة العقرب عن معروف الكرخى قال بلغنا ان ذا النون المصرى خرج ذات يوم لغسل ثيابه فاذا هو بعقرب قد أقبل عليه كاعظم ما يكون من الاشياء ففزع فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفى شرها فاقبلت حتى ولجت النيل فاذا هى بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها الى الجانب الآخر فصعدت ثم سعت وأنا اتبعها الى شجرة كثيرة الاغصان كثيرة الظل واذا غلام أمرد نائم تحتها وهو محمور فقلت لا قوة الا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى فاذا بثنين قد أقبل يريد قتل الغلام فظفرت به العقرب ولدغت دماغه الى ان مات ورجعت الى الماء وعبرت على ظهر الضفدع الى الجانب الآخر فانشأ ذو النون المصرى يقول

يا راقدا والليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فواتح النعم

فانتبه الفتى على كلام ذى النون المصرى فاخبره الخبر فتاب ونزع ثياب اللهو ولبس ثوب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله وعما ورد لحفظ النائم آية الكرسى

من حرير أخضر على كرسي آبنوس وفرشوا تحته الطيب والعنبر والمسك أنظر الطبقات

(مارعى فيهما ذا ماملذ مرؤ * س وقد حان عهد لذ الرؤساء)

أى مالاحظ ولاراقب والذمام الحرمة ومرؤس تابع كجعدة فى الحسن وابن زياد واتباعه فى الحسين والرؤساء المتبعون المقردون فى الظلم كيزيد نهما فارا بمنزلة الشهادة (٦٤) العظمى والفوز بها بخسارة الدنيا والاخرى

(أبدلوا الود والحفيظة فى القر
بى وابدت ضبابها الافقاء)

فاعل ابدلوا يعود على المرؤسين والرؤساء والود المحبة التى أوجبها الله تعالى فى القربى والحفيظة الحمية والغضب والمراد بالقربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل بيته يعنى تركوهما وأخذوا يضديهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى الدال على وجوب مراعاتهم ومراقبتهم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى على القول بان المراد بالقربى القرابة روى عن الحسن بسند حسن انه خطب خطبة بليغة فيها انا الحسن بن محمد أنا ابن البشير أنا ابن النذير وأنا من أهل البيت الذى افترض الله تعالى مودتهم وموالاتهم على كل مسلم فقال عز وجل فيما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وفى رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنة مودتنا * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند فيه شيعى غال لكنه صدوق أنه لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا محبتهم قال على وفاطمة وابناهما * وروى عن ابن عباس غير هذا وأخرج الطبرانى عن زين العابدين انه لما جئ به أسيرا عقب مقتل أبيه وأقيم على درج مسجد دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة

لقضية أبى هريرة وورد أيضا آخر البقرة وآخر الاسراء قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الخ وفيه الاستشفاء بالقرآن والتبرك به وقد نص العلماء على انه لا تستطر الرحمة أبدا بارجى من كتاب الله قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الواحدى فى تفسيره قال ابن عباس يريد شفاء من كل داء بمعنى انه يتبرك به ويدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤيد هذا ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وقوله ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس يريد ثوابا لا انقطاع له اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن سلمة بن كهيل عن كريب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ) أى بفمه (وكان) أى من عادته (اذا نام (٣) نفخ فاتاه بلال فآذنه) بالمد أى أعلمه (بالصلاة) أى صلاة الصبح أو الظهر (فقام وصلى ولم يتوضأ) لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان وضوأه لا ينتقض بالنوم مطلقا لانه تنام عينه ولا ينام قلبه فلو وقع حدث لاحس به وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ اذ لا يدرى ما هو فيه قاله ابن حجر ويحمل ما ورد عن أنس كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن على النوم الخفيف دون الثقيل (وفى الحديث قصة) تأتى قريبا فى باب العبادة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عفان) بالصرف وبدونه (نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا) قال ابن حجر وغيره ذكرهما لان الحياة لا تتم بدونهما كالنوم فالثلاثة من واد واحد فكان ذكره مستدعيا لذكرهما وأيضا النوم فرع الشبع والرى وفراغ الخاطر من المهمات والامن من الشرور والآفات ولذا قال (وكفانا) أى مهماتنا ودفع عنا ما يؤذينا (وآوانا) بالمد بدليل قوله الآتى ولا مؤوى أى ضم شملنا وجعل لنا مأوى أى موطنا ومسكنا أوى اليه ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم فى الصحراء وقيل رحمنا وعطف علينا (وكم) أى كثير (ممن لا كافى له ولا مؤوى) أى كم من خلق لا يكفيهم الله شر الاشرار بل تركهم وشرهم حتى يغلب عليهم أعداؤهم وكم من خلق لم يجعل الله لهم مسكنا ولا قرارا بل تركهم يتأذون ببرد الصحارى والقفار وحفرهما أو كم من لا راحم له ولا عاطف

عليه

(٣) هنا بياض بالاصل

فى القربى قال وأنت منهم قال نعم وصح خلافا لابن الجوزى أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عزوجل وأحبوا أهل بيتى لحبى وصح أيضا قال مابال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم منى وفى حديث والذى نفسى بيده عزوجل لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوى أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى وفى حديث ان لكل بنى أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين لفضلهم من أحبهم أحب الله تعالى ومن أبغضهم أبغض الله تعالى والذى نفسى بيده عزوجل لا يبغض أهل البيت أحد الا كبه الله تعالى فى النار وسيأتى مزيد لهذا عند قوله سدتم الناس بالتقى وربى أحمد والترمذى حديث من أحبنى وأحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة زاد أبو داود ومات صتبعا لسنتى قوله وأبدت ضبابها النافقاء الضباب جمع ضب وأراد بها هنا جمع يربوع لان النافقاء لا تكون الا لها والنافقاء هو احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد منها ويجعل الحاجز بينها وبين الفضاء قريبا فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج من نافقائه وفى هذا تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليرابيع فى مكرها المذكور فيه واستعارة تصريحية وفى ذكر النافقاء استعارة ترشيحية أو تشبيه ما عند أولئك من النفاق بالنافقاء بجامع الاظهار بعد الابطان فهى استعارة مصرحة رشحت بذكر الضباب والظاهر أن الضباب هنا جمع ضب وهو الغل والحقد بدليل ان الضب أى الحيوان المعروف لا نافقاء له

عليه أى من الخلق ولا مسكن له يأوى اليه أو المعنى الحمد لله الذى عرفنا بهذه النعم ووفقنا لشكرها وكم ممن لا يعرف كافيه ولا مؤويه فيكفر بالنعم ولم يشكرها على أن أكثر العوام من هذا القبيل أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون أو لا كافى له ولا مؤوى على الوجه الاكمل عادة فلا ينافى أنه تعالى كاف لجميع خلقه ومؤويهم من وجه آخر والله سبحانه أعلم هذا حاصل ما للشراح هنا وأسهل من ذلك كله وأظهر منه ان يكون معنى كفانا جعل لنا من يكفينا مؤنة الخدمة من الاهل وغيرهم ومعنى آوانا جعل لنا أصحابا واخوانا نأوى اليهم وكم ممن لا كافى له أى لا اهل له يقومون بمؤنته وخدمته ولا مؤوى أى صاحب يأوى اليه ويستعين به على مصالحه الدينية والدنيوية والله أعلم بالصواب ومعنى كونه تعالى كافيا لجميع خلقه انه قادر على كفاية جميعهم فهو كفاية لهم فلا معنى لتعلقهم بغيره سبحانه وليس المراد انه كفى جميع خلقه بالفعل اذ كثير من الخلق فى غاية الفقر والحاجة والضياع هذا هو الظاهر أيضا والله أعلم فلا يبقى اشكال فقوله وكم الخ بيان لسبب الحمد الحامل عليه اذ لا يعرف قدر النعمة الا بضدها

* قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الجريرى) بالجيم نسبة الى جرير مصغرا على ما صوبه ابن حجر وقال فى جمع الوسائل هو بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الراء على ما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة خلافا لابن حجر (نا سليمان بن حرب نا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر بن عبد الله المزنى عن عبد الله بن رباح) بفتح الراء (عن أبى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عرس بليل) أى نزل والتعريس النزول أى وقت كان من ليل أو نهار قاله فى المشارق (اضطجع على شقه الايمن) لانه كان يحب التيامن فى شأنه كله كما تقدم (واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه) لعل ذلك تعليما لامته لئلا يثقل بهم النوم فتفوتهم صلاة الصبح فى أول وقتها وفيه أن من قارب وقت الصبح ينبغى له أن يتجنب عن الاستغراق فى النوم بأن ينام على هيئة تقتضى سرعة انتباهه اقتداء بالمصطفى ومحافظة على تحصيل الصلاة فى أول وقتها

---

* (باب فى عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

أى فى بيان اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى عبادة الله تعالى من تهجد وغيره وما كان عليه من الاخذ بالجد فى الدين ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبادة وأكثرهم

(وقست منهم قلوب على من * بكت الارض فقدهم والسماء)

أى اشتدت وغلظت وهذا مقتبس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض أى قوم فرعون معه ومفهومه أن المؤمن تبكى عليه السماء والارض أما الارض فمحال سجوده وعبادته وأما السماء فمحال صعود أعماله كما جاء فى الحديث والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وخيار (٦٦) المؤمنين والبكاء من الارض والسماء عليهما حقيقى اذ لا مانع منه وهذا أولى من تقدير المضاف

(فابكهم ما استطعت ان قليلا
فى عظيم من المصاب البكاء)

أى فابكهم أيها المخاطب مدة دوام استطاعتك تأسيا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبجبريل عليه السلام وبعلى رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه روى ابن سعد عن الشعبى قال مر على بكربلاء عند مسيره الى صفين فوقف وسأل عن اسم هذه الارض فقيل له كربلاء فبكى حتى بل الارض من دموعه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى أن ولدى الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء فقبض قبضة من تراب أشمنى اياها فلم أملك عينى أن فاضتا وأخرج الترمذى ان أم سلمة رضى الله عنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام باكيا ورأسه ولحيته المكرمتين التراب فسألته فقال قتل الحسين آنفا وكذا رآه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم ثم قال ابن حجر فان قلت الامر بالبكاء ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت لا تبكين باكية ومن ثم قال ائمتنا يكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم

طاعة لربه وأشكرهم له فان المقصود من العبادات كلها الثناء على الله تعالى بالدلالات القولية والفعلية واجلاله وتعظيمه والخضوع له وثناء كل واحد وتعظيمه وخضوعه على قدر معرفته بالله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالله فهو أفضل القائمين بحقوق الله التى كلف بها عباده وأكمل العارفين بما يجب له تعالى من امتثال أمره والاستسلام لقهره والاستهتار بذكره وشكر احسانه وبره وقد روى البغوى وأبو نعيم ما أوحى الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم أن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وحركاته وسكناته كلها عبادات لا تخرج عن الواجبات والمندوبات وليس شئ منها من قبيل المباحات اذ لا يتصور أن يصدر منه شئ الا لله وبالله والمذكور من عباداته صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب نوع مخصوص وهو تطوعه صلى الله عليه وسلم بالصلوات الليلية وهى تهجده بالليل والنهارية وهى رواتب الصلوات والضحى وغير ذلك والى أحاديث التهجد أشار بقوله (حدثنا قتيبة بن سعيد وبشر بن معاذ قالا نا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى اجتهد فى الصلاة وطول قيام الليل (حتى انتفخت قدماه) أى تورمتا (فقيل له) فى رواية ان القائل عمر رضى الله عنه (أتتكلف هذا) أى أتلزم نفسك بهذه الكلفة (وقد غفر الله لك) وفى نسخة وقد غفر لك بصيغة المجهول (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قد تقدم معنى الذنب فى حق أهل العصمة قبيل باب الشعر بفتح الشين والعين (قال أفلا أكون عبدا شكورا) أى أترك الصلاة اعتمادا على المغفرة فلا أكون عبدا شكورا لا بل ألزم الصلاة وان غفر لى لاكون عبدا شكورا ظن السائل عن سبب تكلفه تلك المشقة فى العبادة ان سبب العبادة انما هو خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفاده صلى الله عليه وسلم ان لها سببا آخر وهو القيام لحقوق السيد المنعم على عبده ابتداء من غير سابقية استحقاق والمبالغة فى تعظيمه وشكره وخدمته وبره ومغفرة الذنب من أعظم النعم فكيف يجعل بالعبد اهمالها وعدم القيام بواجب شكرها فهى اذن من أعظم الاسباب الحاملة على العبادة فكيف تترك العبادة لاجل المغفرة على أن العمل شكرا أتم وأكمل من العمل رجاء لثواب أو خوف العقاب وقد روى عن على كرم الله وجهه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل أهل بيته ظلما اه فان قلت كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى كما في الحديث المذكور قلت المنهى عنه انما هو البكاء بعد الموت لوقوع اليأس به فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم بالقضاء والواقع هنا البكاء قبله وأيضا المنهى عنه البكاء الاختيارى والواقع منه محض رحمة ولعله اضطرارى وفى الحديث العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى الرب عز وجل وليس بحرام البكاء بعد الموت بل الحرام القول بما لا يرضى الرب وقوله ان قليلا فى عظيم الخ يعنى ان البكاء وان كثر هو أقل جزء مما يقابل به المصاب العظيم اى الرزية الكبيرة الواقعة لاوليائه بقتلهم وكأن العبارة فيها قلب وأى رزية أعظم من قتل الحسنين رضى الله تعالى عنهما وغير القليل هو قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم واذلال أعدائهم وغير ذلك

(كل يوم وكل أرض لكربى منهم كربلا وعاشوراء)

أى كل ذلك لاجل كربى وهو الغم الذى يأخذ بالنفس بحيث يخشى فوتها وقوله منهم أى بسببهم وكربلا راجع لكل أرض وعاشوراء راجع لكل يوم ففيه لف ونشر معكوس أى كل يوم بسبب الهم الذى حصل لى بقتلهم يوم عاشوراء وهو الزمن الذى قتل فيه الحسين وكل أرض بسبب ذلك كربلاء وهى الارض التى قتل فيها فكربى بسبب قتلهما عم جميع ما أنا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقنى بالانتقال من زمن لآخر ولا من أرض لاخرى وبين كربى وكربلا جناس شبيه الاشتقاق

(آل بيت النبي ان فؤادى * ليس يسليه عنكم التأساء)

آل بالنصب على النداء وهم مؤمنو بنى هاشم عند المالكية والمطلب أيضا عند الشافعية وهو قول للمالكية أيضا وهم

ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار قال فى القوت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وفى الحكم من عبده لشئ يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار ولم أخلق جنة ولا نارا الم أكن أهلا أن أطاع ويرحم الله القائل فى هذا المعنى

لو لم تكن نار ولا جنة * ولا وعيد لا ولا موعده
ألم يكن حقا على العبد أن * يشكر بالطاعات من أوجده

فالله تعالى أهل لان يذكر ويشكر ومستحق لذلك ولو لم تكن جنة ولا نار ثم الشكر واجب على قدر النعمة فكأنه يقول فاذا عظمت نعمتى الى هذا الحد أفلا أكون عبدا مبالغا فى الشكر متناهيا فى العبادة ففى تعبيره بشكورا الذى هو من صيغ المبالغة دليل على ما ذكرنا وعلى كمال علو همته عليه السلام وفى الحديث ندب تشمير ساق الجد فى العبادة وان أدى الى كلفة لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم ذلك ومن لا يأمن من النار ومن ثم التزم بعض الصحابة قيام الليل كله وبعضهم صيام الدهر وبعضهم اعتزال النساء ففى صحيح البخارى من حديث أنس قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال آخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أنتم الذى قلتم كذا وكذا أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى اه والثلاثة المذكورون هم على بن أبى طالب وعبد الله بن عمرو بن العاصى وعثمان بن مظعون رأوا رضى الله عنهم ان الواجب فى حق من لم يقطع له بالنجاة استغراق الاوقات فى العبادات فبين لهم عليه السلام أن سنته الاقتصاد فى العمل لان التشديد قد يفضى الى الملل وانقطاع العمل وسيأتى بسط ذلك ان شاء الله فى أواخر باب الصيام فى حديث عليكم من

المراد فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أكثر المفسرين انها نزلت فى على وفاطمة والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت فى نسائه رضى الله تعالى عنهن ونسب لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكان عكرمة مولاه ينادى به فى السوق وربما ذكر ضميرعنكم ومابعده وقال جمع نزلت فيهما وربح بأنهن سبب النزول فيدخلن قطعا ويدل له ماصح عن

أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت يارسول الله انا من أهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى وروى مسلم انه أدخل أولئك الاربعة تحت كساء وقرأ الآية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعلهم تحت الكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفى حديث حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال عليه الصلاة والسلام هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين قوله ان فؤادى ليس يسليه عنكم أى ليس ينسيه محبتكم ولايذهب بها التاساه بفوقية أوله قال فى المنح المكية أى مايحصل له من الشدائد والمحن وفى القاموس تاساه آذاه واستخف به بل محبتكم فيه مقيمة على الدوام لاتزلزلها محنة ولاتنقصها شدة * (فائدة) * ليس فعل جامد معناه نفى مضمون الجملة فى الحال ونفى غيره بالقرينة وقيل هى لنفى الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفى العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الامن ضريع عن

(غير انى فوضت أمرى الى الله وتفويضى الامور براء)

غير بالنصب استثناء منفصل وفوضت أمرى رددت شأنى اليه وسلمته وتفويضى الامور اليه وهو مقدرها ومدبرها براء بفتح

الاعمال ماتطيقون * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث) بالتصغير (أنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حتى ترم) بفتح المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم وفى نسخة تورم بصيغة الماضى أو المضارع بحذف احدى التاءين من التورم (قدماه قال) أى أبو هريرة (فقيل له تفعل هذا) أى هذا الاجتهاد أى أتفعل ما فى نسخة والاستفهام للتعجب (وقد جاءك) أى والحال انه جاءك من عند الله فى كتابه (ان الله تعالى قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) ولما طول صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل حتى تورمت قدماه أنزل الله عز وجل طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أى لتتعب بما فعلته بعد نزوله من طول القيام فخفف على نفسك وطأ الارض بقدميك لانه كان يرفع قدما ويضع أخرى وقيل فى معنى طه غير هذا ولا يلزم من تعبه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وغيرها من العبادات ملله فان الملال عليه محال وقد ورد فى الصحيح وجعلت قرة عينى فى الصلاة فكيف يتصور منه مال بما فيه قرة عينه كيف والمصلى يناجى ربه كما فى الصحيح ومن ثم قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم ان شئت أن تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذن أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن وتكلمه بغير ترجمان * قال المصنف (حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن الرملى) نسبة الى رملة بلدة بين مصر والشام (نا عمى يحيى ابن عيسى الرملى عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم) أى من الليل (يصلى حتى تتفطر قدماه فيقال له تفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) ذكر الحديث بالاسانيد الثلاثة للتأكيد والتقوية * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق عن الاسود بن يزيد قال سألت عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل) أى فى أى وقت كانت من الليل (فقالت كان ينام أول الليل) أى نصفه الاول بعد صلاة العشاء (ثم يقوم) أى السدس الرابع والخامس (فاذا كان من السحر) وهو السدس الاخير (أوتر) أى صلى الوتر (ثم أتى الى فراشه) أى للنوم ليقوى على صلاة الصبح وما بعدها من وظائف الطاعة ولانه يرفع صفرة السهر

الباء أى تبرؤ من حولى وقوتى الى حوله وقوته وهذا متعين على كل عاقل فضلا عن فاضل كامل وفى الحديث لاحول ولاقوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفى هذا تسلية عما جرى لهم رضى الله عنهم ويزاد فى التسلية بأن الله تعالى اختار لنبيه وأهل بيته الآخرة على الدنيا ليزهدوا فى الدنيا ويرغبوا عنها لقرب تقضيها وسرعة تقلبها وانقراضها وقد قال صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وقوله

عن الوجه (فاذا كانت له حاجة) الى المباشرة (ألم بأهله) الالمام هو الجماع وفى أكثر الروايات ثم ان كانت له حاجة (فاذا سمع الاذان) أى الاول كما فى مسلم (وثب) أى قام بسرعة وخفة أو قعد عند قبيلة حير فان الوثوب عندهم بمعنى القعود (فان كان جنبا أفاض عليه من الماء) أى اغتسل (والا توضأ) للتجديد أو لحصول ناقض (وخرج الى الصلاة) أى بعد أن يصلى سنة الفجر فى البيت وفى الجامع الصغير أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمرو فصرح صلى الله عليه وسلم بأن هذا أفضل القيام فينبغى تحرى ذلك والعمل به وفى الصحيحين كان يقوم اذا سمع الصارخ أى الديك وهو يصيح فى النصف الثانى وبهذا الحديث المتفق عليه استدل الشافعى على أن وسط الليل أفضل من آخره وقال مالك بآخره لحديث النزول وانتهاء وتره عليه السلام الى السحر وهو لا يأخذ لنفسه الكريمة الا ما هو الافضل ولقوله عليه السلام لما سئل أى الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر وادبار الصلوات المكتوبات الحديث رواه أبو داود وغيره ولهذا قال فى الرسالة وأفضل الليل آخره فى القيام قال ابن حجر وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اغتسل فى أول الليل وربما اغتسل فى آخره وربما أوتر فى أول الليل وربما أوتر فى آخره وربما جهر فى القراءة وربما خافت وعن أم سلمة كان يصلى بنا ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه أبو داود والترمذى والنسائى وفى رواية للنسائى كان يصلى العتمة ثم يصلى بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلى مثل ما نام وصلاته تلك الاخيرة تكون الى الصبح وعن عائشة أيضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتى الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود وفى الحديث ان الاولى تأخير الجماع عن ابتداء النوم ليكون على طهارة وفيه أداء العبادة قبل قضاء الشهوة وفيه انه ينبغى الاهتمام بالعبادة وعدم التكاسل عنها بالنوم وفيه القيام بالنشاط للطاعة وقد ورد فى فضل الصلاة بالليل والثناء على أهلها آيات قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أى تمكنت عظمته من قلوبهم ومحبته من أرواحهم فآثروا عبادته

براءة ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل يقال انا برىء منه ونحن برآء منه بلفظ واحد لكل من المفرد والمتعدد وبين فوضت وتفويضى جناس الاشتقاق وجملة تفويضى الى آخره تذييل

(رب يوم بكر بلا مسىء
خففت بعض وزره الزوراء)

رب حرف تقليل ويوم معمولها ومسىء وصفه بما وقع فيه من قتل الحسين وذويه وخففت بعض وزره أى ثقله على النفوس ذات الغيرة لاهل البيت من ذلك المصاب العظيم والزوراء بغداد قال فى القاموس لان أبوابها الداخلة جعلت منزورة عن الخارجة يعنى ما فعل بانوها وهم ملوك بنى العباس ببنى أمية بعد ان ملكهم الله تعالى ونصرهم لان بنى أمية عتوا وجاروا ولم يراقبوا الله ولا رسوله طرفة عين فى آل البيت اطاهرين المطهرين الكاملين المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والاسرار الالهية والكرامات الباهرة والمعانى الفاخرة فلما نصر الله بنى العباس على بنى أمية أخذوا بثار الحسين وذويه وقتلوهم شر قتلة وشردوهم على كل ناحية وقطعوا دابرهم واستأصلوا شأفتهم وأزالوا من الارض جورهم وفسقهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

(والاعادى كأن كل طريح * منهم الزق حل عنه الوكاء)

الاعادى جمع عدو يعنى فسقة بنى أمية كأن كل طريح أى مطروح منهم على الارض بالسيوف والرماح العباسية والزق بكسر

الزاى جلد منفخ وفى القاموس الزق السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره والوكاء الرباط وهو ما يشد به رأسه وقصصهم مشهورة فى التواريخ كمكتاب تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطى رحمه الله تعالى * وفى الطبقات الشعرانية ان أهل السير رووا ان الله عز وجل أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم انى قتلت بيحيى بن زكريا خمسة وتسعين ألفا ولاقتلن بالحسين ابن بنتك قدر ذلك مرتين اه وكان ممن تولى

(٧٠) قتله شمر بن ذى الجوشن الكلابى قبحه الله وسنان بن أوس النخعى فأما

سنان فجاء الى ابن زياد مبشرا له بقوله

أوقر ركابى فضة وذهبا
انى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال حيث علمته كذلك فلم قتلته ثم قتله وأما شمر فقتله المختار بن عبيد الثقفى شر قتلة وأوطأت الخيل صدره وظهره وأخرج أبو الشيخ عن يعقوب بن عثمان قال كنت فى ضيعتى فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة فذكروا الحسين فقال رجل ما أعان على قتله أحد الا أصابه قبل أن يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال أنا ممن شهده وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه قال فطفئ السراج فقام ليصلحه فأخذته النار فجعل ينادى النار النار وألقى نفسه فى الفرات لينغمس فيه فأخذته النار حتى مات * ومن الغرائب ولا غرابة ان ابن زياد قتله ابن الاشتر عامل المختار يوم عاشوراء فى العام المقبل وبعث برأسه ورؤس أصحابه الى المختار فنصب رأس ابن زياد فى موضع رأس سيدنا الحسين وروى الترمذى عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جئ برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت فى المسجد ثم فى الرحبة فانتهيت والناس يقولون قد جاءت فاذا حية جاءت تتخلل الرؤس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله بن زياد ثم خرجت فتغيبت ثم رجعت مرتين أو ثلاثا والمختار المذكور وان فعل ما فعل فليس بمختار لانه من الشيعة ومن أراد الاطلاع على تمام الاخبار فعليه بكتب التاريخ

على نومهم وقدموا خدمته ورضاه على هوى نفوسهم وراحة أبدانهم وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الآية وورد فى ذلك أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل ضاء وجهه بالنهار وروى ان أول ما تكلم به عليه السلام فى المدينة حين قدم من مكة أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال عليه السلام شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس وحديث عقد الشيطان على قافية الناعم ثلاث عقد فى الصحيح وفى نوم الليل كله تشبيه بالكفار لانهم فى نومهم كالجيف لا يتحركون ليلهم لذكر الله وفيه أيضا اتلاف نصف العمر فى البطالة ولا يجمل بالمؤمن أن يمر عليه النصف من عمره فارغا من ذكر الله تعالى ومما ينسب للامام الشافعى رضى الله عنه

اذا عاش الفتى ستين حولا * فنصف العمر تمحقه الليالى
ونصف النصف يمضى ليس يدرى * لغفلته يمينا من شمال
وباقى النصف آمال وحرص * وشغل بالمكاسب والعيال
وباقى العمر اسقام وشيب * وآفات تدل على انتقال
فحب المرء للحيوان ٣ جهل * وقسمته على هذا التوالى

* قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف قوله (وحدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس انه أخبره) أى أخبر كريبا (انه) أى ابن عباس (بات عند ميمونة) احدى أمهات المؤمنين (وهى خالته) أى فهو محرم لها وقد تقدمت ترجمتها قبيل باب الشرب * قال القاضى عياض وقد جاء فى بعض روايات الحديث قال ابن عباس بت عند خالتى فى ليلة كانت فيها حائضا قال وهذه اللفظة وان لم يصح طريقها فهى حسنة المعنى جدا اذ لم يكن ابن عباس يطلب المبيت فى ليلة للنبى صلى الله عليه وسلم فيها حاجة الى أهله سيما وهو كان فى تلك الليلة مراقبا لافعاله صلى الله عليه وسلم ولعله

٣ قوله للحيوان أى الحياة كما فى القاموس

للسيوطى وغيره هذا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه

لابدان ترد القيامة فاطمه * وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور فى يوم القيامة ينفخ

قال السيد السمهودى وهو شاهد لما روى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتى فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول ياعدل احكم بينى وبين قاتل ولدى فيحكم لابنتى

لم ينم أو نام قليلا اه وفى المناوى سبب صيحته كما رواه الحاكم ان المصطفى وعد العباس بذود من الابل فأرسل عبد الله يستحجزه فأدركه المساء فبات عندها اه وفى رواية لمسلم رقدت فى بيت ميمونة ليلة كان النبى صلى الله عليه وسلم عندها لانظر كيف صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل الحديث (قال فاضطجعت فى عرض) بفتح العين على الاصح الاشهر وروى بضمها أى جانب (الوسادة) بكسر الواو والمخدة المعروفة ونقل القاضى عياض وغيره أن المراد بها هنا الفراش لقوله (واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى وأهله كما رواه مسلم (فى طولها) وكأنه رضى الله عنه نام تحت رجليه صلى الله عليه وسلم تأدبا وتبركا ولا دليل فيما ذكره ابن حجر على ضعف هذا الاحتمال وفى الحديث حل نوم الرجل وأهله بحضرة محرم لها مميز وفيه أن السنة نوم الرجل مع أهله فى فراش واحد للايناس والملاطفة وحسن المعاشرة لا اعتزالها فى النوم كما هو عادة بعض الاعاجم والمتكبرين فان ذلك مذموم الا بقصد التأديب لقوله تعالى فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واختار فى الاكمال أن يكون اسكل من الزوجين فراش على حدة وانظر وجهه فى باب الفراش (فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية الصحيحين فتحدث مع أهله ساعة ثم رقد (حتى اذا انتصف الليل) أى تخمينا وتقريبا ولذلك قال (أو قبله) أى قبل انتصافه (بقليل أو بعده بقليل) الترديد من ابن عباس هذا هو الظاهر (استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم) أى أثره وهو ارخاء الجفون (عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران) فى رواية الشيخين فلما كان ثلث الليل الاخير أو بعضه قعد فنظر الى السماء ثم قرأ العشر الآيات أى من قوله سبحانه ان فى خلق السموات والارض وفيه ندب قراءة خصوص هذه الآيات عقب الاستيقاظ لما اشتملت عليه من الآيات والعبر التى يحصل بها النشاط والايقاظ (ثم قام) أى النبى عليه السلام (الى شن) بفتح الشين المعجمة وبالنون المشددة وهى القربة الخلقة (معلق) أى لتبريد الماء أو لحفظه (فتوضأ منها) أنث الشن باعتبار معنى القربة وفى نسخة منه بتذكير الضمير (فأحسن الوضوء) أى أسبغه وأكمله وهذا الوضوء يحتمل أن يكون للتجديد لان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض الوضوء كما تقدم فلا دليل فى هذا الحديث على جواز قراءة المحدث حدثا أصغر وان كان بحثا عليه فضلا

ورب الكعبة وعن محمد بن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلثمائة سنة عليه مكتوب بالسريانية فنقلوه الى العربية فاذا هو

أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة جده يوم الحساب

وروى ان الذين حملوا رأسه نزلوا أول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت البيت المذكور بالدم

(آل بيت النبى طبتم فطاب الـ
ـمدح لى فيكم وطاب الرثاء)

يعنى آل على أو أعم وتقدم القول فيهم وهم الذين نص الله تعالى فى كتابه على تطهيرهم فقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أى من سائر الاخلاق والافعال والاقوال المذمومة وفى الاحاديث تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته اذ هو اتمام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة

ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونهم اصارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى أن قطب الاولياء فى كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لاعلاه وفى دفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم المشير الى أن ذلك التطهير ليس مما يتعارف ويؤلف ابن حجر وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم خيركم لاهلى وقوله طبتم أى أصلا

ونفوسنا وأقوالا وأفعالا وطاب المدح أى لذوركا وان لم أستوف واجب حقكم ومعالى شرفكم لان الله تعالى أثنى عليكم ورسوله صلى الله عليه وسلم وفى القاموس مدحه كمنعه مدحا ومدحة أحسن الثناء عليه وطاب الرثاء أى بكائى عليكم بعد موتكم مع تعداد محاسنكم قال فى القاموس ورثيت الميت رثيا ورثاء ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة بكيته

وعددت محاسنه

أى أنا كهو وهو حسان بن ثابت ابن حرام الانصارى الخزرجى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر أهل المدر كان رضى الله تعالى عنه يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو المشركين ويرد عليهم ما يقولون فى جانب النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضى الله تعالى عنهم وفى الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان ينافح أى يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أيد حسانا بروح القدس يعنى جبريل وأراد أن يهجو قريشا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبى اذ له صلى الله عليه وسلم فى كل بطن منهم قرابة فقال له لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ونحت عليكم بكيتكم بعد موتكم وعددت محاسنكم وقوله فانى الخنساء أى كهى فى بكائها على أخيها صخر وتعداد محاسنه وهى الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الصحابية رضى الله تعالى عنها قدمت مع قومها بنى سليم على النبى صلى الله عليه وسلم ورأت عليها

الاختلاف

عائشة رضى الله تعالى عنها ثوب حزن فأخبرتها بأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها لم تعلم بالنهى ثم ذكرت سببه وهو ان زوجها افتقر فسألت أخاها فقاسمها ماله فافتقر فسألته فقاسمها ماله فافتقر ثم الثالثة ثم الرابعة كذلك فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها ولومات مزقت خمارها وليست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب قبل

عن نديها خلافا لابن حجر (ثم قام يصلى قال عبد الله بن عباس فقمت الى جنبه) فى رواية الشيخين فقمت وتوضأت فقمت عن يساره (فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسى ثم أخذ بأذنى اليمنى) * قال ابن حجر وضعها عليه أولا ليتمكن من أخذ الاذن أولانها لم تقع الا عليه أو لتنزل بركتها به ليحفظ جميع أفعاله صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وغيره (ففتلها) بالفاء العاطفة على صيغة الماضى وفى نسخة يفتلها على صيغة المضارع من باب ضرب فتكون الجملة حالية قال ابن حجر وفى رواية الشيخين فأخذ بأذنى فأدارنى عن يمينه وفتلها اما لينبهه على المخالفة للسنة أو ليزداد تيقظه لحفظ تلك الافعال أو ليزيل ما عنده من النعاس لرواية فجعل اذا أغفيت يأخذ بشحمة أذنى (فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين قال معن ست مرات) فتكون صلاته ثنتى عشرة ركعة (ثم أوتر) المتبادر انه أوتر بواحدة منفصلة عن الشفع بسلام ومن يقول ان الوتر بثلاث لرواية انه أوتر بثلاث يقول معنى قوله ثم أوتر انه ضم ركعة لشفعه الاخير ورواية الشيخين فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة محتملة للوجهين وقد صح الوصل عن النبى صلى الله عليه وسلم لكن الفصل أكثر وأصح وفى شرح الحصن الحصين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة واحدى عشرة وتسع وسبع وخمس وثلاث وواحدة قال اسحق بن ابراهيم معنى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث عشرة انه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر فنسب صلاة الليل الى الوتر وروى فى ذلك حديث عن عائشة واحتج بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أوتروا يا أهل القرآن أى صلوا بالليل اه وفى رواية لمسلم عن ابن عباس فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث الحديث وهذه الرواية تقتضى انه صلى تسع ركعات ونحوه فى رواية النسائى قال ابن حجر ولا تنافى بين هذه الروايات لان فى بعضها زيادة فيعمل بها وان سكتت الرواية الاخرى عنها لان من حفظ حجة على من لم يحفظ وليست الواقعة متعددة حتى يحمل

لجرير من أشعر الناس فقال انا لولا هذه قيل له بم فضلتك قال بقولها ان الزمان وما تفنى عجائبه * أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وأرماس ان الجديدين فى طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس
واجمع علماء الشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن قولها فى أخيها صخر

الا يا صخر ان أبكيت عينى * فقد أضحكتنى دهرا طويلا

الاختلاف عليها وانما هى واحدة فيجب عند التعارض العمل بالاصح من تلك الروايات وهى رواية الشيخين ثم أحدهما اه وسيأتى حديث عائشة ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة وسيأتى وجه الجمع بين حديثها وحديث ابن عباس رضى الله عنهما (ثم اضطجع) للاستراحة كما تقدم فى الحديث قبله (ثم جاءه المؤذن) للاعلام بدخول الوقت (فقام فصلى ركعتين خفيفتين) أى ركعتى الفجر (ثم خرج فصلى الصبح) رواية الشيخين ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ وفى الحديث من الفوائد أن العمل القليل لا يبطل الصلاة بل قد يسن اذا كان لمصلحة وان الامر بالمعروف مشروع حتى فى الصلاة وجواز صلاة الفرض بوضوء النفل اذا قلنا ان صلاة الليل لم تكن واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وأخذ العالم باذن المتعلم تنبيها على الفهم ولتذكر القضية وفى النوم وان صلاة الصبى صحيحة وان المميز كبالغ جماعة وموقفا وجواز النفل جماعة اذا لم يكن الجمع كثيرا ولم يكن المكان مشتهرا وأما احتمال ان ابن عباس كان يصلى وحده اذ ليس فى الحديث انه اقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم وان تحويله يحتمل أن يكون لضيق المكان أو نحو ذلك فبعيد وندب اتيان المؤذن الى الامام ليخرج الى الصلاة وتخفيف سنة الصبح وأن الاولى فى النافلة ان تكون فى البيت سواء فى ذلك أهل المدينة ومكة وغيرهم وسيأتى لهذا ترجمة وقوله كبالغ جماعة مخالف لمذهب مالك قال خليل وندب لمن لم يحصله كصل بصبى * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا وكيع عن شعبة عن أبى جمرة) بالجيم واسمه نصر بن عمران الضبعى (عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل) أى فيه على حذاء نودى للصلاة من يوم الجمعة أو من للابتداء كما قالوا فى نحو صمت من يوم الجمعة ونحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاث عشر ركعة) تقدمت الرواية الاخرى عن ابن عباس عند مسلم أنه صلى ست ركعات واوتر بثلاث وتقدم جواب ابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة) بضم الزاى أوله (ابن أوفى) له صحبة مات فى زمن عثمان بن عفان (عن سعد بن هشام) بن عامر الانصارى كما فى مسلم (عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم) الجملة مستأنفة للتعليل (أو غلبته عيناه

اذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا
ومنه أيضا
يؤرقنى التذكر حين أمسى
ويردعنى عن الاحزان نكسى
على صخر وأى فتى كصخر
ليوم كريهة وطعان حلس
يذكرنى طلوع الشمس صخرا
وابكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى
وسأل المهدى المفضل عن أخفر بيت قالته العرب فذكر له قول الخنساء فى أخيها
وان صخرا التأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
فاعطاه ثلاثين ألف درهم بعد ان شكا عليه عشرة آلاف ورآها عمر رضى الله تعالى عنه تطوف باكية لاطمة لخديها معلقة نعل صخر فى خمارها فوعظها فقالت رزئت فارسا لم يرزأ أحد بمثله فقال ان فى الناس من هو أعظم رزية منك وان الاسلام غطى ما كان قبله فكفت وحضرت حرب

١٠ ش ى القادسية مع بنيها الاربعة فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالنعيم والكرامة فى دار الخلد فتقدموا حتى قتلوا فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو ان يجمعنى الله تعالى بهم فى مستقر الرحمة فكان عمر رضى الله تعالى عنه يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض

(سدتم الناس بالتقى وسواكم * سودته البيضاء والصفراء)

اى سدتم الناس يا أهل البيت بالتقى بعد النسب العالى بالحذر من معصية الله تعالى و بالاخذ بطاعته قال فى القاموس واتقيت الشئ وتقيته اتقيه واتقيه تقى وتقية وتقاء كسماء حذرته والاسم التقوى وقد علم حالهم فى معرفة الله تعالى وخوفهم لله تعالى وهم أعلم

الناس وأخوفهم وقد قالوا من كان بالله أعرف كان لله أخوف

قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وتقدم أن جماعة يقولون ان القطب لا يكون الا من أهل البيت * وأخرج الطبرانى حديث ان أهل بيتى هؤلاء يرون انهم أولى الناس بى وليس كذلك ان أولیائى منكم المتقون من كانوا حيث كانوا وقال الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا لله تعالى فان أطعنا الله تعالى فأحبونا وان عصينا الله فأبغضونا ويحكم لو كان الله تعالى نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا أى كابى طالب والله انى لاخاف ان يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ولا يخفى ان نسبهم أشرف الانساب قال تعالى فى آية المباهلة فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل الآية قال بعض المفسرين لا دليل أقوى من هذا على فضل على وفاطمة وابنيهما الان الآية مدنية لما نزلت دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلى خلفها فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة حقيقة نافعة فى الدنيا والآخرة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم خطب فقال ما بال اقوام يقولون ان رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة بلى والله ان رحمى

الظاهر انه شك من الراوى عن عائشة أو ممن دونه ويحتمل ان تكون أو للتنويع وأن المراد من منع النوم قوة رغبته فيه مع امكان تركه ومن غلبة عينيه ان يغلبه النوم فلا يستطيع دفعه أو بالعكس كذا قيل وكل من احتمالى الشك والتنويع مشكل اما الاول فلانه يقتضى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلبه النوم حتى تفوته صلاة الليل وهو مقتضى قضية الوادى حيث فاتته صلاة الصبح فما استيقظ حتى حميت الشمس ومقتضى ما يأتى فى باب الفراش من قوله صلى الله عليه وسلم ردوه لحاله الاول فانه منعنى وظاءته صلاتى الليلة لكن قوله لعائشة كما يأتى عند المصنف ان عينى تنامان ولا ينام قلبى جوابا لقولها أتنام قبل ان توتر يقتضى ان النوم لا يغلبه واما الثانى فلانه يقتضى انه كان يترك ورده اختيارا لقوة رغبته فى النوم وهو مناف للقول بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم بناء على أن معنى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ما قاله ابن عباس وغيره أى زيادة لك فى الفرض واحسن ما يجاب به عن الاشكال الاول والله تعالى أعلم ان يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم قد يسلك به مسالك الضعفاء للتشريع فينام وفى الصلاة وينام عن ورده وعن صلاة فرضه ليتعلم من نزل به ذلك من أمته كيف يفعل وهو مع ذلك كله غير نائم القلب فكما ان القلب ينام ويقظة لمصلحة التشريع فكذا نوما واما الجواب عن قضية الوادى بانه كان له حال ينام فيه قلبه لكنه نادر فصادف يوم الوادى أو بان معنى لا ينام قلبه لا يستغرقه النوم حتى لا يحس بالحدث أو بان قلبه اذ ذاك كان مستغرقا بالوحى واستغراقه به لا يستلزم وصفه بالنوم اذ قد كان يستغرق به فى اليقظة أيضا أو بان رؤية الفجر من وظائف البصر وهو ينام بخلاف قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يتم لما فى الاول من تخصيص النفى العام وهو قوله لا ينام قلبى الذى خرج جوابا لقولها المذكور وهو تخصيص من غير دليل ولانه يلزم عليه ان نومه صلى الله عليه وسلم قد يكون ناقضا وهو خلاف المعروف ولما فى الثانى من تخصيص النفى العام من غير دليل أيضا ولما فى الثالث من الدعوى بلا دليل أيضا فمن لنا بان الذى منعه من اليقظة فى ذلك الوقت استغراقه بالوحى وأما الرابع فهو وان اختاره ابن حجر العسقلانى وغيره ممن بحث فيه بان رؤية الفجر وان كانت من وظائف البصر لكن كيف لم يشعر قلبه صلى الله عليه وسلم مع يقظته بالوقت مع طول

موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث وأخرج الطبرانى حديث ان الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه وان الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب زاد غيره اذا كان يوم القيامة دعى الناس باسماء أمهاتهم سترا من الله تعالى عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم لكن ذكر ابن الجوزى هذه الزيادة فى العلل المتناهية وعورض بان كثرة طرق الحديث ترقيه الى درجة الحسن أو الصحة وصح عن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببى ونسبى وفى رواية بزيادة الصهر وذلك هو الذى حمل عمر على تزويج أم كلثوم بنت على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وصحح الحاكم حديث وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ان لا يعذبهم وأخرج أحمد حديث والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقتى الجنة ما بدأت الا بكم وورد فى أحاديث ضعيفة ان فاطمة عليها السلام احصنت فرجها ففرمها الله تعالى وذريتها على النار نعم أخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات ان الله تعالى غير معذبك ولا أحدا من ولدك وورد يا عباس ان الله تعالى غير معذبك ولا أحدا من ولدك ولكن لا ينبغى الاغترار بنحو هذا فان ظاهر الوعد لا يقضى على باطن المشيئة ويعنى بقوله سواكم الفجرة من بنى أمية وأمثالهم وسوداته اثبتت له السيادة عند أهل الدنيا

مدته فتأمل ذلك منصفا (صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة) فى صحيح مسلم وغيره عنها بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة أى تدارك كلما فاته من التهجد لقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا وفى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب الله له كأنما قرأه من الليل وفيه استحباب المحافظة على الاوراد وأنها اذا فاتت تقضى لئلا تعتاد النفس بالترك وان وقت القضاء ما بين الفجر والزوال قال ابن حجر وهو بيان لوقته الافضل اه وقضى قول المختصر والورد قبل الفرض لنائم عنه انه لا يفعل بعد صلاة الصبح بل ولا بعد حل النافلة الا ان يقال اذا جاز فعله فيما بين طلوع الفجر والاسفار ففعله بعد حل النافلة من باب أولى والله أعلم وقد قال الموّاق فى سنن المهتدين ما نصه هذا الامام ابن عرفة على تعظيمه المشهور فى المذهب حكى عنه تلميذه الابى أنه كان يتنفل بعد العصر فقيل له فى ذلك فقال انما أفعله يوم يفوتنى معتادى وحكى عنه أنه قال لآخر لا يأتى من الصلاة الا خير اه فعلى قياس ما فعله ابن عرفة لا بأس بقضاء الورد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس وان كان ذلك خلاف مذهب مالك ويؤيده حديث مسلم المتقدم من نام عن حزبه من الليل الخ وكأن وجه ما فعله ابن عرفة ان التنفل فى ذلك الوقت وان أثيب على تركه على قول فلا يضره فعله على ذلك القول ويؤجر عليه على قول آخر كما قيل بذلك فى الصلاة فى المسجد على الجنازة والله أعلم وفى الموطأ ما من امرئ تكون له صلاة من الليل يغلبه عنها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة قال عياض وهذا أتم فى التفضل أى من حديث مسلم لانه حبسه عنه وأثابه اه وليس فعل هذا الورد نهارا بقضاء حقيقة بل هو عبادة يعادل ثوابها ثواب ما فاته أو يقرب منه لانه لا يقضى الا الفرض وقد اختلف المالكية فى ركعتى الفجر هل فعلهما بعد حل النافلة قضاء حقيقة أولا وهذا ظاهر ان قلنا ان قيام الليل لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم والا كان فعله للورد نهارا قضاء حقيقة والله أعلم وقد ورد عن عائشة أيضا احدى عشرة ركعة وهذه الرواية تقتضى انه فاته الوتر وانه قضاه نهارا وسكتت عن الوتر فى رواية ثنتى عشرة اما الان تداركه معلوم

امثاله والبيضاء الفضة والصفراء الذهب *(خاتمة)* ثم اعلم ان هذه الآيات والاحاديث الواردة فى فضائل أهل البيت رضى الله عنهم هى التى حملت الامام ابن العربى الحاتمى على ان ذكر فيهم كلاما فى فتوحاته المكية اختصره الشيخ سيدى أحمد زروق والشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى وهو ان يعتقد فى أهل البيت ان الله تعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابقة عناية من الله لهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

و يطهركم تطهيرا فعلق الحكم بالارادة التى لا تتبدل أحكامها فلا يحل لمسلم ان ينتقص ولا ان يشك أعرض من شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه والعقوق لا يخرج عن النسب ما لم يذهب أصل النسبة وهو الايمان وما تعين عليه من الحقوق فأيد بنا فيه ثابتة عن الشريعة وما نحن فى ذلك الا كالعبد يؤدب ابن سيده باذنه فيقوم بامر السيد ولا يهمل حق فضل الولد وقد قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال ابن عباس الا أن تودوا قرابتى وما نزل بنا من قبلهم من الظلم تنزله منزلة القضاء الذى لا سبب له اذ قال عليه الصلاة والسلام فاطمة بضعة منى يريبنى ما يريبها وللجزء من الحرمة ما للكل وقد قال تعالى وكان أبوهما صالحا فاثنى بصلاح الاب فما ظنك بنبوته اذا كان هذا فى أولاد الصالحين فما ظنك بأولاد النبيين فاذا نعبر فى أولاد سيد المرسلين فبان ان لهم من الفضل ما لا يقدر قدره غير الذى خصهم به (قال) الشيخ زروق ولما ذكرت اول هذه الجملة لشيخنا أبى عبد الله القورى قال هذا فى حقنا فاما بحقهم فليس الذنب فى القرب كالذنب فى البعد وتلا يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة الآية * وكتب الامام النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار على قوله يعتقد فى أهل البيت الخ ما نصه قول العقائل ان أهل البيت يعتقد ان الله لا يعاقبهم الخ ان أراد تغليب الرجاء فى حق من علم الله تعالى انه منهم على الخوف فحق وان أراد بالاعتقاد الجزم المطابق بانهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة فان

تحت

قيل وردبه ظواهر قيل وردا كثر منها وأوضح فى حق غاة على طاعات وأعدى الاعادى لاهل البيت من يوهمهم ذلك بل يذكرهم نحو يضاعف لها العذاب ضعفين وان كثيرا من تلك الظواهر قد لا تشملهم فمن اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم فهو مبتدع بل مذهب أهل السنة انهم فى المشيئة * وكتب على هذا الكلام العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى رحمه الله

بالاولى أو لانه كان قد م وتره أول الليل ولم يفته هذه المرة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن العلاء نا أبو اسامة عن هشام يعنى ابن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين) الحكمة فى ذلك رياضة النفس وتنشيطها حتى تستقبل قيام الليل على أتم وجوه الخشوع وأكملها وفيه ارشاد الى أن من شرع فى عمل فليكن عمله على التدريج حتى تتعود نفسه بالعمل فيأتى ببقية عمله على الوجه الاكمل وقد قال فى التوضيح الحكمة فى تقديم النوافل على الصلاة ان العبد مشتغل بأمور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة أنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح و نا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن عبد الله بن أبى بكر) أى ابن عبد الله ابن عمرو بن حزم (عن أبيه ان عبد الله بن قيس بن مخرمة أخبره) أى أخبر عبد الله بن أبى بكر (عن زيد بن خالد الجهنى) نسبة الى قبيلة جهينة (أنه قال) أى زيد (لارمقن) من الرمق وهو النظر الى شئ على وجه المراقبة ومزيد التأمل (صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى زيد (فتوسدت عتبته) اى اسكفة الباب والمعنى جعلت العتبة العالية وسادة لى (أو فسطاطه) أى خبائه قال ابن حجر والظاهر الثانى فان رمق زيد لا يتصور فى الحضر لانه صلى الله عليه وسلم يكون عند نسائه (فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين خفيفتين) هما مقدمة ورد الليل كما تقدم (ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين) كرر هذا الوصف ثلاث مرات اشارة الى انهما فى غاية الطول قال ابن حجر وحكمة ذلك ان أول الدخول فى الصلاة يكون النشاط أقوى والخشوع أتم فسن التطويل لوجود مقتضيه ومن ثم سن فى الفرض تطويل الركعة الاولى على الثانية وكانت الثانية من الرباعية أطول من الاخيرتين اه ومن ثم قال (ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر) كذا فى رواية هذا الكتاب بتكرار ثم صلى ركعتين أربع مرات وكذا هو فى رواية مسلم والموطا وسنن أبى داود وجامع الاصول وأفراد الحميدى لمسلم وعلى هذا يدخل الركعتان الخفيفتان

ما نصه وقف على قوله فى حق من علم الله أنه منهم فانه تنبيه على انه لا يقطع به فى معين ولا يقطع به لنفسه ولو الامن كون شرطه الوفاة على الاسلام وهو غيب وهكذا ينبغى ان يكون الاعتقاد فى كل فضيلة وعد عليها فى العتبى فان شرط ذلك الايمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لاحد الامن ميزه النص على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعد وبه تفهم قول سيدى عبد السلام وألحقنى بنسبه فان الطينى مشروط بالدينى وهو غيب وكذا ما ورد فى قبول الطاعات والدعاء وادخاره فانما هو فيمن علم الله تعالى منه خاتمة الايمان ونفذت بذلك ارادته ومشيئته وأما أحد فى خاصته فلا يصح منه الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره وقد قال سيدى أبو الحسن وقد أبهمت الامر علينا لنرجو ونخاف وذلك سر العبودية وبذلك تنقطع الآمال الا من الله ويتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا على الاسباب فاعرفه اه فتبين من نصوص هؤلاء الائمة رضى الله تعالى عنهم ان محل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم الله أنه منهم لكن يشكل عليه ان الآية صرحت بان الله تعالى أراد اذهاب الرجس بمعنى الاثم كما قال المفسرون عنهم وما أراده الله مقطوع بوقوعه وهو معنى قول ابن العربى تعلق الحكم بالارادة التى لا تتبدل أحكامها والجواب من وجهين أحدهما ان الشيخ أبا اسحق الشاطبى حمل الارادة فى الآية على الامرية وهى انما تستلزم الرضا بالمراد لا وجوب وقوعه لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بذلك مع ان الآية جاءت لبيان حرمتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما أمر أمهات المؤمنين بأوامر ونواهى بنواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا للهم العلية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التى لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة وهو معنى قوله أهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وأبعدوها عما لا يناسبها ولا يليق بالمنتسب بها كأنه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانا نريد لكم الا

تحت ما أجمله بقوله (فذلك ثلاث عشرة ركعة) ويكون الوتر بواحدة ومن ذهب الى أن الوتر بثلاث لم يعد الركعتين الخفيفتين من الثلاث عشرة ووقع فى نسخ المصابيح بتكرار ثم صلى ركعتين ثلاث مرات فقال شارحوه الوتر هنا ثلاث ركعات لانه عد ما قبل الوتر عشر ركعات ثم قال فذلك ثلاث عشرة ركعة قال فى جمع الوسائل والاول أصح وأصوب رواية ودراية والله أعلم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن انه) اى أبا سلمة (أخبره) اى أبا سعيد (انه) اى أبا سلمة (سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان) اى ليالى (فقالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة) قد اختلفت الروايات عن عائشة فى قدر قيامه صلى الله عليه وسلم قال القرطبى وقد أشكل حديثها حتى نسب الى الاضطراب وانما يتم ذلك لو اتحد الراوى عنها والوقت اه قال الابى عن عياض ما حاصله انه يجمع بين أحاديثها بأن تكون أخبرت بأحدى عشرة عن غالب أمره وباقى الروايات اخبار عما كان يقع منه نادرا وذلك بحسب الحال من ضيق الوقت واتساعه أو تطويل القراءة أو مرض أو نوم أو كبر سن كما قالت فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبع ركعات فاختلاف قدر قيامه صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لهذه الاحوال المختلفة ويحتمل ان يكون لقصود مختلفة فقد أشار بعضهم الى ان اختلاف عدد قيامه يحتمل انه راعى فيه عدد ركعات فرض الليل والنهار فى بدء الامر وهو عشر ركعات وهى كانت أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل غالبا على ما جاء فى الحديث المتقدم وعددها على ما استقرت عليه الآن وهى سبع عشرة ركعة وهو أكثر ما روى عنه عليه الصلاة والسلام فى صلاة الليل وعدد صلاة فرض الليل وهو سبع ان جعلت صلاة الصبح من النهار وهو أقل قيامه وتسع ان جعلت من الليل وقد روى عن عائشة ان التسع أكثر قيامه فى أول الامر وعدد صلاة فرض النهار وهو ثمان ركعات أو عشر على الاحتمالين فى الصبح أو عدد رواتب صلاة النهار وهى عشر أربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر أو أربع قبل الظهر وأربع بعدها وركعتان قبل العصر اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ومن أحسن ما يجمع به أنه عليه السلام كان له عدد يعتبره

الكمال بأن تأتوا ظاهرين من كل شئ وهكذا يقول الناصح لمنصوحه فى المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما ينهيك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا والثانى ان المراد بأهل البيت فاطمة وبعلها وابناهما أو نساء النبى صلى الله عليه وسلم أو هما على أقوال ثلاثة للمفسرين خلافا لابن العربى فى التعميم الذى ذكره فى الفتوحات * قال السيد السمهودى قد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كان قد خرج على المأمون

فظفر به فبعث به الى أخيه على الرضا بن موسى الكاظم فوبخه على الرضا ومن جملة ما قال له يا زيد ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سفكت الدماء وأخفت السبل وأخذت المال من غير حقه غرك حمقاء أهل الكوفة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وهذا من خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا الى ولك والله ما نالوا ذلك الا بطاعة الله اه وقال المناوى فى حديث سألت ربى عز وجل أن لا يدخل أحدا من أهل بيتى النار فاعطانيها قال هم فاطمة وعلى وابناهما وزوجاته اه هذا ما لخصته من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله على همزيته * وفى الاحياء للغزالى لما تكلم على الاعجاب بشرف النسب والآباء ان من خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل ولا يتكل على شفاعتهم فانه قد لا يؤذن لهم فيه وانه بمنزلة من يتعاطى أكل السموم اتكالا على طب آبيه وذلك جهل وخطر لان من ذلك ما لا يعالج غيره فالحزم الحذر هذا وقد سئل العلامة التحرير القاضى الاشهر سيدى العربى بردلة عن مسئلتين الاولى هل يطلب شرعا البحث فى هذه النسبة النبوية لتمييز من ثبتت له شرعا ممن لا حظ له فيها أم لا الثانية على تسليم المطلوبية هل يترك ذلك لمفسدة تلحق من سقطت دعواه لذلك النسبة من امتهانه وتكليفه بالمغارم فاجاب عن الاولى بان ذلك الامر مطلوب شرعا ففى الصحيح

بالدورة فاذا أكثر بالنهار قلل بالليل وبالعكس والذى يهدى اليه الاستقراء أنها كانت خمسين ركعة بالفرض والنفل اشارة الى الاصل ففى حديث على رضى الله عنه كان يصلى من النهار ست عشرة ركعة فى الضحى ستا وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا وحديث ركعتى المغرب والفجر وثلاث عشرة من الليل لا ينفى فتلك ثلاثة وثلاثون وربما نقص من الليل وزاد فى النهار وربما نقص من النهار وزاد فى الليل كما اقتضته أحاديث يطول ذكرها وقد أشار عياض لشئ من هذا فانظره اه ويؤخذ مما تقدم الجمع بين رواية عائشة احدى عشرة ركعة ورواية ابن عباس المتقدمة وروايتها أيضا عند مسلم ثلاث عشرة ركعة أو يقال انه عليه السلام كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين فتارة اعتبرتهما من الورد فقالت ثلاث عشرة وتارة لم تعتبرهما لانهما مقصودتان للوضوء أو لحل عقد الشيطان فى حق من يتأسى به عليه السلام اذ لا يصح عقد الشيطان عليه لعصمته لكنه كان يفعل ما يأمر به وان كانت حكمته مقصودة لغيره لتحقيق الحكم واثبات الاقتداء به كما كان يتقى من نفسه ما هو نجس من غيره ليكون اسوة فيه والله أعلم قاله الشيخ زروق فى شرح الرسالة (يصلى أربعا) قيل معنى ذكر الاربع انه لم يكن يسلم من كل ركعتين وقيل انه لم يجلس الا فى آخر ركعة وقال مالك والاكثر أنه كان يسلم من كل ركعتين ثم اختلفوا فى معنى ذكر الاربع فقيل أراد انها على صفة واحدة فى التلاوة والتحسين ثم الاربع الثانية مستوية أيضا فى الطول والحسن وان لم تبالغ فى الطول قدر الاولى كما قال زيد ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما وقيل انما خص الاربع بالذكر لانه كان ينام بعد كل أربع نومة وتقدم فى حديث أم سلمة كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام وليس المعنى أنه لم يكن يفصل بينهما بسلام (لا تسأل عن حسنهن وطولهن) يحتمل ان يكون منع السؤال كناية عن العجز عن الجواب ويحتمل ان المعنى انهن من كمال الطول والحسن فى غاية ظاهرة مغنية عن السؤال نظير قوله تعالى ولا تسئل عن أصحاب الجحيم (ثم يصلى أربعا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا) يحتمل بسلام واحد ويحتمل انه فصل بين شفعه ووتره بالسلام كما تقدم فى قوله يصلى أربعا (قالت عائشة قلت يا رسول الله أتنام قبل ان توتر) قال عياض لما عهدت من أبيها انه يوتر قبل النوم وكانت صغيرة ليس عندها كبير علم ظنت ان فعل أبيها لا يجوز

انه صلى الله عليه وسلم أمر حسانا ان يذهب الى أبي بكر ليخلص له نسبه أي حين أراد حسان وأمر أن ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال له صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبي فقال حسان لاسلنك منهم ونعين عليه تخليص نسبه الشريف فكذلك سائر الامة لما كانوا في حق الآل باورمنها الصلاة عليهم الوارد بها النص ففي البخاري ومسلم ان الصحابة قالوا يارسول الله أمرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبما يجب لهم قال في المختصر نخراجها والخمس والجزية لآله صلى الله عليه وسلم للمصالح وبما ننزههم عنه بالكفاية من غيره ففي مسلم ان هذه الصدقة انما هي أوساخ الناس وانها لاتحل لمحمد ولا لآل محمد وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال لاأحل لكم أهل البيت من الصدقات شيأ ولاغسالة الايدي ان لكم في خمس الخمس مايكفيكم أو يغنيكم قال المواق على قول المختصر وعدم بنوة لهاشم قال ابن حبيب لايدخل في آل محمد الذين لاتحل لهم الصدقة من فوق بني هاشم من بني عبد مناف وبني قصي ويدخل في ذلك من دون بني هاشم من بني عبد المطلب وبني بنيهم ماتناسلوا الى اليوم وكذلك يتنزهون عن ان يكونوا عمالا عليها قال في المختصر في الجابي غير هاشمي قال اللخمي لايستعمل عليها من كان من آل النبي صلى الله عليه وسلم لان أخذها على وجه الاستعمال عليها لايخرجها عن أوساخ الناس اه فلما كانت لامقتضى هذه الاحكام وغيرها في حق آله عليه الصلاة والسلام تعين تمييزه او هذه الاحكام الذي هو للآن من غيرهم ولا يتميزون الا بالبحث البالغ والتفتيش المستقصى ولذلك نصبت النقباء قديما وحديثا في ممالك الاسلام وأهم مانصب اليه النقباء هو التمييز والبحث عمن ثبتت له هذه النسبة الشريفة ممن لم تثبت له لان الناس جبلوا على حب العلو لاسيما من أعانه الدهر بوفور مال أو شهرة وجاهة لسبب من الاسباب أو نيل رياسة فكلهم يتطلع ويتحيل للتحلي بهذا النسب الشريف

غيره فاجابها بأن (قال ياعائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) والمعنى ان السبب في تقديم الوتر انما هو خوف غلبة النوم وهو في ذلك بخلاف الناس لانه صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك من خصائص الانبياء عليهم السلام وقد تقدم انه لامنافاة بين هذا وما ورد من نومه صلى الله عليه وسلم عن وردة وعن صلاة فرضه في قضية الوادي وما اختاره أبو بكر من تقديم الوتر هو اختيار ابن المسيب وفعله عثمان وكان عمر وعلي يؤخران وترهما وهو اختيار مالك وهذا لمن جرت عادته بالقيام وقوي عليه ولم تكن عادته ان تغلبه عيناه ولهذا قال عليه السلام لعمر أخذت بالعزم أي بالقوة ولابي بكر أخذت بالحزم أي بالاحتياط * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة) احتمال أن معنى يوتر الخ انه يضم الشفع لواحدة منها بعيد (فاذا فرغ منها) أي من الاحدى عشرة (اضطجع على شقه الايمن) أي للاستراحة ان كان الصبح قريبا أو للنوم ان كان وقت السحر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر نا معن عن مالك عن ابن شهاب نحوه ح) كذا في بعض النسخ بلفظ نحوه مع حاء التحويل وفي بعضها بدونها وفي بعضها باحدهما فقط * قال المصنف (وحدثنا قتيبة عن مالك عن ابن شهاب نحوه) * قال المصنف (حدثنا هناد نا أبو الاحوص عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل تسع ركعات) أي في بعض الاحيان لادائما ولاغالبا ولايخدش في ذلك التعبير بكان لانها لاتقتضي الدوام عند كثير من الائمة الاعلام * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا يحيى بن آدم نا سفيان الثوري عن الاعمش نحوه) أي في بقية الاسناد وفي لفظ الحديث والظاهر أن نحوه هنا بمعنى مثله فلا تفاوت * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي حمزة رجل من الانصار عن رجل من بني عبس) * قال المصنف في جامعه والنسائي أبو حمزة عندنا طلحة بن زيد قال الحافظ المنذري أبو حمزة الانصاري مولاهم الكوفي وثقه النسائي واحتج به البخاري والرجل شيخه هو صلة بن زفر العبسي الكوفي احتج به الشيخان اه (عن حذيفة بن اليمان) تقدمت ترجمته في باب الازار (انه صلى مع

فاذا لم يقع الذب عنه استوى الشريف والمشروف وتعطلت تلك الاحكام أو تعلقت بغير أهلها ونعوذ بالله من ذلك ثم هنالك أمر آخر نبه عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو التوسل بهم عند الشدائد حين خرج للاستسقاء وقام سيدنا العباس وقال اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا اللهم انا نستسقى بعم نبيك فاسقنا وتذكر قضية الشيخ سيدى عبد القادر الفاسى حيث أشار على الناس بالاستسقاء بهم ففعلوا فسقوا ولهذا قال الشيخ القصار ينبغى ان

يكون لاهل البيت النبوى بل ولجميع الامة غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه أحد الا بحق كما جرى عليه السلف الكرام لتعين توخيهم بالاجلال والاعظام وقال ابن حجر الهيتمى وينبغى لكل أحد ان تكون له الغيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق وأجاب عن المسئلة الثانية بان تلك المفسدة اللاحقة سهلة بالنسبة الى مقابلها الان قصارى من سقطت دعواه لتلك النسبة أن يرجع فى الدنيا من عوام الناس ينوبه ما نابهم ويلزمه مثل ما يكلفون به لكن فيه انقاذ له من فضوح الآخرة حيث تحق الحقائق وتظهر الامر على خلاف ما يدعى ويطرد عن ذلك الجناب الذى كان اليه ينتمى ثم انه ورد الوعيد الشديد على من خرج عن نسبه بتطلب غيره ففى البخارى من انتسب الى غير أبيه فالجنة عليه حرام ومن انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وعن مالك من انتسب الى بيت

جمال

النبى صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم اه بح ومانقله عن مالك هو فى آخر الشفا من رواية أبى مصعب عن مالك لكن رأيت فى حاشية العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى على البخارى فى آخر كتاب الفرائض عن الابى على حديث من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه

النبى صلى الله عليه وسلم من العسل) أى فيه ولفظ أحمد والنسائى فى ليلة من رمضان (قال) أى حذيفة (فلما دخل) أى أراد الدخول (فى الصلاة قال الله أكبر) قيل معناه المبالغة فى الوصف أى البالغ المتناهى فى الكبرياء والعظمة ولم يرد التفضيل على شئ لانه أجل من ان يفضل على غيره ومن ثم لم يستعمل استعمال اسم التفضيل وقيل المقصود به التفضيل والمفضل عليه محذوف وعليه فقيل المعنى الله أكبر من ان يعرفه غيره لانه تعالى فوق كل ما تطيقه عقولنا لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بامره المتفكرون وقيل العبارة على حذف مضاف أى حق الله أكبر قال صاحب الحلل لما كانت الصلاة أرفع العبادات وحالة العبد فيها مع الله أعظم الحالات والوفاء بما يجب من رعايتها على التحقيق متعذر والله مقبل على المصلى ناظر اليه من غير تمثيل ولا تشبيه وجب من أجل ذلك على المصلى اذا عزم على فعل ركن أو فرغ منه أن يشهد على نفسه بالتقصير وانه لا قدرة له على الوفاء ببعض ما يجب له وليس من الاذكار ما يشعر بما فى قلبه من ذلك الا الله أكبر أى حق الله على فيما فعلت أو أفعل أكبر وعملى بالنسبة الى عظيم جلاله أحقر اه (ذو الملكوت) فعلوت من الملك قال فى جمع الوسائل أى مالك الملك وصيغة فعلوت للمبالغة والكثرة كما فى رحموت ورهبوت وأما ما ورد من قوله ذو الملك والملكوت فيفرق بينهما بان المراد من الاول ظاهر الملك ومن الثانى باطنه كما يعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة (والجبروت) فعلوت من الجبر وهو القهر قال تعالى وهو القاهر فوق عباده فسبحان من قهر العباد بالموت وغيره مما قضى به عليهم وقال الشيخ زروق العوالم ثلاثة عالم الملك وهو ما شأنه ان يدرك بالحس والوهم وعالم الملكوت وهو ما شأنه ان يدرك بالعقل والفهم وعالم الجبروت وهو ما شأنه ان يدرك بهما لا فى الحال بل فى ثانى حال كما فى الجنة اذ هو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه فالمعنى على الوجه الاول الملك الجبار وعلى الثانى خالق عالمى الملكوت والجبروت والمدبر أمرهما والقائم بهما والمتصرف فيهما بسائر أنواع التصرفات التى لا تحيط بها العقول وفسر الجبروت أيضا بالغنى من جبرت الفقير أغنيته ومقتضى القاموس اشتقاقه من التجبر وهو التكبر (والكبرياء) أى الترفع والتنزه عن كل نقص (والعظمة) أى تجاوز القدر عن الاحاطة قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل أو الكبرياء عبارة عن كمال الذات والعظمة اشارة الى

فالحنفة عليه حرام مانصه ان كان انما يقول ذلك لما من على نفسه يعنى على وجه التقية من ظالم أو خوف على نفس أو مال فذلك خفيف ولكن يورى أحسن اه قال العارف وهذا كما فى دعوى الشرف لاجل ذلك أو الانتماء الى صالح فان كان للضرورة فذلك خفيف كما ذكر والتورية أحسن وان كان لغير ضرورة ففيه الوعيد المذكور فى الحديث بلاشك والحديث صادق فى المدعين الشرف بالكذب قبل والناس مصدقون على انسابهم فى غير دعوى الشرف حماية لجناب النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر وا فى باب الردة انه يشدد فى أدب من انتمى له عليه الصلاة والسلام بغير حق سواء كان ذلك الانتساب تصريحا أو احتمالا ثم ذكر كلام الشفاء المتقدم والله أعلم

جمال الصفات اه ولا يجوز أن يتصف بالكبرياء أو العظمة غيره تعالى ففى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته وأهلكته وفى رواية أدخلته النار وفى أخرى عذبته قال فى الاكمال ماحاصله هذا مجاز على عادة العرب يقولون فلان شعاره الزهد والورع ودثاره التقوى ولا يريدون بذلك الثوب الذى هو شعار ودثار وانما يريدون انه صفته ونعته ووجه هذه الاستعارة ان الرداء والازار هما سترة الانسان اللازمة له فضرب ذلك مثلا لكون الكبرياء والعظمة للبارى تعالى أحق وله الزم وأوجب اه وانما جعل الكبرياء ردا والعظمة ازارا ولم يعكس لان العظمة منشأ الكبرياء فهى أسبق بحسب التعقل كما ان الازار قبل الرداء لانه أول مايلبس قاله شيخنا المحقق فى جواب له عن هذا السؤال (قال) أى حذيفة (ثم قرأ البقرة) أى بعد الفاتحة وانما لم يذكرها الراوى اعتمادا على ان ذلك معروف من عادته صلى الله عليه وسلم (ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه) أى قريبا منه وهذا يقتضى انه طول فى ركوع ثم سجد قريبا من سورة البقرة وقد ورد ذلك أيضا فى صلاة الكسوف ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يطول فى ركوع صلاة الفرض قريبا من السورة والله أعلم (وكان يقول) فى ركوعه (سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم) كرره لافادة التكثير أى يكرر هذه الكلمات فى هذا الركوع مع طوله قال ابن حجر وهذا الذكر مطلوب فى كل ركوع وأقله مرة وأدنى الكمال فيه ثلاث مرات وأكمله احدى عشرة مرة أخذا من مجموع الاحاديث اه و يأتى مذهب مالك (ثم رفع رأسه) أى من الركوع (وكان قيامه) أى بعد الركوع (نحوا من ركوعه وكان يقول لربى الحمد لربى الحمد) كرره أيضا لما تقدم والمستتر من أحواله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد أو ربنا ولك الحمد قال ابن حجر ومن ثم صرحوا بان ذلك أفضل مما هنا والمعروف عدم تكرار الحمد عند الرفع من الركوع (ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه) أى اعتداله من الركوع و يحتمل ان المراد قيامه للقراءة (وكان يقول) أى فى سجوده (سبحان ربى الاعلى سبحان ربى الاعلى) قال ابن مخاص وغيره قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزل قوله سبحانه سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اه وخص العظيم بالركوع والاعلى بالسجود

(وباصحابك الذين هم بعدك فينا الهداة والاوصياء)

الاصحاب جمع صاحب كشاهد واشهاد وهو من اجتمع مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم ولو طفلا وأعمى ومات مؤمنا والهداة جمع هاد أى الدالون للامة على الله تعالى بما يليق بتوحيده وعلى شرعه الذى شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والاوصياء جمع وصى من وصاه وأوصاه عهد اليه أى المعهود اليهم بالقيام بأمر الدين والدعاء اليه والذب عنه فقاموا بذلك أتم قيام كما هو معلوم رضى الله تعالى عنهم ولا عبرة بمن قال أوصى النبى صلى الله عليه وسلم

بخلافة أبى بكر وعلى اذ وقع الاجماع على ان ذلك لم يكن والا لهلكت الامة لوخالفوا نص الوصية لو وقع لكن اشارته صلى الله عليه وسلم فى غير حديث دلت على ان الخليفة بعده الذى رضيه الله تعالى ورسوله لخلافة النبوة أبو بكر رضى الله عنه وجعلنا فى حماه وسيأتى بعضها فى ذكر أبى بكر * (فائدة) * جمهور الامة على ان فضل الصحبة لا يعدلها شئ فاصحاب النبى أفضل أمته بعده على الاطلاق وذهب الحافظ ابن عبد البر فى جماعة الى انه

يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو أفضل من بعضهم للخبر الحسن وقيل صحيح مثل أمتي مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره والخبر الحسن أيضا يدرك بن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير وروى أبو داود والترمذي يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا قال منكم وانظر المواهب وأجاب الجمهور عن الحديث الاول بان معنى قوله لايدرى أوله خير الخ في سعة الحال وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان الله تعالى فتح عليهم في الاول أقطار الارض وأباحهم أموال الامم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم وكذلك في آخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد في الحديث عند نزول عيسى عليه السلام قاله السخاوي في شرح العقيلة لشيخه الشاطبي ونحوه في الجعبري

(أحسنوا بعدك الخلافة في الدين وكل لما تولى ازاه)

أي أجادوا في تولي الامر وأتقنوا ولم يسيئوا بعدك قال في القاموس والخالف الذي يقعد بعدك قال الله تعالى مع الخالفين والخليفي بكسر الخاء واللام المشددة الخلافة قال والخليفة السلطان الاعظم انتهى فجاهدوا الكفار وفتحوا الامصار وساسوا الامة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة حتى ظهر دين الله واتضح اتضاح نار ليلا على علم رضي الله تعالى عنهم وكان الامر كذلك في حياة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم أيام الحسن رضي الله تعالى عنهم وكل منهم لما تولى بعده صلى الله عليه وسلم من الامر ازاه بكسر الهمزة قيم سائس أحسن قيام وأتم سياسة

(أغنياء نزاهة فقراء * علماء أئمة أمراء) (ثم

أغنياء خبره مبتدا محذوف جمع غني أي بالله تعالى مع شرف نفوسهم سواء منهم ذو المال وغيره وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض أي المال وانما الغنى غنى النفس وقال الشاعر

ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

للمناسبة فان الاعلى أبلغ من العظيم والسجود أبلغ من الركوع فجعل الابلغ للابلغ وقال ابن حجر صح في السجود أقرب ما يكون العبد من ربه اذا كان ساجدا فربما يوهم الجاهل ان المراد قرب المسافة فأشير الى تنزيهه تعالى عن ذلك بذكر الاعلى ونظيره قول امام الحرمين في قوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلوني على يونس بن متى انما خص يونس لانه ربما توهم ان قربه في بطن الحوت دون قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وهو فوق السبع السموات ليلة الاسراء وليس كذلك بل قربهما مع ما بينهما من تباعد المكان بالنسبة اليه تعالى على حد سواء تعالى عن المكان والزمان اذهما من جملة المحدثات ووجوده تعالى أزلي قديم لايتقيد بحادث أي حادث كان اه وسبحان منصوب عند النحاة على المصدر كالكفران والعدوان اي أسبح الله سبحانا ومعناه التنزيه والمعنى أبرئك وأطهرك من كل نقص وعيب قاله في المشارق وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة قال بعضهم في اسمه القدوس هو المنزه عن كل كمال لغيره لان قولك المنزه عن النقائص بمنزلة قولك الملك ليس بحزار فافهم اه

ألم تران السيف ينقص قدره * اذا قيل هذا السيف خير من العصى

ولم يحد مالك رضي الله عنه فيما يقال في الركوع والسجود حدا ولا دعاء مخصوصا وهذا معنى قوله في المدونة لاأعرف قول الناس في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى وانكره قال ابن رشد اي أنكر وجوبه وتعيينه لاان تركه أحسن من فعله لانه من السنن التي يستحب العمل بها عند الجميع اه وفي مسلم عن أبي ذر مرفوعا أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفيه عن ابن عباس عن جويرية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وفي رواية انه قال سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته اه والتسبيح عبادة سائر الخلق قال الله سبحانه يسبح له ما في السموات وما في الارض وقال سبحانه وان من شئ الا يسبح بحمده

ونزاهة على حذف مضاف أى ذو ونزاهة قال فى القاموس التنزه التباعد والاسم النزهة قال ونزه ككرم وضرب نزاهة ونزاهية والرجل تباعد عن كل مكروه فهو نزيه انتهى أى اغناء كما قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وفقراء جمع فقير وليس المراد به الفقر الحسى بل المعنوى فالمكثرون منهم كابن عوف وابن عفان رضى الله تعالى عنهما انما كانت فى أيديهم كالخزان لمال الله تعالى يضعونه فى مواضعه ومستحقه وبين الاغنياء والفقراء التضاد وكذا بين الرخص والغلاء الآتى وعلماء جمع عالم وأئمة جمع امام أى عارفون مقتدى بهم لانهم الذين ورثوا العلم عنه صلى الله عليه وسلم وشاهدوا هديه واستعملوه بعده قال فى المنح وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان الحسن البصرى كان يفتى الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى زمنه وفى الحديث المتفق عليه فى حجة الوداع رب مبلغ أوعى من سامع وأمراء جمع أمير أى ملوك على من بعدهم ممن لم تحصل له صحبة أو المراد من ولى منهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين بعده

(ثم رفع رأسه فكان ما بين السجدتين نحوا من السجود وكان يقول رب اغفر لى رب اغفر لى) فيه الدعاء بين السجدتين وتقدم ان دعاءه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة مع علمه بانه مغفور له ومع انه معصوم من جميع الذنوب اشفاق وتعليم للامة وخوف من مكر الله عز وجل وتواضع منه صلى الله عليه وسلم أو بحسب المقامات يرى مقامه بالامس دون ما ارتقى اليه اليوم فيستغفر من مقامه بالامس ومما ورد من دعائه صلى الله عليه وسلم بين السجدتين اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى واعف عنى وعافنى اه ويستفاد من هذا الحديث مشروعية التطويل فى الرفع من الركوع وفى الجلوس بين السجدتين كما هو مشروع فى القراءة والركوع والسجود لكن هذا انما وقع نادرا والمتقرر من عادته صلى الله عليه وسلم عدم التطويل فى الاولين والله أعلم (حتى) غاية لمحذوف أى ولم يزل يطول فى صلاته تلك الليلة حتى (قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الانعام شعبة الذى شك) أى من بين الرواة (فى المائدة والانعام) وفى نسخة أو الانعام والمراد انه صلى فى كل ركعة بسورة من هذه السور الاربع كما بينه أبو داود فى روايته فانه قال بعد رب اغفر لى فصلى أربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام شعبة الخ لكن الذى فى النسائى انه قرأ السور الاول الثلاث فى ركعة ولفظه عن حذيفة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء فى ركعة وكان اذا مر بآية فيها التسبيح سبح أو سؤال سأل أو تعوذ تعوذ ثم ركع نحوا مما قام ثم قام نحوا مما ركع ثم سجد نحوا مما قام اه فيحتمل انه قرأ المائدة والانعام فى ركعة أخرى ويحتمل أنه قرأ بغيرهما وظاهر رواية مسلم كالنسائى انه قرأ الثلاث أيضا فى ركعة ولفظه عن حذيفة قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح سورة النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم وكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وفى حديث جرير من الزيادة وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد وقد علمت بهذا معارضة رواية النسائى ومسلم مع رواية أبى

(زهدوا فى الدنيا فاعرف الميل اليها منهم ولا الرغباء)

أى لم يرغبوا فى الدنيا وهى بضم الدال وتكسر فعلى من الدنو أى القرب لسبقها الآخرة وقيل لدنوها من الزوال وهى ما بين السماء والارض وفى القاموس الدنيا نقيض الآخرة وقد تنون جمع دنيا يعنى اذا نكرت واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما فى الحديث وأجاب بانها انخلعت عنها الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى والمراد تركوا حطام الدنيا ونوابعه من الفخر والخيلاء والجاه قال فى المنح ثم الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج اليه من الحلال وترك ما لا يحتاج اليه منه على قسمين فاكثرهم ترك السعى فى تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من أوقاته شيأ الا وهو مشغول بشئ من ذلك وكثير منهم حصلوها

لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى يضعونها حيث أمر الله تعالى ويمنعونها حيث منع وهذا لا ينافى زهدهم لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لما ذكر وقوله فاعرف الميل أى العدول والانحراف اليها منهم ولا الرغباء أى الارادة والحرص على تحصيلها وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ورغبى ويضم ورغباء كحمراء ابتهل أو هو الضراعة والمسألة وذكر الرغباء بعد الميل ايضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافى هذا شاؤه

صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح ودعاؤه لانا س من أصحابه كابن عوف وانس والمقداد فكثرت أموالهم جدا لان المال له جهتان جهة خير يصرفه فى الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر يصرفه فى ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح راجع ما تقدم فى شرح قوله مستقل دنياك ففيه كفاية

(ارخصوا فى الوغى نفوس ملوك
حاربوها أسلابهم اغلاء)

الوغى الحرب والملوك جمع ملك أى صيروها رخيصة بعد أن كانت غالية بان قتلوهم وكانوا تمنعوا فى وسط جيوشهم وقصدوا اليهم حتى وصلوا اليهم فكيف بغيرهم وحاربوها أى قاتلوها بجد وصدق نية لنصر دين الله تعالى وأسلابهم جمع سلب بفتح اللام وهو ما يسلب من ثياب القتيل وفرسه وسلاحه وغير ذلك مما يكون معه واغلاء بكسر الهمزة مصدر أغلى الشئ اذا صيره غاليا أى ذات غلاء فكيف بالنفوس وفى القاموس غلا غلاء فهو غال وغلى ضد رخص وأغلاه الله تعالى وقول ابن حجر الاغلاء بالكسر اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل لا يصح قوله

(كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد * وصواب وكلهم أكفاء)

الاحكام جمع حكم وهو لغة القضاء وشرعا خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك

داود والمصنف فاما ان يحمل على تعدد الواقعة أو يقال ان فى رواية الترمذى وأبى داود وهما والصواب رواية مسلم والنسائى قال فى جمع الوسائل نقلا عن غيره ويؤيده اتحاد المخرج وهو وصلة بن زفر ولعل البخارى لاجل هذا الاختلاف والاضطراب لم يخرجه فى صحيحه أصلا اه وعلى كل حال فليس فى هذا الحديث بيان كم صلى فى هذه الليلة ونسب ابن حجر حديث مسلم المتقدم للشيخين وهو وهم انما هو لمسلم ولم يخرجه البخارى أصلا كما تقدم ونسبه فى جمع الوسائل للنسائى وهو وهم أيضا لان رواية النسائى مخالفة لرواية مسلم كما قدمت وقد ظهر لك أيضا مما تقدم ان ظاهر رواية مسلم أنه قرأ السور الثلاث الاول فى ركعة لا انه قرأ الكل فى ركعة خلافا لما وقع فى ابن حجر * قال المصنف (حدثنا أبو بكر محمد بن نافع البصرى) قيل هذا مجهول لانه لم يوجد فى كتب الرجال فلعله محمد بن واسع البصرى (نا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسمعيل بن مسلم العبدى عن أبى المتوكل) اسمه على بن داود أو ابن دؤد بضم الدال بعده واو بهمزة (عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة) اى احيا الليلة كلها بقراءة آية واحدة فى صلاة الليل يدل على ذلك ما رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن عن أبى ذر رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح بها يقوم وبها يركع وبها يسجد فقال القوم لابى ذر أية آية هى فقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال ابن حجر ولا ينافيه حديث مسلم انى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا لاحتمال ان هذا النهى كان بعد تلك الليلة اه قال فى جمع الوسائل أو لبيان الجواز اشارة الى ان النهى تنزيهى ويمكن أن يقال المعنى كان يركع ويسجد بمقتضى الآية وما يتعلق بمعناها بان يقول فيها سبحان ربى العزيز الحكيم اللهم اغفر لنا ولا تعذبنا أو ارحم أمتى ولا تعذبهم فانهم عبادك واغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ونحو ذلك والله أعلم اه واحتمال انه كررها فى ركعة واحدة الى ان طلع الفجر بعيد وقد ورد النهى عن البتراء فلا يحمل الحديث عليها والآية فى الكفار وفى قوله فانهم عبادك اشارة الى انهم مما لكه وهو مالكهم فله ان يتصرف فيهم كيف شاء لا اعتراض عليه وقال البيضاوى فى قوله فانهم عبادك تنبيه على انهم استحقوا التعذيب لانهم عباده وقد عبدوا غيره وفى

قوله وان تغفر لهم اشارة الى ان غفران الشرك ليس ممتنعا لذاته بل بمقتضى الوعيد فلذلك لم يمنع الترديد والتعليق بان قال التفتازانى وذكر المغفرة يوهم ان الفاصلة الغفور الرحيم لكن يعرف بعد التأمل ان الواجب العزيز الحكيم لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الامن ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه وهو العزيز أى الغالب ثم وجب ان يوصف بالحكيم على سبيل الاحتراس لئلا يتوهم انه خارج عن الحكمة اه وقيل المعنى فى قوله فانك أنت العزيز فأنت الذى لا ينقص من عزه شئ بترك العقوبة والانتقام ممن عصاه الحكيم فى كل ما يفعله من العذاب والمغفرة اه قال ابن حجر وغيره واغما داوم صلى الله عليه وسلم على تكريرها من هول ما ابتدأت به من العذاب عما أوجب اشتعال نار الخوف فى الجوف ومن حلاوة ما ختمت به من الغفران عما اقتضى الطرب والسرور فى الجنان اه ويستفاد من هذه الآية ان المطلوب من العاملين الاعتماد على فضله تعالى وكرمه لا على العمل لان مقتضى عدله تعالى ان يفعل ما شاء ولا يبالى باعمال العاملين ولذلك قال فى الحكم الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك كما يستفاد من الآية أيضا ان المطلوب من الغافلين عدم اليأس من رحمة أرحم الراحمين والحاصل ان المطلوب من كل أحد ان يجمع بين الخوف والرجاء اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا سليمان بن حرب نا شعبة عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله) أى ابن مسعود (قال صليت ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائما حتى هممت بامر سوء) بالاضافة وعدمها وبفتح السين وضمها وهو بالفتح مصدر وبالضم اسم وشاعت الاضافة فى المفتوح قاله فى الصحاح وقد قرئ بالوجهين عليهم دائرة السوء والباء للتعدية والمعنى قصدت أمرا سيئا (قيل له وما هممت قال هممت ان أقعد) اى أصلى قاعدا (وأدع النبى صلى الله عليه وسلم) اى اتركه يصلى قائما قال الكرمانى فى شرحه للبخارى فان قلت القعود جائز فى النفل مع القدرة على القيام فما معنى السوء قلت من جهة ترك الادب وصورة المخالفة اه فانما لم يقعد ابن مسعود لتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو معنى اقعد الخ لا أصلى معه بعد ذلك الشفع واتركه يصلى وحده أو المراد أقطع القدوة وأتم صلاتى منفردا ولا شك ان

يؤوله ويعارضه بمثله وفى هذا رد على من اعتقد أن فيهم ذا هوى أو نفس أو حظ أو بغض حاشاهم من ذلك بل لم يخترهم الله تعالى لصحبة نبيه الا وهم على أكمل الاوصاف وأجلها وقوله وصواب أى وذو صواب وهو ضد الخطا قال ابن حجر وهذا انما يأتى على القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد وهو ضعيف والاصح ان المصيب واحد وهو الذى وافق ما عند الله وله أجران وللمخطئ واحد كما فى الحديث ولو قال وثواب لكان أولى وعليه فعلى كرم الله وجهه هو المصيب فيما وقع بينه وبين معاوية رضى الله تعالى عنهما ومعاوية مخطئ فى خروجه عليه وله أجر واحد ولعلى المصيب أجران وفى حديث للمصيب عشرة أجور والاكفاء جمع كفء أى مكافئون فى أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون فى الزيادة فى ذلك وحينئذ فلا ينافى ذلك قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أبو بكر أعلمنا ولا سؤال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهم فيجيبه فيقول لا قدس الله تعالى أمة أنت فيها يا أبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على أكابر مشيخة المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ما ليس عندهم ولا سؤال معاوية لعلى بالارسال اليه فى المشكلات فيجيبه رضى الله تعالى عنهما ولقد قال له أحد بنيه لم تجيب عدوك فقال أما يكفينا انه احتاج الينا وسألنا والجمهور على ان

أفضل الناس بعد الانبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد

(رضي الله عنهم ورضوا عنه فاني يخطو اليهم خطاه)

أي رضي الله عز وجل عنهم بتفويض الامور اليه والقيام بدينه ورضوا عنه أي بثوابه وفي المنح رضا الله تعالى عن العبد تأمينه من سخطه واحلاله دار كرامته ورضا العبد عنه أن لا يحتلج في سره أدنى حزازة من وقوع قضاء من أقضية الله بل يجد لذلك في قلبه برد اليقين وثلج الصدر وشهود المصلحة العظمى وزيادة الطمأنينة قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه الآية وقوله فاني يخطو أي كيف يصل اليهم خطاه بالمداغة قليلة في الخطا بالقصر وهو ضد الصواب وقد مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا أخطأ له أجر وان الله تعالى اختارهم على غيرهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان الله تعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا أي فرضا ولا نفلا وفي رواية فمن حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله تعالى منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وفي حديث اذا أراد الله تعالى برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه وفي حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم معه وفي حديث الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه وفي حديث لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده عز وجل لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفي حديث من لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض

ترك الاقتداء به والحرمان من مداومة جماعته أمر سوء واحتمال ان المراد يقطع صلاته لا يليق بجلالة ابن مسعود وعلى كل حال فتسميته ذلك سوأ يدل على ان خلاف الائمة سوء وقد قال صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به قال في الاكمال وفيه حجة لمن يرى ان طول القيام أفضل وتقدم حديث مسلم عن حذيفة وهو يدل على ذلك أيضا * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جرير عن الاعمش نحوه) اي اسنادا وحديثا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن أبي النضر عن أبي سلمة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا فيقرأ وهو جالس فاذا بقي من قراءته) أي مقروئه (قدر ما يكون ثلاثين) أي مقدار ثلاثين وفيه اشارة الى ان الذي كان يقرؤه قبل ان يقوم أكثر لان البقية تطلق في الغالب على الاقل (أو أربعين آية) يحتمل ان يكون شكا من الراوي عن عائشة أو ممن دونه ويحتمل ان يكون من كلام عائشة اشارة الى ان ما ذكرته مبني على التخمين تحرزا عن الكذب أو اشارة الى التنويع بان يقوم تارة اذا بقي ثلاثون وتارة اذا بقي أربعون (قام فقرأ وهو قائم ثم ركع وسجد ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك) كذا في صحيح مسلم وفيه أيضا عن عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في شيء من صلاة الليل جالسا حتى اذا كبر قرأ جالسا حتى اذا بقي عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع اه وهذه الرواية تبين انه انما كان يقرأ جالسا للمشقة التي لحقته في آخر أمره وما كان صلى الله عليه وسلم يدع الافضل الا لعذر وقد ورد ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فحمله ابن الماجشون على المتنفل من جلوس لغير عذر واما لعذر فاجره غير ناقص لكن في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة قال فاتيته فوجدته يصلي جالسا فوضعت يدي على رأسه فقال مالك يا عبد الله بن عمر قلت حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة وأنت تصلي قاعدا قال أجل ولكني لست كاحد منكم فقال عياض في الاكمال يعني لست كاحدكم في السلامة من العذر لانه انما فعله للمشقة التي لحقته في آخر عمره من كبر سنه ويحتمل لست كاحدكم في الحكم بل أجري قاعدا كما جرى قائما ويكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد خص باشياء وهذا مذهبنا والاول باطل لانه لا تبقى

ولم يرني (جاء قوم من بعد قوم بحق * وعلى المنهج الحنيفي جاؤا)

أي جاء قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعد قوم منهم في طبقات والسابقون السابقون أولئك المقربون لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية أو المعنى لم يزالوا في ازدياد وهو من علامات النبوة كما وقع في قضية هرقل وقوله وعلى المنهج الحنيفي أي الطريق الواضح المنسوب الى الحنيفة وهو الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج أي جاؤا كلهم على ذلك وان تفاضلوا كما سبق

معه خصوصية له لان غيره من ذوي الاعذار أجره كامل اه فظاهره انه كان يصلي جالسا لغير عذر وان صلاته قاعدا كصلاته قائما خصوصية له عليه السلام قلت والظاهر والله أعلم هو الاحتمال الاول وان معنى لست كاحد منكم انه لا يتصور منه ان يصلي جالسا كسلاء ملالا كما يتصور من غيره وانما يصلي جالسا لعذر بخلاف غيره فتارة وتارة فقوله والاول باطل لانه لا تبقى معه خصوصية غير مسلم وفي الحديث صحة تنفل القادر قاعدا وهو اجماع وبعض النفل قاعدا وبعضه قائما وبعض الركعة قاعدا وبعضها قائما وجعل بعض قراءة النفل في القيام وبعضها في القعود في كل ذلك وفيه رد على من اشترط على من افتتح النافلة قاعدا ان يركع قاعدا أو قائما ان يركع قائما وهو محكي عن أشهب وبعض الحنفية تمسكا بحديث عبد الله بن شقيق عن عائشة وهو المشار اليه بقوله (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم أنا خالد الحذاء) بتشديد المعجمة (عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي عن كيفيتها (عن تطوعه) أي بالليل والجار والمجرور بدل من قوله عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله تطوعه اشعار بان صلاة الليل لم تكن فرضا عليه حينئذ (فقالت كان يصلي ليلا طويلا) اي زمنا طويلا فطويلا صفة لقوله ليلا (قائما) حال (وليلا طويلا قاعدا) اي زمنا طويلا من الليل حال كونه قاعدا وليس المراد انه كان يطول في صلاته (فاذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم) هذا والله أعلم يصدق بما اذا كانت القراءة كلها من قيام وبما اذا ابتدأها جالسا وأتمها قائما كما في الحديث قبل (واذا قرأ) اي أتى بجميع القراءة (وهو جالس ركع وسجد وهو جالس) وعلى هذا فلا ينافي الرواية قبله ولا دليل فيه لما قاله أشهب وبعض الحنفية لكن في بعض طرق هذا الحديث في صحيح مسلم فاذا افتتح الصلاة قائما ركع قائما واذا افتتح الصلاة قاعدا ركع قاعدا فيحمل اذن على انه صلى الله عليه وسلم كان له أحوال مختلفة فكان مرة يفتتح قاعدا ويتم قراءته قاعدا ويركع قاعدا ومرة يفتتح قاعدا ويقرأ بعض قراءته قاعدا وبعضها قائما ويركع قائما وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة أيضا انه كان يفتتح قاعدا ويقرأ قاعدا ثم يقوم فيركع وأمارکوعه من جلوس بعد القراءة من قيام فلم نقف عليه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن السائب بن

(مالموسى ولا لعيسى حواريون في فضلهم ولا نقباء)

الحواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على أصحاب عيسى لانهم كانوا يحورون الثياب أي يقصرونها وفي القاموس الحواري الناصر أو ناصر الانبياء والقصار والحميم وضمير فضلهم يرجع للصحابة يعني بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وحديث خير الناس وفي لفظ خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وحديث المناجاة ان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام رأى لهذه الامة في اللوح أوصافا باهرة فقال يارب اجعلني منهم والنقباء جمع نقيب وهو عريف القوم وضمينهم ونقب عليهم نقابة بالكسر فعل ذلك أي مالموسى نقباء ولا لعيسى حواريون في فضلهم ففيه لف ونشر معكوس اذ الحواريون لعيسى والنقباء لموسى عليهما السلام كما تقدم والمراد هم أفضل ممن لم يكن نبيا منهم * (تتمة) * قال الغزالي في الاحياء اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه ورسوله عليهم وما جرى بين معاوية وعلي كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن على ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أنك تأخير أمرهم مع عظيم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة وتعرض الدماء للسفك وقد قال

أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا اه وقد حكي غير واحد اتفاق أهل الحق ان عليا اجتهد وأصاب فله أجران وان معاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد فان قلت ثبت في الحديث الذي رواه جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال تقتل عمارا الفئة الباغية وقد قتل بصفين مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف صح قوله يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قلت أجيب عن ذلك بانهم كانوا ظانين انهم يدعون الى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء الى الجنة الدعاء الى سببها وهو طاعة الامام فلذلك كان عمار يدعوهم الى طاعة علي وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك وهم كانوا يدعون الى خلاف ذلك لانهم ظهر لهم ان الامام الواجب الطاعة هو معاوية الحاصل أن كلا كان يدعو الى الحق بحسب ما أداه اليه اجتهاده لكن الحديث أخبر بان الذي صادف صوب الصواب علي ومن معه

(بأبي بكر الذي صح للنا
س به في حياتك الاقتداء)

هو بدل من باصحابك بدل خاص من عام أراد ان يقسم بالعشرة تفصيلا بعد ان أقسم بالصحابة اجمالا وهو رضي الله تعالى عنه اسمه عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق وهو أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين كما في الحديث بلفظ ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وصحة الاقتداء به حصلت من طرق كثيرة بحيث اشتهر يصلي بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري والمراد بالاقتداء في الصلاة بامره صلى الله عليه وسلم وهي أعظم أركان الدين فيجب الاقتداء به في غيرها وأحاديث الامر له أن يصلي بالناس معلومة صحيحة وفي حديث أنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أخر رأسه الشريفة مغضبا

يزيد عن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته) بضم السين وسكون الموحدة أي في نافلته (قاعدا) وسميت النافلة سبحة لاشتمالها على التسبيح ولم يسم الفرض بالسبحة مع اشتماله على التسبيح أيضا لان التسبيح في الصلاة نفلا كانت أو فرضا نفل فاشبه النفل في كونه غير واجب على ان المناسبة في وجه التسمية لا تشترط عند المحققين وعلى اشتراطها فلا يشترط اطرادها ولا انعكاسها وزاد مسلم من هذا الوجه في أول هذا الحديث ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث (ويقرأ بالسورة ويرتلها) أي يتبين حروفها وحركاتها وسكناتها (حتى تكون أطول من أطول منها) أي حتى تكون السورة التي يرتلها أطول من سورة هي أطول من تلك السورة المرتلة حال كونها غير مرتلة * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني نا الحجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني عثمان بن أبي سليمان أن أبا سلمة بن عبد الرحمن أخبره) اي عثمان (أن عائشة اخبرته) اي أبا سلمة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى كان أكثر صلاته) أي نافلته لقول أم سلمة في حديثها الاالمكتوبة انظر المناوي (وهو جالس) أي حتى وجد أكثر نافلته حال جلوسه فيكان تامة قاله ابن حجر قال وزعم انها ناقصة وان الواو زائدة وجملة وهو جالس خبرها تكلف بعيد لا يعول عليه اه وفي مسلم عن عائشة قالت لما بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل كان أكثر صلاته جالسا ومعنى بدن أسن وتقدم حديث مسلم عن حفصة ثم أشار المصنف الى أحاديث رواتب الصلوات فقال (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر) ليس المراد بالمعية هنا انه صلى الركعتين مع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة وانما المراد أنه صلاهما كما صلاهما النبي صلى الله عليه وسلم (وركعتين بعدها) أي الظهر وفي نسخة بعدهما بضمير التثنية أي الظهر والركعتين قبلها (وركعتين بعد المغرب في بيته) ابن حجر يحتمل رجوعه للثلاثة قبله ولسنة المغرب فقط اه وجزم العراقي بالاول ويؤيده ما في مسلم عن عائشة قالت كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان

لا لا يأبى الله تعالى والمسلمون الا أبا بكر ثلاثا وصح انه كشف صفحة حجرته يوم الاثنين الذى مات فيه وأبو بكر يؤم بهم فى صلاة الصبح فتبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم فأشار اليهم بيده ان أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وتوفى ضحى قال العلماء فى هذا أوضح دليل على انه أفضل الصحابة مطلقا وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين (٨٩) والانصار مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله

يصلى بالناس المغرب ثم يدخل فيصلى ركعتين ويصلى بالناس العشاء ويدخل فى بيته فيصلى ركعتين الحديث وجزم صاحب المدخل بالثانى وعلله بان ذلك شفقة على الاهل لان الشخص قد يكون صائما فينتظره أهله وأولاده للعشاء ويتشوفون الى مجيئه فلا يطول عليهم وقد نقل كلامه الحطاب ويؤيده ما فى مسلم عن ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين وبعد العشاء سجدتين وبعد الجمعة سجدتين فاما المغرب والعشاء والجمعة فصلينا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته اه ويؤيده أيضا قوله هنا (وركعتين بعد العشاء فى بيته) حيث فصله عما قبله وقد قال فى الاكمال ربح النخعى وأبو عبيدة ايقاع الرواتب فى البيوت لفعله صلى الله عليه وسلم ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم صلاة أحدكم فى بيته أفضل الا المكتوبة ولئلا تخلو البيوت من الصلاة ولئلا يختلط أمرها فيعتقد انها من الفرائض وربح غيرهما ايقاعها فى المسجد وقال مالك والثورى صلاة النهار بالمسجد وصلاة الليل بالبيت قال الابى ووجهه ابن رشد بأنه بالنهار يشتغل بالله باهله قال فان أمن فالبيت أفضل وسمع ابن القاسم تنفل الغريب بمسجده صلى الله عليه وسلم أحب الى ابن رشد لان الغريب لا يعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل اه وقال الحطاب قال فى المدخل فى آداب طلب العلم ينبغى ان يشدد عليه على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل عداما وضعين كان لا يفعلهما الا فى بيته بعد الجمعة وبعد المغرب ثم وجه ذلك بما تقدم فانظره * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال وحدثتنى) قيل الواو عاطفة على محذوف أى حدثتنى غير حفصة وحدثتنى (حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين) يعنى ركعتى الفجر (حين يطلع الفجر وينادى المنادى) أى يؤذن المؤذن (قال أيوب أراه) بضم الهمزة أى أظن نافعا (قال) أى بعد قوله ركعتين (خفيفتين) قد صح تخفيفهما من طرق فى الصحيحين وغيرهما وفى مسلم عن عائشة انها كانت تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتى الفجر فيخفف حتى انى لاقول هل قرأ فيهما بام القرآن قال القرطبى هذا كناية عن التخفيف لأنها اشكت هل قرأ أم لا

تعالى أى اعلمهم بالقرآن صريح فى انه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم على رضى الله تعالى عنه قال هذا أمره النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى بالناس وانى لشاهد وما أنا بغائب وما بى مرض فرضينا الدنيا من رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحى ينزل فسكت الله تعالى وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المسلمون رضى الله تعالى عنهم وأخرج مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة فى مرض موته ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف ان يتمنى متمن أو يقول قائل انا أولى ويأبى الله تعالى والمؤمنون الا أبا بكر وفى رواية اكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون فى أبى بكر وصح ان قوما سألوا انسانا ان يسأل لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يدفعون زكاتهم بعده فسأله فقال الى أبى بكر وأخرج الشيخان ان امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم أجدك فكأنها تعنى الموت فقال ان لم تجدينى فأتى أبا بكر وأخرج ابن عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر فنزع منها ما شاء الله تعالى ثم أخذها أبو بكر فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين ثم أخذها عمر من يد أبى بكر فاستحالت فى يده

غربا الحديث أى دلوا كبيرا

(والمهدى يوم السقيفة لما * أرجف الناس انه الدأداء)

المهدى بفتح الهاء وتشديد الدال من الهدى الذى هو البيان أى المبين الحق للناس فى أمر الخلافة أو من هدأ بالهمز اذا سكن أى المسكن لاختلاف الناس فى أمر الخلافة ولكنه خففه باسقاط همزته ضرورة ويعنى بالسقيفة سقيفة بنى ساعدة حين اجتمع فيها الانصار الى سعد ابن عبادة سيد الخزرج ليولوه عليهم وقوله لما أرجف الناس أى اضطربوا اضطرابا شديدا يعنى الصحابة فى أمر الخلافة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وضمير انه عائد على أمر الخلافة والدأداء الظلام الذى لا ضوء له ولا مخرج منه قال فى القاموس الدأداء آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين أو ثمان وتسع وعشرين أو ثلاث ليال من آخر الشهر الجمع الدآدئ وليلة دأدأ ودأداة ويعدان شديدة الظلمة روى ان الانصار رضى الله تعالى عنهم تخلفوا فى سقيفة بنى ساعدة وقالوا للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وتخلف سعد والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة ثم أتى أبو بكر وعمر ومن معهما الانصار فهداهم الله للاجتماع على أبى بكر ثم المهاجرون أجمعون وأصل الحديث فى الصحيح وغيره وروى ان عمر احتج على الانصار بامامة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقالوا نعوذ بالله ان نتقدم أبا بكر فرجعوا قبل عما كانوا فيه رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولما بايعوه صعد المنبر غدا فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله تعالى وأثنى على أبى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامة فخطب أبو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى أطيعونى ما أطعت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ثم نظر فلم

قال فى الاكمال فيه حجة لمالك والمشهور والجمهور ان من سنتهما التخفيف وظاهر الحديث الاقتصار فيهما على الفاتحة وهو اختيار مالك وجمهور أصحابه وعنه وعن أحمد والشافعى استحسان القراءة بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد على ما جاء فى حديث أبى هريرة عند مسلم وصح نعم السورتان يقرأ بهما فى ركعتى الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وأجاز الثورى والحسن وأبو حنيفة لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما وان طال وفى مسلم من حديث ابن عباس أنه كان يقرأ فى الاولى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية التى فى البقرة وفى الآخرة منهما آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وعنه أيضا أنه كان يقرأ فى الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية اه قال ابن حجر وروى أبو داود انه قرأ فى الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وانا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم اه وحكى الطحاوى عن قوم انه لا قراءة فيهما جملة قال فى جمع الوسائل من القواعد المقررة ان قراءة سورة قصيرة أفضل من آيات كثيرة لكن يستحب ان يعمل بكل حديث ولو مرة فيأتى بكل ما ورد وأما الجمع بين الآيات الواردة فى ركعتيه على ما اختاره ابن حجر تبعا للنووى فى استحباب الجمع بين قوله ظلما كثيرا وظلما كبيرا فهو ظاهر الدفع اذ الوارد كل منهما على حدة لا كلاهما مجتمعة اه وهل ركعتا الفجر من السنن أو من الرغائب قولان وفى صحيح مسلم عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وقال هما أحب الى من الدنيا جميعا وفيه أيضا عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن على شئ من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح قال فى الاكمال فيه حجة للكافة وكبار أصحاب مالك انهما سنة وصلاته لهما يوم الوادى يدل على تأكيدهما وفى الحديث انهما المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود وعن مالك انهما من الرغائب لقوله هما من النفل ولم يقل من السنن ولكن ما سوى الفرض يسمى نفلا ويتنوع الى سنة وفضيلة ومستحب ومرغب فيه وأوجبهما الحسن * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مروان بن معاوية الفزارى) بفتح الفاء وتخفيف الزاى (عن عبد الله بن برقان) بضم الموحدة (عن ميمون) بالصرف (ابن مهران) بكسر الميم وبضم (عن ابن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ركعتين

يرالزبير فدعا به بفناء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه فلم يرعليا فدعى له فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل واحد منهما على أحقيته بالخلافة بانه صاحب الغار و بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم اياه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعوا على خلافة أبي بكر لم يتخلف عنها أحد منهم ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم

قبل الظهر و ركعتين بعدها و ركعتين بعد المغرب) قال ابن حجر و يندب الوصل بينهما و بين الفرض لخبر زين من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم أى بغير الذكر الوارد كما هو ظاهر رفعت صلاته فى عليين (و ركعتين بعد العشاء قال ابن عمر وحدثتنى حفصة بركعتى الغداة ولم أكن أراهما) أى أبصرهما (من النبى صلى الله عليه وسلم) أى لانه لم يكن يصليهما الا فى البيت وفى رواية البخارى وكانت ساعة لا أدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثم رواية المصنف فى هذا الكتاب ان ابن عمر لم يره يصليهما منافية كما قال ابن حجر لروايته ورواية النسائى من حديث ابن عمر رمقت النبى صلى الله عليه وسلم شهرا كان يقرأ بهما فيهما أى بسورتى الكافرون والاخلاص فى ركعتى الفجر ومن ثم استدل به بعضهم على الجهر بالقراءة فيهما وأجيب بأنه لا حجة فيه لاحتمال انه عرف ذلك بقراءته بعض السورة على انه صح عن عائشة انه كان يسر فيهما بالقراءة والاسرار هو مشهور مذهب مالك قال فى جمع الوسائل و يمكن ان يجاب بأنه لم يكن يره قبل ان تحدثه حفصة كما يشير اليه قوله رمقت والله أعلم * قال المصنف (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف نا بشر بن المفضل عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصلى قبل الظهر ركعتين و بعدها ركعتين و بعد المغرب ركعتين و بعد العشاء ركعتين وقبل الفجر ركعتين) اعلم ان من الصلوات ما يتنفل قبله و بعده وهى الظهر والعشاء ومنها ما يتنفل قبله لا بعده وهى الصبح والعصر ومنها ما يتنفل بعده لا قبله وهى المغرب ولم يذكر المصنف التنفل قبل العشاء لانه كما قال الشيخ زروق لم يرد فيه شئ معين لكن قوله عليه الصلاة والسلام بين كل أذانين صلاة والحديث فى مسلم والمراد بالاذانين الاذان والاقامة والمغرب مستثناة من ذلك على المشهور ولم تذكر عائشة ولا ابن عمر هنا راتبة للعصر وسيأتى فى حديث على رضى الله عنه وقبل العصر أربعا قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة اختلف فى العصر هل لها راتبة أم لا وقد صحح ابن حبان من طريق ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر وذكره فى الموطا والله أعلم انتهى وفى الاكمال لم يأت فى حديث الامر التنفل قبل العصر وجاء فى المصنفات ففى حديث ابن عمر حض على أربع قبل العصر وفى حديث على ركعتين فمن شيوخنا من اختار الاخذ بحديث الاربع ومنهم

(أنقذ الدين بعدما كان للدين — ن على كل كربة اشفاء)

أنقذ بالذال المعجمة أى خلص والدين هو الشرع الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم و يقال هو وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات من بين التلاشى واشرافه على الزوال وقوله بعد ما هى مصدرية أى بعد الحصول للدين على كل كربة أى هم يأخذ النفس اشفاء أى اشراف وقرب يخشى منه ان لا يجتمع له شمل أبدا والمجروران متعلقان باشفاء وفيه وضع الظاهر موضع المضمر و يصح ان تكون كان ناقصة وللدين خبرها قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه لولا أبو بكر ما عبد الله تعالى بعد محمد أبدا يعنى انه ثبت الناس يوم موته اذ طاشت أحلام الصحابة بموته صلى الله عليه وسلم فمنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من لم تقله رجلاه من الارض ولم يكن فيهم يومئذ أثبت منه ومن العباس رضى الله عنهم وخطب خطبته المشهورة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فان الله تعالى حى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية و بصرهم واختلفوا فى محل دفنه فروى الحديث ان كل نبى يدفن فى المحل الذى توفى فيه فرجعوا اليه واختلفوا فى ارثه فروى الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حقه ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وانما فضلكم بشئ

وقر فى صدره وعنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى أبى بكر الصديق يعنى لما حصل له من كشف الغطاء والمعاينة بلا كيف بحيث لا يكون للغير الا بالموت والفناء عن البشرية والشواغل الصادة عن اللقاء والمعاينة وقالت عائشة رضى الله عنها لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبى ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها وقال أبو رجاء العطاردى دخلت المدينة فرأيت الناس

مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول أنا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل قالوا عمر يقبل رأس أبى بكر من أجل قتال أهل الردة

(انفق المال فى رضائك ولا تمنن من وأعطى جما ولا كداء)

اى انفق جميع ماله فى رضائك يارسول الله كما جاء فى القرآن العظيم قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الآية قال ابن الجوزى اجمعوا انها نزلت فى أبى بكر ففيه التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والافضل هو الاكرم كما فى حديث ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحبهم أى المذكور فى سورة يس أى حبيب النجار رضى الله تعالى عنه أفضل من أبى بكر وصح حديث انه ليس أحد من الناس أمن على نفسه وماله من أبى بكر ولو كنت متخذا خليلا من غير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الاسلام أفضل سد واعنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبى بكر

باب

أى لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد وأخرج الترمذى حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر والطبرانى ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وانكحنى ابنته والترمذى رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما

من اختار الاخذ بحديث الركعتين وقال الحسن وابن المسيب والضحى لا راتبة قبل العصر وحكاه العبدرى من شيوخنا العراقيين عن المذهب اه وكما وقع الاختلاف فى عدد راتبة العصر وقع فى راتبتى الظهر فقد تقدم عن ابن عمر وعائشة ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها ويأتى فى حديث على ويصلى قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وفى مسلم عن عائشة كان يصلى فى بيته قبل الظهر أربعا وقال الشيخ زروق فى شرح الرسالة أخرج الترمذى بسند صحيح عن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار اه ووقع الاختلاف أيضا فى راتبة العشاء فعن ابن عمر وعائشة ركعتين كما تقدم قال ابن حجر وروى أبو داود عن عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل فى بيتى الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات اه وهذا الاختلاف يدل على التوسعة وان الاعداد الواردة ليست للتحديد وهو مذهب مالك خلافا لابن حبيب ونص المدونة لم يوقت قبل الصلاة ولا بعدها ركوعا معلوما وانما يوقت فى هذا أهل العراق * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عاصم بن ضمرة يقول سألنا عليا عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهار) أى عن كيفية نوافله التى كان يفعلها فى النهار (قال) أى عاصم (قال) أى على رضى الله عنه لما فهم ان سؤالهم عنها للاقتداء به صلى الله عليه وسلم فيها لا لمجرد العلم بها (انكم لا تطيقون ذلك) أى باعتبار الكيفية والاتقان وما يصحب ذلك من الخشوع والخضوع أو باعتبار الدوام والمواظبة فانه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على العبادة وهم لا يطيقون المداومة عليها لا باعتبار الكثرة وفيه اشارة الى ترغيب السائلين فى المداومة على العبادة على وجه المتابعة وان المقصود من العلم هو العمل (قال) أى عاصم (قلنا من أطاق ذلك منا) أى فعل ومن لم يطق علم ذلك (فقال كان) أى النبى صلى الله عليه وسلم (اذا كانت الشمس) أى فى الارتفاع (من ههنا) اشارة الى جانب المشرق (كهيئتها من ههنا) اشارة الى جانب المغرب (عند العصر) وهو منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال (صلى ركعتين) وهما سنة الضحى وسيأتى الكلام عليها (واذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا) أى كقدرها فى الارتفاع (عند الظهر صلى أربعا) قال ابن حجر فى آخر

نفعنى مال فى الاسلام مانفعنى مال أبى بكر وفى حديث والله مامنكم رجل الاعلى باب بيته ظلمة الاأبا بكر فان على بابه النور
واقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجادلى بماله وواساني واتبعنى وأخرج أحمد وآخرون عن جماعة
من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال مانفعنى مال قط مانفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا
ومالى الالك يارسول الله صلى الله عليك وسلم وفى رواية عن ابن المسيب مرسلا كان صلى الله عليه وسلم

باب الضحى هذه الاربع وردمستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وعند
زوالها تفتح أبواب السماء فهو نظير النزول الالهى المنزه عن الحركة والانتقال بعد
نصف الليل اذ كل منهما وقت قرب ورحمة اه وسيأتى هذا فى حديث عبد الله بن
السائب وأبى أيوب الانصارى وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدمن هذه الاربع
وقد نقل الشيخ على الاجهورى كلام ابن حجر هذا وأقره واستبعده فى جمع الوسائل قائلا
اذ لا يعرف منه صلى الله عليه وسلم المداومة على سنة غير سنة الظهر حينئذ ولهذا لم يعد
أحد من الفقهاء صلاة الزوال لا من السنن المؤكدة ولا من المستحبة اه قلت
والظاهر ماقاله ابن حجر من ان هذه الاربع وردمستقل وأما تفسيرها بصلاة الاوابين
كما عليه بعض الشراح وارتضاه فى جمع الوسائل هنا وهى الصلاة التى تفعل قبل الزوال
بالقرب منه كما أشار اليه فى حديث مسلم بقوله عليه السلام صلاة الاوابين حين ترمض
الفصال أى حين تحترق اخفاف صغار أولاد الابل بشدة حرارة الرمل من الشمس
فيبعده أن صلاة الاوابين هى صلاة الضحى قرب الزوال قال النووى وهو عندنا
أفضل صلاة الضحى وصلاة الضحى قد قدمها فى قوله اذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها
من ههنا عند العصر الخ وأما تفسيرها بسنة الظهر كما قرره فى جمع الوسائل فى حديث
عبد الله بن السائب الآتى فيبعده أيضا قوله هنا (و يصلى قبل الظهر أربعا) لان هذه
الاربع هى سنة الظهر كما هو ظاهر ثم ما هنا موافق لما فى مسلم عن عائشة كان يصلى فى
بيته قبل الظهر أربعا ومخالف لما تقدم عنها وعن ابن عمر من انه كان يصلى قبل الظهر
ركعتين فاما ان يحمل على حالين واما أن يقال كان يصلى فى بيته ركعتين أو أربع ركعات
ثم يخرج فيصلى ركعتين فرأى ابن عمر ما فى المسجد دون ما فى البيت واطلعت عائشة على
الامرين (و بعدها ركعتين وقبل العصر أربعا) قال ابن حجر لا ينافيه خبر أبى داود عن
على أيضا كان يصلى قبل العصر ركعتين لاحتمال انه تارة يصلى أربعا وتارة يصلى اثنتين
وفى مسلم ان أبا سلمة سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه شغل عنهما أو نسيهما
فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما وكان اذا صلى صلاة أثبتها أى داوم عليها وفى أبى داود
عنها كان يصليهما و ينهى عنهما وهو صريح فى انهما من خصوصياته صلى الله عليه وسلم

يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه وأخرج ابن عساكر انه أسلم وله أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوى وابن عساكر انه كان عند النبى صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال يا جبريل انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ عليه السلام و يقول لك قل له اراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر لا أسخط على ربى أنا عن ربى راض ثلاثا وفى رواية ان جبريل هبط متخللا بطنفسة وأخبر ان الله تعالى أمر ملائكته عليهم السلام ان يتخللوها كابى بكر وصح عن عمر رضى الله تعالى عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع انى ما سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك قلت مثله فأتى أبو بكر بكل ماعنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم فقلت لا أسبقه لشئ أبدا و ورد انه صلى الله عليه وسلم اشترى حائط بنى النجار للمسجد بعشرة دنانير و وزنها من مال أبى بكر قوله ولا منّ أى منه عليك فيما أنفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة الافتخار على الممنون عليه أو ذكرها لمن

لايجب اطلاعه عليها وهو حرام قال تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وأعطى جما أى كثيرا فى وجوه الخير العامة واشترى جماعة أسارى فكان أهل مكة يعذبونهم واعتقهم لله تعالى منهم بلالا ولا كداء أى ولم يقطع اعطاءه بل استمر عليه الى وفاته وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وفتح فى هذه المدة اليسيرة اليمامة واطراف العراق وبعض مدن الشام ولما مرض ترك التداوى تسليما لامر الله تعالى فقيل له الا ندعو لك الطبيب ينظر اليك قال

نظر الى قيل وما قال لك قال قال لى انى فعال لما أريد يقال ان سبب موته كمد أى حزن مكتوم أصابه من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال يذيب جسمه وتوفى رضى الله تعالى عنه وسنه كسن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وأبى حفص الذى أظهر الله به الدين فارعوى الرقباء)

هو معطوف على أبى بكر وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذى أظهر الله تعالى به الدين بعد ان كان المسلمون يستخفون بصلاتهم واسلامهم أخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه بعد ان أسلم قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء نخرجنا فى صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الىّ والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسمانى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وفرق الله تعالى بى بين الحق والباطل وفى رواية انه لما أظهر اسلامه مازالوا يضربونه ويضربهم حتى أعز الله تعالى

*(باب الاسلام وصح انه لما أسلم نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر أهل السموات باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا ونزل يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا كان إسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسيلنا

وروى المصنف انهما سنة الظهر البعدية شغل عنهما بقسمة مال فلعله كان يقضيهما قبل العصر أو لا ثم شغل عنهما أيضا قبله فقضاهما بعده واستمر على ذلك اه بعض اختصار (يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين) قيل المراد بالتسليم تسليم التشهد وهو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كما ورد فى الصحيح يشمل كل عبد لله صالح فى السماء وفى الارض قال ابن حجر وفيه نظر وانما المراد بالتسليم تسليم التحلل من الصلاة فيسن للمسلم منها أن ينوى بقوله السلام عليكم من على يمينه ويساره وخلفه من الملائكة ومؤمنى الجن والانس اه قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان سلام التحليل انما يكون مخصوصا بمن حضر المصلى من الملائكة والمؤمنين ولفظ الحديث أعم منه حيث ذكر الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين اه وعلى ما اختاره فى جمع الوسائل فيحتمل انه سلم من كل ركعتين ويحتمل أنه من باب التنفل باربع وسيأتى الكلام على ذلك قال فى جمع الوسائل ولعل الجمع بين الوصفين مع ان موصوفهما واحد للاشارة الى انقيادهم الباطنى والظاهرى والجمع بين النسبة العلمية والمباشرة العملية اه *(تنبيه)* قال فى الاكمال قيل حكمة هذه الرواتب أن أوقات الصلوات تفتح فيها أبواب السماء ويستجاب فيها الدعاء فرغب فى تكثير العمل حينئذ اه وقال فى التوضيح حكمة تقديم النوافل على الصلوات وتأخيرها أن العبد مشتغل بامور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب فاذا تقدمت النافلة على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وكان ذلك أقرب الى الحضور وأما التأخير فقد ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض اه فهى لتكميل ما عسى ان يكون نقصا لكن لا يقصد بتنفله جبران الفرائض فقد كره مالك التنفل بهذه النية قال فى سماع ابن القاسم وليس من عمل الناس أن يتنفل ويقول أخاف أنى نقصت من الفرض وما سمعت أحدا فعله انظر ابن عرفة والابى *(فائدة)* فى مسلم عن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى اثنتى عشرة ركعة فى يوم وليلة بنى له بهن بيت فى الجنة وفى رواية من صلى فى يوم ثنتى عشرة سجدة تطوعا بنى له بيت فى الجنة قال الابى والاولى صلاتها من غير الرواتب المذكورة ليحصل ثوابها المذكور مع ثواب الرواتب فان للرواتب ثوابا خاصا

وان حذيفة قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وقوله فارعوى الرقباء أى انزجر الاعداء من الكفار ونزعوا عن جهلهم وما كانوا عليه من الفساد وايذاء النبي والمؤمنين كرها والرقباء جمع رقيب

والذى نعت بالواو أو خبر مبتدا محذوف اى وهو الذى تقرب الاباعد جمع أبعد بمعنى بعيد عنه فى النسب فى الله اى فى رضا الله تعالى عليه وتبعد القرباء جمع قريب فى النسب فى الله اليه وفى البيت العكس نحو لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن والاكتفاء وهو حذف شئ دل عليه ماقبله كما قررناه ورد العجز على الصدر والارصاد وهو أن يتقدم على الروى مايشعر به نحو وما ظلمناهم الآية وكان رضى الله تعالى عنه اصلب الناس فى دين الله تعالى لايحابى قريبا ولا صديقا ولا يعرف الا امتثال أمر الله تعالى طاعة الله تعالى مقربة منه ومعصيته مبعدة منه وسواء فى ذلك عنده الاقارب والاجانب

(باب صلاة الضحى)

كذا فى نسخ المشارقة وهو ساقط فى نسخ المغاربة واعلم ان من طلوع الشمس الى الزوال ثلاثة اسماء فاولها ضحوة وذلك عند الشروق وثانيها ضحى مقصور وذلك اذا ارتفعت الشمس وثالثها ضحاء بالمد وذلك الى الزوال فالضحى اسم لوقت مخصوص وعليه فالاضافة فى صلاة الضحى على معنى فى كصلاة الليل وصلاة النهار أو من اضافة المسبب الى السبب كصلاة الظهر وقد يطلق اسم الضحى على الصلاة نفسها فتكون الاضافة بيانية * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود الطيالسى نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء لا بضمها خلاف ماوقع فى ابن حجر وسيأتى ترجمته فى باب الصوم (قال سمعت معاذة) بضم الميم بنت عبد الله العدوية (قالت قلت لعائشة أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى قالت نعم أربع ركعات ويزيد ماشاء الله) فى ضمن هذا الجواب زيادة على ماطلبه السائل وهى الجواب عن السؤال عن عدد صلاته وفيه اشعار بكمال حفظها فى القضية لكن الذى فى مسلم عن يزيد الرشك قال حدثتنى معاذة انها سألت عائشة كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى قالت أربع ركعات ويزيد ماشاء الله ثم اعلم ان أقل الضحى ركعتان روى المصنف فى جامعه وأحمد وابن ماجه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال أبو هريرة أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى وان أوتر قبل ان أرقد متفق عليه ومثله عن أبى الدرداء رواه مسلم وأخرج آدم بن أبى اياس فى كتاب الثواب له عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ورفع له مائتى درجة وغفرت له ذنوبه كلها ماتقدم منها وما تأخر الا القصاص وفى مسلم قال صلى الله عليه وسلم يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وأما أكثر الضحى فظاهر قولها ويزيد ماشاء الله أنه لا حد لا كثرها وأنم الا تحصر فى عدد بل ان صلى مائة ركعة أو

(عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوى السواء)

عمر بدل من ابى حفص او خبر مبتدا محذوف ومن موصولة والفصل الحق والسوى المستوى الذى لا اعوجاج فيه والسواء العدل

تأكيد وفى صحيح البخارى قال صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يتكلمون من غير ان يكونوا أنبياء فان يكن من أمتى منهم احد فعمر وروى البيهقى عن ابن عمر قال وجه عمر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى ساريه وجهزه الى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال وكاد المسلمون ينهزمون فصعد عمر المنبر وجعل ينادى بأعلى صوته ياسارية الجبل ثلاثا وأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين صوته وقالوا هذا صوت امير المؤمنين فاسندوا ظهورهم الى الجبل فهزم

الله العدو وفتح على المسلمين

(فرمنه الشيطان اذ كان فاروقا * فالنار من سناه انبراء)

فر هرب والشيطان ابليس أو الجنس اذ كان فاروقا اى مفرقا بين الحق والباطل فالنار التى هى أصل الشيطان من سناه
بالقصر اى ضوئه الذى فرق به بين الحق والباطل انبراء اى انمحاء ولا عجب ان النار تنطفئ بالنور فقد

جاء ان النار يوم القيامة تقول للمؤمن على الصراط جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وفى الصحيح
ايه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده عز وجل ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك
وورد ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وورد
ما نزل بالناس أمر قط فقالوا
وقال عمر الا أنزل القرآن على
نحو ما قال وورد انى لانظر الى
شياطين الجن والانس قد فروا
من عمر وورد اتانى جبريل فقال
اقرأ عمر السلام وقل له ان رضاه
حكم وغضبه عز وورد الحق
بعدى مع عمر حيث كان وورد
عمر منى وأنا من عمر والحق
بعدى مع عمر حيث كان وصح
حديث ما طلعت شمس على خير
من عمر وروى احمد وغيره انه
صلى الله عليه وسلم قال له يا أخى
أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا
وروى الشيخان انه صلى الله
عليه وسلم قال بينا أنا نائم شربت
لبنا حتى انظر الى الرى يجرى فى
اظفارى فناولته عمر قالوا فما
أولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من (حدثنى
الملهمين الذين ينطق الحق على السنتهم كما تقدم وكانت مدة خلافته رضى الله تعالى عنه عشرة اعوام وستة اشهر وخمس ليال
وسنه كسن ابى بكر طعنه ابو لؤلؤة العلج واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ولما طعنه وهو فى
صلاة الصبح قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الاسلام وذلك يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذى الحجة سنة

أكثر قبل الزوال فهو ضحى وهو الذى اختاره الباجى والسيوطى فى حاشية الموطا لكن
قال ابن حجر باستقراء الاحاديث الصحيحة والضعيفة علم انه لم يزد على الثمان ولم يرغب فى
أكثر من ثنتى عشرة ركعة اه ونحوه فى الاكمال وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يصل
الضحى ثنتى عشرة ركعة بل رغب فيها فقط بقوله من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله
له قصرا فى الجنة قال المصنف وهو غريب قال ابن حجر الغرابة لا تنافى الصحة والحسن
وقول النووى فى مجموعه انه ضعيف فيه نظر لان له طرقا تقويه وترقيه الى درجة الحسن
وقال فى جمع الوسائل روى عن عائشة وام سلمة على ما ذكره صاحب القاموس فى الصراط
المستقيم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى صلاة الضحى ثنتى عشرة ركعة اه قال عياض
فى قواعده صلاة الضحى ثمان ركعات وقد اختلفت الروايات فيها من اثنتين الى ثنتى
عشرة اه وظاهر قولها أربع ركعات ويزيد ما شاء الله ان الاربع هى الغالب من فعله
صلى الله عليه وسلم وقد يزيد عليها أحيانا فتكون الاربع أفضل من الست والثمان قال
فى جمع الوسائل قد يفضل العمل القليل لما اشتمل عليه من مزيد فضل الاتباع على العمل
الكثير وقد حكى الحاكم فى كتابه المفرد فى صلاة الضحى عن جماعة من أئمة الحديث انهم
كانوا يختارون أن يصلى الضحى أربعا ويدل عليه أكثر الاحاديث الواردة فى ذلك
كحديث أبى الدرداء وأبى ذر عند الترمذى مرفوعا عن الله تعالى ابن آدم اركع لى أربع
ركعات من أول النهار أكفك آخره وقال الشافعية ان الثمان أفضل استدلالا بحديث
الفتح مع انه لا يدل على التكرار قطعا انتهى * (تتميم) * قال فى جمع الوسائل نقلا عن غيره
وجاء فى حديث أنس مرفوعا من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى
أربعا كتب من القانتين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من
العابدين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وفى اسناده ضعف لكن له
شاهد من حديث أبى الدرداء وأبى ذر لكن فى اسناده ضعف أيضا قلت لكن يتقوى بعضه
ببعض مع ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اه وخرج أبو داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته لصلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج
ومن خرج الى صلاة الضحى لا ينصبه الا هى فاجره كاجر المعتمر قال صاحب كتاب
الترغيب والترهيب قوله لا ينصبه أى لا يتعبه ولا يزعجه الا ذلك اه * قال المصنف

(وابن عفان ذى الايادى التى طا * ل الى المصطفى بها الاسداء)

ابن عفان بالكسر عطف على أبي بكر أى وأقسم عليك بابى عمرو عثمان بن عفان ذى الايادى جمع يد بمعنى النعمة أى صاحب النعم التى طال أى امتد الى المصطفى أى المختار على الخلائق بها متعلق بما بعده الاسداء أى الاعطاء

(حدثنى محمد بن المثنى حدثنى حكيم بن معاوية الزيادى نا زياد بن عبيد الله) بالتصغير وفى نسخة عبد الله (ابن الربيع الزيادى عن حميد الطويل عن أنس بن مالك) وكذا روى عن جابر وعن عائشة (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات) أى فى بعض الاوقات * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر انا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى) اسمه سيار وقيل بلال وقيل داود بن بلال (قال ما أخبرنى أحد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى الا أم هانئ) كذا فى مسلم وفى رواية ابن أبى شيبة من وجه آخر عن ابن أبى ليلى قال أدركت الناس وهم متوافرون فلم يخبرنى أحد ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى الا أم هانئ ولمسلم من طريق عبد الله بن الحرث الهاشمى قال سألت وحرصت على ان أجد أحدا من الناس يخبرنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحى فلم أجد غير أم هانئ أخبرتنى فذكر الحديث قال ابن حجر انما فيه انه نفى علمه فلا ينافى ما حفظه غيره على انه يكفى اخبار أم هانئ (قالت ما حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل) كذا عند الشيخين وظاهره ان الاغتسال وقع فى بيتها ووقع فى الموطا ومسلم فى كتاب الطهارة من طريق أبى مرة مولى أم هانئ عن أم هانئ أنها ذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل ويجمع بينهما اما بان ذلك تكرر منه واما بان يكون نزل فى بيتها بأعلى مكة وكانت هى فى بيت آخر بمكة فجاءت اليه فوجدته يغتسل (فسبح) رواية الصحيحين فصلى (ثمان) أصله ثمانى منسوب الى الثمن لانه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها ثم فتحوا أوله لانهم يغيرون فى النسب وحذفوا منها الحدى يائى النسب وعوضوا منها الالف وقد تحذف منها الياء ويكتفى بكسرة النون أو تفتح تخفيفا كذا حققه الكرمانى (ركعات) فى ثوب واحد قد خالف بين طرفيه كذا فى مسلم وروى أبو داود عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح سبحة الضحى ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين ولمسلم فى كتاب الطهارة ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى قال ابن حجر وبهذين الحديثين يبطل قول عياض وغيره حديثها ليس بظاهر فى قصده صلى الله عليه وسلم سنة الضحى قال فى جمع الوسائل بل الصواب قول عياض ومن تبعه لانه لا يلزم من رواية الراوى أنه صلى سبحة الضحى لما دل

(حفر البئر جهز الجيش أهدى الـ ـهدى لما ان صده الاعداء)

أى حفر بئر رومة وكانت ليهودى وقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء يستعذب غيرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم وحفرها فهى موجودة الى الآن فشوابها مستمر الى قيام الساعة وتعبير الناظم بحفر تبع فيه بعض الرواة ولم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعضهم وانما المعروف انه اشتراها اذ لا مانع من انه اشتراها وزاد فى تعميقها والتكثير مائها ويعنى بالجيش جيش العسرة وهو من جيش غزوة تبوك أى اعطاهم جهازهم وهو ما يحتاجون اليه أخرج الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال عثمان على يارسول الله مائتا بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض صلى الله عليه وسلم فقال عثمان

يارسول الله على ثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفى رواية جهز عثمان جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وصح انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره وجعل يقلبها بيده المباركة ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وفى رواية انه بعث بعشرة آلاف دينار فصبت بين يدى النبى صلى الله عليه

وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يا الى عثمان ما عمل بعدها
وصح انه لما حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله تعالى ولا أنشد الا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فصدقوه بما قال وعن أبي هريرة اشترى عثمان الجنة من النبي
مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد أقواما من الصحابة على ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يشتري هذا المربد
ويزيده في مسجدنا وله الجنة
وأجره في الدنيا ما بقي درجات له
فاشتريته بعشرين ألفا وزدته
في المسجد فشهدوا له وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم زوجه
ابنته سيدتنا رقية ثم سيدتنا
أم كلثوم ولما ماتت قال له لو كان
عندي ثالثة لزوجتكها وبذلك
سمي ذا النورين ولا يعلم رجل
أرخى سترا على بنتي نبي سواه
رضي الله تعالى عنه وقيل سمي
ذا النورين لانه اذا دخل الجنة
برقت له برقتين وقيل انه كان يختم
القرآن في الوتر فالقرآن نور
وقيام الليل نور قال عبد الله بن
عمرو فيه نزل قوله تعالى أمن هو
قانت آناء الليل ساجدا وقائما
الآية وطالما ختم القرآن في
ركعة قوله أهدى الهدى أي
أرسله الى مكة عام الحديبية سنة
ست حين توجه النبي يريد
العمرة لما أن صده الاعداء أي
منعه كفار قريش من دخول
مكة وكان وجه تخصيصه بذلك
ان هديه وصل الى مكة بخلاف غيره لعزة قومه دون غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المؤمنين نحروا هديهم بالحديبية وانه وقت نحر النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة اذ أرسله النبي الى قريش ولما رجع منها وجد
المسلمين قد نحروا ما بقي وامن ارسال هديهم الى مكة فبعث هو هديه اليها والله تعالى أعلم بمراده وفي أهدى الهدى كاسوي
والسواء ويعدو الاباعد ويقرب والقرباء وأدب والادباء جناس الاشتقاق أو شبهه

عليه

عليه اقتران وقت الضحى انه صلى الله عليه وسلم قصد صلاة الضحى اه قال ابن حجر وأما
قول من قال لا تفعل صلاة الضحى الا بسبب لانه صلى الله عليه وسلم انما صلاها يوم الفتح
من أجل الفتح أي وانما يقال لها صلاة الفتح وقد صلى خالد بن الوليد في بعض فتوحه لذلك
فيبطله ما مر من الاحاديث اه قال في جمع الوسائل فيه انه ليس في الاحاديث ما يدل
على ان الفتح ليس سببا لهذه الصلاة لكن يمكن ان يكون سببا لانشائها ثم المواظبة على
أدائها من غير احتياج الى سبب في كل مرة اه وتأمله (ما رأيته صلى صلاة قط أخف
منها) لا يؤخذ منه ندب التخفيف فيها كالفجر لان الثابت انه طول في الضحى وانما خفف
يوم الفتح لمهماته وقد روى الحاكم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي الضحى
بسورتها والشمس وضحاها والضحى (غير أنه كان يتم الركوع والسجود) خصت
الركوع والسجود لانه كثيرا ما يقع التساهل فيهما فالاستثناء لدفع ما قد يتوهم من قولها
ما رأيته الخ وقال الطيبي فيه اشعار بالاعتناء بشأن الطمأنينة في الركوع والسجود لانه
صلى الله عليه وسلم خفف سائر الاركان من القيام والقراءة والتشهد ولم يخفف من
الطمأنينة في الركوع والسجود قال في جمع الوسائل وفيه انه لا يتصور التخفيف في
حصول أصل طمأنينة بخلاف بقية أحوال الصلاة * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر
نا وكيع نا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان النبي صلى
الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجيء من مغيبه) اعلم ان بين أحاديث الباب
تعارضا في العدد وتعارضا في الثبوت والنفي أما التعارض في العدد ففي حديث عائشة
كان يصلي أربعا وفي حديث أنس ستا وفي حديث أم هانئ ثمانيا وقد تقدمت أحاديثهم
وفي حديث أبي هريرة ركعتين وروى اثنتي عشرة وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم
صلى ركعتين ثم أربعا ثم ستا ثم ثمانيا ووجه الجمع بالنسبة الى الرواة ان كلا روى ما شاهد
وأما بالنسبة الى فعله صلى الله عليه وسلم فبين بالركعتين أدنى ما يكون لان النافلة لا تكون
أقل منهما ثم كان يزيد ما شاء الله كما قالت عائشة فيصليها مرة أربعا ومرة ستا ومرة ثمانيا ومرة
اثنتي عشرة على ما تقدم في ذلك وأما التعارض في الثبوت والنفي فقد تقدم عن عائشة
انه كان يصلي أربعا ويزيد ما شاء الله وفي هذا هنا انه كان لا يصليها الا ان يجيء من مغيبه
وفي رواية عنها ما رأيته يصلي سبحة الضحى قط وانى لاسبحها وان كان رسول الله صلى الله

(وابى ان يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبى فناه
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء)

أى امتنع أن يطوف بالبيت لما أرسله النبى ان يبلغ كتاب الصلح الذى عقده مع سهيل بن عمرو العامرى وامسك سهيلا عنده فقال له أهله ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى اذلم يدن منه أى البيت الى النبى فناء بالكسر هو ما امتد من جوانبه واحتبسه أهله فرحابه وبلغ النبى صلى الله عليه وسلم انه قتل فأمر بالبيعة ببيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعه الصحابة على الموت وعلى ان لا يفروا ولما بايعه الناس وضع يمينه المباركة على شماله الشريفة وقال هذه عن عثمان وفى البخارى فقال صلى الله عليه وسلم باليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى وفى رواية الترمذى ان عثمان فى حاجة الله تعالى وفى حاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون هذه البيعة العظيمة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة من المسلمين والى بيعة النبى عنه أشار الناظم بقوله فجزته أى أثابته عنها أى عن فعلته وهى ذهابه الى أهل مكة بكتاب الصلح وامتناعه من الطواف قبل ان يطوف النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ببيعة رضوان أى فيها

عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم وهذه الروايات الثلاث فى مسلم والثالثة فقط فى صحيح البخارى بلفظ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح سبحة الضحى وانى لاسبحها فنفى الرواية الاولى الاثبات مطلقا وفى الثالثة نفى رؤيتها ذلك مطلقا وفى الثانية تقييد النفى بغير المجىء وقد اختلف العلماء فى ذلك فذهب ابن عبد البر وجماعة الى ترجيح ما اتفق عليه الشيخان وقالوا ان عدم رؤيتها ذلك لا يستلزم عدم الوقوع فيقدم من روى عنه من الصحابة الاثبات وذهب آخرون الى الجمع بين أحاديثها قال البيهقى عندى ان المراد بقولها ما رأيته سبحها أى داوم عليها وقولها وانى لاسبحها أى أداوم عليها قال وفى قولها وان كان ليدع العمل الخ اشارة الى ذلك اه وعليه فقولها هنا لا يصليها الا ان يجىء الخ معناه انه لم يكن يداوم عليها فى الحضر بل يفعلها تارة ويتركها أخرى الا ان يجىء من سفر قال ابن حجر وردانه صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر الا نهارا وقت الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد أول قدومه فصلى ركعتين ثم جلس فيه اه وقيل ان هذه الصلاة ليست صلاة الضحى وانما هى صلاة القدوم ومن ثم قال الابى ان قولها الا ان يجىء الخ استثناء منقطع لانه صلى الله عليه وسلم صلى عند مجيئه صلاة القدوم لا صلاة الضحى وقيل حديث ابن شقيق محمول على صلاته اياها فى المسجد وحديث معاذة محمول على صلاته فى البيت وأخذ هذا الجمع من كلام ابن حبان وعليه فلا يطلب فعلها فى المسجد مطلقا خلافا للشافعية بل عند القدوم من السفر وأما رواية ما رأيته سبح الخ فالمنفى صفة مخصوصة وقال فى الاكمال الاشبه عندى فى الجمع انها انما أنكرت صلاة الضحى المعهودة عند الناس حينئذ من كونها ثمان ركعات وهو صلى الله عليه وسلم انما كان يصليها أربعا كما قالت ويزيد ما شاء الله ثم قال فى الاكمال وجاء من فعله صلى الله عليه وسلم لها وأمره بها ما لا ينكر وعن ابن عباس انها المراد بقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال اه قال ابن حجر أحاديثها تكاد ان تكون متواترة كيف وقد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة تسعة عشر نقيبا كلهم شهدوا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصليها كما بينه الحاكم وغيره ومن ثم قال شيخ الاسلام أبو زرعة ورد فيها أحاديث كثيرة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبرى انها بلغت حد التواتر اه وفى المناوى نقلا عن ابن العربى

يد من نبيه بيضاء أى حسا ومعنى أى غير ودا وكريمة كراما

(أدب عنده تضاعفت الاعـ * ـمال بالترك حبذا الادباء)

أى اباية من الطواف قبل ان يطوف النبى صلى الله عليه وسلم هو أدب عظيم عنده أى عند ذلك الادب تضاعفت الاعمال أى كثرت لعثمان بالترك أى حبس نفسه عن الطواف قبل النبى فكان الترك أعظم أجرا من الفعل لو وقع لما فى الترك من عظيم

الادب حبذ الادباء أى نعم الجنس جنسهم وعثمان من أفضلهم وقد قال العارف ابن البناء السمرقسطى فى المباحث الاصلية

والقوم بالادب حقا سادوا * منه استفاد القوم ما استفادوا

وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حقه وقد استحيا عليه السلام منه لما دخل عليه فجمع ثيابه ألا استحى من رجل

أحيا أمتى وأكرمها عثمان حى مستشهد تستحى منه الملائكة ان الملائكة تستحى من عثمان كما تستحى من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انما شبه عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولى فى الدنيا وولى فى الاخرة وذكر النبى فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وقال له ان الله تعالى قمصك قميصا أى مولينك خلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى فلذلك قال لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وقال لما ملكه وهم كثير وأرادوا نصره لما حوصر من أغمد سيفه فهو حر وجاءه زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه فقال له ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا أنصار الله تعالى مرتين فقال لا حاجة لى فى ذلك اكتفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا وأنا صابر عليه وصح انه أشرف من كوة فقال لعلى رضى الله تعالى عنه يا أبا الحسن ما هذا الذى ركب متنى فقال اصبر يا أبا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك فقال اثبت أحد فانه ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك ولتقتلن طلحة والزبير وقال فيه انه يوم يموت تصلى عليه ملائكة السماء وان ذلك له خاصة وروى انه ما تغنى ولا غنى له ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها النبى صلى الله عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ أسلم الا وأعتق

انه وقع الاجماع على استحبابها وانما اختلفوا فى انها مأخوذة من سنة مخصوصة أو من عمومات اه وما روى عن جماعة من السلف من التصريح بنفيها قال المناوى فاما ضعيف أو محمول على المداومة أو على الرؤية والعلم أى والمثبت مقدم على النافى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ أو على عدد الركعات أو على أعلانها أو على الجماعة فيها اه وقد صح عن ابن عمر هى بدعة ونعمت البدعة وروى عنه ما ابتدع المسلمون بدعة أفضل من صلاة الضحى وفى البخارى عن مورق قال قلت لابن عمر اتصلى الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبى صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله أى لا اظنه ومراده نفى الجماعة فيها أو اعلانها خوف ان تلحق بالفرائض وقد أنكرها أيضا ابن مسعود على هذا الوجه وقال فان كان لابد ففى بيوتكم لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله ولذا رأى جماعة أن تصلى فى بعض الايام دون بعض لئلا تلحق بالفرائض واحتجوا بحديث أبى سعيد كان يصليها حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها * (تنبيه) * حديث عائشة يدل على ضعف ما روى ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وعده ذلك جماعة من العلماء من خصائصه ولا يثبت ذلك فى خبر صحيح وقول المناوى فى الحاوى انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد الفتح الى ان مات اه ليس بحجة لان عائشة قالت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا تستلزم المواظبة معنى الوجوب عليه وأما ما رواه الدارقطنى أمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها فضعيف * قال المصنف (حدثنا زياد بن أيوب البغدادى) أفصح الاوجه الاربعة التى فيها على ما فى القاموس اهمال الدال الاولى واعجام الثانية قاله فى جمع الوسائل (نا محمد بن ربيعة عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى) أحيانا (حتى نقول) أى فى أنفسنا أو القول بمعنى الظن (لا يدعها ويدعها) أحيانا خشية وجوبها أو توهم فرضيتها أو تأكيد سنتها أو لغير ذلك (حتى نقول لا يصليها) لعل عدم مواظبته عليها هو سبب خفائها على كثير من الصحابة وقد تقدم ان من أثبت مقدم على من نفى قال المناوى وعورض حديث أبى سعيد بحديث مسلم انه كان اذا صلى صلاة اثبتها وقد صلى مرة الضحى بعد صلاة العصر فلم يتركه قال البيهقى وهذا من خصائصه اه قلت معنى اثبتها انه لا يقطعها بالكلية فلا ينافى أنه يتركها أحيانا فلا معارضة

فيها رقبة فجعله مما أعتقه الفان وأربعمائة تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وعظمت الفتوحات فى مدته وكان يولى أقاربه ويستعملهم فتكلم بعض الرعية فى ذلك وهموا بعزله حتى حاصره أهل البصرة والكوفة ومصر أياما ودخلوا عليه داره وذبحوه والمصحف الكريم بين يديه فوقع الدم على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكان ذلك يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وقد ناهز الثمانين ودفن بالبقيع وروى ابن عساكر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا بقصر من ذهب ودر وياقوت فقلت لمن هذا فقالوا للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان وقال كيف أنت ياعثمان اذا لقيتك يوم القيامة وأوداجك تشخب دما فأقول من فعل بك فتقول بين خاذل وآمر فبينما نحن كذلك اذ ينادى منادمن تحت العرش ان عثمان قد حكم فى أصحابه

(وعلى صنو النبى ومن ديـ
ـن فؤادى وداده والولاء)

أى وأقسم عليك بعلى صنو النبى أى أخيه لانه آخى بينه وبينه وقال له أنت أخى فى الدنيا والآخرة رواه الترمذى وخرج أحمد فى المناقب ان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بين الناس وترك عليا حتى بقى آخرهم لا يرى له أخا فقال يارسول الله آخيت بين الناس وتركتنى قال ولم ترانى تركتك انما تركتك لنفسى أنت أخى وأنا أخوك وخرج أيضا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله على أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا يقول سيدنا على كرم الله وجهه

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى

والله أعلم وفى الحديث انه لا يترتب على قطعها عمى ولا غيره قال ابن حجر حكى الحافظ أبو الفضل الزين العراقى انه اشتهر بين العوام ان من يقطعها يعمى فصار كثير منهم يتركها لذلك وليس لما قالوه أصل بل الظاهر انه مما ألقاه الشيطان على ألسنتهم ليحرمهم الخير الكثير سيما اجزاؤها عن الصدقات التى تصبح على مفاصل الانسان كما فى حديث مسلم اه وقال فى جمع الوسائل وكذا اشتهر هذا القول بين النساء فنهوهن من أن تركها حالة الحيض والنفاس مما يقطعها فتركنها من أصلها وقلن انما يصلى الضحى المرأة المنقطعة الحيض * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا هشيم أنا عبيدة) بالتصغير وهو ابن معتب الضبى على ما ذكره الجزرى (عن ابراهيم) النخعى (عن سهم بن منجاب) بكسر الميم فنون ساكنة فجيم فألف بعدها موحدة (عن قرثع) بفتح قاف فسكون راء فمثلثة مفتوحة فعين مهملة (الضبى) بضاد معجمة وموحدة مشددة (أو قزعة) بفتح قاف فزاى فعين مهملة (عن قرثع) هكذا وقع فى هذه الرواية بالشك وسيأتى من طريق أبى معاوية عن قزعة عن قرثع من غير شك (عن أبى أيوب الانصارى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يديمن) أى يداوم (أربع ركعات عند زوال الشمس) أى بعد وقوعه للنهى عن الصلاة حالة الاستواء قال الشيخ زروق فى شرح الوغليسية تكره الصلاة عند وقوف الشمس للخلاف فى ذلك وانما عدل عن قولها بعد زوالها ليفيد أن المقصود أول وقت زوالها بلا تراخ كأنه عند زوالها وقد تقدم ان الظاهر ما قاله ابن حجر من ان هذه الاربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار الخ (فقلت يارسول الله انك تدمن هذه الاربع ركعات) وفى نسخة تكثر من هذه الاربع ركعات (عند زوال الشمس فقال ان أبواب السماء تفتح) بصيغة المجهول (عند زوال الشمس فلا) وفى نسخة ولا (ترتج) بضم الفوقية الاولى وفتح الثانية وتخفيف الجيم أى تغلق (حتى تصلى الظهر فاحب) أى أود وأتمنى (أن يصعد) بفتح أوله ويجوز ضمه أى يطلع ويرفع (لى فى تلك الساعة خير) أى عمل خير من النوافل ليدل على كمال العبودية وغاية الرغبة فى خدمة الربوبية فخير واحد الخيور قال ابن حجر وللبزار نحو هذا من حديث ثوبان وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلى بعد نصف النهار فقالت عائشة يارسول الله أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله الى خلقه بالرحمة وهى صلاة كان

وجعفر الذى يمسى ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى * منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها * فأيكم له سهم كسهمى
(١٠٢) سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

وصليت الصلاة وكنت فردا

فمن ذا يدعى يوما كيومى

ومن موصولة ودين فؤادى اعتقاد قلبى وداده أى محبته والولاء بفتح الواو أى نصرته ومصادقته ومحبته والولى المحب والصادق والناصر وقال الشارح أى مناصرته والذب عنه والرد على من نازع فى خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو برىء منه وفى الحديث من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وروى ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن من بعدى وورد ان الله تعالى أمرنى بحب أربعة وأخبرنى انه يحبهم منهم على وورد انه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه فقد سب النبى صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم على تنزيله وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت وان قاتله لعنه الله تعالى اشقى الآخرين كما ان عاقر الناقة أشقى الاولين لعنهما الله تعالى

يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام اه وظاهر الحديث ان العمل يصعد قبل ان تصعد الملائكة الحفظة للاعمال قال المناوى وقد يراد بالصعود تعلق علم الله سبحانه به اه وقال فى جمع الوسائل فى الحديث الآتى قوله يصعد أى الى الله فهو كناية عن قبوله أو الى محل اجابته أى من علمين ونحوه اه وفيه انه ينبغى التعرض لاوقات نفحات الرحمة وقد ورد ان لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله ان يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا قال فى الجامع الصغير أخرجه الطبرانى فى الكبير عن محمد بن مسلمة وقد أخرج مالك فى الموطا عن سهل بن سعد الساعدى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف فى سبيل الله (قلت) الظاهر انه من كلام أبى أيوب سأل النبى صلى الله عليه وسلم فعند الطبرانى قلت يا رسول الله هذه الصلاة التى قد أديت حين نزول الشمس الحديث وفى آخره قلت أتقرأ فيهن قال نعم قلت تفصل فيهن بسلام قال لا ويحتمل ان يكون من كلام قرثع سأل أبا أيوب (أفى كلهن قراءة) أى بعد الفاتحة (قال نعم قلت هل فيهن) أى فيما بينهن من الشفعين (تسليم فاصل) أى للخروج من الصلاة احترازا من السلام الذى فى التشهد (قال لا) فيه دليل على أن الافضل التطوع فى النهار أربع موصولة وباختيار أربع قال أبو حنيفة فى الليل والنهار ويجوز عنده ستا وثمانيا قال ولا يزيد فى الليل على أربع ولا فى النهار على ثمان وقال أحمد والاوزاعى صلاة الليل مثنى مثنى ويجوز فى النهار أربع وقال الاسفرايينى الاختيار مثنى ليلا ونهارا ويجوز واحدة وثلاث وما شاء ولا ينحصر بعدد ويسلم آخر ذلك وقال مالك والاكثر نافلة الليل والنهار مثنى مثنى اعتمادا على حديث صلاة الليل مثنى مثنى وحديث ابن عباس حين بات عند خالته ميمونة وقدم ذلك على غيره لما ترجح به عنده من مصاحبة العمل وغير ذلك ولم يعتبر مالك مفهوم قوله الليل لانه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح ولانه خرج جوابا لسؤال ويرجح المخالف مذهبه بانه يستعمل جميع الاحاديث ولا يسقط منها شيأ ويقول المذهب الذى يؤدى الى استعمال الاحاديث ارجح من الذى يسقط بعضها وعلى المذهب بان النفل مثنى فمن قام الى ثالثة رجع ما لم يقدر كوعها ويسجد بعد السلام فان عقد ركوعها برفع رأسه سجد قبل السلام على قول ابن القاسم وأما ان قام لخامسة فانه يرجع

مطلقا

(ووزيرا بن عمه فى المعالى * ومن الاهل تسعد الوزراء)

أى ناصره وحامل أثقاله والمعالى جمع معلاة وهى كسب الشرف ولما خلفه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك على المدينة قال يا رسول الله خلفتنى مع النساء والصبيان فقال أما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وروى

أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى الا على وروى الخطيب على منى بمنزلة رأسى من بدنى وروى ابن عدى على يعسوب المسلمين وروى البزار على يقضى دينى وروى النسائى والحاكم ان كل نبى أعطى سبعة نجباء وأعطيت أنا أربعة عشر على والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث وروى أحمد أنت أخى وأبو ولدى تقاتل على سنتى الحديث قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى على كرم الله وجهه ثلثمائة آية وقال الامام أحمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلى وقال اسمعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالاسانيد الصحاح والحسان أكثر مما ورد فى على وذلك انه لما أخذ الخوارج وبنو أمية فى تنقيصه أخذ الحفاظ فى بث فضائله نصرة للحق ونصحا للامة وقد جمع أحاديث فضائله وآثار شمائله الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى مجلد وليست الوزارة خاصة به رضى الله تعالى عنه فقد روى الترمذى حديث ما من نبى الا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراى من السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الارض فابو بكر وعمر الا أن يراد بهما وزارة خاصة وهى قوله أنت منى بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة المستفادة من هذا التى هى كوزارة هرون من موسى أخص من مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم أخذ الشيعة انها تفيد النص على انه الخليفة بعده ويؤيد حمل الوزارة على الخاصة انه أرسله ان يؤذن على الناس ببراءة فى الموسم مع ان الخليفة على الحج أبو بكر لان العرب لا يقبلون مبلغا عن كبير الا ان كان من قرابته واستخلفه بمكة عند الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى دينه وأتاه بأهله قوله ومن الاهل تسعد الوزراء تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن ثم السعادة ما أخرج الترمذى وأحمد من حديث المؤاخاة المتقدم وقال فى حديث فيه كلام أنا مدينة العلم وعلى بابها وصح

مطلقا ويسجد قبل السلام أيضا لنقص السلام ورواية الاكثر فى هذه الصورة السجود بعدى والى هذه المسئلة أشار فى المختصر بقوله كنفل لم يعقد ثالثته والاكمل أربعا وفى الخامسة مطلقا وسجد قبله فيهما وقيل ان السجود فى الصورة الاولى بعدى لاجل الزيادة وقيل ان كان جلس على الثانية سجد بعد والا سجد قبل وقيل ان جلس على الثانية لم يسجد * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو معاوية نا عبيدة) بالتصغير وهو ضعيف اختلط فى آخر عمره (عن ابراهيم) النخعى (عن سهم بن منجاب عن قزعة عن القرثع عن أبى أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه) أى مثله معنى لا لفظا * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد عن عبد الله بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر) أى قبل صلاته (وقال انها) أى الساعة التى بعد الزوال (ساعة تفتح فيها أبواب السماء) أى لنزول الرحمة وصعود الاعمال الصالحة (فأحب ان يصعد) تقدم ما فيه عن جمع الوسائل وغيره (لى فيها عمل صالح) قال المؤلف فى جامعه وهذا حديث حسن غريب قال ابن حجر روى المصنف نحوه أيضا فى غير هذا الكتاب ولفظه أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن فى السحر وما من شئ الا يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أى خاضعون صاغرون اه وفى الجامع الصغير أربع بعد الظهر كعدلهن بعد العشاء وأربع بعد العشاء كعدلهن من ليلة القدر خرجه الطبرانى فى الاوسط عن أنس * قال المصنف (حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف) بفتح الخاء المعجمة واللام (نا عمر بن على المقدمى عن مسعر بن كدام) بكسر الكاف فدال مهملة (عن أبى اسحق عن عاصم بن ضمرة عن على انه كان يصلى قبل الظهر أربعا وذكر) أى على (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصليها عند الزوال) أى عقبه كما يدل عليه قوله قبل الظهر (ويعدفيها) أى يطيل فى تلك الصلاة يعنى بالنسبة الى سنة الفجر فانه كان يخففها كما تقدم وقد استشكل وجه مناسبة أحاديث الاربع ركعات التى كان يداوم عليها صلى الله عليه وسلم عند الزوال لصلاة الضحى وكان المناسب ذكرها قبل باب الضحى عند الكلام على رواتب الصلوات وقد تقدم ذكرها فى حديث على رضى الله عنه هنالك ولم يظهر

ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الى اليمن ليقضي بينهم قال لا أدري ما القضاء فضرب صدره بيده الشريفة ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين وقيل له مالك أكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني

أي لو كشف له الغطاء عن المغيبات لم يزده ذلك يقينا لما وهبه الله تعالى من عين اليقين بعد علم اليقين وقد أخبر بذلك عن نفسه فقال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والمعنى لو قامت القيامة وأحضرت الجنة والنار ما ازداد يقينا بالايمان بها وان كان اذا رآها ابصر من التفاصيل والهيآت ما لم يحط به قبل ذلك ولا تخفى علومه ومعرفته على من طالع أخباره وسيره وتقدم حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها وكان عمر رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن وذكر عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انه أعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة الى عمر وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عن جميعهم ولم يكن أحد من الصحابة رضي الله عنهم يقول سلوني الا علي وقال والله تعالى ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ان ربي جل جلاله وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله تعالى فانه ما من آية الا وقد علمت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل أم جبل وقوله بل للانتقال وضميره عائد على علي رضي الله تعالى عنه أي هو في فضله وتقدمه وعلمه الشمس أي مثلها في الظهور ما عليه غطاء أي ساتر بل هو ظاهر لكل أحد ويحتمل ان يكون الضمير في هو عائدا على المغيب المستور أي هو عند على الامر الواضح كالشمس وأخرج أبو يعلى عن عمر رضي الله تعالى عنه قال أعطي علي ثلاث خصال لان تكون لي خصلة منها أحب الى

لصنيعه وجه لا يتكلف وغاية ما يتكلف لذلك ان يقال انها لما كانت قريبة من صلاة الضحى أدرجت معها على وجه التبعية لما بينهما من المجاورة مع ما في ذلك من الايماء الى ان صلاة الضحى تمتد الى وقت الزوال فكان فيه نوع اشارة الى آخر وقتها

(باب صلاة التطوع في البيت)

أي في بيان انها في البيت أفضل بخلاف صلاة الفرض فانها في المسجد أفضل الا لعارض والمراد بالتطوع كل ما ليس بفرض الا ما يستثنى وسيأتي (حدثنا عباس العنبري نا عبد الرحمن بن مهدي) كمرمى (عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحرث عن حرام بن معاوية عن عمه عبد الله بن سعد) هو الانصاري وقيل القرشي الاموي والاول أثبت (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في بيتي والصلاة في المسجد) أي ايهما أحب (قال قد ترى ما أقرب بيتي من المسجد) أتى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام في جواب السؤال ليكون أدعى الى الاقتداء في فعل النافلة في البيت وابيان انها في البيت أفضل ولو كان المسجد قريبا الا كبير مشقة في الوصول اليه (فلان أصلي في بيتي) أي مع شدة قربه من المسجد (أحب الي من أن أصلي في المسجد) قال النووي لانها في البيت أخفى وابعد من الرياء وليتبرك البيت بذلك فتنزل فيه الرحمة ويفر منه الشيطان اه ولهذا طلب ممن أراد السفر أن يصلي في بيته لان ذلك أفضل حفيظة لاهله والتعليل بتحصيل المنفعة بها للبيت يقتضي أن التنفل في البيت أفضل ولو كان المسجد خاليا أو كان المصلي غريبا لا يعرف لانه وان انتفى الرياء تفوت منفعة نزول الرحمة في البيت وخروج الشيطان منه وفي المنتقى وغيره روى ابن القاسم عن مالك ان التنفل في البيوت أحب اليه من التنفل في مسجده صلى الله عليه وسلم الا الغرباء فان تنفلهم في مسجده صلى الله عليه وسلم أحب اليه ووجهه ابن رشد كما تقدم بأن الغريب لا يعرف وغيره يعرف وعمل السر أفضل وقال اليافعي نقل عن بعض أئمة أصحابنا الكبار وهو القاضي أبو الطيب الطبري رضي الله عنه أنه قال ان وجدت خلوة في المسجد الحرام فالصلاة فيه أفضل من البيت والا فالبيت أفضل قال اليافعي قلت وهذا حسن اه وظاهره ان الصلاة فيه أفضل من البيت اذا كانت خلوة سواء كان غريبا أو لا فخرج بما ذكرنا ان التنفل في المسجد النبوي أو المسجد الحرام اذا كانت خلوة أو كان المتنفل غريبا أفضل من التنفل

من ان أعطى حمر النعم تزويجه ابنته وسكناه المسجد وأعطاؤه الراية يوم خيبر وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لابلك فى يدى حتى تدخل معى يوم القيامة حيث أدخل وما أحسن قول حكيم له حين دخل الكوفة والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى أحوج اليك منك اليها وسمعه بعض أصحابه وقد أرخى الليل ستوره وهو يبكى يقول يا دنيا غرى غيرى لا حاجة لى فيك الى تعرضت أم الى تشوفت هيهات قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وخطرك حقير أواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق * وكتب على الى سلمان رضى الله تعالى عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه اه وكانت مدة خلافته رضى الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر وقتل شهيدا بالكوفة ضربه ابن ملجم الخارجى أشقى الآخرين كما فى الحديث وكان ذلك سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح *(تنبيه)* قد تقرر واشتهر أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى العافية وحض الناس على سؤالها وامتثلوا فسألوها ولا سيما الخلفاء وأجيبوا وما خيبوا

التنفل فى البيت والمسجد الاقصى كذلك وهل كذلك غيرها من المساجد وهو مقتضى التعليل المتقدم وقد قال شيخنا العلامة فى شرح الحصن التعليل بنفى الرياء أشبه برجوع التفضيل لنفس الصلاة وماهيتها وكمالها وأما تحصيل المنفعة بها البيته فأمر خارج عن حقيقتها اه (الا أن تكون صلاة مكتوبة) أى فان الاحب الى صلاتها فيه وقد أخرج الشيخان من حديث زيد بن ثابت مرفوعا أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ومن المتفق عليه أيضا من حديث ابن عمر رفعه اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا قال فى الاكمال قيل يعنى الفرض ليقتدى به من لا يخرج من النساء والعبيد والمرضى قالوا والمتخلف عن الجماعة للصلاة فى جماعة دونها ليس بمتخلف ومن على هذا للتبعيض وقيل يعنى النفل لان السر فى عمل التطوع أفضل ولذا كان بعض السلف لا يتطوع فى المسجد وهو مذهب الجمهور ومن على هذا زائدة وقد تكون للتبعيض لان بعض النوافل لا تصلى فى البيوت كالتحية ورواتب الفرائض اه وقد تقدم اثناء الكلام على الرواتب الخلاف فيها هل الراجح فعلها فى البيوت أو فى المسجد وهو الذى اقتصر عليه ابن الحاج فى المدخل ونقله الحطاب كما تقدم ويستثنى أيضا صلاة الطواف فانها فى المسجد أفضل اجماعا وكذا التراويح اذا خيف تعطيل المساجد وكذا صلاة كسوف الشمس وكذا تنفل الغريب فى المسجد النبوى على ما رواه ابن القاسم عن مالك كما تقدم وكذا المسجد الحرام ان كانت خلوة على ما تقدم عن أبى الطيب فتزاد هذه السبعة على قوله الا المكتوبة والله أعلم وقد تقدم ما فى فعل الضحى فى المسجد فجزم ابن حجر باستثنائها فيه نظر *(تنبيه)* فهم من الحديث انه لا فرق بين المسجد النبوى ومثله المسجد الحرام أو غيرهما لكن نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن عن اليافعى ما نصه لا ينبغى أن تترك صلاة النفل فى المسجد الحرام بالكلية وان كانت الصلاة فى بيته أفضل لما فى المسجد الحرام من الخير والرحمة واجتماع خواص عباد الله من الملائكة والاولياء حول الكعبة وخلف المقام المعظم وكذلك لا تترك بالكلية فى مسجده صلى الله عليه وسلم وخصوصا فى الروضة الشريفة وكذا فى المسجد الاقصى وخصوصا عند الصخرة المباركة والله أعلم اه وقال ابن حجر على حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة الحديث تقدم النقل عن الطحاوى

١٤ ش نى

وهذا لا يعارض ما ثبت فى الحديث من أن أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد علمت أسباب موت أفاضل الصحابة لان العلماء أجمعوا على تفسير العافية بأن لا يكل الله تعالى العبد الى نفسه وأن لا يخذله وأن لا يحرمه توفيقه وأن لا يهمله وأن يتولاه ويحفظه ويرعاه فى سائر أحواله والى هذا يشير سيدنا أبو الحسن الشاذلى فى قوله ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك

ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شئ قدير ولذا قال أبو العباس المرسى اذا سألت الله العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها الله عافية فان البلاء الذى تكفر به السيئات وترفع به الدرجات ويكون معه الرضا عن الله وانحياش العبد به الى باب مولاه على حد الفاقة والاضطرار كل هذا فى الحقيقة عافية ولهذا قالوا ابلاء يلجئك اليه خير من نعمة تقطعك عنه

أى وأقسم عليك بباقى العشرة من أصحابك المبشرين بالجنة المظهر الترتيب أى المبين الترتيب بينهم من النبى صلى الله عليه وسلم فينا أى لنا وتفضيلهم فاعل المظهر والترتيب مفعوله وعكسه الشارح قال ابن حجر والاول أظهر والولاء الموالاة والنصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم وسئل بعض محققى المتأخرين عن محبة الخلفاء الاربعة هل يجب أن تكون على حسب فضلهم فأجاب ان كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها الترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة أو احسان فلا يجب أن تكون كذلك

(طلحة الخير المرتضيه رفيقا
واحدا يوم فرت الرفقاء)

هو بدل من أصحابك بدل مفصل من مجمل وهو ابن عبد الله التيمى من تيم بن مرة القرشى أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية السابقين الى الاسلام وأحد الستة أصحاب الشورى فى أمر الخلافة وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر لكونه السبب فى اسلامهم ومات النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه وسماه صلى الله عليه وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود وروى ان رجل النبى صلى الله عليه وسلم سقط فى ليلة فقال من يسوى رجلى وهو فى الجنة فبادر طلحة فسواه فقال يا طلحة هذا جبريل يقرؤك السلام ويقول لك أنا معك فى أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها روى انه باع

وغيره ان ذلك مختص بالفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة ويمكن أن يقال لا مانع من ابقاء الحديث على عمومه فتكون صلاة النفل فى بيته بالمدينة ومكة تضاعف على صلاته فى البيت بغيرهما وكذا فى المسجدين وان كانت فى البيوت أفضل مطلقا اه ما نقله فى شرح الحصن وفى الرسالة بعد ان ذكر حديث صلاة فى مسجدى الخ وهذا فى الفرائض وأما فى النوافل ففى البيوت أفضل والتنفل بالركوع لاهل مكة أحب الينا من الطواف والطواف للغرباء أحب الينا من الركوع لقلة وجود ذلك لهم

(باب ما جاء فى صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

لم يترجم للزكاة لانها لا تجب على الانبياء عليهم السلام لانهم لا يشهدون انهم مع الله ملكا وانما يشهدون ما فى أيديهم من ودائع الله ويتصرفون فيه بالنيابة عن الله يبذلونه فى أوان بذله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكاة انما هى طهارة لما عسى أن يكون ممن وجبت عليه لقول الله سبحانه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجوب العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة لانهم غير مكلفين والمخالفة لا تكون الا بعد التكليف ولاجل ما ذكرنا من انهم لا يشهدون مع الله ملكا قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واذا كان أهل التوحيد والمعرفة لا يشهدون لهم مع الله ملكا فظنك بالانبياء عليهم السلام مع ان أهل التوحيد انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى عن الشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما انهما كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعى فقال أحمد بن حنبل للشافعى أريد أن أسأل هذا الرجل المشار اليه فى هذا الزمان فقال له الشافعى لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسى أربع سجدات من أربع ركعات فقال له يا أحمد هذا قلب غافل عن الله يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق فسأله فقال فما تقول فيمن له أربعون شاة فقال له شيبان أعلى مذهبنا أو على مذهبكم فقال له أو هما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففى الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ انظر التنوير ولعل شيبان هذا غير شيبان الراعى

أرضاله بسبعمائة ألف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها فأصبح ففرقها وروى انه فرقها فى ليلته وجاءه رجل يسأله برجه فأعطاه ثلثمائة ألف وكان مغله بالعراق فى كل سنة أربعمائة ألف وكان يكفى ضعفاء قومه وقوم أبى بكر بن تيم ويقضى ديونهم ويرسل الى عائشة فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم بمائة ألف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلى فيه وصح انه صلى الله عليه وسلم أقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير لكل نبى حوارى وأنتما حواريای أى ناصرای وان الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعدا وسعيدا كانوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وخلفه فى الصلاة فى الصف الاول وليس أحد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب أو شهد قوله المرتضيه رفيقا أى مرافقا وواحدا من الوحدة كما هو فى أكثر النسخ يوم فرت الرفقاء جمع رفيق أى عنك يارسول الله صلى الله عليك وسلم وهو يوم أحد وفى بعض النسخ أحدا بالنصب على نزع الخافض مع ضم الهمزة والحاء أى فى أحد وفى نسخة أحد بالرفع على أنه فاعل المرتضيه أى الذى ارتضاه أحد رفيقا لك وفيه اسناد مجازى وفى ذكر رفيق والرفقاء جناس الاشتقاق أو شبهه وكذا بين سعد وسعيد والامانة والامناء وأتاه واتاه وتمسك واستمسك وانطوت وانطوى وأغثنا والغوث والغيث الآتيات قال ابن حجر وفى ذكر واحدا فى اكثر النسخ نظر بل المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس أربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار رضى الله تعالى عنهم وفى البخارى لم يبق معه الا اثنا عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض أهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد البيضاء يوم أحد وفى النبى صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج

لان زمانه متأخر عن زمانهما فالله أعلم والصوم والصيام بمعنى واحد وهو لغة الامساك والترك من أمسك عن شئ ما فهو صائم لغة ومنه انى نذرت للرحمن صوما أى امساكا عن الكلام وشرعا هو الامساك عن المفطرات وحكمة مشروعيته مخالفة النفس والهوى كما قال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أى الشهوات والمعاصى والخير كله فى مخالفة النفس قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فليس الصوم مطلوبا لذاته وانما هو وسيلة الى ترك المعاصى والشهوات لانه يضعف النفس ويذلها فيستعان به عليها ولهذا ورد فى الحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه أى لفوات ثمرة الصوم ومن حكمة مشروعيته تصفية مرآة العقل والاتصاف بصفات الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع ويكفى فى شرف الصيام اضافته له تعالى فى خبر مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وفى خبر البخارى والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى الصيام لى وأنا أجزى به وقد اختلف العلماء فى سبب اضافته اليه تعالى مع ان كل عمل خالص من الرياء فهو له تعالى فقيل لانه لم يعبد به غيره تعالى اذ لم يثبت ان أحدا من الكفار عظم معبوده بالصوم وقد عظموه بصورة الصلاة والسجود والصدقة وقيل لانه عمل باطن لا يدخله الرياء الا بالاخبار عن فعله بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها وقيل لانه لا حظ للنفس فيه وقيل لما كان الاستغناء عن الطعام من صفاته تعالى فكأنه تقرب الى الله تعالى بما يشبه صفة من صفاته وان كان تعالى لا شبيه له فى صفاته وقيل لانه تعالى المنفرد بعلم مقدار ثوابه وغيره من الحسنات قد اطلع على قدر أجره كما قال الحسنة بعشر أمثالها والصوم موكول الى سعة جوده كما قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذا قال وأنا أجزى به وتولى الكريم للجزاء يستدعى سعة العطاء وقيل لانه كالايمان لا يؤخذ فى التباعات بخلاف غيره من الاعمال الصالحات وهذا القول نقله أبو الحسن فى كفاية الطالب عن سفيان بن عيينة واقتصر عليه والمقصود من الترجمة صوم التطوع وأما صوم الفرض فانما ذكر تبعا والله أعلم (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حماد بن زيد عن

أيوب بن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصوم) أى أحيانا صياما متتابعا (حتى نقول) أى فى أنفسنا أو القول بمعنى الظن وفى بعض النسخ تقول بالتاء المثناة فوق أى حتى تقول أيها السامع لو أبصرته ويجوز بياء الغائب أى يقول القائل (قد صام) أى داوم على الصيام (ويفطر) أى أحيانا افطارا متواليا (حتى نقول قد أفطر) أى داوم على الفطر ورواية مسلم حتى نقول قد صام قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر قد أفطر ورواية البخارى عن ابن عباس يصوم حتى يقول القائل والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل والله لا يصوم قال فى الاكمال قيل والمعنى أنه كان لا يخصص أياما بعينها بالصوم اه ويفهم من روايتين عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر وان صوم النفل غير مختص بوقت بل السنة كلها وقت له خلافا لقول ابن حجر ان ذلك يفهم من رواية المصنف ونص مسلم عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا معلوما سوى رمضان فقالت والله ان صام شهرا معلوما سوى رمضان حتى مضى لوجهه ولا أفطره حتى يصيب منه وفيه أيضا عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة أكان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا كله قالت ما علمته صام شهرا كله الا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم (قالت وما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا) فيه تنبيه على أن تتابع صومه كان دون الشهر لا فى شعبان ولا فى غيره (منذ قدم المدينة) قيل انما قيدت بهذا لانها لم تعلم حالته صلى الله عليه وسلم فى الصوم قبل الهجرة وانما علمت بما كان بعدها وهو ظاهر ولا يلزم من معرفتها بكثير من أحواله بمكة بالسؤال عنها معرفتها بجميعها خلافا لابن حجر وقيل قيدت به لان الاحكام انما كثرت وتتابعت من حين قدومه المدينة مع ان رمضان لم يفرض الا بالمدينة فى السنة الثالثة من الهجرة وبهذا قرره ابن حجر وتبعه فى جمع الوسائل وقال الطيبى انما قيدت بذلك لاستثناء رمضان لافادة انه بمكة يستكمل شهرا أو شهورا لانه بمكة لم يحفظ عنه سرد صوم لا فى شعبان ولا فى غيره (الا رمضان) فى صحيح مسلم من حديث حكيم بن أفلح عن عائشة لانعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة ولا صلى ليلة الى الصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان وفيه جواز استعمال رمضان غير مضاف

أقام رحى الاسلام حتى استقلت ... فأشار بالبيت الاول الى أنه لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه جعل طلحة يحتله ويرجع القهقرى وكلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده الى الشعب كما فى حديث عائشة وأشار بالبيت الثانى الى ما فى حديث أنس كان طلحة يوم أحد بين يديه صلى الله عليه وسلم يجوب عنه بحفظه (١) والاشاجع أصول الاصابع المتصلة بالاعصاب الخارجة من طرف ظاهر الكف ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة حتى استوى قائما وكان عليه صلى الله عليه وسلم درعان فذهب لينهض الى على صخرة فلم يستطع فبرك طلحة تحته وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استوى على الصخرة واليه أشار بقوله أقام رحى الاسلام ومدحه أبو بكر بقوله ... حمى نبى الهدى والخيل تتبعه ... حتى اذا ما التقوا حامى على الدين

وجهه بيده فشلت واشترت شلاء وكان الصديق رضى الله تعالى عنه اذا حدث عن يوم أحد يبكى ويقال ذلك كله لطلحة وقال له النبى صلى الله عليه وسلم أيضا ذلك اليوم أوجب طلحة أى وجبت له الجنة وقالت عائشة قال أبو بكر كنت أول من جاء يوم أحد فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى عبيدة عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة (١٠٨) فاذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة وقد انقطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه وما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أحد حتى قال لحسان قل فى طلحة فقال

وطلحة يوم الشعب واسى محمدا ... على ساعة ضاقت عليه وشقت

وكان أمام الناس الا محمدا ... أقام رحى الاسلام حتى استقلت

صبرا على الطعن اذ ولت جماعتهم * والناس مابين مهزوم ومنشون
ياطلحة بن عبيد الله قد وجبت * لك الجنان وكم زوجت من عين

يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة أى لنفسه ومدحه عمر بقوله

حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا * لما تولى جميع الناس وانكشفوا

الى شهر وهو الصحيح ومذهب البخارى والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وثالثها يجوز بقرينة كصمنا رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه اسم من أسماء الله والمذهبان فاسدان قال النووى ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون فى اسمائه تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من حديث ضعيف اه وهو مشتق من الرمض وهو شدة الحر أو من رمض الذنوب أى حرقها ولا يدفع هذا ان التسمية كانت قبل الشرع لان الصوم من الشرع القديم كما يفهم من قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون خلافا لابن حجر وعلى انه من أسماء الله تعالى فهو غير مشتق أو يرجع الى معنى الغافر أى يمحو الذنوب ويمحقها * قال المصنف (حدثنا على ابن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك انه سئل عن صوم النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان يصوم من الشهر حتى نرى) أى نظن أو يرى بالياء مبنيا للمفعول أى يظن (ان لا يريد أن يفطر منه) أى من الشهر شيأ كما دل عليه ما بعده (ويفطر) أى من الشهر (حتى نرى ان لا يريد أن يصوم منه شيأ) من الصيام أو من الايام (وكنت) بالخطاب (لا تشاء أن تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما) المراد ان كل جزء من أجزاء الليل قام فيه صلى الله عليه وسلم باعتبار أيام متعددة وان كان غالب قيامه آخره كما تقدم فكان تارة يقوم أول الليل وتارة يقوم وسطه وتارة يقوم آخره وكذا الصوم فلم يكن يتعبد بوقت فى صلاته وقيامه * قال العسقلانى وليس المراد انه كان يستوعب الليل قائما أو نائما ثم اعلم ان ظاهر التركيب مشكل لان المعنى على الاثبات لا على النفى اذ المراد ان شئت أن تراه مصليا رأيته كذلك وان شئت أن تراه نائما رأيته كذلك والجواب أن هذا التركيب نظير حديث ما أيس الشيطان من بنى آدم الا أتاهم من قبل النساء وقد قرره الرضى وغيره على أن ما بعد الا حال مقدرة والاستثناء مفرغ وتقدير الكلام ما أيس الشيطان من بنى آدم فى حال من الاحوال الا حال كونه آتيا أى ناويا اتيانهم من قبل النساء وعلى قياسه يقال فى هذا التركيب والتقدير وكنت لا تشاء فى حال من احوالك أن تراه مصليا من الليل الا فى حال كونك رائيا له مصليا أى متكلما من رؤيته كذلك بهذا قرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى رفع الله سبحانه قدره وأما ما ذكره ابن حجر وغيره فى اعرابه فلم

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صدقت كما فى ابن عساكر وفى الحديث لقد رأيتنى يوم أحد وما فى الارض قربى مخلوق غير جبريل عن يمينى وطلحة عن يسارى وهذا صريح فى قول الناظم واحدا ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يارسول الله من هؤلاء فقال هذا منهم وأشار الى طلحة وصح أيضا طلحة والزبير جارا فى الجنة وكان رجل يقع فيهما بحضرة سعد بن أبى وقاص فنهاه فأبى فصلى ثم دعا عليه ان كان مبطلا أن يريه الله تعالى فيه آية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فأخذه وهرسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعد بن المسيب أنا رأيت الناس يتبعون سعدا يقولون هنيأ لك أبا اسحق أجيبت دعوتك قتل يوم الجمل بعد ان تأخر ووقف فى بعض الصفوف بجفاء صنيعهم فى ركبته ودفن بالبصرة رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة

(وحواريك الزبير أبى القر * م الذى انجيت به أسماء)

أى رأقسم عليك بناصرك الزبير بن العوام القرشى الاسدى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية رضى الله تعالى عنها أحد العشرة المبشرين بالجنة والستة أصحاب الشورى والثمانية السابقين الى الاسلام والشجعان المشهورين لا يطيق هو

وعلى وعمزة فى الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله لانه سمع أخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فقال له مالك فقال له أخبرت أنك أخذت فصلى عليه ودعا له شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له اليد البيضاء اخترق صفوف الروم من أولهم الى آخرهم وفتح مصر مع عمرو بن العاصى ولما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب النبى صلى الله عليه وسلم الناس من يأتينى بخبر القوم يعنى بنى قريظة هل نكثوا فقال أنا فأعاد فقال أنا فقال ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير وجمع له بين أبويه لما رجع وقيل لعثمان وهو محصور لو استخلفت قال لعلهم قالوا الزبير قيل نعم قال أما والله انه لخيرهم ما علمت وان كان لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد يؤدون له الخراج فى كل يوم فيتصدق به فى مجلسه ولا يقوم بدرهم وخرج مع عائشة الى العراق فى طلب دم عثمان فحضر يوم الجمل وذكره على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا زبير أما والله لتقاتلنه أى عليا وأنت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم أدبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل لتصلح بين الناس فأبى وفى رواية انه قال له جبنا جبنا فقال لقد علم الناس انى لست بجبان ولكن ذكرنى حديثا خفت أن لا أقاتله وفى رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب على أفيكم عمار بن ياسر قال نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية ولا مانع من كون الامرين سببا لرجوعه ولما وصل وادى السباع قتله عمرو بن جرموز التميمى فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة

يظهر لى معناه وعلى ان معنى الحديث ما تقدم فيستفاد منه كما قال ابن حجر انه ما كان يعين بعض الليل للنوم و بعضه للصلاة كاصحاب الاوراد الباقين مع عادتهم التى ألفتها نفوسهم فلم يبق لها مشقة عليها لانه صلى الله عليه وسلم يحكم على العادة ولا تحكم عليه بخلاف غيره فان الغالب عليه ان اعتاد شيأ غلب عليه وحكم عليه اه بمعناه لكن يعارضه قول عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ الا ان يقال كل من عائشة وأنس أخبر بما علم ويفهم مما تقدم من انه كان يقوم بعض الليل وينام بعضه ان هذه الطريقة هى أعدل الطرق وأفضلها فى العبادة وهى مجانبة الاسراف والتقصير والافراط والتفريط وقد تقدم انه لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه حلف ليصلين الليل أبدا و بعضهم حلف ليصومن الدهر و بعضهم حلف ليعتزلن النساء فلا يتزوج أبدا قال اما والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وسيأتى فى حديث المرأة التى كانت لا تنام الليل قوله عليه السلام عليكم من الاعمال ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وسيأتى ان شاء الله وجه ذلك وزاد أنس فى الجواب حكم الصلاة فى الليل تنبيها للسائل على انها ان لم تكن أحق بالسؤال عنها من الصوم كانت مثله واستيفاء للاحوال * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود أنا شعبة عن أبى بشر) اسمه جعفر بن أبى وحشى واسمه اياس (قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر و يفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وما صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان) نحوه فى مسلم الا انه قال شهرا متتابعا وفيه أيضا من طريق عثمان بن حكيم قال سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب ونحن يومئذ فى رجب فقال سمعت ابن عباس يقول ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا رمضان قال الابى قال الهروى الظاهر من استدلال سعيد انه يعنى انه لا نهى فيه ولا ندب لعينه بل هو كغيره من الشهور وفى أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى صوم الاشهر الحرم ورجب أحدها اه وروى أبو داود وغيره عن عروة أنه قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فى رجب قال نعم و يشرفه قالها ثلاثا وروى عن أبى قلابة ان فى الجنة قصرا الصوام رجب وهو من

على الاشهر وقال فيه حسان رضى الله تعالى عنه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطى ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله * وليس يكون الدهر مادام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر * وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل

بكار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ كما قاله البيهقى قال ابن حجر وأما ماذكره ابن ماجه عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب فالصحيح وقفه على ابن عباس اه قال فى جمع الوسائل هذا محل بحث لان الموقوف اذا جاء بطريق آخر مرفوعا فالمحققون يرجحون الرفع مع ان مثل هذا الموقوف فى حكم المرفوع فيحتاج الى ترجيح بتصحيح أحدهما أو الى نسخ أحدهما ان عرف تاريخهما اه فانظره بعد هذا المحل فى حديث كان يصوم شعبان الا قليلا الخ * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبى سلمة) أى ابن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة (عن أم سلمة قالت ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين الا شعبان ورمضان) هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم صام شعبان كله وهو معارض لما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا الا رمضان فقيل ان أم سلمة اطلعت على ما لم يطلع عليه ابن عباس وعائشة واستبعد وقيل ان مراد أم سلمة بصوم شعبان صوم جله وغالبه لا صوم كله فلم تعتبر افطار القليل منه فحكمت بالتتابع وقيل مراد عائشة وابن عباس من قولهما ما صام شهرا ما صامه على الدوام بل تارة يصوم جله وتارة كله قال ابن حجر ولا يصح الجمع بأنه كان قبل قدومه المدينة قد يستكمل صوم شعبان أخذا من قول عائشة فيما مر منذ قدم المدينة لان صوم رمضان انما فرض فى المدينة فى شعبان فى السنة الثانية من الهجرة وفى مكة لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم سرد صوم لا فى شعبان ولا فى غيره فالتقييد بالمدينة فى كلام عائشة لاستثناء رمضان لا لافادة انه بمكة كان يستكمل شهرا أو شهورا بالصوم اه قال فى جمع الوسائل هذا مدفوع بأنه يحتمل كلامها انها رأته يصوم شعبان متتابعا بمكة أو بلغها عن غيرها ومن حفظ حجة على من لم يحفظ فلا مانع من الجمع بهذا (قال أبو عيسى) أى المصنف (هذا) أى هذا الاسناد المذكور (اسناد صحيح) أى على شرط الشيخين كما ذكره ابن حجر (وهكذا قال) أى روى ابن أبى الجعد (عن أبى سلمة عن أم سلمة وروى هذا الحديث غير واحد عن أبى سلمة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون أبو سلمة بن عبد الرحمن قد روى هذا الحديث عن عائشة وأم سلمة) زاد فى بعض النسخ (جميعا) اى معا (عن النبى صلى الله عليه وسلم) قال ابن حجر يتعين هذا الاحتمال لتصح هذه

(تنبيه) كان السيد الزبير من أكثر الصحابة مالا وذكر البخارى فى باب بركة الغازى انه لم يترك دينارا ولا درهما الا أرضين منها الغابة واحد عشر دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر وترك عليه دينا من أجل أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فانى أخشى عليه الضيعة فاجتمع فى الدين الذى عليه ألفا ألف ومائتا ألف أى المعدود الدرهم الشرعى فهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا بالحساب العرفى ثم قال البخارى فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتى ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف اه بلفظ البخارى لكن قوله فأصاب كل امرأة الخ يقتضى أن الثمن كان أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف أى أربعمائة قنطار يضرب فى ثمانية يخرج الثلثان ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف أى ثمان وثلاثون مائة قنطار وأربعون قنطارا والثلث تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف أى تسع عشرة مائة قنطار وعشرون قنطارا فجملة المقسوم بين أهل الوصية والميراث سبعة وخمسون ألف

ألف وسبعمائة ألف أى سبع وخمسون مائة قنطار وستون قنطارا يضاف له الدين وهو مائتا قنطار وعشرون قنطارا فجميع ما خلفه السيد الزبير على هذا تسعة وخمسون ألف ألف وسبعمائة ألف وأين هذا من قول البخارى فجميع ماله الخ فهو يخالف قوله فأصاب كل امرأة الخ وأجيب عنه بأجوبة أحسنها أن قوله فجميع ماله الخ هو بحساب ما قوم به السيد عبد الله الارضين والدور بقرب وفاة والده ثم بعد مضى الاربعة الاعوام المذكورة مما الاصل المذكور بارتفاع الاسواق ونحوه وبالغلة فزاد على ما قوم به أولا تسعة آلاف ألف وسبعمائة ألف أى تسعمائة قنطار وستون قنطارا فوقع القسم على ما آل اليه حال العقار وألغى التقويم الاول من الاعتبار والله أعلم وقوله أبى القرم بفتح القاف أى السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذى أنجبت به أى ولدته نجيبا وأتت به فى غاية النجابة أى الذكاء والفضل وفى القاموس النجيب الكريم الحسيب وقد نجب ككرم نجابة ورجل منجب وامرأة منجبة ومنجاب ولد النجباء وأسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم ولدته بعد عشرين شهرا من الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد به فرح المهاجرين لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما أبطل نسلهم فلا يولد لهم ولما احتجم النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه دمه وقال له غيبه فى موضع لا يراه فيه أحد فلما رجع قال ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك ويل وأخبرت

الروايتان وتسلما من الاضطراب فان أبا سلمة بن عبد الرحمن كان يروى عن كل من عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * قال المصنف (حدثنا هناد نا عبدة عن محمد بن عمرو نا أبو سلمة عن عائشة قالت لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) جملة يصوم حال من مفعول لم أر ان كانت الرؤية بصرية ومفعول ثان ان كانت علمية (فى شهر) أى من الاشهر (أكثر من صيامه) صفة لمفعول مطلق محذوف أى صياما تطوعيا أكثر الخ لا مفعول ثان لقوله لم أر خلافا لابن حجر (فى شعبان) متعلق بصيامه وظاهر هذا الحديث وما كان فى معناه أن صوم شعبان أفضل من رجب وغيره من الاشهر الحرم وفى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل فقال النووى يحتمل انه لم يعلم فضل صوم المحرم الا فى آخر حياته قبل التمكن من صومه أو لعله كان يحصل له عذر من سفر أو مرض يمنعه من اكثار الصوم فيه اه واستبعد كل من الوجهين ثم قيل انما كثر صيامه فى شعبان لما رواه الطبرانى عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وقيل تعظيما لرمضان فيكون بمنزلة تقديم الرواتب على المكتوبات لحديث سئل صلى الله عليه وسلم أى الصوم أفضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان لكنه حديث غريب عند المصنف قال وفيه صدقة وهو عندهم ليس بالقوى وقيل للتمرن على صوم رمضان وقيل لحديث انه شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملى وأنا صائم وقيل لحديث ان هذا الشهر يكتب فيه ملك الموت من يقبض فأحب ان لا يكتب اسمى الا وأنا صائم قال فى جمع الوسائل بعد ذكر هذه الاقوال والعل هذا هو الحكمة فى وجه اختصاص شعبان به عليه السلام حيث قال رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى على ما رواه الديلمى وغيره عن أنس اه وذكر ابن حجر فى تأليفه الذى سماه تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب ان هذا من الاحاديث الباطلة وقد اختصر هذا التأليف الخطاب فى شرحه للمختصر فانظره (كان يصوم شعبان الا قليلا بل كان يصومه كله) فيه أيضا معارضة لما سبق عنها وعن ابن عباس انه ما صام شهرا كاملا غير رمضان فاما ان يقال كما قال ابن عبد البر وابن المنيران قولها الثانى متأخر عن قولها الاول فاخبرت عن أول أمره بأنه كان يصوم أكثر شعبان

لك من الناس وويل للناس منك قتل عند الكعبة محصورا فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين حاصره الحجاج حتى قتله وكان ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر يوما اطلس العبادة لا لحية له وهو أحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم عبد الله بن مسعود لانه

أكبر منهم سنا وليس فى طبقتهم

(والصفيين توأم الفضل سعد * وسعيد ان عدت الاصفياء)

الصفيين تثنية صفى وهو الحبيب المصافى اى وأقسم عليك بالصفيين أى الحبيبين المصافيين توأمى الفضل من أتأمت المرأة ولدت اثنين فى بطن سعد وسعيد قال ابن حجر اى ان الفضل أتنجههما لكثرة ما قام بهما منه ولو قال توأما الفضل لكان أوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا فى الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان فى حمل واحد انتهى والظاهر ان مراد الناظم ان الفضل نفسه توأم سعيد وسعيد كان كل واحد منهما ولد مع الفضل فى بطن واحد أما سعد فهو أبو اسحق سعد بن أبى وقاص مالك القرشى الزهرى وهو أحد الثمانية السابقين الى الاسلام بل ورد عنه انه كان ثلث الاسلام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والستة أصحاب الشورى واحد الشجعان المشهورين وأول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وكان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم أحد ألف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير فى فتح مدائن كسرى وغيره ومن كراماته انه قطع البحر بجيوشه على ظهور الخيل لم يبلغ الماء الى حزمها والناس فى غاية الطمأنينة كانهم سائرون فى البر وكان الذى يسايره سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهما وولاه عثمان أيضا رضى الله تعالى عنه ولاية جليلة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ويقول ارم فداك أبى وأمى واقبل والنبى جالس مع أصحابه فقال هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله وقال اجلس يا خالى فان الخال والد رحمه واجب دعوته وفى رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك وقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو مريض

وأخبرت ثانيا عن آخر أمره انه كان يصومه كله وأما ان يقال كما قال ابن المنير ان الكلام محمول على المبالغة فلا تكون كل للاحاطة والشمول كما فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا كلها وقد نقل المصنف عن ابن المبارك انه يجوز فى كلام العرب ان يعبر بصوم الشهر كله عن صوم معظمه قال كانه جمع بين الحديثين بذلك وتكون حكمة الاضراب كما قال ابن حجر ان قولها الا قليلا ربما يتوهم منه ان ذلك القليل يصدق بماله وقع كثلث الشهر فبينت بكله انه لم يكن يفطر الا ما لا وقع له بحيث يظن انه صامه كله واما ان يقال المراد بكله انه كان يصوم من أوله تارة ومن آخره أخرى ومن اثنائه طورا فلا يخلى شيأ منه من الصيام ولا يخص بعضه بصيام دون بعض واما ان يقال فى الكلام قلب والتقدير كان يصومه كله بل كان يصومه الا قليلا ويؤيده ما فى مسلم عن أبى سلمة عن عائشة كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا قال النووى الثانى مفسر للاول أى فيكون المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال ولذا استبعده الطيبى قائلا ان الكل تأكيد لارادة الشمول ودفع التجوز فتفسيره بالبعض منافى له قال فيحمل على انه كان يصومه كله فى وقت ويصوم بعضه فى وقت آخر لئلا يتوهم انه واجب كرمضان قال ولو عطف بالواو لم يحمل الا على هذا الثانى * قال المصنف (حدثنا القاسم ابن دينار الكوفى نا عبيد الله بن موسى وطلق بن غنام عن شيبان عن عاصم عن زر) بكسر الزاى وتشديد الراء (ابن حبيش عن عبد الله) أى ابن مسعود على ما هو مصرح به فى المشكاة مع انه المراد عند الاطلاق فى اصطلاح المحدثين وغالب الفقهاء المعتبرين (قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام) هكذا أيضا رواه أصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغرة الشهر قال ابن حجر هى أوله فيكون المعنى انه كان يصوم من أول كل شهر ثلاثة أيام ويعارضه ما يأتى عن عائشة قالت كان لا يبالى من أيه صام وكذا قولها كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس وكذا ما رواه أبو داود والنسائى والامام احمد فى مسنده كما فى الجامع الصغير من حديث حفصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس والاثنين من الجمعة الاخرى وأجاب البيهقى بان كل من رآه فعل نوعا ذكره وعائشة رأت جميع ذلك فاطلقت انه لم يكن

بمكة فى حجة الوداع لعل الله تعالى يرفعك حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك آخرون واعتزل الفتن بعد عثمان فلم يحضر فى شئ من تلك الحروب توفى بالعقيق على عشرة اميال من المدينة وحمل اليها وصلى عليه مروان وهو والى المدينة ودفنت عليه أمهات المؤمنين فى حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان أوصى ان يكفن فى جبة صوف لقى المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت اخبؤها لذلك (١١٤) وهو آخر المهاجرين موتا وفى مسلم ان آية ولا تطرد الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشى نزلت فى ستة منهم سعد وابن مسعود انتهى واما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها الا بدرا ولكنه ضرب له النبى بأجر من شهدها وسهمه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان انه أخذ لها قطعة من أرض فقال ما كنت لافعل بعد اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه من سبع أرضين فقال مروان لا اسألك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها فذهب بصرها فبينما هى تمشى فى أرضها وقعت فى حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت أصابتنى دعوة سعيد وفى رواية انه كان جارها بالعقيق وانه أعطاها الذى ادعته ودعا عليها لما توفى سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالبقيع

يبالى من أى أيام الشهر صام اه قلت وهذا الجواب لا يأتى فى المعارضة بين حديثها المتقدمين قال فى جمع الوسائل وقد يقال المراد بغرة كل شهر ظهوره وطلوعه فلا دلالة فيه على كون صيامه فى أوله ويؤيده ما فى القاموس من ان الغرة من الهلال طلعته اه ويأتى لابن حجر جواب آخر فى حديث يزيد الرشك ويأتى جواب آخر للعسقلانى فى حديث كان عمله ديمة قلت ويحتمل ان يكون المراد بغرة الشهر أيام البيض اى أيام الليالى البيض لانها تبيض بطلوع القمر فيها من أول الليل الى آخره وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر وتبقى على هذا الاحتمال المعارضة المذكورة ويجاب عنها بما تقدم وبما يأتى عن ابن حجر وعن العسقلانى ويؤيد هذا الاحتمال قول النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى ان كنت صائما فصم الغراى البيض وقد روى النسائى عن ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر وروى احمد عن حفصة أربع لم يكن صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وأيام البيض من كل شهر وركعتى الفجر وكان المراد بالعشر عشر ذى الحجة وانما كره مالك صيام أيام البيض اسرعة أخذ الناس بمذهبه فيظن الجاهل وجوبها قال ابن رشد وروى عنه أيضا انه كان يصومها وانه كتب الى الرشيد يحضه على صومها اه وفى البخارى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له صم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر امثالها وذلك مثل صيام الدهر وفى مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله وروى الامام أحمد وابن حبان فى صحيحه والبزار ورجاله رجال الصحيح مرفوعا صوم شهر الصبر يعنى رمضان وثلاثة من كل شهر يذهبن وحر الصدر أى حقده وغشه ووساوسه قلت لو لم يكن فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر مع رمضان الا هذه الغنيمة العظيمة وهى شفاء القلوب من هذه العيوب لكان ذلك كافيا للمؤمن وسيأتى حديث عائشة انها سئلت أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لا يبالى من أيه صام وفى رواية مسلم لم يكن يبالى من أى ايام الشهر يصوم قال فى الاكمال اختلفت الاحاديث فى تعيين الثلاثة ففى هذا انه كان لا يعين وفى حديث جرير انها الايام البيض وبه أخذ جماعة منهم

(وابن عوف من هوّنت نفسه الدنيا يبذل يمده اثراه) عمر

اى وأقسم عليك بعبد الرحمن بن عوف بن الحرث القرشى الزهرى أحد الثمانية السابقين الى الاسلام والعشرة المشهود لهم بالجنة والستة الذين أسلموا على يد أبى بكر شهد المشاهد كلها وثبت مع النبى يوم أحد وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل الى بنى كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله تعالى عليك فتزوج ابنة ملكهم أو شريفهم ففتح

عليه وتزوج ابنة شريفهم الاصبغ فولدت له أبا سلمة وصلى النبي معه الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ولما أتم النبي ما فاته خلفه قال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد سواه وأبي بكر وجبريل صلى به الخمس مرتين في يومين بعد الاسراء عند الكعبة وكان كثير الانفاق اعتق في يوم واحد أحدا وثلاثين عبدا وجاء انه أعتق ثلاثين ألفا وفي رواية انه أمين في السماء وأمين في الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة وقال لام سلمة خفت ان يهلكني كثرة مالي فقالت يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم اربعون ألف دينار ثم بمثلها ثم بخمسمائة فرس ثم بخمسمائة راحلة وفي رواية ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لامهات المؤمنين بحديقة فبيعت بار بعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل واحد ممن بقي من أهل بدر بار بعمائة دينار وكانوا مائة من جملتهم عثمان فأخذ ما نابه وهو أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم وبالف فرس في سبيل الله تعالى وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلاث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام بسبعمائة راحلة فسمعت عائشة اصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فأتاها فحدثته فقال اشهدك انها باحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان بار بعين الف دينار فقسمها في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك فقال ما الذي أقرضه فقال تتبرأ من كل مالك ففعل ذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فاذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه وليبدأ بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية لما هو فيه لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه

عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبو ذر وفي حديث رفعه ابن عمر انها قول اثنين في الشهر وخميسان بعده واستحب النخعي آخر الشهر واستحب الحسن أوله واستحبت عائشة السبت والاحد والاثنين ثم الثلاثاء والاربعاء والخميس من الشهر الذي يليه وأم سلمة أول خميس ثم الاثنين بعده ثم الاثنين وقيل اول يوم من الشهر والعاشر والعشرون وقيل انه صوم مالك وقال ابن شعبان أول يوم والحادي عشر والحادي والعشرون اه وما اختاره ابن شعبان هو الذي قال بعضهم انه صوم مالك والمعروف من قول مالك كراهة تعيين ايام للنفل أو يجعل لنفسه شهرا او يوما يلتزم صومه وفي النوادر عنه كراهة تعمد صيام أيام البيض وقال ما كان ببلدنا وقد تقدم ذلك (وقلما كان يفطر) يحتمل ان تكون ما كافة لقل عن طلب الفاعل ويحتمل ان تكون مصدرية فيكون فاعل قل المصدر المنسبك اي قل كونه مفطرا (يوم الجمعة) في هذا دليل لمالك وأبي حنيفة ان صوم الجمعة وحده حسن ففي الموطا لم اسمع أحدا من اهل العلم والفقه ممن يقتدي به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض اهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه اه ويعارضه حديث البخاري عن ابي هريرة رفعه لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا يوما قبله أو بعده وفي الجامع الصغير لا تصوموا يوم الجمعة منفردا رواه الامام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم عن جنادة الازدي وفيه أيضا لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم أو بعده يوم رواه الامام أحمد في مسنده عن أبي هريرة والحاصل ان صريح الاحاديث النهي عنه قيل تحريما وقيل تنزيها وباحاديث النهي أخذ جمهور الشافعية قال في جمع الوسائل وتأويل الحديث عندهم انه كان يصومه منضما الى ما قبله او الى ما بعده اه أو يقال انه لم يكن يقصده بالصيام على التعيين وانما كان يصومه مصادفة له في الايام التي كان يصومها فكان يقع في أيام صيامه من غير قصد ولا تعيين وأما قول ابن حجر ان صومه صلى الله عليه وسلم يوم جمعة وحده لبيان الجواز اه ففيه أنه كان يكفي لبيان الجواز صومه في بعض الاوقات وهو خلاف قوله وقلما كان يفطر قال في جمع الوسائل وكان مالكا رحمه الله تعالى اطلع على تاريخ دل على نسخ النهي أو لما تعارض حديث الفعل والنهي وتساقطا بقي أصل الصوم على استحسانه اه أو لم يصح حديث النهي عمل بخلاف حديث الفعل وهذا هو الظاهر من كلام الموطا

وسلم قال له كفاك الله تعالى أمر دنياك وأما أمر الآخرة فأنا لها فاضمن وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال من يصلنا بشئ فأتاه بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهـ الفة وقد يجاب عن المعارضة بان الاحاديث التي فيها انه يدخل الجنة حبو انسحت وحيت بكثرة صدقته وانفاقه في سبيل الله حسبما يدل عليه حديث اتيان جبريل المتقدم ولما امتثل ما أمر به وظهر ذلك من فعله ضمن له النبي صلى الله عليه وسلم أمر آخرته توفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان عن خمس وسبعين سنة وصلى عليه علي والزبير لانه كان هجر عثمان لما امر أقاربه فقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال له انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع أقاربه في الله تعالى وانا أصلهم في الله تعالى فتذران لا يكلمه أبدا وقوله من هونت من موصولة نعت اي الذي هونت نفسه الدنيا اهانتها ولم تحتفل بها وارخصت أموالها النفيسة فانفقتها في سبيل الله يبذل أي اعطاء كثير مستدام طلبا لرضا الله تعالى في مواضعه ومن يستحقه يده اي بسطه ويزيده اثراء أي كثرة مال أكثره من التجارة وكان محظوظا فيها بحيث لو أمسك التراب صار ذهبا وترك منه ما جاء ربح ثمنه ثمانين آلف دينار قال ابن حجر عند قوله اغنياء عن زهة الخ وهذا لا ينافي انه كان ينفقه في سبيل الله اذ ليس المطلوب الانفاق دفعة بل هو على حسب الاحتياج وتخلفه عن الفقراء في دخول الجنة اما لكونه يقف يشفع أو يسئل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبرا لخاطر الفقراء بذلك اهـ ثقة)

كما تقدم وأما قول ابن حجر لم يبلغ مالكا النهي عن صوم يوم الجمعة فبعيد جدا عدم بلوغ احاديث النهي مالكا ومن قال بقوله وقد اختلف في علة النهي فقيل لانه يوم دعاء وعبادة وذكر فيكون الفطر اعونا له على هذه الوظائف واداتها بنشاط كالحاج بعرفة يوم عرفة فان السنة له الفطر فيه ويرد عليه أنه لو كان كذلك لما زالت الكراهة بصوم يوم قبله او بعده وقيل علة النهي انه يوم عيد والعيد لا يصام ويؤيده ما رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم الا ان تصوموا قبله أو بعده ويرد عليه ما ورد على ما قبله واجاب ابن الجوزي وغيره بان شبهه بالعيد لا يستلزم استواءه معه من كل جهة فمن صام معه غيره خفت عنه صورة التحري بالصوم وقيل سبب النهي خشية ان يفرض عليهم كما خشي ذلك في التراويح وأورد عليه ما تقدم وقيل سبب النهي خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت قال النووي وهذا منتقض بصلاة الجمعة وغيرها مما هو مشهور من وظائف اليوم واجيب بان عموم الصوم الشامل للرجال والنساء وسكان البادية والقرى والامصار من العبيد والاحرار ليس كالصلاة المختصة بشروط في وجوبها وصحة أدائها مع انها قائمة مقام صلاة الظهر المؤداة في سائر الايام انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا ابو مصعب المدني) وفي نسخة المديني (عن مالك بن أنس عن ابي النضر عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم) اي نفلا (في شهر أكثر من صيامه في شعبان) كان المناسب ذكر هذا الحديث قبل حديث ابن مسعود وقد تقدم ما للعلماء من الاقوال في وجهه اكثاره صلى الله عليه وسلم من الصوم في شعبان * قال المصنف (حدثنا محمود) اي ابن غيلان كما في نسخة (نا أبو داود نا شعبة عن يزيد الرشك) بكسر الراء (قال سمعت معاذة قالت قلت لعائشة اكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيه كان يصوم قالت كان لا يبالي من أيه صام) في رواية مسلم لم يكن يبالي من اي ايام الشهر صام وقد تقدم في حديث ابن مسعود عن الاكمال ما وقع من الاختلاف في تعيين هذه الثلاثة المستحبة في كل شهر فانظره هنا لك مستوفى (قال أبو عيسى) اي المصنف (يزيد الرشك هو يزيد) بن ابي يزيد (الضبعي) بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة ابو الازهر (البصري وهو

(والمكنى أبا عبيدة اذ يعزى اليه الامانة الامناء)

هو بفتح النون اسم مفعول من الكنية اي وأقسم عليك بالمكنى أبا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة واحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث

وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد واحد الرجلين اللذين عيبهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثانى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنهم شهد المشاهد كلها وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا فى وجنتى النبى صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنايا له لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من أحسن الناس هتما والهتم بالمثناة الفوقية القاف مقدم الاسنان ولاه أبو بكر على الشام ثم أمر خالدا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولى عمر اعاده لكن أمره ان يستشير خالدا وهو أول من سمى أمير الامراء بالشام وروى انه أمره النبى صلى الله عليه وسلم على سرية فيها أبو بكر وعمر وتعرض له أبوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما أكثر عليه قتله فأنزل الله تعالى فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مقتديك لا بايعك قال له ما كنت لاقتأمر على رجل قدمه النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن أدركنى اجلى وهو موجود استخلفته لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة امينا وامين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال اين أخى ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فأتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه رضى الله تعالى عنهما وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى سيفه وقوسه وترسه ورحله فبكى عمر وقال أصحابه تمنوا فقال رجل أتمنى ملء هذه الدار ذهبا أنفقه فى سبيل الله وقال آخر جوهرا أنفقه فى سبيل الله فقال عمر وانا أتمنى لو ان هذه الدار ملؤها رجالا مثل أبى عبيدة وله فتوحات وحروب مع المشركين وعن الحسن مرسلا ما من أحد من اصحابى الا لو شئت لاخذت عليه فى بعض خلقه غير أبى عبيدة توفى سنة ثمان عشرة شهيدا بالطاعون فى طاعون

ثقة) عابد (روى عنه شعبة) اى مع جلالته (وعبد الوارث بن سعيد وحماد بن زيد واسمعيل بن ابراهيم وغيرو احد من الائمة) اى أئمة الحديث ونقادهم وحذاقهم قال ابن حجر وقد روى عنه الستة فى صحاحهم (وهو يزيد القاسم ويقال القسام والرشك باغة) اهل (البصرة) هو (القسام) فلقب به لانه كان ماهرا فى قسمة الاراضى بين الشركاء وكان يباشرها من جهة السلطنة قال الزمخشرى كان الحسن اذا سئل عن حساب فريضة قال علينا ببيان السهام وعلى يزيد الرشك ببيان الحساب وكان يزيد أحسب اهل زمانه وماهر عليه المصنف من انه لقب بذلك لهذا هو أحد قولين وقيل الرشك اللحية الكثيفة لقب به لكثافة لحيته قال ابن الجوزى وغيره دخل عقرب لحيته فأقام بها ثلاثة أيام وهو لا يشعر لكبر لحيته فان قيل من أين يعرف انها أقامت بلحيته ثلاثة أيام فالجواب انه يحتمل ان يكون دخل مكانا كثير العقارب ثم رآها بعد الخروج منه بثلاثة ايام ويحتمل ان أحدا رآها حين دخلت ولم يخبره الا بعد ثلاثة أيام ليعلم هل يحس بها أم لا وقد أشار ابن حجر الى ان غرض المصنف بذكر ترجمة يزيد الرد على من زعم انه ابن الحديث وانه انما ذكر هذا هنا دون باب الضحى لان ما رواه هنا يعارضه ما فى الباب من انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الغرة والاثنين والخميس ونحو ذلك مما فيه انه عين بعض الايام لصومه فربما طعن طاعن بهذا فى يزيد فرده بتوثيقه مع الاشارة الى انه لا معارضة ووجهه ان معنى كونه لا يبالى بذلك انه كان فى كثير من أوقاته يترك تلك الايام المذكورة ويصوم غيرها من بقية الشهر فلم يكن يلتزم اياما بعينها لا ينفك عنها نظير ما مر قريبا فى ساعة الليل بالنسبة لمنامه وقيامه اهـ قال المصنف (حدثنا أبو حفص عمر بن على نا عبد الله ابن داود عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) بفتح فسكون (عن ربيعة الجرشى) بضم الجيم وفتح الراء فشين معجمة موضع باليمن (عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس) كذا هى الرواية كما عند النسائى وتصحف الصوم باليوم على ابن حجر قال المناوى وتحراه أى تعمده او طلب ما هو أحرى بالاستعمال فالمعنى على الاول يتعمد صومهما فيصبر على الصوم منتظرا لهما وعلى الثانى يجتهد فى ايقاع الصوم فيهما لان الاعمال تعرض فيهما كما فى الخبر الآتى ولانه سبحانه يغفر فيهما لكل مسلم الا المتهاجرين اى المتقاطعين رواه أحمد ولما فى مسلم انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال

عواس بقرية بين الرملة وبيت المقدس أول ماوقع بها ثم انتشر بالشام قوله اذ يعزى بفتح الياء مضارع عزى يعزى ويعز
أى ينسب اليه الامانة ضد الخيانة الامناء جمع أمين وهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكل امة امين وأمين هذه الامة أبو عبيدة وفى لفظ وأمينها ايتها الامة أبو عبيدة وقال لاهل نجران لما طلبوا منه أن لا يبعث
معهم الا أمينا فقال لابعثن معكم أمينا حق أمين فبعث اباعبيدة ولا يلزم من هذا تفضيله على الخلفاء

لان المزية لا تقتضى التفضيل
اذ الفضل بوجود التفضيل
لا بوجود الفضيلة لان المفضول
وان وجدت فيه مزايا لم تكن
فى الفاضل ففى الفاضل خلف
منها وزيادة أعظم

فيه ولدت وفيه أنزل على القرآن * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أبو عاصم عن
محمد بن رفاعة عن سهيل بن أبى صالح عن ابيه عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال تعرض الاعمال) اى على الله تعالى كما فى جامع المصنف او على رب العالمين كما فى رواية
النسائى (يوم الاثنين والخميس فأحب ان يعرض عملى) اى فيهما (وأنا صائم) جملة حالية
من فاعل أحب قال الحليمى ملائكة الاعمال يتناوبون فيقيم فريق منهم من الاثنين الى
الخميس فيعرجون وفريق من الخميس الى الاثنين فيعرجون وكلما عرج فريق قرأ ما كتب
فى موقعه من السموات فيكون ذلك عرضا فى الصورة يحسبه الله تعالى عبادة للملائكة
عاما هو فى نفسه جل جلاله فغنى عن عرضهم ونسخهم وهو أعلم باكتساب عباده منهم
اه قال تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وكذا تعرض الاعمال
أيضا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وهذا العرض كله اجمالى الاان الاول
باعتبار الاسبوع والثانى والثالث باعتبار العام واما عرضها تفصيلا فيرفع الملائكة
بها بالليل مرة وبالنهار أخرى كما يدل عليه حديث نزول ملائكة الليل والنهار وفائدة
تكرار العرض اظهار شرف العاملين بين الملا الاعلى قلت استحضار هذا المعنى عند
العمل يعين على الاخلاص فى الاعمال ومراعاة أحوال النفس والتنبيه لدسائسها وفى
الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت * قال المصنف (حدثنا محمود بن
غيلان نا أبو احمد ومعاوية بن هشام قالا نا سفيان عن منصور عن خيثمة) بفتح
خاء معجمة وثاء مثلثة بينهما تحتية ابن عبد الرحمن الجعفى الكوفى ورث مائتى ألف
فانفقها على العلماء (عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر
السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس) بين بهذا أن
سائر أيام الاسبوع محل للصوم قال ابن حجر ولم يوالها من أسبوع واحد لئلا يشق على
أمته التأسى به فى ذلك ولا ذكر للجمعة فى هذا الحديث وقد تقدم فى حديث ابن مسعود
انه قلما كان يفطر يوم الجمعة ولا ينافى ما هنا خبر أحمد وجماعة لا تصوموا يوم السبت الا
فيما افترض عليكم فان لم يجد أحدكم الا عود شجرة فليمضغه لان محل النهى ان أفرد
بالصوم وقد نص القاشانى على كراهة صوم يوم السبت عند المالكية ولعل مستندهم فى
النهى هو هذا الحديث لكن تقدم فى باب الشعر ان النهى عن صوم يوم السبت صرح

(وبعميك نيرى فلك المجـ
ـدوكل اتاه منك اتاء)

اى اخوى ابيك لابيه وهما
حمزة والعباس ابنا عبد المطلب
رضى الله تعالى عنهما وكل منهما
اسن من النبى صلى الله عليه
وسلم بنحو سنتين نيرى تثنية نير
وهو الكوكب المضىء والمراد
هنا الشمس والقمر والفلك هو
ما يسير فيه الكوكب وفى
القاموس الفلك محركة مدار
النجوم الجمع افلاك والمجد
الكرم والحسب شبههما بالشمس
والقمر استعارة بالكناية واثبت
لهما ما هو من لوازمهما وهى
الاضاءة تخييلا وذكر المجد تجريد
لانه يلائم المشبه وشبه المجد
بالكوكب الدرى استعارة
مكنية وخيل له بذكر الفلك الذى
هو محل سيره ورشح بذكر النيرين
وقوله وكل أتاه اى كل منهما جاءه وحصل له منك اتاء بكسر الهمزة اى نماء وفضل وقال الشارح هو ابو
ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار اما حمزة ويكنى أبا عمارة فكان أخا النبى صلى الله عليه
وسلم من الرضاعة أسلم قديما وكان شجاعا لا يطاق أسلم قبل عمر بثلاثة أيام وهو أول من عقد له صلى الله عليه وسلم لواء حين بعثه
الى سيف البحر واستشهد باحد نصف شوال سنة ثلاث بعد ان قتل احدا وثلاثين كافرا ولما وقف عليه النبى صلى الله عليه

أبو داود بانه منسوخ فراجعه عند الكلام على فرق الشعر وسمى يوم السبت بذلك لان السبت القطع وذلك ليوم انقطع الخلق لان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وقول اليهود لعنهم الله ان الله استراح فيه تولى الله سبحانه وتعالى رده عليهم بقوله وما مسنا من لغوب ومن ثم اجمعوا على انه لا أبلد من اليهود وكذا من تبعهم من الجسمة وسمى الاحد بذلك لانه أول الاسبوع على خلاف فى ذلك وتسمية الباقى الى الجمعة ظاهر وسمى يوم الجمعة بذلك لانه تم فيه خلق العالم فاجتمعت اجزاؤه فى الوجود ثم هذه الاسماء أعلام بالغلبة فتلزمها اللام وقد يجرد الاثنين من اللام دون اخوانه * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان عاشوراء) هو عاشر المحرم وشذ من قال تاسعه (يوم تصومه قريش فى الجاهلية) اما تلقيا من أهل الكتاب أو باجتهاد وسئل عن ذلك عكرمة فقال أذنبت قريش ذنبا فى الجاهلية فعظم فى صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء تكفر عنكم ذلك وقال القرطبى لعل قريشا كانوا يستندون فى صومه الى شرع من مضى كابراهيم ونوح فقد ورد فى الاخبار انه اليوم الذى استقرت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح شكرا ولهذا كانوا يعظمونه ايضا بكسوة الكعبة (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه) يحتمل ان يكون موافقة لقريش كما فى الحج (فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه) كذا فى حديث عائشة وقد أخرج الشيخان من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا هذا يوم أنجى الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وجمع بعضهم بين الحديثين بانه يحتمل ان يكون صامه بمكة على مقتضى الحديث ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اليهود من فضل صيامه واستشكل رجوعه اليهم فى ذلك بان خبر اليهود غير مقبول وأجيب باحتمال ان يكون أوحى اليه بصدقهم أو لتواتر الخبر بذلك أو أخبر به من أسلم منهم أو باجتهاد منه انظر النووى وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون صيامه صلى الله عليه وسلم استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم وبالسدل وغير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك كما هو

بل اخبار فضائله وشمائله وصح حديث أنا سيد الشهداء يوم القيامة وحديث رحمة الله عليك قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم حديث والذى نفسى بيده عز وجل انه لمكتوب عند الله تعالى فى السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله تعالى وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وحديث ان الملائكة غسلته صححه الحاكم ولما رآه مثلا به قال عليه الصلاة والسلام لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزل قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الخ فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار واما العباس فيكنى أبا الفضل فكان جليلا جوادا ذا راى وعقل معظما عند النبى صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة رضى الله تعالى عنهم رئيسا فى قريش قبل الاسلام واليه كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وكان مع النبى ليلة العقبة فعقد له البيعة على الانصار وقال لاصحابه يوم بدر من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ومعه بالليل بتن من شد الوثاق فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل فارخى وثاقه ووثاق البقية فقيل أسلم يوم بدر وكان يكتم اسلامه ولقى النبى بالابواء وهو خارج لفتح مكة قبل الهجرة وكان رد النبى بمكة يكاتبه باخبار أهلها وكان المسلمون يثقون به وكان يحب القدوم على النبى صلى الله عليه وسلم فكتب له ان بقاءك بمكة خير لك وثبت مع النبى يوم حنين وكان عمر

يستسقى به اذا لحظ المطر فيقول اللهم انا كنا نستسقى بنبيك فتسقينا وها نحن نستسقى بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفى بالمدينة ثانى عشر رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين عن نحو من ثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس منى وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الاحياء وحديث انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث

من آذى العباس فقد آذانى فانما عم الرجل صنو أبيه وحديث أوصانى الله تعالى بذى القربى وأمرنى ان ابدأ بالعباس ابن عبد المطلب وأخرج الدارقطنى فى الافراد ليكونن فى ولد العباس ملوك يلون امر أمتى يعز الله تعالى بهم الدين وأخرج ابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه أحسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل وأصلح له فى ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذونى من سب العباس فقد سبنى وأخرج الرافعى الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدى فى آخر الزمان به ينشر الله تعالى الهدى وبه يطفئ نيران الضلالة ان الله تعالى فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وأخرج أبو نعيم فى الحلية الا أبشرك يا أبا الفضل ان الله تعالى افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدى من ولده يحمل على ان فيه شعبة منه كما صح انه من ولد فاطمة من ذرية الحسن وجاء انه من ذرية الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من ولد الحسين أيضا وأخرج الترمذى وقال حسن غريب

صامه

اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه فى ولده وأخرج الخطيب وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن أحبهم وأخرج ابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما أسر وما أعلن وما أبدى وما أخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة وأخرج الخطيب وابن عساكر أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى

مصرح به فى حديث عائشة وغاية ما فى القصة انه لم يحصل له بقول اليهود تجديد حكم وانما هو صفة حال وجواب سؤال فلا منافاة بينه وبين حديث عائشة وقوله فى هذا الحديث فصامه ليس ابتداء الصوم (فلما افترض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه) قال فى الاكمال قيل كان صيام عاشوراء فى صدر الاسلام قبل فرض رمضان واجبا ثم نسخ على ظاهر هذا الحديث وقيل كان سنة مرغبا فيه ثم خفف فصار مخيرا فيه وقال بعض السلف ان فرضه لم يزل باقيا لم ينسخ وانفرض القائلون بهذا وحصل الاجماع اليوم على خلافه وكره ابن عمر قصد صيامه بالتعيين لحديث جاء فى ذلك اه والقول بانه كان قبل فرض رمضان واجبا هو قول الحنفية ورجحه العسقلانى بثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر بذلك بزيادة النداء العام ثم بزيادة أمر من أكل بالامساك ثم بزيادة أمر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول عائشة وابن عباس لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق قال وأما القول بان المنسوخ تأكد ندبه والباقى مطلق ندبه فضعيف بل تأكد ندبه باق لاسيما مع الاهتمام به حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه فى صومه وانه يكفر السنة الآتية فاى تأكيد أبلغ من هذا اه والقول بأنه لم يكن فرضا هو قول الشافعية وهو الذى ارتضاه ابن حجر وتعقب كلام العسقلانى بان قوله فى الحديث هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه صريح فى نفى الوجوب قال وزيادة تلك التأكيدات كلها لا تنافى عدم الوجوب لان المؤكد له مراتب ونحن لا نقول زال تأكده بالكلية بل الذى نقول ان تأكده باق لكنه دون ذلك التأكيد لانه لما شرع صومه كان منفردا لا يشاركه غيره فكان تأكده أعظم من مشروعيته مع وجود غيره فاندفع بذلك جميع ما احتج به وظهر ما قاله الاصحاب اه قلت وهذا الكلام كما ترى لا يقاوم كلام العسقلانى فانظر ذلك وعلى كل حال فمعنى قوله فمن شاء الخ انه لا حرج فى تركه لا أن صومه جائز جوازا مستوى الطرفين لان صومه مندوب قطعا قال النووى حاصل مجموع الاحاديث ان الجاهلية من قريش وغيرهم واليهود كانوا يصومونه ثم جاء الاسلام بصيامه متأكدا ثم خفف من ذلك التأكيد اه وقال ابن حجر حاصل ما ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ولا يأمر به ثم لما قدم المدينة

اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى

(وبأم السبطين زوج على * وبنيهما من حوته العباء)

أى أقسم عليك بأم الحسن والحسين وهى فاطمة رضى الله تعالى عنها وعنهما أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وعليهن زوج على كرم الله وجهه زوجه اله النبى صلى الله عليه وسلم ثانى سنى الهجرة

بوحى من الله تعالى وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف رأس ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وقيل غير ذلك وسن على اذ ذاك احدى وعشرين سنة وأشهرا قال ابن عبد البر هى وأم كلثوم أفضل بناته عليه وعليهن الصلاة والسلام وكانت فاطمة أحب أهله اليه وكان يقبلها فى فيها ويمصها لسانه الشريف واذا أراد سفرا يكون مؤخرا عهده بها واذا قدم أول ما يدخل عليها وقال انما فاطمة بضعة منى يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها وقال أيضا عليه الصلاة والسلام أحب أهلى الى فاطمة وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة نادى منادوراء الحجب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر وقال عليه الصلاة والسلام فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وقال عليه الصلاة والسلام ألا ترضين ان تكونى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الامة توفيت بعده فى رمضان سنة احدى عشرة وبينهما ستة أشهر عن تسع وعشرين سنة أو أقل وقد أسر اليها النبى انها أول أهله لحوقا به فسرت بذلك ودفنها على ليلا بوصية منها واختلف فى محل دفنها والاشهر انها فى قبة ولدها الحسن قرب محاربها وكان القطب أبو العباس المرسى يجزم به قيل فلعله كوشف به وروى أحمد فى المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت أنا مقبوضة

صامه وأمر به ثم لما فرض رمضان ترك وقال انه من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ثم عزم آخر عمره ان يضم اليه التاسع * (تنبيه) * يستفاد من هذا الحديث ان وقت الامر بصيامه هو أول قدومه المدينة وقدومه لها كان فى ربيع الاول فيكون الامر به أول السنة الثانية وفى شعبان افرض رمضان فلم يقع الامر بصومه الا سنة واحدة ثم فوض صومه الى رأى المتطوع قاله ابن حجر وغيره * (فائدة) * قال ابن حجر وردان من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها وله طرق قال البيهقى أسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا انضم بعضها الى بعض أفاد قوة وصحح بعضها الحافظ ابن ناصر وأقره الزين العراقى قال وهو حسن عند ابن حبان وله طريق أخرى على شرط مسلم وهى أصح طرقه وقول ابن الجوزى انه موضوع ليس فى محله اه زاد فى جمع الوسائل على ان العمل بالضعيف فى الفضائل جائز اجماعا وأما ما وراء الصوم من الامور العشرة المشهورة فموضوع فقد قال بعض أئمة الحديث ان الاكتحال فيه بدعة اتبدعها قتلة الحسين رضى الله عنه لكن فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا رواه البيهقى بسند ضعيف عن ابن عباس اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة قال سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص) رواية البخارى هل كان يختص (من الايام شيأ) أى بعمل نافلة كصلاة أو صوم (قالت كان عمله ديمة) كذا هى الرواية عند المصنف قال ابن حجر عدلت عن الجواب بنعم أولا المطابق لما قالته لانه أبلغ لتضمنه جواب السؤال المذكور وجواب سؤال آخر مقدر لانها أفادت انه كان يخص بعض الايام بشئ كالاثنين والخميس بالصوم وهو جواب السؤال الاول ثم يداوم عليه وهو جواب عن السؤال الثانى المرتب على الاول وتقديره اذا كان يخص بعضها بشئ هل كان يداوم عليه اه وعلى هذا فتقدير الكلام قالت نعم وكان عمله ديمة قلت هذا التقدير بعيد وغير مفيد اذ ليس فيه تعيين الايام التى كان يخصها بالعمل والمقصود من العلم العمل وغاية ما يفيده ان الايام متفاضلة فيما بينها وهذا القدر لا يتأتى معه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى تخصيص الايام الفاضلة بالعمل والله أعلم لاسيما ورواية البخارى قالت لا كان عمله ديمة فان هذا الجواب يقتضى انه لم يكن يخص من الايام شيأ وهو مشكل

الآن فلا يغسلني أحد ولا يكفنني فاطمة فاتت فامتثل على وصيتها و ورد أيضا انها أمرت فاطمة بنت عميس بغسلها وهذا مقدم لان الاصل عدم الخصوصية وقوله و بنيها جمع ابن أى أولادها الحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيرا وأم كلثوم وزينب وأولادهم الى يوم القيامة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منهما من جهة السبطين فقط أما أم كلثوم فتزوجها عمر وولدت له ذكرا وأنثى ماتا صغيرين ثم تزوجها بعد عمر عون بن جعفر ثم أخوه محمد بن جعفر ثم أخوه عبد الله ولم تعقب منهم شيأ ثم تزوج عبد الله المذكور اختها زينب فولدت له عدة منهم على وأم كلثوم وانتشر نسلهما ولهم شرف أعلى من شرف أولاد أبيهم من غيرها وأدون من شرف أولاد الحسنين وللعباسيين شرف بالعراق ومن ثم لقب بالشريف كل عباسى ببغداد وكل علوى بمصر قوله ومن حوته العباء أى اشتملت عليه الكساء وهم فاطمة وعلى وابناهما فقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل على على وفاطمة وابنيهما كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا منهم فقال انك على خير وفى رواية ألقى عليهم كساء و وضع يده المباركة عليهم وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفى الاخرى ان الآية نزلت ببيت أم سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو مامر وفى رواية انهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صح فهى نزلت مرتين وفى رواية سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا *(فائدة)* فى كتاب الاول لابن خالويه ورواه أبو بكر الخوارزمى فى كتاب المناقب عن بلال بن حمامة رضى الله عنه قال طلع علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم متبسما ضاحكا ووجهه

مع ماتقدم من انه كان يتحرى صوم يوم الاثنين والخميس ولذلك قال العسقلانى ماحاصله لعل السؤال وقع عن الايام الثلاثة التى كان يصومها من كل شهر فلا يرد صيام يوم الاثنين والخميس والايام البيض ويوم عرفة وغرة كل شهر وغير ذلك مما ورد الحض على صومه فكأن السائل لما سمع انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وانه رغب فى صوم أيام البيض سأل عائشة هل كان يخصها بالبيض فقالت لا كان عمله ديمة يعنى لو جعلها البيض لتعينت وداوم عليها لانه كان يجب أن يكون عمله دائما فيكون فى ذلك نوع تضييق لكن أراد التوسعة بعدم تعيينها فكان لا يبالى من أى الشهر صامها كما ثبت فى حديث مسلم عن عائشة أيضا كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وما يبالى من أى الشهر صام اه وتقدم نحوه فى حديث يزيد الرشك فعلى ماذكره العسقلانى فالسؤال عن شئ خاص وهو الايام الثلاثة المرغب فى صومها هل هى معينة فى الشهر أم لا فوقع الجواب بانه كان يجب الدوام على العمل وأمته لا تطيق مع عدم التعيين فكيف مع التعيين فلو عين تلك الايام وداوم لكان فى ذلك نوع تضييق وهو انما يجب التوسعة على أمته قال ابن حجر وأصل ديمة دومة قلبت واوه ياء لانكسار ماقبلها وهو فى الاصل المطر الدائم مع سكون بحيث لا يكون فيه رعد ولا برق فشبهت عمله صلى الله عليه وسلم به فى دوامه مع اقتصاده وبجانبته للغلو وجعلت على صيغة النوع من الدوام لافادة انه كان له نوع دوام مخصوص (وأيكم) معشر الامة الشامل للصحابة والتابعين وغيرهم وانما لم نجعل الخطاب لخصوص الصحابة كما فى ابن حجر لان السائل انما كان من التابعين (يطيق ما) أى العمل الذى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق) أى يطيقه بحذف عائد الموصول وقد تقدم فى قول على رضى الله عنه انكم لا تطيقون ذلك ان ذلك باعتبار الكيفية والاتقان وما يصحب ذلك من الخضوع والخشوع والحضور والاخلاص أو باعتبار الدوام والمواظبة وهذا الثانى هو المناسب لقول عائشة كان عمله ديمة وترتب هذا الكلام على ماقبله على تقرير ابن حجر جلى ظاهر وتقدم وجه ترتبه على تقرير العسقلانى ويعارض ماهنا ماتقدم ان عائشة سئلت عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر قال فى جمع الوسائل ويمكن الجمع بان قولها كان عمله ديمة

مشرق كدارة القمر فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال يارسول الله ماهذا النور قال بشارة أتتنى من ربى فى أخى وابن عمى وابنتى بان الله تعالى زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاعا يعنى صكا كا بعدد محبى أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع الى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة باهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لاهل البيت الا دفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخى وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من أمتى من النار انتهى

(١٢٣)

منزل على التوظيف ولا يبعد أن يقال المراد بالدوام الغالب لا التمام أو كان يداوم اذا لم يخف المشقة على الامة بالمتابعة أو عند عدم خشية الوجوب أو اذا لم يمنع مانع أو لم يحدث أمر أفضل مما كان يداوم عليه اه قلت قد عد فى المختصر اثبات العمل من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفسر شراحه بان لا يقطعه حتى يعد تاركا له بالمرة وليس المراد ان المداومة عليه أبد الحديث كان يصوم حتى الخ * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى امرأة) زاد عبد الرزاق فى روايته حسنة الهيئة وفى رواية البخارى انها من بنى أسد وفى رواية مسلم انها الحولاء بالمهملة والمد بنت تويت بمثناتين مصغرا ابن حبيب بفتح المهملة ابن أسد بن عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين (فقال من هذه فقلت فلانة لا تنام الليل) ظاهره انها امدحتها فى وجهها وفى مسند الحسن مايدل على انها قالت ذلك بعد ما خرجت المرأة فيحمل رواية الكتاب عليه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) أى الزموا وعبر بضمير المذكر مع ان الخطاب لمؤنث اشارة لتعميم الحكم بتغليب الذكور على الاناث (من الاعمال) أى النوافل (ما تطيقون) أى العمل الذى تطيقون المداومة عليه من غير ملل وفى نسخة بما تطيقونه والامر بالاقتصار على مايطاق من العبادة يستلزم النهى عن تكلف مالا يطاق ووجه ذلك ان الاقتصاد والترفق وترك التشديد والتعمق يؤمن معه من الكسل المؤدى الى قطع العمل أو الاتيان به مع كراهية وثقل وفى الحديث ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فالمشدد على خطر اذ لا يأمن من الملل الموجب لعدم اقبال الله عز وجل كما أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (فوالله) هو حلف من غير استحلاف لمجرد التأكيد (لا يمل الله) فى نسخة فان الله لا يمل (حتى تملوا) بفتح الميم وتشديد اللام وفى رواية لا يسأم حتى تسأموا والمعنى واحد أى لا يعاملكم معاملة الملول فينقص من ثوابكم حتى تملوا من العمل ولا يبقى لكم نشاط فتأتوا به على ثقل وكسل وأعلم ان عملتم على نشاط وكمال توجه واقبال فانه لا ينقص شيأ من ثواب أعمالكم ففيه تحذير وتنفير من الملل فى العمل ويحتمل أن يكون المعنى فان الله لا يقطع الثواب حتى تتركوا العمل أى اذا أردتم كثرة الثواب فداوموا على العمل بأن لا تتكلفوا فوق الطاقة لان الثواب

(وبازواجك اللواتى تشرفن - ن بان صانهن منك بناء)

الازواج جمع زوج وهى لغة قريش وبها جاء القرآن وزوجة بالتاء فى لغة أهل وأقسم عليك بازواجك اللواتى جمع التى تشرفن أى ترفعن على غيرهن بصون بناء منك اياهن أى دخول بهن أو ضد الهدم والصون الحفظ من النار أو من تزوج غيره صلى الله عليه وسلم بهن بعده قال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يزوجه الا من ستكون معه فى الجنة ومنك حال من بناء وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها ذلك الشرف قال فى المنح المكية وينبغى تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم على غيره وهو الاصح حصل لها الشرف أو تحل لم يحصل لها

وهن رضى الله تعالى عنهن احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات وأربع عربيات وواحدة اسرائيلية * أولهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثر وهى أول من آمن من النساء أو مطلقا وهو الصحيح وفى الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة قد أتتك بانا فيه طعام أو ادام فاذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى

وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولانصب وأولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام كلهم منها رضى الله تعالى عنها الا ابراهيم على أبيه وعليه الصلاة والسلام فمن سيدتنا مارية القبطية وتوفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين عن خمس وستين سنة ودفنت بالحجون وتقدم بعض الكلام عليها * ثم تزوج بعد موتها سودة بنت زمعة العامرية بمكة بعد ان رجعت من الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو من بنى عامر بن لؤى * ثم تزوج عائشة بنت أبى بكر التيمى عقد عليها قبل سودة ودخل بها بعدها بعد الهجرة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وهى بنت تسع سنين لم يتزوج بكرا غيرها وأحبها حبا شديدا ولما فقدها فى بعض اسفاره قال واعروساه أخرجه أحمد وكانت فقيهة حافظة فصيحة وهى وخديجة أفضل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ثم الاصح ان خديجة أفضل لما صح ان عائشة قالت له قد رزقك الله تعالى خيرا منها قال لا والله ما رزقنى الله خيرا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين منعنى الناس ولانه عليه الصلاة والسلام اقرأ عائشة من جبريل وخديجة من الله تعالى والاصح أيضا ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة وممن جرى على ذلك الامام تقى الدين السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة واختار أيضا ان مريم أفضل من خديجة للاختلاف فى نبوتها * ثم حفصة بنت عمر العدوية سنة ثلاث من الهجرة * ثم أم سلمة هند بنت أبى أمية حذيفة بن المغيرة المخزومى * ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب الاموى ودخل بها سنة سبع * وتزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة سنة خمس زوجه الله تعالى اياها فدخل عليها بغير عقد وهى أول أزواج النبى صلى الله عليه وسلم موتا بعده صح عن عائشة رضى الله تعالى عنها لم تكن امرأة خيرا منها فى الدين ولا أتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأوسع صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق

الا ينقطع مادام العمل فان الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العمل وقيل ان قوله فوالله الخ احتراس عما يتوهم الجاهل من ان ذلك يعظم على الله تعالى وسواء كان العمل صلاة أو صوما أو غيرهما قال العسقلانى سبب وروده وان كان خاصا بالصلاة ولكن عموم اللفظ هو المعتبر اه وقد جاء فى بعض طرق الحديث بلفظ اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل أخرجه الطبرى فى تفسير سورة المزمل وفى بعض طرقه ما يدل على ان ذلك مدرج من قول بعض رواة الحديث والله أعلم وأما قول من قال ان المعنى لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من سؤاله وترهدوا فى الرغبة اليه فهو تخصيص من غير مخصص لان لفظ الاعمال فى الحديث يشمل الدعاء وغيره كما تقدم فى كلام العسقلانى والملل فتور يلحق النفس من كثرة مزاولة الشئ فيوجب الكسل فى الفعل والاعياء والنفرة عنه وهو بهذا المعنى فى حقه تعالى محال وانما أتى به فى جانبه تعالى للمشاكلة اللفظية نظير قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو لما كان الملل سببا فى قطع الثواب سمى المسبب باسم سببه ولما فهم بعضهم أن المراد بالملل فى الحديث حقيقته قال ان حتى بمعنى حين أى لا يمل الله حين تملوا الان الملل عليه محال وقال آخر ان حتى بمعنى الواو أى لا يمل الله وتملون ونقل ذلك الابى وسلمه وذلك كله بعيد أو لا يصح اذ لا وجه لترتبه على ما قبله (وكان أحب) اسم كان أو خبرها (ذلك) أى العمل (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يدوم عليه صاحبه) أى مداومة عرفية لان المداومة الحقيقية الشاملة لجميع الازمنة غير ممكنة وقد ذم الله تعالى من فرط فى عبادة اعتادها بقوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قيل وبهذا الخبر ينكر أهل التصوف ترك الاوراد والنوافل كما ينكر ترك الفرائض قال فى جمع الوسائل وفيه بحث وفى هذا الحديث النهى عن احياء الليل كله وقد أخذ بكراهة ذلك جماعة من العلماء وفيه كما قال ابن حجر وغيره دلالة على الاقتصاد فى العمل وكمال شفقته ورأفته عليه السلام بامته لانه أرشدهم الى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة مع انبساط النفس وانشراح الصدر الذى هو غاية الكمال فى العبادة ومن ثم قال لمعاذ لما طول فى صلاته بالناس افتان أنت وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ان لنفسك عليك حقا فأعط لكل ذى حق حقه

به وتقرب به الى الله تعالى وهو الربيع رواه مسلم * وتزوج زينب بنت خزيمة من بنى هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى فى الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر * وتزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية سنة سبع وبنى بها بسرف وفيه ماتت وقبرها فيه مشهور رضى الله تعالى عنها * وتزوج جويرية بنت الحرث المصطلقية من بنى المصطلق من خزاعة بعد غزوة بنى المصطلق وهى بنت عشرين سنة * وتزوج صفية بنت حيي القرظية من نسل هرون بن عمران أخى موسى عليهما السلام بعد خيبر وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن عدا خديجة وزينب أم المساكين وقد نظم الحافظ أبو الحسن المقدسى أسماء من مات عنهن فى قوله

توفى رسول الله عن تسع نسوة
اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية
وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة
ثلاث وستذكرهن مهذب

* (فائدة) * قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ما معناه ان الذى يحصل من كلام أهل العلم فى الحكمة فى استكثاره صلى الله عليه وسلم من النساء عشرة أوجه أحدها ان يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينزل عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا ثانيها لتتشرف به قبائل العرب والعجم لمصاهرته فيهم ثالثها الزيادة فى تألفهم رابعها الزيادة فى التكليف حيث كلف ان لا يشغله ما حبب اليه من ذلك عن المبالغة فى التبليغ خامسها اليكثر عشيرته من جهة نسائه فيزداد أعوانه على أعدائه سادسها نقل الاحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال لان أكثر ما يقع مع الزوجة عما شأنه ان يخفى مثله سابعها الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة لتنقل عنه فقد تزوج أم حبيبة وأبوها فى ذلك الوقت يعاديه وتزوج صفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطنه على انه أكمل الخلق لتنفرن منه بل الذى وقع انه كان أحب اليهن من جميع أهلهن ثامنها

حقه وتقدم انه كان يمزح ويتمثل بالشعر ويسمعه وقال انى لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى وتقدم فى باب السمر انه كان يتحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلوب وسيأتى فى حديث زيد بن ثابت كنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وورد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة خوف السآمة علينا وراجع ما تقدم فى آخر باب صفة كلامه فى الشعر ولهذا لما صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال لتاجر اترك تجارتك ولا الذى صنعة اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها قال الامام المواق فى سنن المهتدين وبالجملة فقد قالوا عامل البر وطالب العلم كلاهما لابد أن يجمم نفسه انظر بقية كلامه * قال المصنف (حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعى) بكسر الراء (نا ابن فضيل) بالتصغير منكرا وفى نسخة الفضيل معرفا (عن الاعمش عن أبى صالح قال سألت عائشة وأم سلمة) وفى نسخة سئلت عائشة وأم سلمة بالبناء للمفعول (أى العمل كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى هل الكثير المنقطع أو القليل الدائم (قالتا ما ديم عليه وان قل) أى لان بدوام القليل تدوم الطاعة والاقبال على الله عز وجل فالقليل مع الدوام كثير فهو خير من الكثير المنقطع * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى (نا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس انه سمع عاصم بن حميد) بالتصغير (قال سمعت عوف بن مالك يقول كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ) فيه ان الاستياك سابق على الوضوء وقيل يستاك عند ارادة المضمضة (ثم قام يصلى فقمت معه) فيه التنفل بجماعة (فبدأ فاستفتح البقرة) أى بعد الفاتحة (فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل) اى الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) فيه الدعاء أثناء القراءة فى النافلة وكرهه المالكية فى الفريضة لعدم ثبوته فيها والله أعلم وعلى قياس ما فى الحديث يندب كما فى ابن حجر اذا مر بآية تنزيه نحو فسبح باسم ربك العظيم سبح ونحو أليس الله باحكم الحاكمين أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين ونحو واسئلوا الله من فضله قال اللهم انى أسألك من فضلك (ثم ركع) عطف على استفتح (فمكث) بفتح الكاف وضمها وأكثر القراء على

اظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة من كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال وقد أمر من لا يقدر على مؤنة النكاح بالصوم لانه يكسر شهوة الجماع فانخرقت هذه العادة فى حقه صلى الله عليه وسلم تاسعها ان العرب كانت تمتدح بكثرة النكاح لدلالته على كمال الرجولية عاشرها انه عاشرهن بالمعروف والاحسان وقام بحقوقهن وتأديبهن وهدايتهن ولم يشغله شئ مما يتعلق بهن عن

عبادة ربه وذلك خلاف المألوف

(الامان الامان ان فؤادى من ذنوب أتيتهن هواء)

الامان الثانى تاكيد أى من عقاب ما اقترفته من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب والمعنى أقسم عليك بمن ذكرت من آلك وصحبك ان تعطينى الامان فلا أخاف من العذاب يوم يهلك العصاة بذنوبهم بان توجب لى شفاعتك فضلا منك وقوله ان فؤادى بالفتح تعليل وبالكسر استئناف بيانى أى ان فؤادى من الذنوب التى فعلتها هواء فارغ خال خوفا من عقابها وخجلا ودهشا من هيبة من خالفت أمره حتى أتيتها وهو الله تعالى العظيم الرقيب فلا أنتفع به فى مهم أمر دينى ولا دنيوى مما لحقه من الخوف وأقلقه وفى نسخة هباء أى شئ لا ينتفع به

(قد تمسكت من ودادك بالحبـ ـل الذى استمسكت به الشفعاء)

أى توثقت واعتصمت من محبتى له وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبى كما يدل عليه حديث يارسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل بعملهم فقال المرء مع من أحب أو ان المستلزم لذلك هو كمالها حسنة أو ان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير مالم يقع واقعا كما هو شأن الخوف المراعى مطلقا أو فى بعض الاحوال والحيل السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنه صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم والشفعاء جمع شفيع أى من لهم ان يشفعوا وهم الانبياء والاولياء والعلماء والصالحون فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا

الضم فى قوله تعالى فمكث غير بعيد (راكعا بقدر قيامه) لقراءة البقرة (ويقول فى ركوعه سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة) تقدم الكلام على الثلاثة فى باب العبادة فى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما (ثم سجد بقدر ركوعه ويقول فى سجوده سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم) بعد القيام للركعة الثانية (قرأ آل عمران ثم) قرأ فى الثالثة (سورة) ثم قرأ فى الرابعة (سورة) ففيه حذف حرف العطف ويحتمل ان المراد انه قرأ فى الثانية بثلاث سور والاحتمال الاول أولى بالسياق وعليه اقتصر ابن حجر وقد تقدم اضطراب رواية حديث حذيفة (يفعل مثل ذلك) أى من السوال والتعوذ والركوع والسجود فى كل ركعة بقدر قيامها وقد فهم من مجموع أحاديث الصلاة ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة باختلاف الازمنة والاحوال فتارة يؤثر التخفيف وأخرى التطويل وأخرى الاقتصاد بحسب اقتضاء المقام مع ما فيه من بيان جواز كل وجه ثم اعلم ان الواقع فى بعض النسخ ذكر حديث المرأة وما بعده اثر حديث حذيفة المتقدم فى باب العبادة وهو الاشبه بالصواب واعل تأخيره الى هذا الباب وقع من بعض النساخ والكتاب وعلى ما هو الصواب فالمناسبة ظاهرة وكذا على ما فى بعض النسخ المقروأة على المصنف من اسقاط لفظ باب الضحى وباب صلاة التطوع وباب الصوم فلا اشكال وأما على اثبات هذه الابواب فانما أخر حديث المرأة والذى يليه الى باب الصوم لان كثيرا من الناس يداومون على الصوم أكثر من غيره فذكر ذلك فيه زجرا لهم عن موجب الملل فيه وفى غيره على كل حال وختم بعد ذلك بحديث عوف لانه لما بين ان أفضل الاعمال ما يطاق بين أن ارتكابه المشقة نادرا لا يفوت الفضيلة والله اعلم انظر ابن حجر

(باب ما جاء فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى صفة قراءة الخ كما فى بعض النسخ وفى بعضها باب صفة قراءة الخ أى من ترتيل ومد ووقف واسرار واعلان وترجيع وغير ذلك وتلاوة القرآن من أعظم العبادات وأفضل القربات ففى صحيح مسلم من حديث أبى امامة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه وفى جامع الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف

بواسطة محبتهم لك واذا أورثهم محبتهم لك قبول شفاعتهم أورثني وقوع شفاعتك في بجامع أني أحبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطريق واعلم ان المتكلمين في المحبة اختلفت عباراتهم فيها وكثرت وليس ذلك اختلافا في حقيقتها اذهي من المعلومات التي لا تحد كما أطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه ولذا قيل لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء واصلها الميل القلبي وانما الكلام في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها وفي الرسالة القشيرية المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد ومحبة العبد له بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي الحديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين وعن عمر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله أنت أحب الي من كل شئ الا نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب الي من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر تم ايمانك استفى عمر أولا نفسه لان حب الانسان لنفسه طبيعي والغير اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو المراد من عمر فاجاب أولا بالطبع ثم تأمل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه نظرا لكونه الذي انقذه من هلاك الدنيا والآخرة فاجاب بما اقتضاه الاختيار وليست المحبة هي التعظيم اذ قد يعظم المرء من لا يحب وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب كوجوب محبته قال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال القرطبي وكل من آمن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة لكنهم يتفاوتون فيه اتفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على أهله وماله وولده وكذا زيارته بل زيارة آثاره اوقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال

حسنة والحسنة بعشر أمثالها وفي البخاري ومسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا تشق عليه التلاوة لجودة حفظه والسفرة جمع سافر ككاتب وكتبة الملائكة ومعنى كونه معهم ان يكون رفيقا لهم في منازلهم في الآخرة لاتصافه بصفتهم في حمله كتاب الله عز وجل ومعنى يتتعتع يتردد فيه لقلة حفظه والاجران أحدهما في قراءته حروفه والآخر في تعبه ومشقته وليس المعنى انه أكثر أجرا من الماهر بل الماهر أكثر لانه مع السفرة عليهم السلام وله أجور كثيرة وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله عز وجل بمن اعتنى به حتى مهر فيه انظر الابي وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده زاد ابن حبيب وأظلتهم الملائكة بأجنحتها واستغفر والهم وفي جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله القرآن عن ذكري وعن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال الشيخ زروق في شرح الوغليسية روي ان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت ما أقرب ما يتقرب به المتقربون اليك قال كلامي قلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم اه بمعناه ونقل المواق في سنن المهتدين عن شيخ الشيوخ ابن اب قال خطر لي خاطر خير والعاصي قد يخطر له خاطر خير فأردت ان أجعل على نفسي وظيفة من ذكر أو تلاوة وترددت في أي ذلك أفضل فانشدت في النوم

اذا الاحباب فاتهم التلاقي * فما صلة بافضل من كتابي

فلما استيقظت علمت ان قراءة القرآن أفضل (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك) بفتح الميم الاولى وسكون الثانية وفتح اللام بعدها كاف (انه سأل أم سلمة عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ما ذا هي فاذا) للمفاجاة وأفادت انها أجابت بذلك على الفور وان ذلك يدل على ضبطها وقوة استحضارها لصفة قراءته صلى الله عليه وسلم (هي) أي أم سلمة (تنعت) أي تصف (قراءة مفسرة) أي مبينة مشروحة

لتوالى الغفلات والشهوات عليهم

(وأبى الله ان يمسنى السو * بحال ولى اليك التجاء)

أى امتنع الله الكريم أى لم يرد أن يمسنى بفتح ياء المتكلم وهو مفعول مقدم والنون نون الوقاية والسو بالضم فاعل يمس وهو العذاب و بحال أى فى حال من الاحوال كما عود خلقه بمنه وكرمه انه لا يخيب من استجار بنبيه من عذابه فيجيره أو توسل به فى نيل ثوابه فيعطيه وقد قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقد قيل

ألم يرضك الرحمن فى سورة الضحى
وحاشاك ان ترضى وفينا معذب

وفى التفسير اذا لا أرضى وواحد من أمتى فى النار وسيقول له فى ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد وهو ساجد يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع قوله ولى اليك التجاء أى لواذ وتعلق بحبل محبتك وخدمة جنابك قال فى القاموس لجأ اليه كمنع وفرح لاذ كالتجأ وأمره الى الله أسنده وفلانا عظمه أى وأنت لا يخيب من تعلق بك ولا يرجع محروما من التجأ اليك وتعزز بك قال فى البردة

ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى
فضلا والا فقل يا زلة القدم
حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

(قد رجونا لك للامور التى أبـ
ـردها فى فؤادنا رمضاء)

أى أملك معشر محبيك وخدامك للامور التى أبردها أى أيسرها وافعل من البرودة ضد الحرارة وكنت فى فؤادنا أى قلوبنا وأفرد الفؤاد لضرورة الوزن وكان حقه أن يقول فى أفئدتنا وقوله رمضاء تنقدم من خوف المؤاخذة بما قدمنا وأصل الرمضاء الرمل الحار من الشمس وفى القاموس الرمض محركة شدة وقع الشمس على الرمل وغيره رمض يومنا كفرح اشتد حره وقدمه احترقت من الرمضاء للارض الشديدة الحرارة وفى كلامه مجاز وحقيقة رجونا لك للامور

واضحة مفصولة الحروف من الفسر وهو البيان ومنه التفسير (حرفا حرفا) قال الجزرى أى كلمة كلمة اه وهو بدل من قوله مفسرة ثم نعتها ذلك اما بالقول بان تقول كانت قراءته كيت وكيت واما بالفعل كأن تقرأ كقراءته قاله الطيبى والثانى هو ظاهر السياق فتكون أظهرت كيفية ما سمعت بالفعل الذى هو أقوى من القول مع انه بعيد الرواية والدراية * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب بن جرير بن حازم نا أبى عن قتادة قال قلت لانس بن مالك كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم قال مدا) يحتمل ان يكون مفعولا مطلقا أى يمد قراءته مدا أى يمدما يقتضى المد ويحتمل ان يكون على حذف مضاف أى ذات مد ففى رواية البخارى فقال كان يمد مدا وفى رواية له أيضا فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وهذه الرواية تبين أن المراد انه كان يأتى بالمد الاصلى الذى يكون فى حروف العلة لذاتها وهو المد الطبيعى قال الجزرى فى التصحيح وليس المراد المبالغة فى المد فغير موجب وكان بعض شيوخنا يقول المراد مد الزمان يعنى انه يجود ويرتل ويشدد ويمكن ويتم الحركات فيكون قد مد الزمان انتهى وفيما ذكره المصنف من حديث أم سلمة وأنس دليل على ان الترتيل أفضل من الهذ وهو المشهور ومذهب الجمهور لان الترتيل هو صفة قراءته صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وغيرها وقد قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام ليلة كاملة بآية واحدة يرتلها ويرددها الى الصباح وهى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وأيضا الترتيل أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال وقد مرت عائشة رضى الله عنها برجل يقرأ القرآن هذا فقالت ما قرأ هذا ولا سكت وأيضا بالترتيل يمكن التدبر والحضور الذى هو المقصود الاعظم من التلاوة لانه غذاء الارواح وحياة النفوس وقد كان صلى الله عليه وسلم فى قيامه يكسوه من كل آية يقرؤها حال يناسب معنى تلك الآية وقد قال على رضى الله عنه لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن وقال ليدبروا آياته ومن ثم قال فى الرسالة والتفهم مع قلة القراءة أفضل فقال ابن ناجى فى شرحها أفتى بعض من لقيناه من القرويين غير مرة بان من يقرأ القرآن بلا فهم لا ثواب له البتة زاعما ان ابن عبد البر نص على ذلك فقال هو كمثل الحمار يحمل أسفارا

التى أمهلها الذى من شأنه أن يبرد القلب من جهنم أو قد فيه نارا رمضاء فيا لك باصعبها والكل أنت الرجاء فى الشفاعة فيه

(وأتينا اليك انضاء فقر * حملتنا الى الغنى انضاء)

أى جئناك وتوجهنا بقلوب مستجيرين بك من كل مكروه وراجين بك كل محبوب وانضاء فقر جمع نضو بكسر النون وهو المهزول من الابل وغيرها والفقر قلة المال والمراد هنا مهازيل من قلة العمل الصالح والتقوى

وكنت لا أرتضى منه هذه الفتوى ومحمل ماذكر عن ابن عبد البر انما هو الاشارة الى ان المبالغة فى فهم القرآن أحسن اه وقال الحطاب فى حاشيتها قال فى رسم تأخير العشاء من سماع ابن القاسم من كتاب الجامع وسئل مالك عن الهذ فى قراءة القرآن فقال من الناس من اذا هذ كان أخف عليه واذا رتل اخطأ ومن الناس من لا يحسن يهذ والناس فى ذلك على حالهم فيما يخف عليهم قال ابن رشد هذا بين من لم يقدر على الهذ رتل ومن لم يقدر على الترتيل هذ وأما من كان يقدر على الوجهين جميعا فالترتيل له أفضل لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اه وقيل الهذ أفضل لكثرة القراءة فيه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته) من التقطيع وهو جعل الشئ قطعة قطعة قال ابن حجر بان يقف على فواصل الآى كما بينت ذلك بقولها (يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف) أى مع أن فيه قطع الصفة عن الموصوف (ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف) اى وهكذا فى سائر الآيات ومن ثم قال البيهقى والحليمى وغيرهما يسن الوقف على رؤس الآى وان تعلقت بما بعدها للاتباع اه وقال فى جمع الوسائل اجمع القراء على ان الوقف على الفواصل وقف حسن وان تعلقت بما بعدها وانما الخلاف فى ان الافضل هو الوصل أو الوقف فالجمهور على الاول وغيرهم على الثانى وعليه جرى صاحب القاموس حيث قال صح انه صلى الله عليه وسلم وقف على رأس الآية وان كان متعلقا بما بعده وقول بعض القراء الوقف على موضع يتبين به فهم الكلام أول غفلة عن السنة فان هذا انما هو فيما لا يعلم فيه ونفسه صلى الله عليه وسلم والا فالفضل والكمال متابعته فى كل حال اه بمعناه وهذا الحديث مما يؤيد مذهب مالك ان البسملة ليست آية من الفاتحة خلافا لابن حجر ولا يقدح فى هذا الحديث بان فى سنده انقطاعا لان الليث بن سعد رواه عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك كما قال المصنف فى جامعه لقول العسقلانى عن ابن أبى مليكة انه قال أدركت ثلثين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم عائشة وأختها اسماء وأم سلمة والعبادلة الاربعة فيحتمل انه سمع الحديث بهذا اللفظ من أم سلمة وسمع الحديث باللفظ المتقدم من يعلى بن مملك عنها انظر جمع الوسائل (وكان يقرأ ملك يوم الدين) أى بحذف الالف وهى قراءة الجمهور وقرئ مالك

حتى ضعفنا عن حمل ذنوبنا والغنى بالقصر ضد الفقر أى حملتنا الى الغنى ركائب مهازيل بطول السير وشدة الاسراع الى حضرتك العلية التى ينال فيها الغنى الاكبر الدنيوى والاخروى

(وانطوت فى الصدور حاجات نفس
مالها عن ندى يديك انطواء)

أى استترت فى القلوب حاجات نفس جمع حاجة أى أوطار نفس مأمول تحصيلها فى حضرتك المكرمة منها طلب الامداد من فضلك والتوسل والتشفع بك الى الله تعالى لانه لا وسيلة أقرب اليه منك وأعظم منها طلب رضاه ثم رضاك وقوله مالها عن ندى يديك اى ليس لها عن كرم يديك الكريمتين اخفاء واستغناء اذ لا تقضى الا على يديك ولا يمن بها غيرك بعد الله تعالى

(فأغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا الجهد لوى اللأواء)

أى اسعفنا بمرادنا منك يا من هو الغوث أى المغيث للمكروبين المنقذ لهم من الشدائد والغيث أى المطر للقاحطين المزيل لجوعهم اذ ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على الهلاك وفى القاموس جهده دابته بلغ جهدها كاجهدها واللأواء الشدة

(والجواد الذى به تفرج الغمة عنا وتنكشف الحوباء)

الجواد بفتح الجيم السخى الذى لا أكرم منه الذى به تكشف الكربة عنا والحوباء بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة بينهما واو أى الاثم وعقابه وفى القاموس الحوباء النفس والحوبة الهم والحاجة وفى نسخة تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء والغمة والغماء والكربة بمعنى

يا حرف نداء استعطاف واستغاثة ورحيما فعيلا من الرحمة وهى رقة القلب وغايتها التفضل والانعام أو ارادتهما والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بوجود الله تعالى ووحدانيته وكماله وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال تعالى فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وكان بالمؤمنين رحيما واستحضر حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد ان اختبئ دعوتى شفاعتى لامتى فى الآخرة وفى رواية أنس فجعلت دعوتى شفاعة لامتى وراجع حديث الشفاعة الطويل فى البخارى وغيره وفى المنح المكية والايمان التصديق الاجمالى فى الاجمالى والتفصيلى فى التفصيلى بجميع ماعلم من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا تكفر منكر غير الضرورى وهو ما يستوى فى معرفته الخاص والعام أو بالاجماع وان لم يكن ضروريا لكن انكار المجمع عليه غير الضرورى كفر عند غير نا أى الشافعية وجماعة منا ولا يكفى التصديق وحده بل لابد من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا فى النار كما نقله النووى عن أهل السنة لكن أشار الغزالى الى ما اختاره جمع محققون انه من أهل الجنة وترك التلفظ معصية فقط لان قلبه عامر بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا وانكارا والا لكان كافرا اجماعا واشار فى المراصد الى تفصيل

بالالف قال ابن حجر وبهذا الحديث والذى قبله علم ان قراءته صلى الله عليه وسلم كانت ترتيلا لا هذا بل مفسرة الحروف مستوفاة ما تستحقه من مد وغيره لانه كان يقطعها آية آية * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا الليث عن معاوية بن صالح عن عبد الله بن أبى قيس قال سألت عائشة عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أكان يسر بالقراءة) أى يخفيها والباء زائدة لان أسر يتعدى بنفسه أو بمعنى فى والتقدير أكان يسر صوته فى وقت القراءة أو على تضمين يسر معنى يخافت (أم يجهر قالت كل ذلك) بالرفع والنصب حسن لو وردت به الرواية (قد كان يفعل قد كان ربما أسر وربما جهر) أى فيجوز كل من الامرين على حد سواء وظاهره فى ليل أو نهار لكن أورده المصنف فى جامعه فى أبواب صلاة الليل فى باب القراءة بالليل بهذا الاسناد بعينه بلفظ سألت عائشة كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نص المالكية على ان المستحب فى نوافل الليل الاجهار لانه يعين على الحضور وينبه الغافل ويوقظ النائم ولا يكره فيها الاسرار والمستحب فى نوافل النهار الاسرار وفى كراهة الجهر نهارا قولان (فقلت الحمد لله الذى جعل فى الامر سعة) أى اتساعا فلم يضيق بتعيين أحد الامرين وقد قيل فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ان المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات تارة والجهر أخرى وقيل المعنى سبيلا بين الجهر والمخافتة فان الاقتصاد مطلوب وفى جميع الامور محبوب وروى ان أبا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول اسمع من اناجى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر عن أبى العلاء العبدى) بفتح العين وسكون الموحدة وفى نسخة الغنوى بفتح الغين المعجمة والنون وكسر الواو (عن يحيى بن جعدة عن أم هانئ) أخت على بن أبى طالب رضى الله عنه (قالت كنت أسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عريشى) فى رواية النسائى وأنا على عرشى والمراد به السرير الذى تنام عليه ويطلق العرش أيضا على ما يستظل به وعلى ما يهيأ للاكرام لترتفع عليه وفى رواية لابن ماجه على ما فى المواهب عنها قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف

الليل

المسئلة فقال

وان يكن ذا النطق منه ما اتفق * فان يكن عجزا يكن كمن نطق
وان يكن ذلك عن اباء * فحكمه الكفر بلا امتراء
وان يكن لغفلة فكالابا * وذا الذى حكى عياض مذهبا

الليل عند الكعبة وأنا على عريشى وعورضت أحاديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وجمع النووى بينهما بان الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل فى غير ذلك لان العمل فيه أكثر ولان فائدته تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب القارى ويجمع همه الى الفكر ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط وقال بعضهم يستحب الجهر بعض القراءة والاسرار ببعضها لان المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالاسرار اه بنقل شيخنا المحقق فى شرح الحصن الحصين * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود أنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وهو يقرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) الى آخر السورة لما تقتضيه رواية البخارى وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع واعلم ان نزول هذه السورة كان قبل يوم الفتح مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية وحينئذ فيقال ما معنى هذا الفتح مع انهم صدوا عن البيت فحلقوا بالحديبية ودخلهم عند تمام الصلح أمر عظيم حتى كاد بعضهم يهلك فانهم خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم لا يشكون فى الفتح للرؤيا التى رآها النبى صلى الله عليه وسلم وهى انه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين والجواب انه لما وقع ذلك الصلح أمن بعض الناس بعضا والتقى المشركون المؤمنين وسمعوا منهم واطلعوا على محاسن الاسلام فأسلم منهم عدد كثير بغير قتال حتى انه خرج الى الحديبية بالف وأربعمائة وخرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين فى عشرة آلاف ومن ثم والله أعلم قرأ صلى الله عليه وسلم هذه السورة يوم الفتح اظهار النجح عاقبة ذلك الصلح حيث ظفر ببلاده وقومه وظهر الدين فى حرم الله وبينه قال فى الكشاف فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لتجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب اه قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته ظهر لى ان

وقيل كالنطق وللجمهور
نسب والشيخ أبى منصور
والاعمال عندنا كاكثر
المحدثين من الايمان أى من كماله
فالميت مؤمنا فاسقا تحت
المشيئة قال تعالى ان الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء * (تنبيه) * اعلم ان
رحيما صيغة مبالغة قيل لانه
أبلغ من رحمن وأنه يستعمل
فى الله تعالى وفى غيره لكن فى
استعمال صيغة المبالغة فى صفة
الله تعالى اشكال ومن ثم قال
بعضهم صفة الله تعالى التى على
سبيل المبالغة كلها مجاز
لاستحالة حقيقة المبالغة فيها
لانها تثبت للشئ أكثر مما له
وصفاته تعالى متناهية فى الكمال
وأيضا فانما تكون فى صفات
تقبل الزيادة والنقص وصفاته
تعالى منزهة عن ذلك واستحسن
ذلك التقى السبكى وغيره فاستشكل
والله على كل شئ قدير لاستلزامه
الزيادة على قادر وهو محال
وأجيب عن الاول بان صيغة
المبالغة اما بحسب زيادة الفعل
أو تعدد المفعولات وهذا لا يوجب زيادة للفعل لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا نحمل صفاته تعالى فلا اشكال ولذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة الى الشرائع وفى الكشاف المبالغة فى التواب أى ونحوه كوهاب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو فى قبول التوبة حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وأجيب عن الثانى بان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التى دل السياق عليها فهى بالنسبة

الى كثرة المتعلق لا لوصف قلت محصل ما فى ابن حجر حاصل الاشكالين ان صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان تثبت للشئ أكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك فما آل الاشكالين الى شئ واحد وهو كما قاله بعض المحققين غلط نشأ من اشتباه المبالغة عند أهل البيان وهى أن تثبت للشئ الخ بالمبالغة النحوية وهى الاتيان بصيغة من صيغ المبالغة للدلالة على الكثرة ثم قال ابن حجر واعلم ان نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل ويشكل عليه ومار بك بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا وأجيب عن الاول بان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جئ به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب وبانه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة وبانه بمعنى ذى ظلم وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة وبان أقل القليل لو وقع منه تعالى كان كثيرا وبانه أراد ليس بظلام تأكيدا للنفى فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه وردد اعلى من قال ظلام فلا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة رؤس الآى اه انظر الاتقان للسيوطى وقوله اذا ما ذهلت هى ظرف لرحيما ومازائدة وذهلت غفلت والابناء جمع ابن والرحماء جمع رحيم كالامهات وذلك يوم القيامة قال تعالى قد يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وتقييد رحمته بذلك الوقت ليس لانتفائها فى غيره بل لشدة اعتنائه بأمته اذ يقول أكابر الرسل نفسى نفسى ويقول هو يارب أمتى أمتى صلى الله عليه وسلم وظهورها فى ذلك اليوم أظهر ويظهر الله تعالى له فيه من التعظيم والسودد والتقدم على جميع الانبياء والتخصيص بالشفاعة العظمى

اللام للتعليل على خلاف ما فى الكشاف والمعنى جعلنا انعامنا عليك سببا ومقتضيا ومستدعيا لانعامنا عليك اشارة الى مقام المحبوبية الارفع أى لم نعتبر فى افاضة فضلنا عليك وتوجيه عطائنا اليك عملك وتعبك ونصبك بل جعلنا التفضل سببا للتفضل فأنت فى تفضل مستمر متتابع ولذا جئ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أى فتحنا لك فتحا غير مقيد بالاعمال ولا منظور فيه الى ما يبقى به على أكابر المقربين مما هو فى نفسه كمال وهكذا يفعل مع المحبوبين ويتفضل على المرادين المطلوبين وفى نوادر الاصول قال الله تعالى فى أهل قبضة اليمين أنتم لى عملتم أو لم تعملوا اه وعلله صلى الله عليه وسلم انما كان محض شكر كما تقدم فى قوله أفلا أكون عبدا شكورا انظر تمام كلامه ان شئت فانه حسن جدا وقد تقدم فى حديث ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل الاكلة الخ ما يؤخذ منه ان لهذه الامة المشرفة قسطا ونصيبا من هذا المعنى فراجعه وقد تقدم قبيل باب الشعر ان معنى الذنب فى حقه صلى الله عليه وسلم انه لا يزال فى ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى ما فوقها رأى المقام فى الاولى نقيصة بالنسبة الى ما فوقها وان كان فى نفسه من أكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أو المراد ذنوب أمته ولكن لشدة اهتمامه بها وقوة اعتنائه بشأنها وغاية حرصه على سلامتها ونجاتها عبر بضميره عنها كأنها نفسه فهو مجاز مرسل علاقته شدة الارتباط والقرب كما يقال جاء الخليفة والمراد غلامه ولا تقول على هذا ان العبارة على حذف مضاف لفوات هذه النكتة البليغة وأما احتمال ان المراد بالمغفرة العصمة ففيه نظر هنا لان العصمة ثابتة قبل الفتح وقبل البعثة فلا معنى لتعليلها به فالوجه ما سبق قاله شيخنا المحقق فى شرحه لهمزيته وانظر فيه تفسير بقية الآية (قال) أى معاوية (فقرأ) اى ابن مغفل كما فى رواية مسلم (ورجع) فى ترجيع ابن مغفل دليل على ان ترجيعه صلى الله عليه وسلم لم يكن لهذه الناقة التى كان راكبا عليها خلافا لابن الاثير اذ لو كان بغير اختياره لم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به ولم يناسب الترجيع لفعله بقوله فرجع فى قراءته كما فى مسلم وكما تقدم فى رواية البخارى وهذا هو الذى فهمه البخارى ومسلم فترجم كل منهما بيان الترجيع والترجيع هو التمطيط والترديد قال ابن حجر وكان حكمته ان الترجيع ينشأ غالبا عن أريحية تحدث عند النفس سرورا وانبساطا ولا شك انه صلى الله عليه وسلم

مايغبطه به الاولون والآخرون ويعلم كل مخلوق أنه لا أقرب الى الله تعالى منه ولا أعز وفى رحيما والرحماء رد العجز على الصدر وبين الذمام والذماء وصاعدات وصعداء واقتفى واقتفاه ووعرة وعراء ويتقى والاتقياء وذرعا ودرعا والعرج والعرجاء وحب والحباء جناس الاشتقاق أو شبهه

(يا شفيعا فى المذنبين اذا أشـ ـفق من خوف ذنبه البراء)

(١٣٣)

قد حصل له من ذلك يوم الفتح حظ وافر فكان سببا لترجيعه ويوافق هذا الحديث حديث زينوا القرآن باصواتكم وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن وورد انه صلى الله عليه وسلم استمع لقراءة أبى موسى الاشعرى فلما أخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا أى حسنته بصوتى تحسينا وورد ان لكل شئ حلية وحلية القرآن حسن الصوت * وروى ابن أبى شيبة تغنوا القرآن وغنوا به واكتبوه اه وبهذه الاحاديث ونحوها استدل من يقول بجواز قراءة القرآن بالالحان ان لم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند أهل القرآن قال فى الاكمال ولا خلاف ان تحسين الصوت بقراءة القرآن مشروع مندوب اليه واختلف فى الترجيع والقراءة بالالحان فكرهه مالك وأكثر العلماء لانه خارج عما وضع له القرآن من الخشية والخشوع والتفهم وأجازه بعضهم للاحاديث الواردة فى ذلك ولان ذلك لا يزيده الا رقة فى النفوس وحسن موقع فى القلوب واثارة خشية واليه ذهب ابو حنيفة وجماعة من السلف وقاله الشافعى فى التحزين اه وحكى قبل هذا عن الشافعى جواز القراءة بالالحان وهى غير قراءة التحزين الذى حكى عنه هنا قاله الابى وقال ابن العربى من المالكية بجواز القراءة بالالحان بل قال انه سنة قال وقد استحسنه كثير من فقهاء الامصار اه وقال النووى الذى يحصل من الادلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبى مليكة أحد رواة الحديث وقد أخرج ذلك عنه أبو داود باسناد صحيح ومن جملة تحسينه ان يراعى فيه قوانين النغم فان الصوت الحسن يزداد بذلك حسنا وان خرج عنها أثر ذلك فى حسنه وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند أهل القرآن فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء فلعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب على من راعى الانغام ان لا يراعى الاداء فان وجد من يراعيهما معا فلا شك انه أرجح من غيره لانه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من مخالفة الاداء وأما القول بان التمطيط لا يضر مطلقا فهو شذوذ لا يعرج عليه قاله النووى وقال ابن حجر وقد كثر الخلاف فى التطريب والتغنى بالقرآن والحق أن ما كان طبيعة وسجية كان محمودا وما كان تكلفا وتصنعا مذموم وهو الذى كرهه السلف وعابوه ومن تأمل احوالهم علم انهم

شفيعا من الشفاعة وهى السعى فى اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه واذا ظرف لشفيعا وأشفق دهش من عقاب عصيانه البرآء جمع برئ أى من الكبائر لان خوفه من الصغائر يدل على شدة ذلك اليوم ومناقشة الحساب فيه ولا يخلو منها الا المعصومون والمحفوظون والخوف يعم حتى من لم يكن له ذنب كيف والانبياء شعارهم ذلك اليوم اللهم سلم سلم

(جد لعاص وماسواى هو العا صى ولكن تنكيرى استحياء)

اى جد لمذنب تارك للطاعة ويعنى نفسه ولم يقل لى لما يأتى ولم يعين ما يجود به عليه قصدا لعموم المسؤل بان يتكرم عليه فى ذلك اليوم بايصاله بشفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وقوله وما سواى أى وليس العاصى غيرى ما العاصى الا أنا ولكن تنكيرى نفسى فى قولى لعاص ولم أعرفها بقولى أنا أو فلان استحياء أى حشمة منك بمخالفة أمرك وارتكاب ما نهيت عنه وحمل استحياء على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت هذا عين ومصدر وكلام الناظم فيه مصدران قلت المراد التشبيه من حيث ان الخبر فى كل منهما يحتاج لتأويل لان الحمل شرطه المساواة وهى غير موجودة هنا لتباين مدلولهما واعلم ان الذى عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق

أى لا رازق سواه وكلام الكشاف يميل الى ان تعريف الخبر يكون لقصر المسند بحسب المقام وكلام الناظم بحسب مفهومه يحتملهما أى انا هو العاصى وما العاصى الا أنا وأشير بتنكير عاص الى ارادة التحقير والحط من شأنه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من أى شئ خلقه أى من شئ حقير مهين بينه بقوله من نطفة خلقه انظر ابن حجر فقد أطال ثم ختم بذكر قاعدة يهم نفعها وهى التى نظمها السيوطى فى قوله ثم من القواعد المشهره * اذا أتت نكرة فكرره

تغايرا وان يعرف ثانى
توافقا كذا المعرفان
شاهده الذى رويناه مبتدا
لن يغلب اليسرين عسر أبدا
ونقض السبكى ذا بأمثله
وقال ذى قاعدة مستشكله

بريئون من التصنع والقراءة بالالحان المخترعة دون التطريب والتحسين الطبيعى وقد ندب اليه صلى الله عليه وسلم بما مر من الاحاديث اه وعلل ابن رشد كراهة القراءة باللحون بانه أمر مبتدع وبانهم يفعلون فيه نحو ما يفعلونه فى الغناء وأما الاحاديث المتقدمة فاما ان تؤول بما تقدم عن ابن حجر واما بغير ذلك قال فى التوضيح وأما خبر زينوا القرآن باصواتكم فانه مقلوب وأصله زينوا أصواتكم بالقرآن اه قال ابن حجر ادعاء القلب لا دليل عليه اه وأما حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ما أذن الله لنبى الخ فقيل معنى يتغنى بالقرآن يجهر به وقيل معناه يستغنى به عن غيره من الكتب والاحاديث وقيل معناه يستغنى به عن الناس بان لا يدنس حلية اكرامه تعالى بالقرآن الذى هو أعظم الكتب المنزلة بالطمع فى الخلق والوقوف بابوابهم مع انهم لا يملكون لانفسهم فضلا عن غيرهم نفعا ولا ضرا وما أحسن قول ابن عطاء رضى الله عنه فى الحكم لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا وقال أيضا فى غير الحكم

الله يعلم انى ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى دينا جتى * وأريهم عز الملوك واشرفا
أأريهم أنى الفقير اليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه * عم البرية منة وتلطفا

قال فى الاكمال ورد الطبرى تأويل يتغنى يستغنى وخطأه لغة ومعنى (قال) اى شعبة (وقال معاوية لولا ان يجتمع الناس على لاخذت لكم فى ذلك الصوت أو قال اللحن) واحد اللحون بالضم والالحان وهو التطريب والترجيع وتحسين نحو قراءة أو شعر وفى رواية لمسلم لحكيت لكم قراءته وفى رواية أخرى له لاخذت لكم بذلك الذى ذكره ابن مغفل عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبخارى لرجعت لكم كما رجع قال ابن حجر وفيه دليل على ان ابن مغفل بين له كيفية ذلك الترجيع اه وانظر قول معاوية لولا ان الخ مع ما هو معلوم من ان تعليم العلم ونشره مطلوب لاسيما ان اجتمع الناس لذلك

اللهم

(وتداركه بالعناية مادا
م له بالذمام منك ذماء)

أى تلافه بالاهتمام منك بحاله بان عده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سحال حلمك حتى تحسن حالته فيما بقى من عمره ويسامح ويرضى عنه فى آخرته ما استمر له بالذمام بالذال المعجمة أى بحقك وحرمتك وهو متعلق بذماء بعده قال فى القاموس الذمام الحق والحرمة والذمة بالكسر العهد والكفالة ومنك متعلق بالعناية وذماء بفتح الذال المعجمة أى تعلق وأصله بقية الروح فى المذبوح وتعلقه بك لا ينقطع ومن تعلق بكريم اجاره وأنت سيد الكرماء وقال ابن حجر بالذمام قسم يتعلق بتداركه أى تداركه بحق حرمتك التى أنعم الله بها عليك ما دام منك ذماء

(أخرته الاعمال والمال عما * قدم الصالحون والاغنياء)

أى أخرته الاعمال السيئة التى ارتكبها والمال الذى أمسكه ولم ينفقه فى حقه وفى وجوه الخير هذا ان كان مجموعا من حله والا فالامر أعظم والصالحون جمع صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فيشمل الملائكة ولذا قال صلى الله

عليه وسلم اذا قال المصلى فى تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت كل عبد لله تعالى صالح فى السماء والارض وبين أخرته وقدمت التطابق كالحسنات والسيآت والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء وأمام والصيف والشتاء والحر والبرد ويومحى وليلتى والرجاء والخوف والاقوياء والضعفاء الاتقيات والاغنياء جمع غنى وهم ذو و الاموال ويعنى من الاعمال الصالحات والانفاق فى وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب فالاول للاعمال والثانى للمال وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه

اللهم الا ان كان يخشى بالاجتماع فتنة أو معصية كاختلاط رجال بنساء أو اخلال بمروءة أو نحو ذلك من المفاسد فان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما أشار الى ذلك ابن حجر وغيره وفى هذا الحديث جواز القراءة على الدابة خلافا لمن كرهه من السلف لما يقال انه يثقل على الدابة أولانه لا يتمكن من القراءة على وجهها وفيه ملازمته صلى الله عليه وسلم للعبادة لانه حال ركوبه ومسيره لم يترك التلاوة وفيه ان الجهر قد يكون فى بعض المواطن أفضل من الاسرار وذلك عند التعظيم وايقاظ الغافل ونحو ذلك انظر المناوى * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا نوح بن قيس الحدانى) نسبة الى حدان بضم أوله قبيلة من الازد (عن حسام بن مصك) بكسر الميم فصاد مفتوحة (عن قتادة) تقدمت ترجمته فى باب الشعر بفتح الشين والعين وانه تابعى جليل فالحديث مرسل (قال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه) ليكون حسن الظاهر دليلا على حسن الباطن لان الظاهر عنوان الباطن غالبا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لاحكم له وقد تكون صورة الجمال عارضة فتظن أصلية فيقع الغلط قال أبو الفتح البستى رحمه الله

وقد يلبس المرء خز الثياب * ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسى خده حمرة * وعلتها ورم فى الريه

وقد تقدم ذلك قبيل الحديث الاول من أحاديث هذا الكتاب (حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت) فى وصف أم معبد رضى الله عنها أنه كان فى صوته صلى الله عليه وسلم صحل وهو بحة مستحسنة وعدم حدة فى الصوت وكان صلى الله عليه وسلم جهير الصوت رخيمه أحسن الناس نغمة وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغ صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن ورواية المصنف فى جامعه من حديث أنس وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا (وكان لا يرجع) أى ترجيع الغناء أو فى غالب أحواله فلا ينافى ما مر فى الحديث قبله * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا يحيى بن حسان نا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ربما يسمعه من فى

(كل يوم ذنوبه صاعدات
وعليها انفاسه صعداء)

يعنى وكل ليلة ذنوبه أى معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون أعمال العباد الى الله تعالى وهو أعلم بما كان قوله وعليها أى من أجلها انفاسه جمع نفس بفتح الفاء صعداء بضم الصاد وفتح العين المهملتين أى متواترة ممتدة من خوف عقاب تلك الذنوب وفى القاموس الصعداء كالبرحاء تنفس طويل

(ألف البطنة المبطئة السير
سريدا ربها البطان بطاء)

أى ولع بالبطنة وهى بكسر الباء قال الجوهرى أى ملء بطنه من الطعام والشراب وفى القاموس البطنة بالكسر البطر والاشر والمراد بالسير المعنوى وانقلبى لانها تؤخر الجوارح عن الاعمال الصالحات ولا تسرع بها الى الطاعات التى يكون بها التقرب الى الله تعالى لان البطن اذا امتلأت كسلت الاعضاء وأفسدت العقل فالبطنة مذهبة للفطنة وقوله بدار هى الدنيا وبها أى فيها البطان جمع بطين ككرام وكريم وهو الذى عمته فى بطنه والعظيم البطن ربطاء جمع بطء أى غير سريع فهم متأخرون عن الفائزين

متخلفون عن السابقين لان من كثر أكله عظم لحمه وثقل جسمه وتكاثر نومه نعم انه ذلك عن الاجتهاد واستفراغ الوسع فى الاعمال الصالحات التى هى سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دنى وخلق رذيل ولو لم يكن من شؤم البطنة الا ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن باذهاب نشاطه وقوته وبين بطان وبطان جناس لاحق

(فبكى ذنبه بقسوة قلب
نهت الدمع فالبكاء مكاء)

أى بكى ذنبه مع يبس قلب وفى القاموس قسا قلبه قسوا وقسوة وقساوة وقساصلب وغلظ ونهت الدمع أى تلك القسوة عن أن يبرز منه شئ مما شأنه ان ينشأ عنه فلذا انقلب البكاء وهو الماء الجارى منها من حزن أو سرور فيحصل بسببه للقلب من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجرى الدموع ويهيج الرجوع لكن تلك القسوة نهت الدموع عن ان يبرز منه شئ فالبكاء اذا الذى هو الصوت مع الدمع مكاء بالتخفيف أى كالمكاء وهو الصفير بجامع ان كلا صوت يجرى على اللسان ولم يتأثر به القلب فبكاؤه اذا صورى لا حقيقى وبين البكاء ومكاء الجناس المضارع

(وعدا يعتب القضاء ولا عذ
را عاص فيما يسوق القضاء)

أى صار ذلك العاصى بعدما وقع منه من المعاصى والبكاء الذى لا نفع معه لقسوة قلبه يعتب القضاء أى يجد على القدر السابق وفى القاموس العتب الموجدة والملامة كالعتاب والمعتبة ولا عذر لعاص يحتج به حتى يسقط اثمه وتندفع مؤاخذته فيما يسوق القضاء أى يأتى به اليه ويقع منه بسببه وكل واقع انما هو بقضاء الله تعالى وقدره وكل ما قدره تعالى فلا بد من وقوعه واعلم ان الله أجرى عادته الالهية على أسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وينسب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل فى الحقيقة انما

الحجرة وهو فى البيت) قال القسطلانى المراد بالبيت الدار وبحجرتها الحجر حولها بحجر ويمنع من الدخول فيه والاطلاع عليه اه واشار برب الى انه كان لا يسمعهما من فى الحجرة الا اذا اصغى اليهما وانصت لكونهما من السر أقرب فلم يتجاوز صوته ما وراء الحجرات لتوسطه قاله المناوى

(باب فى بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكره بعد القراءة لانها أحد اسبابه كما يأتى فى حديث ابن مسعود وقد تضمنت أحاديث الباب ان بكاءه صلى الله عليه وسلم تارة يكون من شدة خوفه صلى الله عليه وسلم وتارة يكون رحمة على ميت وانه فى جميع ذلك لم يكن بشهيق ولا رفع صوت وانما كان بمجرد دمع العين كما ان ضحكه انما كان تبسما لا بقهقهة ولا رفع صوت كما تقدم (حدثنا سويد ابن نصر أنا عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف وهو ابن عبد الله ابن الشخير عن أبيه) عبد الله بن الشخير وهو صحابى من مسلمة الفتح (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز) هو صوت القدر (كازيز المرجل) بكسر فسكون ففتح قال ابن حجر القدر من الحجارة النحاس وقيل كل قدر اه أى غليان كغليان القدر (من البكاء) اى من أجل حبسه حتى يغلى به الجوف ويسمع له صوت وفيه كما قال ابن حجر وغيره دليل على كمال خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا ومعلوم ان العمل والخشية على قدر العلم والمعرفة وهو صلى الله عليه وسلم سيد العارفين بالله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم انى لاعلمكم بالله وأشدكم له خشية وقال والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له وقال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة واعلم ان مذهب الاشعرى قال الشهاب وهو الحق ان الانبياء لا يخشى أحد عليهم العقاب ولا يجوز تجويزه عليهم لعصمتهم عن المخالفات وخشيتهم وخوفهم من الله تعالى معلوم لا شك فيه وحينئذ فيشكل مجامعة التامين للخوف وجوابه والله أعلم انا نقول حسنات الابرار سيئات المقربين لخوفهم من رؤية غير الاكمل الذى هو كالنقص فى حقهم فان رؤيته كافية فى الخجل والانقباض وأيضا فليس المراد من خوفهم ان ينزجروا وينكفوا عن المخالفات بل ان يكونوا فى مقام العبودية والادب على أكمل الحالات لان الركون الامن وعدم الخوف هو عين القصور وسوء الادب وأيضا فلكمال

علمهم بالانقلابات واطلاعهم على ضروب التصرفات يرد عليهم من الخشية مايرد فان من ورد على ملك وهو آمن منه قاطع بانه لايصدر منه الا الاحسان والبر لامارات ودلائل قامت عنده على ذلك اذا رآه فى حضرته يعزل ويضع ويطرد ويعاقب بانواع العقوبات التى لاتحصر يدخله من هيبته وخوفه مايضطرب من أجله قلبه وجوارحه وترتعد فرائصه ويصفر لونه ويصير ذلك فى حضرة الملك ضرورياله لايستطيع دفعه عن نفسه مع استحضاره لامارات الامن وهذا تقريب فيتنبك على مافوقه والى هذا والله أعلم يشير حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وكذا حديث قول الانبياء نفسى نفسى والله أعلم اه ملخصا من شرح شيخنا المحقق أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى كان الله تعالى له اصلاة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته ومن ثم قال المحاسبى خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وان كانوا آمنين وفى هذا الحديث أيضا البكاء من خشية الله تعالى وفى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفى الحديث حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله حرمت النار على عين غضت عن محارم الله حرمت النار على عين بكت من خشية الله وفيه ان بكاء التخشع لايضر فى الصلاة وفيه مستند لاهل الطريق رضى الله عنهم فى وجدهم وتواجدهم قال بعضهم ويحتمل ان يكون ذلك الازيز من ذكر القلب فان القلب اذا كرتسمع له رنة وصوت كهبوب الريح فى الاشجار اه وانظره مع قوله فى الحديث من البكاء * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو معاوية بن هشام نا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله) أى ابن مسعود رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على) يحتمل انه خصه بذلك لانه لم يحضر غيره أولم يحضر أعلم منه قاله الابى (فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل) قال الابى انظر ما الذى توهم حين قال ذلك فيحتمل أنه فهم انه أراد بقراءته عليه الاتعاظ فقال أتتعظ بقراءتى وعليك انزل لانه للتعلم (قال انى أحب ان أسمعه من غيرى) اما تشريعا لطريق العرض على الشيخ عكس ماوقع لابى حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقرأ عليك فيكون اشارة الى ان القرآن يؤخذ بعرض الشيخ على التلميذ وبالعكس اولانه أبلغ فى التفهم والتدبر فان المستمع أقوى على ذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة (فقرأت سورة النساء حتى بلغت وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى كيف حال الكفار أو كيف يكونون أو كيف يصنعون اذا جئنا من كل أمة بشهيد وهو نبى تلك الامة وجئنا بك على هؤلاء أى الانبياء وأممهم شهيدا وعلى الوجه الثانى فيكون النبى صلى الله عليه وسلم معدلا للانبياء فى شهادتهم على أممهم ويحتمل ان المراد بهؤلاء هذه الامة ويرجح هذا الوجه قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم اذا كان المراد أمة الدعوة كان فى الكلام حذف أى عليهم ولهم (قال) اى ابن مسعود (فرأيت

هو بقضائه وقدره فلابد من رعاية المقامين هذا هو المذهب العدل السوى والطريق الواضح الجلى انظر ابن حجر ثم قال فان قلت قوله ولاعذر لعاص فيما يسوق القضاء اليه ينافيه احتجاج آدم فى قصته مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى أنت آدم الذى أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أى بالفسبة لمقامك والافهى ليست بخطيئة حقيقة لانه نسى كما فى الآية فقال له آدم أتلومنى على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقنى قال النبى صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أى غلبه فى الحجة قلت لاينافيه لان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع فى الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان

عيني النبي صلى الله عليه وسلم تهملان) بفتح التاء وكسر الميم وضمها أي تسيلان دموعا
قال عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم لعظم ما تضمنته الآية وما قبلها من قوله تعالى ان
الله لا يظلم مثقال ذرة وما بعدها من قوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا الآية وقال ابن
بطال مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشهادة الحال الداعية الى شهادته لامته بالتصديق
وسؤاله الشفاعة لاهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء وقال العسقلاني الذي
يظهر انه بكى رحمة لامته لانه علم انه لابد ان يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لا يكون مستقيما
فقد يفضي الى تعذيبهم اه وأما احتمال ان بكاءه للسرور بخطاب الله له بانه شاهد عليهم
فلا يقبله الذوق السليم قاله في جمع الوسائل وفي البخاري انه لما بلغها قال له أمسك
وأخذ منه جواز الامر بقطع القراءة لمصلحة وهي هنا التنبيه على ما في الآية من الوعظ
أو الاشارة الى جواز الوقف في مثل هذا المحل مع ان الكلام غير مستقل بنفسه وتمامه
بالآية التي بعده أو الاشارة الى تعليم جلسائه حسن السمت وعدم خروجهم عن هيئة
السكون اذ كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقبض بسكونه على جلسائه ولذلك لم يغلب
السماع عليهم لما يصل اليهم من بركة تريه برد الصبر وفي هذا الحديث البكاء عند
قراءة القرآن وهو من صفات العارفين وسمات الصالحين وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى
بذلك في قوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وفي قوله ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا وطريق الوصول الى ذلك ان ينظر الى ما فيه من الاوامر
والنواهي والعهود والمواثيق والوعد والوعيد ثم ينظر الى تقصير نفسه في ذلك كله
وعدم قيامه به فيبكي على نفسه فان لم يجد من نفسه ذلك لقساوة قلبه فليبك على ترك
بكائه * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله
ابن عمرو) أي ابن العاصي (قال انكسفت الشمس) اي ذهب نورها أو بعضها او يقال
أيضا كسفت الشمس بفتح الكاف وضمها او يقال انخسفت الشمس وخسفت بفتح
الخاء وضمها قال العسقلاني والمشهور في استعمال الفقهاء ان الكسوف في الشمس
والخسوف في القمر وذكر الجوهري انه أفصح وقيل يتعين ذلك وقيل يقال في كل منهما
وبه جاءت الاحاديث وقال بعضهم الخسوف في ذهاب جميع الضوء والكسوف في ذهاب
بعضه (يوما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد البخاري يوم مات ابراهيم فقال
الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي) صلاتها
سنة عند الجميع والجماعة فيها سنة عند الاكثر وذكر الحطاب عن العراقيين انه لا يجمع
لها (حتى لم يكد يركع) أي لطول قيامه وقراءته فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ قدر
البقرة (ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه) لطول ركوعه (ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد) فيه
اطالة القيام بعد الرفع من الركوع وقبل السجود وليس في هذه الرواية الا ركوع واحد
(ثم سجد فلم يكد ان يرفع رأسه ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد) فيه اطالة الجلوس بين

السجدتين

بعد الوقوع فيه وقبل أن
يستوفي منه ما وجب به فيمنع بذلك
مؤاخذته به لم يجز أيضا وان كان
لا يمنع ذلك بل لمنع تعييره به
ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى
الله عليه وسلم فج آدم موسى
عليه وعليهما الصلاة والسلام
وقول عمر رضي الله تعالى عنه
لما ذهب الى الشام وأخبر في
الطريق انه وقع به الطاعون
وأراد الرجوع فقال له أبو عبيدة
رضي الله تعالى عنه أفرارا من
قدر الله تعالى فقال نعم نفر من
قدر الله تعالى الى قدر الله جل
وعلا اشارة الى ان كل ما فعل
واقع بقضاء الله تعالى مع ان
الشرع نهى عن القدوم عليه
لانه سبب للهلاك كسائر
الاسباب العادية فنهى عنه
خشية مصادفته فيفتن وأما اذا

السجدتين وقد نقل الغزالى الاتفاق على تركه اطالته قال العسقلانى فان أراد الاتفاق المذهبى فلا كلام والا فهو محجوج بهذه الرواية وفى المناوى ماصرح به فى هذا الحديث من تطويل الاعتدال والقعود بين السجدتين أخذ به بعض السلف ومذهب الشافعية انهما لايطولان وادعى النووى فى شرح مسلم ان رواية تطويلهما شاذة قال الحافظ ابن حجر ولم اقف فى شئ من الطرق على تطويل الجلوس بين السجدتين الا فى هذا الحديث اه (ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى) فيه ان النفخ المصاحب لبكاء التخشع لايضر فى الصلاة (ويقول رب الم تعدنى أن لاتعذبهم وأنا فيهم) أى يقول ذلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (رب الم تعدنى أن لاتعذبهم وهم يستغفرون) اى يقول ذلك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ونحن نستغفرك) لم يقل ونحن معهم أدبا ومن البين الواضح ان ليس المقصود من هذا الكلام اقامة الحجة بل المقصود به استنزال الفضل واستمطار الرحمة والاستعطاف واظهار الفقر والحاجة لما عند الله تعالى لان الكسوف ربما دل على وقوع عذاب قال ابن حجر وانما دعا بعدم التعذيب مع الوعد به الذى لايخلف لان ظاهر الوعد لايقضى على باطن العلم لجواز أن ذلك الوعد منوط بشرط أو قيد اختل ومن ثم كان العارف لايزايله الخوف وان أمن اه بمعناه وبهذا أيضا أجيب عن قوله فى صحيح البخارى ومسلم فقام فزعا يخشى ان تكون الساعة وفيه نظر لان هذا انما هو فى وعد خاص كتبشير بعض الصحابة بالجنة واما الوعد العام المأمور باعتقاده يقينا لكافة الخلق فلا يقال فيه لعله يتوقف على شرط استأثر الله بعلمه لان ذلك يوجب تطرق الشك فى العقائد السمعية كلها كذا قرره شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى اجزل الله تعالى ثوابه والصواب فى الجواب عن قوله يخشى ان تكون الساعة أن يقال خشى ان يكون هذا الكسوف هو مبدأ آيات الساعة الكبرى فقد قال السيوطى ناقلا عن غيره ان أول الآيات الكسوف أو يكون المعنى كانه يخشى ان تكون الساعة أى فزع فزع من يخشى ان تكون الساعة وصرح بعضهم بان الراوى أخطأ لانه من أين له ان يعلم ما فى قلبه صلى الله عليه وسلم وقيل انما خشى ذلك قبل ان يعلم بانها لاتكون حتى تكون عشر آيات كما فى الحديث ورد بان الكسوف تأخر جدا فان جمهور أهل السير أن موت ابراهيم كان فى السنة العاشرة فى ربيع الاول أو رمضان لا فى التاسعة ولا فى زمن الحديبية خلافا لمن زعم ذلك والقول بان موته كان فى ذى الحجة لايصح لانه صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك فى حجة الوداع وقد شهد موته بالمدينة اتفاقا فلم يصح ذلك على انه مات سنة تسع كما فى ابن حجر واما خوفه ان ينزل العذاب بأمته مع الوعد بعدمه فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم الآية فالقول فيه هنا كما تقدم فى معنى خوف الانبياء عليهم السلام مع القطع بأمنهم من ان ذلك مقتضى العبودية ومشاهدة سطوة الربوبية ومقتضى كمال العلم بالانقلابات والاطلاع على ضروب التصرفات فانهم

لم يدخل وسلم فهو بمنزلة التداوى وحكمة امتناع الفرار ان كان هنالك مصلحة الرضا وقد قال تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة انظر المنح * (فائدة) * قال الامام الغزالى فان قيل مافائدة الدعاء مع ان القضاء لايرد فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لرد السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شأن الاعتراف بالقضاء أن لايحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله تعالى الامر وقدر سببه

ذلك وتأمله (فلما صلى ركعتين انجلت الشمس) ليس فى هذه الرواية زيادة قيامين وركوعين فى ركعتى الكسوف قال المناوى وهذا الحديث صحيح وبه احتج أبو حنيفة على توحيد الركوع فى الركعة وذهب مالك والشافعى الى انه يصلى كل ركعة بركوعين وذهب أحمد الى انه يصلى كل ركعة بثلاث ركوعات لادلة أخرى رأوا ترجيحها اه وحمل بعض الشافعية الروايات المتعارضة على تعدد الواقعة وان كلا من هذه الاوجه جائز وقواه النووى فى شرح مسلم وفيه ان تعدد الكسوف يحتاج الى نقل ثابت والمنقول أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها بالمدينة الا مرة واحدة واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وقد نقل ابن القيم عن الشافعى واحمد والبخارى انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين غلطا من بعض الرواة وفى الاكمال ان رواية ركعتان فى كل ركعة ركوعان وسجودان هى أصح الروايات ورواتها احفظ واضبط وان غيرها من الروايات معلولة ضعيفة اه وبه يرد ما زعمه بعض الحنفية من أن تأويل ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما أطال الركوع رفع بعض الصفوف رؤسهم ظنا منهم انه عليه السلام رفع رأسه من الركوع فرفع من خلفهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راكعا ركعوا فركع من خلفهم فمن كان خلفهم ظن أنه صلى الله عليه وسلم أتى فى كل ركعة باكثر من ركوع واحد فروى على حسب ما عنده من الاشتباه (فقام) أى فى محله هذا هو المتبادر واحتمال انه قام على المنبر بعيد اذ لو كان كذلك لنقل (فحمد الله) وصفه بالجميل بلفظ الحمد أو غيره فقوله (وأثنى عليه) تفسير لما قبله زاد النسائى من حديث سمرة وشهد انه عبد الله ورسوله (ثم قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله) أى الدالة على كماله ووحدانيته وكمال قدرته أو على تخويف العباد من بأسه وسطوته قال تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا زاد فى رواية الصحيحين وغيرهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته وتقدم ان سبب ذلك ان الناس قالوا كسفت الشمس لموت ابراهيم (فان انكسفا) فيه تغليب القمر فى التذكير وتغليب الشمس فى الفعل على المذهب الشهير (فافزعوا) أى بادروا وتوجهوا (الى ذكر الله تعالى) فى رواية البخارى فاذا رأيتموها فصلوا وادعوا فسميت الصلاة ذكرا لاشتمالها على الذكر ولأن مدارها عليه كما قال تعالى وأقم الصلاة لذكرى وفى أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة دون الخطبة دليل على ان الخطبة ليست مشروعة فى الكسوف ولو كانت مشروعة فيه لبينها صلى الله عليه وسلم وأيضا فان جماعة من الصحابة كعلى بن أبى طالب والنعمان بن بشير وابن عباس وجابر وأبى هريرة نقلوا صفة صلاة الكسوف ولم يذكر واحد منهم أنه عليه السلام خطب فيها ولا يجوز ان يكون خطب وأغفل هؤلاء كلهم مع نقل كل واحد ما تعلق بتلك الحال وأما تسمية عائشة رضى الله عنها ما وقع خطبة فليس على ظاهره بل هو على طريق التشبيه وفى هذا الحديث ان الصلاة من أعظم ما يستدفع به البلاء وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى أهمه بادر

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان

(أو ثقته من الذنوب ديون) شددت فى اقتضائها الغرماء)

أى حبسته فى وثائقها ديون جمع دين فاعل أوثقته ومن الذنوب حال منها مقدمة عليها أى ديون تراكمت عليه فاشتة من كثرة ذنوبه وتفريطه فى حقوق الله وحقوق عباده وفى القاموس الوثاق ويكسر ما يشد به وأوثقه فيه شده يعنى منعته عن الخلاص من

الى الصلاة وفيه بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربه وفي قوله آيتان الخ تنبيه على حدوثهما ونقصهما لطرو التغير عليهما وازالة نورهما الذي به عظما في النفوس حتى ارتقى الحال ببعضهم الى عبادتهما وقال جماعة من أهل الضلال بتأثيرهما في العالم ويرحم الله القائل

لاتركنن الى مقال منجم * وكل الامور الى الاله وسلم

واعلم بأنك ان نسبت لكوكب * تدبير حادثة قلست بمسلم

وفي قوله لا ينكسفان لموت أحد الخ رد على من قال خسفت الشمس لموت ابراهيم وعلى من زعم ان أحدهما لا يخسف الا لموت عظيم وفي فزعه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة والعتق والصدقة دليل على ان الكسوف ليس أمرا عاديا لا يتقدم ولا يتأخر كما زعم أهل الهيئة اذ لو كان كذلك لم يكن معنى للفزع ولم يكن للامر بذلك فائدة وأيضا فقد صح في الخبر ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وان الله تعالى اذا تجلى لشئ خشع له وظاهره ان سبب الكسوف خشوعهما لله تعالى ولعل السر في ذلك ان النور والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ومن ثم قال طاوس لما نظر الى الشمس وهي كاسفة فبكى حتى كاد ان يموت هي أخوف لله منا لكن قال ابن دقيق العيد لا تنافي بين الحديث وبين ما قالوه فان لله أفعالا على حسب العادة وأفعالا خارجة عنها وقدرته حاكمة على كل سبب يقطع ما يشاء من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض وحينئذ فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع أمر غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع ان ثم اسبابا تجرى عليها العادة الا ان يشاء الله خرقها وحاصله ان ما ذكروه ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون ذلك تخويفا لعباد الله انظر ابن حجر وجمع الوسائل *(تنبيه)* روى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم وأخرجه الدارقطني أيضا وبه يرد قول من قال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في كسوف القمر وتأويله صلى بأمر باطل اذ لا دليل عليه وليس في قوله مثل صلاتكم دليل على اتحاد القيام في ركعتي كسوف الشمس خلافا لابن حجر لاحتمال ان معنى مثل صلاتكم كسوف الشمس في تعدد القيام في كل ركعة ومثل صلاتكم خسوف القمر من عدم التعدد والله أعلم *قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة له) زاد النسائي في روايته صغيرة (تقضى) أي تموت قال الازهري مرجع القضاء الى انقطاع الشئ وتمامه (فاحتضنها) أي جعلها في حضنه بالكسر أي جنبه وهو ما دون الابط الى الكشح والصدر والعضدان وما بينهما قاله في القاموس وبه سميت الحاضنة وهي التي تربي

تباعاتها وقد شددت في اقتضائها أي طلبها منه الغرماء جمع غريم وهو طالب الحق والحقوق في الآخرة مبنية على المضايقة لا سيما حقوق الآدميين الا ان يعفو الله تعالى

(ماله حيلة سوى حيلة المو ثق اما توسل أو دعاء)

أي ماله قدرة على الخلاص من تلك الديون وفي القاموس الحيلة والاحتيال والتحيل الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف والموثق المشدود بالوثاق الذي لا يقدر على هروب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك محصورة في شيئين اما توسل أي الى الله تعالى في خلاصه بما سبق له من عمل صالح أو شفاعة شافع أو دعاء أي رغبة الى الله تعالى في ارضاء غريمه عنه واسبال

الطفل لان المربى والكافل يضم الطفل الى حضنه (فوضعها) أى بعد ساعة (بين يديه فماتت وهى بين يديه) فيه اشكال لانه ان كان المراد ابنة له حقيقة كما هو ظاهر اللفظ كان مخالفا لما أطبق عليه أرباب السير والحديث والتواريخ من ان بناته صلى الله عليه وسلم كلهن متن فى حال الكبر وان كان المراد ابنة احدى بناته وتكون اضافتها اليه مجازية فلم ينقل ان ابنة لاحدى بناته ماتت فى حال الصغر الا ما رواه أحمد أتى النبى صلى الله عليه وسلم بامامة بنت زينب وهى فى النزع ففدمعت عيناه ويعارضه ان أهل العلم بالاخبار اتفقوا على ان امامة عاشت بعد النبى حتى تزوجها على بن أبى طالب بعد موت فاطمة وقتل عنها وحمل رواية أحمد على انها أشرفت على الموت ولم تمت فاما ان يقال وقع وهم فى هذا الحديث اما فى قوله تقضى وفى قوله فماتت وهى بين يديه واما فى قوله ابنة والصواب ابنه ويكون المراد أحد بنيه القاسم أو عبد الله أو ابراهيم ويحتمل ان المراد ابن بعض بناته اما حسين بن فاطمة أو عبد الله بن رقية بن عثمان انظر المناوى (وصاحت) وفى بعض النسخ فصاحت (أم أيمن) وهى حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم ومولاته ورثها من أبيه وأعتقها حين تزوج خديجة وزوجها لزيد مولاه فولدت له أسامة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما وقد شهدت أحدا وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى وشاهدت خيبر وهاجرت الهجرتين الى أرض الحبشة والى المدينة جميعا وكان صلى الله عليه وسلم يقول أم أيمن أمى بعد أمى وكان يزورها بمكة الام ويكثر زيارتها وكان عندها كالولد ولذلك كانت ترفع صوتها عليه وكانها صاحت صياحا ممتنعا لما يصحبه من الجزع والهلع ولذلك انكر عليها النبى صلى الله عليه وسلم (فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم يقل عندى لانه أبلغ فى الزجر (فقالت) ظنا منها ان البكاء جائز مطلقا (ألست أراك تبكى قال انى لست أبكى) أى بكاء جزع وعدم صبر (انما هى) أى البكاء يعنى الدمعة أو قطرات الدمع (رحمة) أى اثر الرحمة التى جعلها الله فى قلوب عباده فالبكاء الجائز هو الذى كبكائه صلى الله عليه وسلم وهى رحمة تنزل بالقلب فتدمع لها العين من غير جزع ولا هلع ولا صياح ولا دعاء بويل أو ثبور وقد وردان العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون (ان المؤمن) أى الكامل ملتبس (بكل خير على كل حال) أى لانه يشهد المحنة عين المنة فيحمده عليها كما قال (ان نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى) لانه يرى الموت رحمة له وكرامة وخيرا له من الحياة أى واذا كان كذلك فكيف يكون منه جزع أو المراد كما قال ابن مخلص ان المؤمن لاجل ما أعطاه الله من الايمان فى نعمة ما فوقها نعمة فمن عرف قيمته تسلى به عن كل مصيبة تصيبه وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه ولا تجعل مصيبتى فى ديني فهذا منه صلى الله عليه وسلم تغبط بالايمان واشباع واقناع للقلوب به اه بالمعنى ولا شك ان فضل الايمان كثير جلس النبى صلى

الله

ذيل عفوه وحلمه ورضاه عنه وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لانا أكرم وأعظم عفوا من ان أستر على عبدى فى الدنيا ثم أفضحه بعد ان ستره ولا أزال أغفر لعبدى ما استغفرنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى لاستحيى من عبدى يرفع يديه الى ثم اردهما فارغتين الهنا ليس لذلك باهل قال الله تعالى انى أكرم أهل التقوى والمغفرة

(راجيا ان تعود أعماله السو
بغفران الله وهى دعاء)

راجيا حال من عاص أى مؤملا ان تصير أعماله السوء بفتح السين أى السيئة بغفران الله تعالى

الله عليه وسلم الى الكعبة وقال قد علمت ان حرمتك عند الله عظيمة وحرمة المؤمن أعظم عند الله منك وقال عليه الصلاة والسلام قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وكفى المؤمنين شرفا قوله عز وجل يحبهم ويحبونه قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه نعمة الاسلام هى الاولى والاحرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها والحمد عليها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من أول الدنيا وأخذت فى شكر نعمة الاسلام من أول الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق مما هنالك واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يليق على من قدر هذه النعمة ولو املیت فيها ألف ورقة لكان مبلغ علمى فوق ذلك مع اعترافى بان ما أعلمه فى جنب ما لا أعلمه كنقطة فى بحار الدنيا بأسرها أما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال للقوم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام انك لتحمد الله على نعمة عظيمة وقيل ما من كلمة أحب الى الله تعالى ولا أبلغ عنده فى الشكر من أن تقول الحمد لله الذى أنعم علينا وهدانا للاسلام اه

* قال المصنف رحمه الله حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن عاصم ابن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان ابن مظعون) بالظاء المعجمة أى بين عينيه كما فى بعض الروايات (وهو ميت) هو قرشى أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان حرم الخمر فى الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على أن أنكح كريمتى وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة ودفن بالبقيع وهو أول من دفن به وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع حجرا عند رأس قبره وقال أعلم به قبر أخى وأدفن عنده من مات من أهلى وكان يزور قبره ولما مات ابنه ابراهيم قال أدفنه عند سلفنا عثمان بن مظعون وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة وقد كان هو وعلى بن أبى طالب وأبو ذر هموا ان يختصوا ويتبتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزلت فيهم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أى تتجاوزوا أمر الله تعالى ان الله لا يحب المعتدين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ولما مر بجنازته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب رحمة الله عليك أبا السائب فقد خرجت ولم تلبس منها بشئ (وهو يبكى) أخرج ابن سعد فى الطبقات عن سفيان الثورى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان ابن مظعون وهو ميت قالت فرأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان وروى انه لما مات عثمان وبكى النساء جعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال ايا كن ونعيق الشيطان وما كان من العين فمن الله ومن

أى يعفوه وفى القاموس وغفر الله تعالى له ذنبه يغفره غفرا وغفرة حسنة بالكسر ومغفرة وغفورا وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطى عليه وعفا عنه وهى أى تلك الاعمال فى جنب الغفران هباء أى كالغبار الذاهب المتفرق فى الهواء كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخلت من الكوى لا يؤاخذ بها فلا تبقى تلك المغفرة عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب

(أو ترى سيآته حسنات) فيقال استحالت الصهباء

أو بمعنى الواو أى وراجيا ان تصير سيآته حسنات أى بدلت بها فيدخل فى سلك الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال اذا بدلت سيآته حسنات

الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان (أو قال) شك من أحد الرواة (عيناه تهراقان) بضم التاء وفتح الهاء وسكونها وفي نسخة بحذف الالف أي تصبان دموعهما الاول من هراق يهريق والشيء مهراق بالتحريك والهاء بدل من همزة اراق أو من اهراق يهريق اهراقة فهو مهريق ومهراق فيجمع بين البدل والمبدل والثاني من أهرق الماء يهرقه اهراقا وتقبيله صلى الله عليه وسلم له رحمة له ومحبة فيه وحسن عهد مع أصحابه وليستجلب له بذلك رحمة ربه فان من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه عظم ثوابه عند ربه وفيه جواز تقبيل الميت الصالح وقد قبل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت كما يأتي ان شاء الله * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور أنا أبو عامر نا فليح وهو ابن سليمان عن هلال بن علي عن أنس بن مالك قال شهدنا ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) هي أم كلثوم زوجة عثمان بن عفان كما رواه الواقدي عن فليح ابن سليمان بهذا الاسناد وكذا أخرجه ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم كلثوم ووهم من قال انها رقية لانها ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر ولم يشهدها (ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر) أي على طرفه فلا دليل فيه على جواز الجلوس على القبر خلافا لبعض الشراح (فرأيت عينيه تدمعان فقال أفيكم رجل لم يقارف الليلة) أصل المقارفة الدنو واللصوق ومعنى لم يقارف الليلة لم يرتكب ذنبا أو لم يجامع أهله فقد زاد ابن المبارك عن فليح أراه يعني الذنب ذكره البخاري تعليقا ووصله الاسماعيلي وفي رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بلفظ لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة فتنحى عثمان أخرجه البخاري في التاريخ الاوسط والحاكم في المستدرك لكن يبعد الوجه الاول قوله (قال أبو طلحة أنا) فقد قال ابن حزم معاذ الله ان يتبجح أبو طلحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لم يذنب تلك الليلة اه فالوجه الثاني هو الاصح وعليه فالحكمة في ذلك ما روى ان عثمان رضي الله عنه باشر تلك الليلة أمته فلم يعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بها عن زوجته المحتضرة فأراد ان لا ينزل قبرها معاتبة له قال ابن حجر وهو ظاهر ان صح ذلك والا فالحكمة انه لم يرد ان يكون النازل قريب العهد بمخالطة النساء لتسكون نفسه مطمئنة ساكنة كالناسية للشهوة وحكي عن الطحاوي انه قال لم يقارف تصحيف والصواب لم يقاول أي لم ينازع غيره في الكلام لانهم كانوا يكرهون الكلام بعد العشاء (قال انزل فنزل في قبرها) كذا رواه البخاري أيضا قال ابن حجر وفي رواية ان الذي نزل في قبرها علي والفضل واسامة فان صحت فلا مانع من نزول الاربعة وفيه جواز نزول الرجل الصالح قبر المرأة باذن وليها وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري الخزرجي البخاري عقبي بدري نقيب اغلبت عليه كنيته صحابي مشهور وهو أحد الرماة والابطال المذكورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم أحد يتطاول بصدره بقي رسول

الله

استحالت الصهباء أي انقلبت الخمر النجسة الحرام خلا طاهرا حلالا وفي هذا استعارة مصرحة اذ شبه السيئات بالخمر والحسنات بالخل واثبات الاستحالة تخييل وأخرج البخاري عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر مشفق من كبائرها فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه

(كل أمر تعفى به تقلب الاعيان فيه وتعجب البصراء)

الله صلى الله عليه وسلم النبل و يقول صدرى دون صدرك يارسول الله و وجهى لوجهك الوقاء وقال فى حقه لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل وقتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم وروى الترمذى والبخارى عنه كنت ممن يغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى مرارا وهو الذى حفر قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين عن أنس لما نزل قول الله تعالى ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون تصدق أبو طلحة بحائط له يقال له بيرحاء فقال له صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح أو رابح قال بعض العلماء أى رابح صاحبه وليس فى الصحب أحد يقال له أبو طلحة سواه وهو عم أنس وزوج أمه أم سليم رضى الله عنهم وعن أنس انه قال سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وانه ركب البحر فمات رضى الله عنه ورحمه ودفن فى جزيرة انظر الابى

(تنبيه) ورد عن عائشة رضى الله عنها ما بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميت قط وانما غاية حزنه أنه يمسك لحيته قال ابن حجر مرادها ما بكى على ميت أسفا عليه بل رحمة له كما مر فى است أبكى انما هى رحمة وانظر فى ابن حجر عدد بناته و بنيه صلى الله عليه وسلم وقصة تزوج على بفاطمة رضى الله عنها ومن أعقب من بناته صلى الله عليه وسلم ومن لم يعقب منهن

(باب فى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم)

كأن المصنف والله أعلم ختم أبواب العبادة بباب بيان خشونة فراشه صلى الله عليه وسلم ولم يقدمه فى أبواب اللباس ليقتدى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك من له رغبة فى عبادة الله تعالى فان وطأة الفراش تستدعى كثرة النوم الذى هو تضييع العمر فيما لا طائل تحته والفراش بكسر الفاء ما يفرش فهو بمعنى مفعول كاللباس ويجمع على فرش (حدثنا على ابن حجر نا على بن مسهر) بضم الميم وكسرها (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) ورواه أيضا عنها الشيخان (قالت انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه) احترازا من فراش الجلوس أو قيدت بذلك للاشعار بأنه لهما وما مرادها فراشه الذى كان فى بيتها بدليل ما بعده (من أدم) بفتحتين جمع اديم وهو الجلد المدبوغ أو الاحمر او مطلق الجلد على ما فى القاموس وفى بعض النسخ أدما بالنصب وفى بعضها بالرفع وهو مشكل قال فى جمع الوسائل و يمكن ان يكون اسم كان ضمير الشأن وجملة فراشه أدم خبرها (حشوه) أى الفراش أى محشوه (ليف) أى ليف النخل لانه الكثير المعروف عندهم وهو الذى يخرج فى أصول سعف النخل لاول خروجها تحشى به الوسائد والفرش و يفتل منه الحبال والجملة حال من فراش وأما قول ابن حجر ان ضمير حشوه للادم باعتبار لفظه وان كان معناه جمعا والجملة صفة لادم فانما يصح لو كان الادم اسم جمع وحيث كان جمعا فلا مطابقة بين الضمير ومرجعه لا لفظا ولا معنى قاله فى جمع الوسائل وفى هذا الحديث اتخاذ الفرش المحشوة للنوم عليها واستعمال الادم وهى الجلود وفيه

قوله تعنى أى تم تم وتعتنى به يا حبيب الله والاعيان جمع عين أى الجسم أى تصير الاعيان وتتحول من صفة الى أخرى كما روى انه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لعكاشة رضى الله عنه عرجونا فانقلب فى يده سيفا صارما يقاتل به ونجب أى تتعجب البصراء جمع بصير يا عائشة هذا من خرق العادة على يد ذلك الذى لم يؤلف انظر الشفاء والمواهب

(رب عين تفلت فى ماء الملح فاضحى وهو الفرات الرواء)

قال الجوجرى رب هنا للتكثير وعين أى عين ماء وتفلت بفتح الفاء أى بصقت فى ماء الملح الذى لا يشرب فاضحى أى صار وهو الفرات أى العذب جدا الصادق الحلاوة أو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو أحد الانهار النازلة من الجنة كما صح به الحديث والرواء بفتح الراء أى

ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الزهد في الدنيا والبعد عن شهواتها والرضا بما قل منها وهل الاولى ان يكون لكل واحد من الزوجين فراش وهو الذي ذكره في الاكمال قائلا لانه أصلح للجسم وأقل لاستدعاء الموافقة وتحريك الشهوة أو الافضل اجتماعهما في فراش واحد وهو الذي ذكره النووي قائلا لانه الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل مع ملازمته قيام الليل فاذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها لاسيما ان علم من حال المرأة الحرص على المباشرة فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف ونقل الخطاب عن البرزلي ان الزوج لا يجب عليه المبيت مع الزوجة في فراش واحد غير انه يندب اليه لما يدخل عليها من المسرة الا أن يكون لقصد عدم الوطء لما يدخل عليه من الضرر في جسمه أو تكون هي مائلة الى الكبر فبيته معها مما يجعل بدنه اه وأما حديث مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فراش للرجل وفراش لامرأته وفراش للضيف والرابع للشيطان فالاحتجاج به على التعدد ضعيف لان تعداد الفراش في هذا الحديث انما هو لانه قد يحتاج كل منهما الى فراش عند المرض ونحوه اه ومعنى كون الرابع للشيطان ان ما زاد على الحاجة انما هو للمباهاة فهو من المكروه المذموم وكل مذموم مضاف للشيطان ويحتمل انه على ظاهره وان ما اتخذ لغير حاجة يكون للشيطان عليه مبيت ومقيل قاله في الاكمال * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري نا عبد الله بن ميمون نا جعفر) أي الصادق (بن محمد عن أبيه) محمد الباقر وقد تقدمت ترجمتهما في باب التختم (قال سئلت عائشة) في سند هذا الحديث انقطاع لان الامام محمدا الباقر لم يلق عائشة ولا حفصة وانظر جمع الوسائل (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت من أدم) وفي نسخة أدم بالرفع (حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك) قال في جمع الوسائل لعل وجه التخصيص ان بيت عائشة كان أعز البيوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم بعدها حفصة لكان أبويهما مع قطع النظر عن بقية كمالاتهما (قالت مسحا) أي كان مسحا وهو بكسر فسكون معلة قال ابن حجر هو ثوب خشن من صوف اه وقال صاحب المحكم المسح كساء من شعر يلبسها الزهاد والرهبان (تثنيه) من باب ضرب من الثني يقال ثناه عطفه ورد بعضه على بعض (ثنيتين) بكسر أوله أي طاقتين والتاء للوحدة لا للتأنيث ويؤيده نسخة ثنتين فيكون صفة لمفعول مطلق محذوف والله أعلم (فينام عليه فلما كان ذات ليلة) بالرفع ان جعلت كان تامة وبالنصب على انها ناقصة واسمها ضمير الوقت وهي مقحمة على الاحتمالين (قلت) أي في نفسي أو لبعض خدمي (لو ثنيته أربع ثنيات) وفي رواية بأربع ثنيات أي ثنيا ملابسا لاربع ثنيات (كان أوطأ له) أي أليق من وطؤ يوطؤ اذا لان من باب حسن يحسن (فثنيناه بأربع ثنيات فلما أصبح قال ما فرشتموني) أتى بصيغة المذكر للتعظيم أو لتغليب بعض الخدم ولعله

الكثير المروي قال في القاموس وما روى وروى ورواه كغنى والى وسماء كثير مروق قال والرواء كسماء بئر زمزم وكسحاب حبل يشد به المتاع على البعير وجعل الشارح الجملة من قوله وهو الفرات الرواء خبرا أضحى وهو جار في ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية لكن الجمهور أنكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام * ثم قال ابن حجر تنبيه لم أر لخصوص التفل في ماء ملح فانقلب عذبا أصلا فضلا عن كثرته التي قال الشارح ويحتمل ان الناظم أخذ ذلك مما رواه أبو نعيم والقاضي في الشفاء انه صلى الله عليه وسلم بصق في بئر في دار أنس رضي الله تعالى عنه فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها وفي حديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة شربها الله تعالى وليس بها ماء

لما أنكر نعومته ولينه ظن انه غير فراشه المعهود أو نزله منزلة غيره (الليلة) أى البارحة (قالت قلنا هو فراشك الا أنا ثنيناه أربع ثنيات قلنا هو أوطأ لك قال ردوه على حاله الاول) أى من الثنيتين (فانه منعتنى وطأته) بفتح فسكون فهمز أى لينه قاله فى جمع الوسائل (صلاتى الليلة) أى التهجد قال المناوى يحتمل انه انما فعل ذلك ليقتدى به العابدون اذ غلبه النوم وفلتاته انما هى بسبب نوم القلب وهو صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه اه وتأمله وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قد يسلك به مسالك الضعفاء تشريعا لعلم من يقع له مثل ذلك كيف يفعل وبينهم من أحاديث الباب ان النوم على الفراش لا ينافى الزهد سواء كان من أدم أو غيره كان محشوا أو غير محشو نعم الاولى لمن غلب عليه الكسل ومالت نفسه الى الدعة والترفه ان لا يبالغ فى حشو الفراش ولينه لانه سبب ظاهر فى كثرة النوم والغفلة والتشاغل عن العبادة والطاعة على ان نومه صلى الله عليه وسلم على الفراش قد يكون مراعاة لحق الزوجة ودفعا للحرج عن الامة والا كان يختار النوم على الثرى زهدا فى الدنيا وتواضعا للمولى وتذكر المقام البلى وقد أخرج البخارى عن عمر رضى الله عنه انه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من ادم حشوها ليف ثم رفعت بصرى فى بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة أى جلود ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أوفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لى وأخرج الامام أحمد وأبو داود من حديث ابن مسعود اضطجع النبى صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر فى جنبه فقيل له ناتيك بشئ يقيك منه فقال مالى وللدنيا انما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وأخرج أبو الشيخ بلفظ فقلنا يا رسول الله الا تأذننا فنبسط تحتك ألين منه فقال مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها وفى شرح السنة عن أنس قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يركب الحمار العرى ويجيب دعوة المملوك وينام على الارض ويجلس ويأكل على الارض وقد تقدم فى باب العيش وجه ايثاره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة على غيرها فراجعه

* (باب ما جاء فى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

كان لما بين اجتهاده صلى الله عليه وسلم فى عبادة الله تعالى وهو غاية تواضعه لربه تعالى أراد ان يبين هنا تواضعه صلى الله عليه وسلم مع عباد الله تعالى والتواضع لغة التذلل والخضوع وعرفا خروج الانسان عن مقتضى جاهه وتنزله عن مرتبة أمثاله وعدم نظره الى حقوق مرتبته وعند المحققين ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا حق به ويرى الحالة التى هو فيها أعظم من ان يستحقها قال أبو يزيد رضى الله عنه ما دام العبد يظن ان

يستعذب غير بئر رومة فدل على ان ماء الآبار هنالك كانت فيه ملوحة ولما بصق فى بئر أنس صار أعذب مياهها فزالت عنه الملوحة ويؤيده ما رواه البغوى ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء وذكر الشريشى فى شرح المقامات انه صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس فعاد ماؤها عذبا بعد أن كان أجاجا وقال الحافظ السيوطى فى الخصائص وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح وفى الشفاء انه صب على ماء فسئل عنه فقيل اسمه يسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب أى بمجرد قوله فما بالك لو بصق به وأتى عليه الصلاة والسلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه أطيب من ريح المسك وفى المواهب وأتى بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب فى البئر او قال فمج فى البئر ففاح

فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالا وقال فى الحكم ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه دون ما صنع ثم التواضع تارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه وتارة يكون عن شهود عظمة ربه وهذا هو التواضع الحقيقى الذى لا يمكن ارتفاعه قال فى الحكم التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف وذلك لان شهود عظمته تعالى هو الذى يخمد النفس ويذيبها ويبطل انانيتها وبه تنقلع شجرة الرياسة والكبر من القلب فان من شاهد عظيما من الخلق ذا هيئة ومرتبة لم يمكنه الا الخضوع له فكيف بمن تجلى له عظمة الله تعالى فما تجلى الله لشئ الا خضع له فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ولذلك قال ذو النون المصرى رضى الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله سبحانه فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر الى نفسه دون الله اه وقال فى عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر الى قدرها ولما كان له صلى الله عليه وسلم الحظ الاوفر من تجلى نور الشهود كان أعظم الخلق تواضعا وقد رفع الله ذكره اه وأعلى على كل قدر قدره ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يزده الشرف الا تواضعا وخفض جناح وطرح نفس

لا يعرف الكبر ولا الترفعا * الا خضوع النفس والتواضعا

وبالجملة فالتواضع والادب والوقوف عند الحد هو ملاك كل خير وسبب كل علو وشرف من تواضع لله رفعه الله كما فى الحديث وحسبك شاهدا على ذلك أن الله تعالى لما خيره صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع (حدثنا أحمد بن منيع وسعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد قالوا نا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى رواية البخارى عن ابن عباس انه سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تطرونى) من الاطراء بالمد وهو كما فى القاموس حسن الثناء (كما أطرت النصارى ابن مريم) أى اطراء مثل اطرائهم عيسى بن مريم أى حيث بالغوا فى مدحه بالكذب حتى ادعوا أنه الاله وابن الاله وعميت بصائرهم عن دلائل الحدوث وشواهده قال الله تعالى بيانا لفضيحتهم وغاية جهلهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه

صديقة

منها مثل راحة المسك رواه أحمد وابن ماجه قلت ويحتمل كلام الناظم وجها آخر وهو ان يكون شبه الشخص الذى كان على شفا جرف بعين ماء ملح أجاج بجامع النفور منه وعدم الانتفاع به استعارة تصريحية مرشحة بذكر الماء وشبه انقاذ النبى صلى الله عليه وسلم بدعائه وهدايته وصرف عنان العناية اليه بمزج الماء الملح بما يصيره عذبا بجامع الاصلاح والانتفاع ولا خفاء ان رب حينئذ تتعين للتكثير وافراد هذا الكثير لاحد لها ولا حصر

(آه مما جنيت ان كان يغنى ألف من عظيم ذنب وهاء)

آه كلمة توجع وفى القاموس كلمة توجع عند الشكاية أو التوجع ومما جنيت أى جرت

صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون فالنهى عنه هو الاطراء المخصوص قال ابن الجوزى ولا يلزم من النهى عن الشئ وقوعه لانا لا نعلم أحدا ادعى فى نبينا ما ادعته النصارى فى عيسى وانما سبب النهى فيما يظهر ما وقع فى حديث معاذ بن جبل لما استأذنه فى السجود له على قصد التعظيم وارادة التكريم فامتنع ونهاه وقال ابن حجر كأن بعض أن يدعى نحو ذلك فى نبينا حين قال له ألا نسجد لك فقال لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها فنهاه عما عساه يجر الى عبادته والمعنى لا تجاوزوا الحد فى مدحى بغير الواقع فيجركم ذلك الى الكفر كما جر النصارى اليه لما تعدوا عن الحد فى مدح عيسى عليه السلام بغير الواقع واتخذوه الها لما حرفوا قوله تعالى فى الانجيل عيسى نبي وأنا ولدته فجعلوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام فى الثانى فلعنة الله عليهم اه ثم استأنف فقال (انما أنا عبد) وفى نسخة عبد الله وفى رواية البخارى عبده وفى الكلام حذف أى انما أنا عبد ورسول بدليل قوله (فقولوا عبد الله ورسوله) فيه ايماء الى قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ واردف النهى بهذا القول اشارة الى انه ليس له صفة غير العبودية والرسالة أى فلا تقولوا فى حقى شيأ ينافى هاتين الصفتين ولا تعتقدوا فى ثنائى غيرهما مما يستحيل وصف البشر به فالقصر اضافى كآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اذ له صلى الله عليه وسلم خصوصيات ومزايا لا يشاركه غيره فيها وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم على صفتى العبودية والرسالة المشتركتين بينه وبين غيره من الرسل ولم يذكر شيأ من خصوصياته تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال البوصيرى رحمه الله تعالى بعد ذكر بعض خصوصياته صلى الله عليه وسلم

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم لا يلزم من كونه عبد الله ورسوله مساواة غيره له صلى الله عليه وسلم فى العبودية لله تعالى التى هى شهود الربوبية وعدم الغفلة عنها لانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق فى هذا الوصف الذى هو عين الكمال الانسانى ولاجله كان الايجاد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أكمل الكمل على الاطلاق وعبوديته أكمل كل كمال ولذلك أثنى الله عليه باسم العبد فى أشرف مقاماته فقال سبحان الذى أسرى بعبده فانه لما رفعه الله تعالى حتى وصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين وأقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون أثنى الله عليه فى أدبه وكمال عبوديته الذى لا يكيف ولا يدرك ولا يعلمه الا الذى خصه به سبحانه فقال ما زاغ البصر وما طغى والزمه اسم العبودية ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به فى تلك الحالات العلية وقال

اليه من الذنوب العظام ان كان يغفى أى يفيد ويجدى شيأ الف من عظيم ذنب من اضافة الصفة الى الموصوف وهاء أى مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة وفى الحديث الندم توبة أى معظم أركانها كالحج عرفات فالشرط فى كلامه ليس على بابه بل هو بمعنى اذ كما قيل به فى قوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين ويحتمل بقاؤه على معناه لان كلمة آه وان كانت تفيد التوبة لكن قيدها ظنى أو أشار بذلك الى هضم نفسه وأن توبته بمجرد لسانه فلا تنفعه بدليل البيت بعده

(أو تجى توبة نصوح وفى القلب نفاق وفى اللسان رياء)

أى آمل بحسن ظنى بربى وهو موصل للخير مطاوب من العبد

وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية فى مقام انزال الكتاب والتحدى بان يأتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره فى مقام الدعوة اليه واضافه فى ذلك كله الى اسم ذاته فلذلك كان أحب الاسماء اليه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا سويد بن عبد العزيز عن حميد عن أنس بن مالك ان امرأة) أى من الانصار كما فى البخارى وفى رواية ومعها صبى لها وفى مسلم كان فى عقلها شئ قال العسقلانى ولم أقف على اسم المرأة اه وقول بعض حواشى الشفاء ان اسمها أم زفر ماشطة خديجة يرده ان أم زفر ليست من الانصار وروايات البخارى صريحة فى انها انصارية بل فى بعض رواياته انه قال والذى نفسى بيده انكم لاحب الناس الى مرتين أو ثلاث مرات (جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له ان لى اليك حاجة) كانها تريد اخفاءها عن غيره (فقال اجلسى فى أى طريق المدينة شئت اجلس اليك) أى معك زاد مسلم فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها قال العسقلانى نقلا عن المهلب لم يرد أنس انه خلا بها بحيث غاب عن أبصار الناس ممن كان معه وانما خلا بها بحيث لا يسمع شكواها من حضر معها وروى البخارى ان كانت الامة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به فى حاجتها وعنده أيضا ان كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجئ فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وفى هذا كله أنواع من المبالغة فى التواضع لذكر المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء أى أمة كانت وبقوله حيث شاءت أى من الامكنة وفى التعبير بالاخذ باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة لساعدها على ذلك وفى ذلك صبره على المشقة فى نفسه لمصلحة المسلمين واجابته من سأله حاجة وبروزه للناس وقربه منهم ليصل ذوو الحقوق الى حقوقهم ويشترشد الناس باقواله وأفعاله وأحكامه وفى ذلك كله تنبيه منه لحكام أمته ونحوهم على ان يتأسوا به فى ذلك * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا على بن مسهر عن مسلم الاعور عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض) أى كيفما كان ولو وضيعا أو عبدا وفى البخارى انه عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعرض عليه الاسلام فأسلم قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ويقول كيف تجدك أو كيف أصبحت أو كيف أمسيت أو كيف هو ويقول لا بأس عليك طهور ان شاء الله أو كفارة وطهور وقد يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك اه وفى البخارى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى مريضا أو أتى به قال أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى

لا

يشرع فى الحديث القدسى انا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى والتوبة الرجوع وفى الشرع الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف ماله فيه فلا يسمى توبة والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر أيضا والعزم على ان لا يعود اليها ما عاش كذلك لا النحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك أدائه فورا أو بادائه ما عصى باخذه ظلما الى مالكه أو وكيله أو وارثه هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج منه بلا تأخير وهى واجبة من كل ذنب ولو صغيرا ونصح من

لاشفاء الاشفاؤك شفاء لايغادر سقما وفى الترمذى من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبعا فان الله تعالى يشفيه قال حسن صحيح وفى البخارى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفى طريق أخرى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى الرقية تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا والصحيح ان هذا ليس بخاص بتراب المدينة ولا بالريق النبوى انظر التوشيح على البخارى قال العسقلانى وجملة آداب العيادة عشرة ومنها ما لايختص بالعيادة ان لايقابل الباب عند الاستئذان وان يدق الباب برفق وان لايهم نفسه كأن يقول انا وان لايخص وقتا يكون غير لائق بالعيادة كوقت شرب المريض الدواء وان يخفف الجلوس وان يغض البصر وان يقلل السؤال وان يظهر الرقة وان يخلص الدعاء وان يوسع للمريض فى الاجل وان يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الاجر ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر اه وقد نظم الشيخ ابن غازى رحمه الله بعضها فى ثلاثة أبيات من عروض المجتث تقريبا للحفظ فقال

اذا لقيت عليلا * فاقعد لديه قليلا
ولا تطول عليه * وقل مقالا جليلا
وقم بفضلك عنه * تكن حكيما نبيلا

والصحيح ان المريض يعاد ولو كان مرضه برمد أو ضرس أو دمل وأما خبر ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقى أنه موقوف على يحيى بن كثير والصحيح أيضا ان لا فرق بين طول المرض وقصره خلافا لما فى الاحياء وأما خبر ابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم لايعود مريضا الا بعد ثلاث فهو وضعيف بل قال أبو حاتم انه باطل انظر ابن حجر وقد جاء فى فضل العيادة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ومن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ومنها ما فى مسلم والموطا من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع قيل وما خرفة الجنة قال جناها * (تنبيه) * مما ورد فى زيارة المتحابين ما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخا له فى قرية أخرى قال فارصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك بان الله قد أحبك كما أحببته فيه (ويشهد الجنائز) أى الصلاة عليها ودفنها قال فى جمع الوسائل وكان اذا شيع جنازة علا كربه وأقل الكلام وأكثر حديث نفسه رواه الحاكم فى الكنى عن عمران بن حصين اه ولتشييع الجنائز آداب تطلب فى كتب الفقه وفيه ان المخالطة أفضل من العزلة لان المخالطة هى حال الكمل وهذا انما هو لمن قدر على التحفظ من

ذنب دون ذنب ومن الذنب وان تكررت منه والنصوح بفتح النون هى التى لايعود من حصلت منه الى الذنب أبدا لوقوعها خالصة من كل شائبة من شوائب الحظوظ بان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو كان أخرويا كالتوبة لدخول الجنة ولكن لايؤثر ذلك فى صحتها بل فى كمالها لانها مشوبة بغرض نفسى بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة وأخرج مسلم عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء

الشر وأسبابه وأما ان ضعف حال الانسان عن المحافظة فتكون العزلة فى حقه فى بعض الاحيان أفضل انظر ابن حجر (ويركب الحمار) أى مع قدرته على ما فوقه من المراكب وربما أردف عليه ذكر فى مختصر السيرة للمحب الطبرى أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة فقال أحملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستناخ به صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب وقال له مثل ذلك فقال والذى بعثك بالحق ما رميتنى ثالثا قال المناوى وقد تأسى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك أكابر السلف أخرج ابن عساكر ان سالم بن عبد الله بن عمر كان له حمار هرم فنهاه بنوه عن ركوبه فأبى فجدعوا اذنه فأبى ان يدعه وركبه فجدعوا الاخرى فركبه فقطعوا ذنبه فصار يركبه مجدوع الاذنين مقطوع الذنب (ويجيب دعوة العبد) أى اضيافة او حاجة قرب محلها أو بعد وقد تقدم فى باب صفة الادام عن أنس ان خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه له فراجعه هنالك وسيأتى أيضا آخر هذا الباب (وكان يوم بنى قريظة) هم جماعة من يهود المدينة غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم رجوعه من الخندق فلما اشتد عليهم البلاء نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بقتل الرجال وسبى الذرارى والنساء وقسمة الاموال فقتلوا وهم ستمائة أو سبعمائة رجل وقسمت أموالهم ونساؤهم وابناؤهم (على حمار مخطوم) أى ذى خطام بالكسر وهو الزمام (بحبل من ليف عليه) أى الحمار (الكاف) بكسر الهمزة هو بمنزلة السرج للفرس والرحل للبعير (من ليف) وفى نسخة الكاف ليف بالاضافة أى مع ان الله تعالى مكنه من عدوه فى ذلك اليوم ونصره عليهم حتى ظفر بهم وباموالهم وفى النسائى لا يأنف ان يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة قال العراقى

يمشى مع المسكين والارملة * فى حاجة من غير ما انفة
يردف خلفه على الحمار * على الكاف غير ذى استكبار
يمشى بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

* قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى الكوفى نا محمد بن فضيل عن الاعمش عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة) بكسر الهمزة هى كل دهن يؤتدم به أو يختص بدهن الشحم والالية أو هى الدسم الجامد (السخنة) بفتح السين وكسر النون ثم خاء معجمة أى المتغيرة الريح من طول المكث قال المناوى وعلم صلى الله عليه وسلم اما باخبار الداعى أو للعلم بفقره أو مشاهدة غالب ما كوله ونحو ذلك من القرائن الحالية وفيه حل أكل المنتن من اللحم وغيره حيث لا ضرر فيه (فيجيب) تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وجبرا لقلب الفقراء وتعظيما لجميع نعم الله تعالى وقد تقدم قول هند يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيأ (ولقد كانت له درع) أى من

النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله وفى القلب باعتبار انه قد يظهر خلاف ما يبطن اى يفعل خلاف ما يقول لا من حيث الاعتقاد لانه انما يصدر ممن آمن بلسانه فقط وفى اللسان رياء أى نظر للخلق باعتبار ان ما يصدر منه قد يكون فيه شوب نظرا الى طلب رفق أو شىء من مخلوق وذلك لا يوجب ترك التوبة والاستغفار رجاء القبول ولذا قالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار

(ومتى يستقيم قلبى وللجسم اعوجاج من كبرتى وانحنائى) متى استفهام تعجب ويستقيم أى يعتدل حتى لا يميل عن الله تعالى الى غيره من أهل أو مال أو جاه

حديد كما فى البخارى وهى مؤنثة قال فى القاموس وقد تذكر وعليه يخرج ما فى بعض
النسخ كان له درع بدون تاء التأنيث وأما درع المرأة فهو مذكر لا غير لانه بمعنى القميص
(عند يهودى) هو أبو الشحم من الاوس واسمه كنيته أى كانت مرهونة عنده فى ثلاثين
صاعا من شعير على ما رواه البخارى واحمد وابن ماجه والطبرانى وغيرهم وفى عشرين
صاعا من طعام أخذه لاهله على ما رواه المصنف فى الجامع والنسائى فى سننه وجمع بينهما
بانه أخذ أولا عشرين ثم عشرة ثم رهنه اياها على الجميع قال ابن حجر على ان رواية
الثلاثين أصح واشهر فكانت أولى بالاعتبار اه وفى حديث عائشة عند البخارى ان
النبى صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودى الى أجل وروى ابن حبان عنها ان الاجل
سنة ووقع لابن حبان عن أنس ان قيمة الطعام كانت دينارا فما وجد ما يفكها حتى مات
صلى الله عليه وسلم) فى شرائه صلى الله عليه وسلم ورهنه من يهودى لانه يقبض الرهن
ويتقاضى الثمن دون مسلم لانه لا يفعل شيأ من ذلك دليل على كمال شرف نفسه وعلو همته
ومزيد حشمته وبراءته من الطمع وشفقته على أصحابه بعدم التضييق عليهم لما علم من
ان الانسان اذا شرفت نفسه كتم ما يعرض له من الضيق حتى عن أهله وولده وانبسط لهم
كانبساط حال اليسار ولو علم الصحابة بحاجته الى ألوف من الاراذل لحملوها اليه
وأقسموا عليه فى قبولها ورأوا المنة عليهم فى قبول ذلك كيف وقد أمر يوما بالصدقة فجاء
أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصف ماله وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان
الف بعير الى غير ذلك وعلى هذا فذكر هذه الجملة لاتمام الحديث كما قال العصام وتبعه
المناوى لا لبيان التواضع وقال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان عدم مبالاته صلى الله
عليه وسلم بان منصبه الشريف يأبى أن يسأل مثل يهودى فى ذلك يدل على غاية تواضعه
وعدم نظره لحقوق مرتبته ورفعة شأنه وفيه معاملة الكفار مع خبث مكاسبهم وفساد
معاملاتهم فيما بينهم وبيع السلاح ورهنه واجارته من الكافر اذا لم يكن حربيا او لشراء
لاجل وجواز الرهن فى الحضر وفيه اتخاذ الدروع والعدد للاعداء والتحصن منهم وان
ذلك غير قادح فى التوكل لان الله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية
وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التقلل من الدنيا والاكتساب وفى ذلك تسلية
للفقراء أمته واعلام بحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عن جبال الذهب ان تسير
معه واختار حالته التى عاش عليها صلى الله عليه وسلم ففى الحديث الصحيح ان جبريل عليه
السلام نزل عليه فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه
الجبال ذهبا وتكون معك حيث كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من
لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت والى هذا يشير البوصيرى رحمه الله بقوله

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

أو غير ذلك والكبرة بفتح الكاف
أى كبر سنى من كبر بالكسر أى
أسن والنحناء أى لقامتى وهو
من عطف المرادف أو الاخص
على الاعم لان الاعوجاج يعم
الاعضاء كلها والانحناء يختص
بالقامة وهو تقوس الظهر
وذلك وقت غلظ القلب وعدم
قبوله للخروج عما ألفه من اللهو
والغفلة فتبعد استقامته
بخلاف أيام الشباب فان العود
رطب يؤثر فيه أدنى وعظ وتزجره
أقل زاجر وربما كان
الاعوجاج الخارجى عنوان
القلب والدين شباب كما قيل لان
الكبر تضعف معه الاعمال
وتثقل الحركات

(كنت فى نومة الشباب فما استيـ
ـقظت الا ولى شمطاء)

نومة الشباب غفلته والشباب
مدار المعاصى والهفوات أى

وفى قوله ما وجد ما يفكها حتى مات دليل على انه صلى الله عليه وسلم استمر على الحالة التى كان عليها قبل الفتوحات من الاعراض عن الدنيا والاقتصار منها على ما لا بد منه فاستوى عنده فقدها ووجودها بل كان لا يريده فقدها الازهدا واعراضا قال البوصيرى رحمه الله

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وفى ذلك فضيلة لآله ولازواجه حيث صبروا على ضيق العيش وقنعوا باليسير وقد تقدم فى باب ما جاء فى صفة خبزه صلى الله عليه وسلم الكلام على ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت سنة لعياله وتقدم فى باب العيش فى الحديث الثالث منه وفى أول حديث أبى الهيثم وفى آخر حديث من الباب المذكور وجه اختياره حالته التى عاش عليها صلى الله عليه وسلم فراجعه هنالك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود الحفرى) بفتح المهملة والفاء نسبة الى موضع بالكوفة (عن سفيان عن الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم) راكبا (على رحل) هو للجمل كالسرج للفرس (رث) أى خلق بال (وعليه) أى الرحل (قطيفة) اى كساء له خمل (لا تساوى أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة) بان يكون لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته لا ليراه الناس أو يسمعوه فيذكرونه باحسان أو مدح أو يعظم جاهه فى قلوبهم والدعاء بهذا من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم وعده نفسه كواحد من الناس اذ لا تتطرق السمعة للمعصومين وأيضا لا تتطرق الا لمن حج على المراكب النفيسة والملابس الفاخرة وفيه اظهار للعبودية وافتقار لكرم الربوبية وفيه تشريع وتعليم للامة وفيه تنبيه على ان المطلوب من العبد ان يتهم نفسه فى عباداته وان كان ظاهر حاله يقضى بكمالها وأيضا فى ذلك اشارة الى طلب الاجتهاد فى تصحيح القصد فى عبادة الحج لكثرة ما يعرض فيها من الرياء والسمعة والمباهاة والمفاخرة ثم اسناد هذا الحديث ضعيف لاجل الربيع بن صبيح فانه ضعيف ويزيد بن ابان فانه متروك منكر الحديث انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عفان أنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا معلوم من حال الصحابة رضى الله عنهم ومن ثم اختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحبابهم وقاتلوا معه آباءهم وأبناءهم حتى قتل أبو عبيدة أباه وتعرض أبو بكر لقتل ولده عبد الله يوم بدر وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير وقتل عمر خاله العاص بن هشام وقال عمر أنت أحب الى من كل شئ الا نفسى فقال النبى صلى الله عليه وسلم حتى من نفسك فسكت ساعة ثم قال حتى من نفسى فقال الآن يا عمر وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه كيف كان حبكم

لرسول

فما انتبهت من ذلك واستحكمت من نفسى حتى تأخرت توبتى وبعدت استقامة قلبى وصرت كالنائم المستغرق الذى لا يفيق الا بحركة قوى فما استيقظت من تلك النومة الا وشعرى رأسى مختلط السواد بالبياض وفى القاموس اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن أى ما تنبهت حتى أدركنى الشيب والمرتكب للمعاصى الى ان أدركه الشمط يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان قلبه قسا وصاب فلا يستقيم اعوجاجه الا بعد اليأس ويؤيد ذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق يروى ان رجلا نظر الى مرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة وعصيتك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وفى الشفاء والمواهب ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعنى صغيرة وقضايا الصحابة رضى الله عنهم فى محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه كثيرة ومن ثم كانوا لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له (قال) أى أنس (وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك) لكمال تواضعه وحسن معاشرته لهم فآثروا ارادته على ارادتهم وتعليل كراهيته صلى الله عليه وسلم لقيامهم له بما ذكر هو مقتضى صنيع المصنف حيث ذكر هذا الحديث فى باب التواضع وعليه فلا يكون فيه دليل على منع القيام لكن من جعل هذا الحديث من شواهد منع القيام كحديث لا تقوموا كما يقوم الاعاجم بعضهم لبعض لا يسلم توجيه الكراهية بذلك قال فى المدخل فان قيل قد يكون نهيه عن القيام تواضعا فالجواب ان ذلك انما يكون فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولو كان كذلك لكان فيه أمر بترك ما أمر الله به من جميع أنواع التوقير له وهذا باب ضيق نعوذ بالله من الغلط اه وقد نقل فى المدخل جميع ما استدل به الامام النووى القائل بالجواز من الاحاديث وقضايا الائمة وأجاب عنه ونقل التفصيل الذى ذكره ابن رشد فى البيان وارتضاه وخص ابن رشد القيام للرجل على أربعة أوجه وجه يكون فيه محظورا لا يحل وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن يحب ان يقام اليه تكبرا وتجبرا على القائمين اليه ووجه يكون فيه مكروها وهو ان يقوم اكبارا وتعظيما واجلالا لمن لا يحب ان يقام اليه ولا يتكبر على القائمين اليه فهذا يكره لتشبه بفعل الجبابرة وما يخشى ان يدخله من تغييره نفس المقوم اليه ووجه يكون فيه جائزا وهو ان يقوم تجلة واكبارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ويؤمن ان تتغير نفس المقوم اليه لذلك وهذه صفة معدومة الا فيمن كان بالنبوة معصوما لانه اذا تغيرت نفس عمر بالغاية التى ركب عليها فمن سواه بذلك أحرى ووجه يكون فيه حسنا وهو ان يقوم الى القادم عليه من سفر فرحا بقدومه يسلم عليه أو القادم عليه المصاب بمصيبة فيعزيه بصابه وما أشبه ذلك فعلى هذا يتخرج ما ورد فى هذا الباب من الآثار ولا يتعارض بشئ منها اه ومن القيام المستحب على ما فى شراح المختصر القيام لمن نزل به سرور فيهنأ والقيام للعالم وللسلطان وللوالدين وقال المواق فى سنن المهتدين قال الشيخ محيى الدين النووى ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية صحبوبة

عشرين سنة فان رجعت اليك سيدى تقبلنى فسمع صوتا يقول أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فاهملناك فان رجعت الينا قبلناك

(وتمادى ت اقتفى أثر القوم فطالت مسافة واقتفاء)

أى أخذت من تمادى على شئ اذا استمر عليه وأثر بفتح الهمزة والمثلثة أى أتبع بقية سيرة السلف الصالح وفى القاموس الاثر محركة بقية الشئ والجمع آثار وأثور وطالت مسافة أى بعد عن اللحاق بهم قال فى القاموس والمسافة والمساف والسيف بالكسر البعد لان الدليل اذا كان فى فلاة شم ترابح العلم أعلى قصد هو أم لا فكثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة انتهى وهى فى عرف الناس القطعة من الارض محدودة وغير محدودة

بصيانة للبر والاكرام اه ثم التفصيل المتقدم انما هو اذا لم يترتب على ترك القيام مقاطعة أو اذاية والا وجب كما فى شراح المختصر وقد نص فى شرح الجوهرة على جواز هذه الامور العادية التى يفعلها الناس على وجه المكارمة والمدارة مع انها لم ترد فى النصوص ولا كانت فى زمن السلف لتجدد أسبابها فى عصرنا دون عصرهم فتعين فعلها لتجدد اسبابها لانها شرع مستأنف قال وذلك كالقيام للداخل من الاعيان واحناء الرأس له ان عظم قدره جدا والمخاطبة بنحو جمال الدين ونور الدين وتسطير اسم الانسان بالمملوك ونحو ذلك والتعبير عن المكتوب اليه بالمجلس العالى والسامى والجناب ونحو ذلك من الاوصاف العرفية والمكاتبات العادية ومن ذلك ترتيب الناس فى المجالس وأنواع من المخاطبات للمملوك والوزراء وأولى الرفعة من الولاة والعظماء قال ولقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى وكان من أعيان العلماء وأولى الجد فى الدين واثبات على الكتاب والسنة غير مكترث بالملوك فضلا عن غيرهم لا تأخذه فى الله لومة لائم فقدمت اليه فتيا فيها ما تقول أئمة الدين وفقكم الله فى القيام الذى أحدثه أهل زماننا مع انه لم يكن فى السلف هل يجوز أو لا يجوز ويحرم فكتب رضى الله تعالى عنه فى الفتيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وترك القيام فى هذا الوقت يفضى للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا هذا نص ما كتبه من غير زيادة ولا نقصان فقرأتها بعد كتابتها فوجدتها هكذا وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور اه المراد ونقله المواق فى أول سنن المهتدين واعتمده وقال فى آخر الكتاب قد تقدم أول الكتاب ان القيام للداخل يجوز لخوف التباغض اه وذكر فى المدخل جواب ابن عبد السلام واستشكله بما أجاب عنه شيخنا المحقق فى شرحه للنصيحة الكافية قائلا ايانا أن تستعمل ما يرتكبه العوام من التساهل اذا فتح لهم باب الاباحة فى أمر فيه تفصيل وله شروط ولا تتعد القانون الذى ذكره الائمة وتثبت فى مواضع الالتباس اه فانظره وفى جمع الوسائل قال القاضى عياض ليس هذا من القيام المنهى عنه انما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمكثون قياما طول جلوسه اه ويقال ان عمر بن العزيز فعل ذلك به أول ما ولى حين خرج الى الناس فانكره وقال ان تقوموا نقم وان تقعدوا نقعد وانما يقوم الناس لرب العالمين وفى الحديث من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار* قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) بالتصغير (ابن عمر) صوابه عمير بالتصغير قاله فى جمع الوسائل (ابن عبد الرحمن العجلى) بكسر العين وسكون الجيم (حدثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة) بدل من أبى هالة (يكنى ذلك الرجل (أبا عبد الله عن ابن لابى هالة) تقدم الكلام على ما قيل من ان فى هذا السند

انقطاعا

قوله واقتفاء أى وطال اتباعهم لاثرهم لطول ما بينى وبينهم من ذلك ففازوا هم بالوصول لمرادهم واتصلوا بحبوبهم وبقيت أنا فى مهامه الحسرة ومفاوز الندامة

(فورا السائرين وهو امامى سبل وعرة وأرض عراء)

أصل وراء المد وقصره ضرورة والسائرين جمع سائر أى صرت خلفهم ووقع عند ابن حجر فوراه السارين بعد وراه والسارين جمع سار وهو الماشى ليلا من اسرى وهو سير الليل قال وعدل اليه عن ورائهم الذى هو القياس ليفيد انهم أحبوا ليلهم بالعبادة وامتاز وافيه بالمديد المناجاة قوله وهو امامى أى ذلك الوراء امامى فهو جملة معترضة بين المبتدا وهو سبل

انقطاعا فى الباب الاول (عن الحسن بن على قال سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافا
عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أشتهى ان يصف لى منها شيأ فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث
بطوله) وقد تقدم فى الباب الاول (قال الحسن فكتمتها) أى هذه الحلية أو هذه الرواية
(الحسين) اى ابن على رضى الله عنهما (زمانا) يحتمل أن ذلك الكتمان كان اتفاقيا ويحتمل
انه كان عن قصد لاختبار اجتهاده وجده فى تحصيل العلم بحلية جده صلى الله عليه وسلم (ثم
حدثته فوجدته قد سبقنى اليه) أى الى خاله هند (فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل
أباه) أى عليا رضى الله عنه وفى نسخة أبى (عن مدخله ومخرجه) اى عن أحواله اذا
دخل بيته واذا خرج منه (وشكله) بفتح أوله كما فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أى
طريقته المسلوكة بين أصحابه فى مجلسه قال فى القاموس الشاكلة والشكل الناحية
والطريقة والمذهب اه وأما تفسير الشكل هنا بالصفة والصورة فلا يصح لانه ليس فى
هذا الحديث ذكر صفة صورته صلى الله عليه وسلم مع قوله (فلم يدع منه شيأ) أى فلم يدع على
تمام له عنه الحسين شيأ وسيأتى فى هذا الحديث فسألته عن مجلسه فقال الخ فدل ذلك على
تفسير الشكل بما تقدم ولكن فى كتاب الشفاء فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع شيأ منه الخ فجمع فى هذه الرواية بين مجلسه
وشكله فانظر ما المراد بالشكل على هذه الرواية ويحتمل ان المعنى فلم يدع الحسين من
السؤال عن أحواله شيأ الا سأله عنه ومن ذلك ما سيأتى فى باب الخلق من قوله فسألته عن
سيرته فى جلسائه الخ (قال الحسين) رواية الحسن عن أخيه الحسين من قبيل رواية
الاقران كما هو مقرر فى علم أصول الحديث خلافا لمن قال انه من قبيل رواية الاكابر
عن الاصاغر وأيضا فان ما بينهما لم يكمل سنة قاله فى جمع الوسائل (فسألت أبى عن
دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان اذا أوى) أى رجع (الى منزله جزأ
دخوله) أى زمان دخوله (ثلاثة اجزاء جزأ لله) أى يستفرغ فيه وسعه لعبادة الله تعالى
من طهارة وصلاة وتلاوة وتشكر ونحو ذلك (وجزأ لاهله) أى يعاشرهم فيه ويتألفهم
ويؤنسهم بالكلام وغيره وينظر فى مصالحهم وما يحتاجون اليه من أمور دينهم ودنياهم
وقد تقدم فى باب السمر شواهد حسن معاشرته صلى الله عليه وسلم لاهله (وجزأ لنفسه)
يفعل فيه ما يحتاج اليه من أكل أو نوم أو غير ذلك والاجزاء الثلاثة كلها فى الحقيقة لله
تعالى وانما أضاف الثانى للاهل والثالث للنفس باعتبار الصورة الظاهرة ومعلوم ان
الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتحركون فى شئ الا لله وبالله لان المباحات تصبغ بالنية
فتصير قربات (ثم جزأ جزأ) هو جزؤه صلى الله عليه وسلم وفى بعض النسخ جزأه بالاضافة
(بينه وبين الناس) أى كلهم عامهم وخاصهم بدليل قوله بعد فى جزء الامة لكن على وجه
خاص بينه بقوله (فيرد) أى يصرف صلى الله عليه وسلم وفى نسخة فرد بلفظ الماضى (ذلك)

والخبر وهو فورا السائرين للتصريح بما علم من قوله اقتفى الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم موانع أيضا وهى سبل جمع سبيل أى طرق وعرة أى صعبة يشق سلوكها الان أولئك القوم كلفوا انفوسهم من الاعمال والتخلق بمكارم الاخلاق ما أوجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به أولئك

وأرض عراء بفتح العين المهملة أى فضاء واسعة

(حمد المدلجون غب سراهم
وكفى من تخلف الابطاء)

يعنى السائرين الذين ساروا ليلهم وغب سراهم أى عاقبته أى حمدوا عاقبة ذلك من الفوز برضا الله تعالى وقربه والاطلاع على معرفة حقيقته والتمتع

أى الجزء الذى بينه وبين الناس (بالخاصة) أى بسببهم (على العامة) متعلق بيرد أى لان العامة كانت لاتصل اليه فى منزله فى ذلك الوقت ولكنه كان يوصل اليها حظها من ذلك الجزء بالخاصة التى تصل اليه لان الخواص الحاضرين بين يديه يستفيدون منه ثم يبلغون ذلك لسائر الناس فكان صلى الله عليه وسلم يوصل فوائده وعلومه الى العامة بواسطة الخاصة ومن ثم قال (ولا يدخر) بالدال المهملة على مافى النسخ المصححة والاصول المعتمدة أصله يذخر فقلبت الذال دالا مهملة ثم المعجمة مهملة ثم وقع الادغام وجوز بعضهم العكس أى لايخفى (عنهم) اى العامة فضلا عن الخاصة أو عن الناس الصادق بالجميع (شيأ) اى من الفوائد والعلوم التى تصلح بهم وتسعها عقولهم والا فقد كانت له علوم لاتسعها عقول العامة فكان يخص بها الخاصة وعلوم لايبثها الا حد من الناس لكونها لاتسعها عقولهم ويدل على ماقلناه من ان العامة كانت لاتصل اليه فى منزله فى ذلك الوقت قوله (وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار) أى تقديم (اهل الفضل) اى وهم أهل العلم والدين وسيأتى افضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة (باذنه) متعلق بايثار أى ايثارهم باذنه لهم فى الدخول عليه (وقسمه) عطف على ايثار وضميره للنبى صلى الله عليه وسلم ومفعوله محذوف اى وكان من سيرته فى ذلك الجزء أيضا قسمه صلى الله عليه وسلم ماعنده من خير الدنيا والآخرة بين أهل الفضل والناس (على قدر فضلهم فى الدين) قال ابن حجر أى دون احسابهم وانسابهم أى لان أولئك أكرم وأفضل ان أكرمكم عند الله أتقاكم اه قلت فى البخارى فى باب واتخذ الله ابراهيم خليلا عن أبى هريرة قيل يارسول الله من أكرم الناس قال اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فيوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا فاجابهم صلى الله عليه وسلم أولا بما هو جماع الخير كله من الصفات الكسبية وأجابهم ثانيا بما هو غاية الشرف من الصفات الوهبية وهى كونه نبيا ومن سلالة الانبياء وربما أشعر قوله ابن كذا ابن كذا ان الشرف ثابت لاولاد الانبياء لمجرد نبوتهم وان لم يكونوا أنبياء فيجب لهم من التوقير والاحترام ما يناسب أقدارهم وسيأتى ذلك فى قضية صفية حيث قال لها عليه الصلاة والسلام الا قلت لهن أبى هرون وعمى موسى قال تعالى قل لاأسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال جل وعلا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ومما ينخرط فى هذا السلك أولاد العلماء والصالحين فيجب مراعاة حقوقهم وان لم يتصفوا بصفات آبائهم وقد قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم قال المفسرون عن ابن عباس فيكون أولادهم فى درجتهم وان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الاولاد اليهم وقد قال بعض العلماء اذا كان تعالى أوصى باولاد الصالحين فقال وكان أبوهما صالحا فما ظنك

باولاد

بشم ودوهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى والمراد هنا بالحمد الرضا لان الحمد بمعنى الثناء الحسن لايتعلق الا بالفعل الاختيارى وكنى من تخلف عنهم الابطاء أى التأخر المفوت لادراك منازلهم

(رحله لم يزل يفندنى الصيف اذا مانويتها والشتاء)

يعنى عاديه فى اقتفاء أثر القوم لعله يلحق بهم هى رحله لم يزل يفندنى أى يكذبنى الصيف اذا مانويتها أى قصدتها وعزمت عليها والشتاء يفندنى كذلك والصيف والشتاء زمنان معروفان يعنى اذا جاء الشتاء نوى الى الصيف لان الشتاء تكثر فيه الامطار ويشتد فيه البرد فيعسر السير واذا جاء الصيف قال أصبر الى الشتاء لان الصيف يشتد فيه الحر وتسترخى

باولاد الاولياء اذا كان ذلك فى أولاد الاولياء فظنك بأولاد الشهداء اذا كان ذلك فى أولاد الشهداء فظنك باولاد الصديقين اذا كان ذلك فى أولاد الصديقين فظنك باولاد النبيين اذا كان ذلك فى أولاد النبيين فظنك باولاد المرسلين اذا كان ذلك فى أولاد المرسلين فاعسى ان تعبر به فى أولاد سيد المرسلين اه وأجابهم ثالثا بما فيه الجمع بين المكتسب وغير المكتسب وهو كون الانسان من أهل الفقه فى دين الله تعالى وممن كان اسلافه شرف بسبب من الاسباب التى كان يحصل بها الشرف فى الجاهلية وقد أشارت اليها خديجة رضى الله عنها فى حديث بدء الوحى لما قال لها صلى الله عليه وسلم لقد خشيت على نفسى فقالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وقد فسر العسقلانى فى باب مناقب الخيار عن كان متصفا بمحاسن الاخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها متوقيا لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها اه ولا يرجع هذا القسم الى القسم الاول لان المعتبر هنا مطلق التقوى لا كمالها لانهم قالوا ليس عن هذا نسألك أولا وثانيا فدل ذلك على ان ليس مرادهم السؤال عن الاكرام الحقيقى بل الاكرام النسبى وهو الذى يظهر للناس ويطلع غالبهم عليه من صلاة وصيام وحج وجهاد ونحوها وأما كمالها فان أهله يخفونه خوفا من آفات اظهاره فاذا عرف الاول عظمت حرمته على الثانى ولهذا كانت معاملته صلى الله عليه وسلم للناس على حسب دينهم وتقواهم وبقوله فى الحديث خياركم الخ تعلم أن من لم يعتبر النسب أصلا فقد فرط وبقوله اذا افقهوا تعلم ان من اعتبر النسب بمجرده فقد أفرط والحق التوسط وهو ان يعتبر اذا كان معه تقوى لله تعالى وتفقهه فى دينه والا فلا عبرة به والكلام فيمن كان لسلفه شرف فى الجاهلية فقط فلا يحصل لهم الشرف فى الاسلام الا بهذا الشرط كما هو صريح الحديث دون أولاد الانبياء والعلماء والصالحين فلا يشترط فيهم ذلك والشرف ثابت لهم فى الجملة لان العقوق لا ينفى النسب وان كان بين البار والعاق كما بين السماء والارض حتى قال الشيخ زروق فى قواعده المعتبر هو النسب الدينى فان انضاف اليه الطينى كان مؤكدا فالا فلحق رتبة صاحبه بحال وقال بعضهم

عليك بتقوى الله فى كل حالة * ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وقال آخر

انا وان كرمت أوائلنا * لسنا على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وتقدم فى باب الكلام قول القائل

وما الحسب الموروث لا در درره * بمكتسب الا بآخر مكتسب

فيه الاعضاء ويقوى فيه العطش والشتاء تتيسر فيه الاعمال أكثر ولذا جاء فى الحديث الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفى سنده مقال ووردم رحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة أما ليله فطويل للقائم وأما نهاره فقصير للصائم ووردلم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء

(يتقى حر وجهى الحر والبرد) دو قد عز من نطق الاتقاء

أى يحذر حر وجهى بضم الحاء أى ما ظهر منه الحر بفتح الحاء والبرد حالتان معروفتان أى حر الصيف وبرد الشتاء فيجد فى

اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقد تقدم فى آخر باب اللباس ان مذهب أهل السنة ان عصاة أهل البيت فى المشيئة وان محمل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم الله أنه منهم لا الجزم بعدم مؤاخذتهم وتقدم ما قاله أهل العلم فى تفسير آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ثم اعلم ان الشرف بالعلم والتقوى أو بالانتساب للانبياء أولاهل العلم والتقوى أو بالانتساب لمن كان له شرف فى الجاهلية مع التفقه فى دين الله تعالى لا يختص بالعرب بل الانواع الثلاثة ثابتة لغيرهم من أهل الكتاب وان كانت العرب أشرف لان النبى صلى الله عليه وسلم منهم وهو أفضل الانبياء والمرسلين أعرق فى الشرف من العجم وان كان جل الانبياء والمرسلين من العجم وأفضلية العرب على العجم انما هى فى الجملة وظاهر الحال واما فى الحقيقة وباطن الامر وما عند الله تعالى فالافضلية انما هى بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فما يدل للنوع الاول قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب الى قوله وأولئك من الصالحين وما يدل للثانى قول الصحابى فى شأن صفية بنت حيى هى سيدة قومها الا تصلح الا لك وفى رواية مسلم صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقف على قوله لا تصلح الا لك وتعليله بما قبله الدال على ان علو شرفها صيرها بحيث لا تصلح الا له وفى الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دخل على صفية وهى تبكى فقال لها ما يبكيك فقالت بلغنى ان عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فقال ألا قلت لهن كيف تكن خيرا منى وأبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم اه بلفظه وأما الثالث فمعلوم ان الغرائز السارية من الآباء الى الابناء من حلم وكرم وحياء وعفة وغيرها قدر مشترك بين جميع الفروق لا يختص به فريق عن فريق لانه من ماصدقات الفضل والرحمة اللذين لا حجر فيهما قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال يختص برحمته من يشاء وقد نبه صلى الله عليه وسلم على عمومه بقوله كما فى الصحيحين تجدون الناس معادن خيارهم الخ فعبر بالناس الشامل للعرب وغيرهم فكل من كان له فقه فى دين الله تعالى ولآبائه شرف فى الجاهلية كان نسبه معتبرا من أى جنس كان وقد جلب شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أفاض الله علينا من بركاته فى تأليف له فى هذه المسئلة كثيرا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونصوص من يقتدى بهم من الائمة وتعرض لبيان أوهام خالجت أفكار قوم خاضوا فى مبادى العلم ولم يتقنوها وظنوا بمجرد ذلك انهم على شئ فجعلوها شبها يتشدقون بها فضلوا وأضلوا وتحكموا فى دين الله وبدلوا وغيروا شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضى بهم الامر الى الازدراء بكثير من الائمة الاعلام وبغض الجم الغفير ممن دخل من غير العرب فى ملة الاسلام فنعوذ بالله

من

الدنيا كما يحفظه منهما وهما من أسباب تأخره حتى فقده زمانهما

وقد عز أى امتنع من لظى اى جهنم الاتقاء أى ما يصون الوجه منها فى الآخرة لان من عمل أعمالها وعاقبه الله تعالى بها لا يمكنه التحفظ منها قال تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقال يوم تقلب وجوههم فى النار

(ضقت ذرعا مما جنيت فيومى قطرير وليلتى درعاء)

ذرعا بفتح الذال المعجمة أى ضاق درعى أى طوقى عن عمل ما لحقنى من الهم ولم يتسع له بسبب عصيانى وتأخرى فيه وتعبير محول عن الفاعل وفى القاموس وضاق بالامر ذرعه وذراعه وضاق به ذرعا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا

من حسد يسد باب الانصاف و يصد عن جميل الاوصاف (فمنهم) أى فبعض أهل الفضل
او الناس (ذو الحاجة) أى الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) والحاجة
صادقة بالدنيوية والاخروية (فيتشاغل بهم) أى يجعل نفسه مشغولة بذى الحاجة ومن
بعده أو يشتغل بهم و يشتغلون به والاحتمال الاول أظهر لقوله بهم وان كان المتبادر
هو الثانى للتفاعل قاله فى جمع الوسائل (و يشغلهم) بضم أوله من الاشغال قال فى
القاموس اشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة اه و بفتح الياء والغين من الشغل اى
يجعلهم مشغولين (فيما) وفى نسخة بالباء وما موصولة (يصلحهم) وفى نسخة أصلحهم
(والامة) بالنصب عطف على الضمير المنصوب فى يصلحهم أى ولايدعهم يشتغلون بما
لا يعنيهم (من) تعليلية لا بيانية كما قيل (مسئلتهم) قال ابن حجر أى سؤالهم اياه (عنه) أى
عما يصلحهم وفى نسخة عنهم أى عن احوالهم اه فقدره على انه مضاف للفاعل و يحتمل
انه مضاف للمفعول اى سؤاله صلى الله عليه وسلم اياهم عنه و وقع فى كتاب الوفاء لابن
الجوزى فيشغلهم فيما أصلحهم من مسئلته عنهم اه وهو أيضا محتمل للوجهين والله
أعلم (واخبارهم) مضاف للمفعول وفاعله النبى صلى الله عليه وسلم (بالذى ينبغى لهم)
أى من الاحكام اللائقة بهم و باحوالهم و زمانهم ومكانهم والمعارف التى تسعها
عقولهم ومن ثم اختلفت وصاياه لاصحابه لاختلاف أحوالهم فقال لبلال انفق ولا
تخش من ذى العرش اقلالا وقال لآخر امسك عليك بعض مالك فانك أن تدع ورثتك
اغنياء خير لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وقال له رجل أوصنى فقال استحى
من الله كما تستحى رجلا صالحا من قومك وقال له آخر أوصنى فقال لا تغضب ويحتمل
انه مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اى اخبارهم النبى صلى الله عليه وسلم بالذى
ينبغى لهم والحاصل ان المعنى انهم كانوا يسألونه عما يصلح الامة فكان يخبرهم بالذى ينبغى
لهم أو المعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يسألهم عن ذلك فكانوا يخبرونه بالذى ينبغى لهم
والاحتمال الاول هو المناسب لقوله (و يقول) أى بعد ان يخبرهم بالذى ينبغى لهم (ليبلغ
الشاهد) اى الحاضر (منكم) عندى الآن (الغائب) من بقية الامة و يناسب الثانى
قوله (وأبلغونى) اى و يقول لهم أيضا اوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغها) اى
لعذر كمرض او بعد أو غيرهما ككون صاحب الحاجة من النساء أو العبيد أو الاماء
لا لحاجب اذ لم يكن له حاجب صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى واتخاذ البواب فى بعض
الاحيان انما كان لاشتغاله بامرهم ابن حجر وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشفقته
على أمته واعتنائه بامورهم وهدايتهم واصلاحهم ما استطاع ومن ثم حثهم على ابلاغه
ذلك بقوله (فانه) اى الشأن (من أبلغ سلطانا) المراد به هنا من كان قادرا على انفاذ
ما يبلغه بفتح اللام وان لم تكن له سلطنة (حاجة من لم يستطع ابلاغها) دينية كانت
أو دنيوية (ثبت الله قدميه يوم القيامة) أى على الصراط لانه لما استعمل قدميه فيما

وما موصولة أو مصدرية
جنيت أى اكتسبت من الاثم
وقطرير شديد ودرعاء بفتح الدال
المهملة مظلمة كناية عن شدة
ما يلقى فيهما وفى القاموس
وليلة درعاء يطلع قمرها عند
الصبح وليال درع بالضم وكصرد
للشلاث تلى البيض لاسوداد
أوائلها وابيضاض سائرها

(وتذكرت رحمة الله فالبشر
لوجهى أنى انتحى تلقاه)

أى تذكرت سعة رحمة الله تعالى
التى دل عليها قوله تعالى ورحمتى
وسعت كل شئ وانها سبقت
غضبه كما فى الحديث الصحيح
ان الله تعالى كتب كتابا فهو
عنده فوق العرش ان رحمتى
سبقت غضبى اى ان مظاهر
الرحمة غلبت مظاهر الغضب
والعندية عندية الشرف
والمكانة نخفف على بذكرها
ما أجد فالبشر لوجهى أى الفرح
والسرور والطلاقة بسبب ذلك

يحصل به لصاحب الحاجة الأمن وثبات القلب جوزى بثباتهما على الصراط يوم تزل فيه الاقدام جزاء وفاقا وفى البخارى من حديث أبى موسى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه السائل أو طلبت منه حاجة قال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء ويأتى عن على و يقول اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه (لايذكر) أى لايحكى (عنده الاذلك) أى المحتاج اليه دنيا وأخرى دون مالا ينفع فيهما كالامور المباحة التى لافائدة فيها فانها كانت لاتذكر عنده غالبا لانه واياهم فى شغل شاغل عن ذلك قاله ابن حجر فقوله (ولا يقبل من) كلام (أحد) شيأ (غيره) كالتأكيد لما قبله (يدخلون) عليه صلى الله عليه وسلم (رواد) جمع رائد وهو فى الاصل من يتقدم القوم لينظر لهم الكلأ ومساقط الغيث والمراد انهم يدخلون محتاجين اليه وطالبين لما عنده من العلوم والآداب والحكم لشدة رغبتهم فى دينهم وغاية حرصهم على مايصلح آخرتهم (ولا يفترقون الاعن) بعنى بعد (ذواق) هو فى الاصل الطعام والمراد به هنا العلم فانه للارواح بمنزلة الطعام للاجساد اى لايقومون من عنده الا وقد استفادوا علما جزيلا وخيرا كثيرا فالتنوين للتعظيم و يلائم تفسيره الذواق هنا بالعلم قوله (ويخرجون) اى من عنده (أدلة) جمع دليل بالدال المهملة اى هداة للناس ولذلك قال (يعنى على الخير) بعنى انهم يخرجون من عنده بما قد علموه من العلم والحكمة فيدلون عليه الناس وفى هذا تنبيه على خصلة من خصال الصحابة رضى الله عنهم وهى قيامهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه وحسبك ان كل ماتراه من علم نافع وفرض وسنة وفضيلة ونافلة فهم الذين حملوا المؤنة فى حفظه وتبليغه على أتم وجه وأكمله فعلوم جميع العلماء كلها فى ميزان حسناتهم كما ان كل ماتراه من بلاد الاسلام وقراهم وامصارهم شرقا وغربا وجوفا وقبلة انما فتح على أيديهم بقهر سيوفهم وعظيم ايمانهم وبذل أموالهم ومعرفتهم الكاملة التى حصلت لهم من النور المحمدى وكذلك كل ماحصل للمسلمين من محاب الاموال من القناطير المقنطرة انما ذلك بسببهم وعلى أيديهم رضى الله تعالى عنهم وارضاهم ببركة صحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وشدة محبتهم له حصلت لهم هذه المزايا العظيمة فاظهر الله تعالى على أيديهم فى زمن قليل وعدد يسير ماذكرنا من الفتوحات واظهار الدين واخماد الكفر وضبط الدين المحمدى واظهار شرائعه واحكامه فجزاهم الله عن هذه الامة خيرا وقد أشار بعضهم الى هذه الخصال الثلاثة فى قوله

الناس هم ثلاثة * فواحد ذو درقه
وذو علوم دارس * كتبه وورقه
ومنفق فى واجب * ذهبه وورقه
وما سواهم همج * لاودك لامرقه

وقد قال صلى الله عليه وسلم لأن يهدى الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ومن

أنى انتحى اى حيث توجه تلقاء بكسر المثناة الفوقية أى مقابل خبر البشر ولوجهى متعلق به قال ابن حجر وهذا أولى من جعل الشارح له خبرا وتلقاء خبرا أيضا وفى القاموس لقيه كرضيه لقاء ولقاءة ولقاية ولقيا ولقيانا ولقيانة بكسرهن ولقيانا ولقيا ولقية ولقى بضمهن ولقاءة مفتوحة رآه كتلقاه والتقاه والاسم التلقاء بالكسر ولا نظير له غير التبيان

(فالح الرجاء والخوف بالقلب) الخ اقام ولم يبرح والرجاء ضد اليأس والخوف ضد الامن أى الفزع فهما فيه على حد سواء كما هو المطلوب من الانسان مادام صحيحا ولا يغلب الرجاء الا يغلب عليه داء الامن من المكر ولا الخوف لئلا يغلب عليه داء اليأس فان أحس مخايل الموت فليغلب الرجاء لقوله صلى الله

معنى مجالسته صلى الله عليه وسلم سماع حديثه ومجالسته أهل العلم والخير فان العلماء ورثة الانبياء وخلفاء الرسل فلمجالسهم قسط ونصيب من علومهم وأنوارهم فكم من واحد كان فى وادى القطيعة فصار فى حضرة الوصال بسماع آية أو حديث أو حكاية أو شعر حتى قال ابن شافع عليك بحضور مجالس التذكير والوعظ والخير ولو كانت الخير فى بيتك ولم تقدر على ازالتها ولا تقل ما الفائدة فى حضور مجالس الحكمة ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامى ان يرمى ان لم يأخذ اليوم يأخذ غدا ولعل أن تلبس لباس التقوى وأنت بالمجلس وأقل ما تستفيد معرفة باساءة نفسك اى ومن عرف نفسه لم يفته خير وقوله يعنى على الخير يرد قول من قال ان أذلة بالذال المعجمة بمعنى متواضعين متعاظمين أى لان العلم النافع هو الذى يزداد به صاحبه تواضعا واستصغارا لا عتوا واستكبارا وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس عن على كرم الله وجهه مرفوعا من ازداد علما ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا لان هذا المعنى وان كان صحيحا فى نفسه لكنه لا يناسب قوله يعنى على الخير (قال) أى الحسين (فسألته) اى أبى (عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال) اى على (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن) بضم الزاى وكسرها أى يحفظ (لسانه الا فيما يعنيه) بفتح الياء أى يرى فيه فائدة ومصلحة وقد تقدم قول هند طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة ويأتى عن على أيضا ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه (ويؤلفهم) عطف على يخزن أى يجمعهم عليه بحسن خلقه ومواساته وربما مازحهم صلى الله عليه وسلم ويؤلفهم فيما بينهم ويجعلهم كنفس واحدة بحيث لا يبقى بينهم تباغض قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (ولا ينفرهم) اى لا يفعل بهم ما يكون سببا لتنفرتهم عنه لما عنده من مزيد الصفح والعفو والرفق والرقة والشفقة والحلم والتواضع قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقد تقدم قول هند لا تغضب الدنيا وما كان لها ان يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتى عن على قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء وعن أنس لا يكاد يواجه أحدا بشئ يكرهه وعن عائشة لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن على ترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته وقد ورد بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا أو المعنى لا يفعل بهم ما يكون سببا فى نفرة بعضهم من بعض لامرهم بمكارم الاخلاق (ويكرم كريم كل قوم) اى بما يناسبه من التعظيم والتكريم وقد جاء فى حديث كاد ان يكون متواترا اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه قال ابن حجر وهو أفضلهم دينا ونسبا وحسبا (ويوليه عليهم) اى يجعل كريمهم واليا عليهم ترغيبا له فى الاسلام ومراعاة للاهلية فى الولايات وترهيبا من ولاية الاسافل وهذا من حسن نظره

عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أى يظن انه يغفر له ويرحمه قوله وللخوف والرجا قصره ضرورة احفاء أى الحاح على القلب اذا خالفه قال فى القاموس احفى سأل ردده وزيد ألح عليه السؤال وبرح به فى الالحاح انتهى والحاحهما على القلب فى طلب مقتضاهما يؤدى الى منازعتهما اذ مقتضى الخوف انزعاج النفس وقلق شديد لما تتوقعه من المكروه أمامها ومن لازم ذلك الكف عن كل محرم ومشبه ومقتضى الرجاء بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بمحض كرمه * (تنبيه) * استفيد من كلام الناظم كغيره انه لابد من الجمع بين الخوف والرجاء فى

وعظيم تدبيره فان القوم أطوع لكبيرهم مع مافيه من الكرم الموجب للرفق بهم وحسن معاملتهم (ويحذر الناس) على رواية فتح الذال وهى رواية الاكثر معناه يحترز من مكرهم ويتحفظ من اذاهم لكمال عقله وحسن تدبيره فلم يكن مغفلا بل آخذا بالحزم وأما قوله (ويحترس منهم) فمعناه أنه يتحفظ من كثرة مخالطتهم المؤدية الى سقوط هيبته وجلالته من قلوبهم ولكن لايفرط فى ذلك ومن ثم قال (من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه) فالفعلان متغايران والبشر طلاقة الوجه وبشاشة البشرة وعلى رواية تشديد الذال من التحذير فيحتمل ان يكون المعنى يحذر الناس ويخوفهم من عذاب الله ويحثهم على طاعته أو يحذر الناس يخوف بعضهم من بعض ويأمرهم بالحزم (ويتفقد أصحابه) اى يسأل عمن غاب منهم فان كان مريضا عاده وان كان مسافرا دعا له وان كان ميتا استغفر له أخرج الطبرانى وغيره عن سهل بن حنيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويسأل عنهم فمن كان مريضا عاده ومن كان غائبا دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه بالدعاء ومن كان يتخوف ان يكون وجد فى نفسه شيأ قال لعل فلانا وجد علينا فى شئ أو رأى منا تقصيرا انطلقوا بنا اليه فينطلق حتى يأتيه فى منزله (ويسأل الناس) يحتمل كما قال ابن حجر ان يراد بهم العموم ويحتمل أن يراد بهم الخصوص اى يسأل خواص أصحابه وأفاضلهم (عما فى الناس) أى من المحاسن والمساوى ليعامل كلا بمقتضى حاله ومايليق بامثاله ومن ثم قال (ويحسن الحسن) الواقع من غيره أى يظهر حسنه بمدحه أو مدح فاعله (ويقويه) اى يؤيده بدليل نقلى أو عقلى وروى ويصوبه اى يقول فيه هو حسن صواب ترغيبا فيه (ويقبح القبيح) الواقع من غيره أى يظهر قبحه بذمه أو ذم فاعله وان بلغ من الجاه مابلغ قاله ابن حجر (ويوهيه) اى يسقطه عن النظر والاعتبار وفى نسخة يوهنه من الوهن بان يقول فيه هو قبيح ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه قال ابن حجر سؤاله صلى الله عليه وسلم الناس عما فى الناس ليس من الغيبة المنهى عنها لما يترتب عليه من المصالح العامة وفيه ارشاد الى الحكام وغيرهم ممن يكثر اتباعه من الفقهاء والصالحين انه ينبغى لهم ان يتعرفوا أحوال الناس ليعاملوا كلا بما يستحقه ولا يغفلون عن ذلك لئلا يترتب عليه ماهو معروف من الضرر العظيم كما هو مشاهد اه وفى تكميل التقييد عن ابن عرفة مانصه كنت افهم من بعض من لقيت ممن يقتدى به انه ينبغى لمن هو بحيثية ولاية القضاء أو الشورى فيما يعرض من الولايات الشرعية أن يسمع ماينذكر فى بعض اثناء الزمان ممن يعتبر قوله وحده أو مع غيره بنية أن يبنى عليه أحكام التعديل والتجريح لا بنية التفكه وليس ذلك من سماع الغيبة ومنع ذلك يوجب تعطيل الاحكام أو تولية من لا نصح تولية ولولا هذا ماصح ثبوت تجريح فى راو ولا شاهد ولا غيره (معتدل الامر) أى هو معتدل الامر أى الحال والشان على ماقيل

على كل مؤمن كيف ما كان وعلى اى حالة كان وقد وعد تعالى وأوعد وبذلك جاءت انبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام واطردت سنته فى خلقه قال تعالى مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك الآية وقال نبئ عبادى الآية وقال وان ربك لذو مغفرة للناس الآية والاعمال وان كانت علامات بشهادة اعملوا فكل ميسر لما خلق له الخ لكن العلامة قد تتخلف بدليل قوله فى صدر الحديث ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لايبقى بينها وبينه الا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لايبقى بينه وبينها الا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة

من ان الرواية بالرفع وظاهر السياق انه بالنصب عطفا على خبر كان بحذف حرف العطف أى وكان معتدل الامر وكان وجه العدول الى الرفع ومخالفة الاسلوب الاشارة الى المغايرة لان كونه معتدل الامر وما بعده أمور لازمة له لا ينفك عنها أبدا بخلاف تلك الاخبار المتعاطفة كسكونه يخزن لسانه وما عطف عليه فانها تطرأ تارة دون أخرى قاله فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر وقوله (غير مختلف) أى لا افراط فيه ولا تفريط وهو كالتأكيد لما قبله اذ ما لهما واحد والمعنى كما قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ان جميع أفعاله وأقواله صلى الله عليه وسلم على غاية من الاعتدال وهى مع ذلك محفوظة عن ان يصدر منه فيها أمور متخالفة المحامل متناقضة الاواخر والاوائل فان ذلك انما ينشأ عن خفة العقل وسوء الاخلاق والشمائل وأما من كملت فيه المحاسن فجميع أموره منتظمة وأحواله ملتئمة (لا يغفل) عن تذكيرهم وارشادهم ونصحهم وتعليمهم (مخافة ان يغفلوا) عن استفادة على أقواله وكريم أحواله (أو يملوا) الى الدعة والرفاهية وفى نسخة لا يفعل بالفاء والعين المهملة مخافة ان يفعلوا او يملوا ولعل المراد انه كان يترك بعض العبادات مخافة ان تكتب عليهم فيملوا فلا يأتون بها على الوجه المطلوب أو يتركوها بالكلية وهذا من عظيم شفقته صلى الله عليه وسلم (لكل حال) من أحواله وأحوال غيره (عنده عتاد) بفتح العين أى تأهب واستعداد أو شئ حاضر معد لكل ما يحدث من الامور المهمة لما عنده من العلم بمعنى انه لا ينزل به أمر الا وجد منه المخرج لما عنده من النور الذى يفرق به بين الحق والباطل ولكل متق حظ من ذلك قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا (لا يقصر) من التقصير أو لا يقصر من القصور وهو العجز (عن الحق) أى لا يعطى فيه رخصة ولا تهاونا حتى يستوفيه لصاحبه أو لا يعجز عنه حتى لا يتوصل اليه صاحبه (ولا يجاوزه) أى لا يأخذ أكثر منه لكمال عدله وأمانته صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله وعن الربيع بن خيثم كان يتحاكم الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام وعن الحسن ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ أحدا بقذف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل ان لم أعدل (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه (خيارهم) وهم أهل التقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم لانهم الذين يؤتمنون ويوثق بهم علما وفهما وتبليغا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم أى فى الصلاة أولو الاحلام والنهى وكذا ينبغى ان تكون مجالس العلماء ثم فسر الخيار بقوله (أفضلهم عنده) صلى الله عليه وسلم (أعمهم نصيحة) للمسلمين أى أكثرهم نصحا أى دلالة على الخير وأعظمهم ارشادا اليه وترغيبا فيه وانما كان أكثرهم نصيحة أفضل من غيره لان النصيحة من ثمرات قوة ايمان الناصح ومثمرة لقوة ايمان المنصوح ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة

فيدخل الجنة قالوا يا رسول الله اذن نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له الحديث متفق على صحته والقسم الثانى هو الغالب لقوله غلبت رحمتى غضبى ثم من الناس من غلب عليه النظر الى الاعمال فتختلف عليه الاحوال تارة يغلب خوفه على رجائه وتارة بالعكس ومنهم من غلب عليه النظر الى الفضل والعدل فاستوى خوفه ورجاؤه لان اتصافه تعالى بصفات الجلال ليس بأولى من اتصافه بصفات الجمال وبالعكس ومن هنا قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وان المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وروى أن عليا رضى الله عنه قال لبعض ولده يا بنى خف الله

قال النووى هو كقوله الحج عرفة أى معظمه (وأعظمهم عنده منزلة) أى مرتبة (أحسنهم مواساة) أى اصلاحا لاحوال الناس بالمال والنفس (ومؤازرة) أى معاونة فى مهمات الامور فان الوزير هو الذى يوازر الامير أى يعينه ويحمل عنه وزره وثقله بمساعدته له فيما يثقل عليه قال ابن حجر وتبعه غيره وانما قسم مدخله دون مخرجه مع انه كذلك قسم لله وهو وقت الصلاة والتعليم وقسم لنفسه وهو ما تدعوه اليه ضرورته وقسم للناس وهو السعى فى حوائجهم لانهم يعلمون حاله فى خروجه فلم يحتج لتقسيمه أولان أكثر زمن خروجه مصروف للنفع العام بخلاف أكثر زمن دخوله فعلى العكس وبيان الاهم أتم (قال) أى الحسين (فسألته) أى أبى (عن مجلسه) ذكر أحوال المخرج يدخل فيه ذكر أحوال المجلس فهذا خاص بعد عام كما قال ابن حجر (فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر) أى لامتلاء قلبه بجلال الله وتعظيمه ومحبته فكان يستمر بذكره وتمجيده وتعظيمه وحسن الثناء عليه وبدلالة الخلق عليه وترغيبهم فى طاعته وتعريفهم بقدره فلا حديث له الا عنه ولا تعريج له الا عليه * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وفى ملازمته صلى الله عليه وسلم للذكر قائما وقاعدا اشارة الى مزيته فان روح العبادات والمقصود منها انما هو اجلال الله وتعظيمه والثناء عليه بالدلالات القولية والفعلية وقد قيل فى معنى قوله تعالى ولذكر الله أكبر أى أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقيل أفضل ما أعطاه الله لعباده فى الدنيا الذكر وأفضل ما أعطاهم فى العقبى النظر اليه فذكر الله فى الدنيا كالنظر فى الآخرة فالذاكر بلسانه مع حضور قلبه مشاهد له بسره ناظر اليه بفؤاده ماثل بين يديه بيدنه فكانه فى الجنة يرتع ويكفى فى مزية الذكر قوله تعالى اذكرونى أذكركم حيث لم يجعل جزاء ذكره الا ذكره فمن ذكره وذكر الله للعبد أعظم من الحسنة متضاعفة وهو أحد الاحتمالين فى قوله تعالى ولذكر الله أكبر وبالجملة فيكفى العبد شرفا كونه فى خدمة سيده وعن ابن عمر كنا نعد للنبى صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم والاحاديث فى فضل الذكر كثيرة (واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس) أى لكرم أخلاقه ومزيد تواضعه لم يكن يجلس فى صدر المجلس وكان هذا فى أول الامر ثم ابتنوا له دكانا بعد ذلك ليسمع البعيد ويعرفه الغريب أو مراده فى غير المسجد (ويأمر بذلك) أى بالجلوس عند منتهى المجلس لما فى التصدر من الترفع والتكبر المنافى للعبودية وقد روى الطبرانى والبيهقى عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه (يعطى كل جلسائه نصيبه) أى نصيبه من البشر والكرامة اللائقين به فالباء زائدة فى ثانى مفعولى أعطى للتأكيد ويحتمل ان يكون الجار والمجرور صفة لمفعول مقدر أى

خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله عز وجل رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك وقال عمر رضى الله عنه لو نادى مناد كلكم فى الجنة الا واحدا لخفت أن أكون ذلك الواحد ولو نادى مناد كلكم فى النار الا واحدا لرجوت ان أكون ذلك الواحد

(صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعات واستأثرت بها الاقوياء ان لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء)

صاح أصله ياصاحبى وفيه نوع تجريد اذ الاصل يانفسى لا تأس من رحمة الله ان ضعفت عن الطاعات لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن أهوال القيامة

شيأ بقدر نصيبه (لايحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه) أى لكمال خلقه وحسن معاشرته وعظيم بشره وتقريبه يظن كل أحد انه أقرب الناس اليه وسيأتى فى باب الخلق قول عمرو بن العاصى كان يقبل بوجهه وحديثه على حتى ظننت انى خير القوم الحديث (من جالسه أو فاوضه صابره) أى استمر معه ولا يبادر بالقيام ولا يقطع الكلام ولا يظهر الملل والسآمة (حتى يكون) ذلك المجالس أو المفاوض (هو المنصرف عنه) وهذا من عظيم خلقه وكريم تواضعه صلى الله عليه وسلم (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور) حسن (من القول) هذا من كمال سخائه ومروءته وحيائه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطى أعرض عن السائل منتظرا لما يأتى به الله من الرزق وكره الرد فلما نزل قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا كان يقول يرزقنا الله وايا كم من فضله أو يعدهم بعطاء اذا جاءه كما وقع له مع كثيرين ولما استخلف الصديق وجاءه مال قال من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليأتنا فوفاهم وكان صلى الله عليه وسلم ربما يعطى السائل ثم يرغبه فى الاستعفاف والاكتفاء بالله تعالى وفى رفع الهمة عن الخلق ففى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى أن ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ثم سألوه فاعطاهم حتى نفد ما عنده فقال ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وقال بعضهم فى ذم السؤال

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وفى هذا الحديث انه لا بأس بسؤال من كان من الاعيان لاسيما ان كان ذا سلطان قال بعضهم

اسأل الخير ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكبار بذل * انما الذل ان تجل الصغارا

(قد وسع الناس بسطه) أى انبساطه وبشره وطلاقة وجهه (وخلقه) أى حسن خلقه أى مداراته الظاهرة والباطنة أو المعنى عمهم ببسط يده وسماحة نفس شبه طلاقة وجهه وحسن خلقه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه وسع فوقعت الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل تبعية (فصار لهم أبا) أى لشدة شفقته عليهم وحسن تدبيره لهم بل أعظم لان غاية الاب ان يسعى فى صلاح الظاهر وهو صلى الله عليه وسلم يسعى فى صلاح الظاهر

واستأثرت أى انفردت واختصت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من الذمائم الوفاتها وأعظم مشتهياتها وقوله ان الله رحمة هذا كالتعليل لما قبله وتنكير رحمة للتعظيم أى لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تم القوى والضعيف والوضيع والشريف والضعفاء أحق الناس بتلك الرحمة والمراد بهم الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لابد منه واخلاصهم لله تعالى فى عبادتهم فهم أقوى نية فى العبادة وأبعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الاقوياء وفى الحديث القدسى

والباطن ومن ثم أشفق على ذوى الكبائر من أمته وأمرهم بالستر فقال ومن ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليستتر وأتى برجل تكرر منه شرب الخمر بعد تحريمه فلعنوه فقال لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله وللعلماء رضى الله عنهم حظ ونصيب من الرحمة والشفقة والسعى فى اصلاح الظاهر والباطن ومن ثم رجح كثير من العلماء حق المعلم على حق الوالد وقال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى ينبغى لكل مسلم ان يكرم علماء زمانه ويجلهم ويوقرهم ولايرى لنفسه قدرة على مكافأتهم ولو أعطاهم جميع ما يملك وخدمهم عمره كله وان يخاطبهم بالاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ومن أخل بواجب حقوق العلماء فقد خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وقد مال الى ذلك من كفر من قال هذه عمية العالم بالتصغير اه وقد تقدم شئ من هذا فى ترجمة الكتاب (وصاروا عنده فى الحق سواء) فلا يطمع أحد ان يتميز على أحد لكمال عدله صلى الله عليه وسلم (مجلسه مجلس علم) وفى نسخة حلم لانه كان مشغولا فى مجلسه بتزكية نفوسهم وتكميل قواهم (وحياء) ولذلك كانوا يجلسون معه على غاية من الادب كأنما على رؤسهم الطير (وصبر) أى منه على الجفات وسيأتى ويصبر للقريب على الخفوة فى منطقه ومسئلته وستأتى شواهد ذلك فى باب الخلق (وأمانة) أى منهم على مايقع فيه (لاترفع فيه الاصوات) أدبا ووقارا وهيبة واجلالا وقد عاتب الله قوما فعلوا ذلك بقوله يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية وهذا فى الغالب وربما وقع لحاجة كمجادلة معاند وارهاب عدو وقد أمر العباس يوم حنين ان ينادى بأعلى صوته وكان جهورى الصوت (ولاتؤبن) بضم التاء وسكون الهمز ويجوز ابداله واوا وفتح الموحدة من الابن وهو العيب أو التهمة (فيه) أى مجلسه (الحرم) بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهى مالايحل انتهاكه أى لاتنتهك فيه حرمة أحد بغيبة ونحوها وروى بضمتين فالمراد به النساء أى لايذكرن فيه بسوء لصون مجلسه عن رفث القول وقبيحه يقال أبنت الرجل اذا رميته بخلة سوء ورجل مأبون أى مقذوف بها وفى القاموس ابنه بشئ يأبنه ويأبنه اتهمه فهو مأبون بخير أو شر فان أطلقت فقلت مأبون فهو بشر (ولاتنثى) بضم أوله وسكون النون وفتح المثلثة أى لاتشاع ولاتذاع بل تستر ولاتذكر (فلتاته) بفتح الفاء واللام أى زلاته ومعايبه على تقدير وقوعها والمراد كما قال ابن الاعرابى انه لم يكن فى مجلسه فلتات فتنثى فالنفى للفلتات نفسها لا لنثوها فقط على حد لايسألون الناس الحافا قال ابن حجر فان قلت وقعت فلتات من أجلاف العرب كقول بعضهم له صلى الله عليه وسلم اعطنى من مال الله الذى آتاك لا من مال أبيك وجدك وقول الانصارى المخاصم للزبير فى السقى فقضى به صلى الله عليه وسلم له ان كان ابن عمتك قلنا مثل هذه من هؤلاء الاجلاف لايسمى فلتة كيف وهى دأبهم وشأنهم وانما يسمى فلتة ماوقع من كامل على خلاف طبعه وعادته وهذه لم يحفظ وقوع شئ منها فى مجلسه فان حفظ كان

انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى أى لان مطلوبهم رضائى ومعتقدهم ان لاعمل لهم وفى الحديث ان الله لاينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب أى لاالى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما فى القلوب من اخلاص وافتقار أوضدهما

(فابق فى العرج عند منقلب الذو دفنى العود تسبق العرجاء)

هذا كالاستدلال على ان الضعيف قد يحصل له مالايحصل للقوى بمثال ظاهر فى الوجود والعرج جمع أعرج والمنقلب الرجوع والذود الجماعة من الابل أى فبسبب الاحقية المذكورة للضعفاء ابق فى الضعفاء المشبهين بالعرج عند منقلب الذود فنى العود تسبق العرجاء الى ربها فتفوز منه بمأمولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربما أوجب لك السبق المكثر

المراد

المراد لو وقعت نادرا استترت على صاحبها اه وقد ورد اقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم الا الحدود خرجه فى الجامع الصغير عن الامام أحمد فى مسنده والبخارى فى الادب وأبى داود عن عائشة (متعادلين) أى كانوا متعادلين أو حال كون أهل مجلسه متعادلين أى متساوين لا يتكبر بعضهم على بعض بالحسب والنسب والوجاهة الدنيوية بل لا يرى أحدهم لنفسه تميزا على جليسه وان كان أجل منه علما وأقدم منه صحبة كما قال ابن حجر ويرحم الله القائل

فلا تحقرن شخصا من الناس علة * ولى الله العالمين ولا تدرى
فذو القدر عند الله خاف عن الورى * كما أخفيت عن علمهم ليلة القدر

ويكفى فى ذلك للمؤمن قول الله تعالى ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الآية (يتفاضلون فيه بالتقوى) أى يكون التفاضل بينهم فيه عنده صلى الله عليه وسلم بالتقوى وما يتعلق بها علما وعملا فالاتقى هو الافضل وان كان غيره غنيا أو وجيها فكان مجلسه صلى الله عليه وسلم منزها عن تفضيل الاغنياء على الفقراء بل كان تفضيله دائرا مع الدين وقوة الايمان ولما نزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية جعل يفتش على فقراء أهل الصفة فى أخريات المسجد ويقول معكم أمرت ان أقيم وقد تقدم قوله أفضل الناس عنده اعمهم نصيحة وأحسنهم مواساة ومؤازرة وفى نسخة يتعاطفون بدل يتفاضلون وهو قريب منه فى المعنى وملائم لقوله (متواضعين) أى كانوا متواضعين أو حال كونهم متواضعين (يوقرون الكبير) عمرا أو قدرا (ويرحمون الصغير) كذا روى المصنف فى جامعه عن أنس ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا (ويؤثرون) على أنفسهم فى مجلسه صلى الله عليه وسلم (ذا الحاجة) فى تقربه من النبى وتحدثه معه وغير ذلك (ويحفظون الغريب) فيحتمل من الرجال اى يحفظون حقه ويرعون وده واكرامه ويدفعون عنه كربة الغربة ويحتمل الغريب من المسائل أى يعتنون بحفظه وضبطه واتقانه *(تنبيه)* لا يلزم من اتعاظهم فى مجلسه صلى الله عليه وسلم وحصول هذه الاحوال السنية لهم والكمالات المرضية والاخلاق الزكية دوام ذلك لهم بحاله بعد مفارقته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه كما عند أحمد وغيره قلنا يا رسول الله مالنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا فى الدنيا وكنا من أهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك وعافسنا أهلنا وشممنا أولادنا أنكرنا قلوبنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندى كنتم على حالكم لزارتكم الملائكة فى بيوتكم الحديث وسيأتى نحو هذا عن حنظلة فى باب الوفاة عند قول أنس وما نفضنا أيدينا من التراب حتى أنكرنا قلوبنا * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع) على وزن سريع (نا بشر بن المفضل نا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدى الى كراع) هو

منها لانه قد يعجبك من المال والافتقار والاخلاص ما يخلف تأخرك بخلاف المكثر فقد يعجبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ولذا قال تاج العارفين ابن عطاء الله رحمه الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا انظر شرحه

(لا تقل حاسد الغير لك هذا أثمرت نخله وتخلى عنها)

أى واذا تأخرت عن الطاعة اضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حالة كونك حاسدا الغير الذى أكثر منها اى مقتنيا وال التوفيق عنه هذا القوى بسبب قوته أثمرت نخله اى كثرت أعماله فتشبيها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح وآثر التشبيه بالنخل لفضلها وخلقها من فضل طينة آدم ولذا قال صلى الله

مادون الركبة أومادون الكعب (لقبلت) اى تواضعا وتعظيما لنعمة الله لانه كان يعظم النعمة وان قلت وتخلقا باخلاق الله تعالى قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فمن الخلق الجميل قبول القليل والجزاء بالجزيل ولان الهدية على قدر المهدى لا على قدر المهدى اليه قال فى حياة الحيوان فى ترجمة الهدهد حكى القزوينى ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد ان تكون فى ضيافتى قال أنا وحدى قال لا أنت وعسكرك فى جزيرة كذا فى يوم كذا فحضر سليمان بجنوده وطار الهدهد فاصطاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر وقال كلوا باسم الله من فانه اللحم فليدرك المرق اه فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا وفى ذلك قيل

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة * أهدت له من جراد كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا ومافيها

(ولو دعيت عليه) أى اليه كما فى نسخة (لاجبت) اى الداعى ولم أتكبر على الداعى ولو كان حقيرا ولا على المدعو اليه ولو كان صغيرا لان المقصود بالاجابة جبر قلب الداعى والتودد اليه لا الطعام وبهذا اللفظ رواه أحمد وابن حبان عن أنس أيضا كما فى الجامع الصغير والذى فى شرح السنة عن أنس لو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت وكذا رواه البخارى عن أبى هريرة قال العسقلانى زعم بعض الشراح ان المراد بالكراع المكان المعروف بكراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة وانه أطلق ذلك على سبيل المبالغة فى الاجابة ولو بعد المكان لكن الاجابة مع حقارة الشئ أوضح فى المراد ولهذا ذهب الجمهور الى ان المراد بالكراع هنا كراع الشاة قال وحديث أنس المذكور فى الشمائل يؤيده اه والتأييد ظاهر وان اختلفت الرواية عن أنس لان ضمير اليه أو عليه راجع الى ماذكر من كراع الشاة فيكون نصا فى المقصود انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن نا سفيان عن محمد بن المنكدر) تابعى جليل القدر فى العلم والعمل مستجاب الدعوة (عن جابر بن عبد الله قال جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس براكب بغل ولا برذون) أى ولا بالك ولا عندك كعادة الملوك والمراد انه جاء يعوده ماشيا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وامتهانا لنفسه فى طاعة الله تعالى ففى البخارى بهذا الاسناد مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى اغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على قال فأفقت الحديث فقوله بغل ولا برذون اى ولا غيرهما خلافا لمن أخذ بمفهومه والبرذون هو الفرس الاعجمى وهو أصبر من العربى والعربى أسرع منه وسمى بذلك لثقله وأصل البرذنة بالذال المعجمة الثقل * قال المصنف

(حدثنا

عليه وسلم أكرموا عماتكم النخل وللآدمى بها شبه حسى ومعنوى وقوله وتخلى عفاء بالفتح أى اعمالى كالتراب لا ثمرة لها ولا اعتداد بها بسبب ضعفى لانك حينئذ تعترض على الحكيم فى فعله ولذا كان الحسد حراما ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واحترز بقوله حاسدا عما اذا قال ذلك غبطة وهى ان تتمنى مثل ما للغير مع بقائه له وهو محمود كما تقدم

(وأت بالمستطاع من عمل البر رفقد يسقط النهار الاتاه)

هذا كالتحذير من ان تتكل على رجائك فقط من غير عمل بل لابد من العمل مع الرجاء امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وهى مبينة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وقيل ناسخة لها وقد فسرها صلى الله عليه وسلم بان يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فقالوا أينا

(حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا أبو نعيم نا يحيى بن أبى الهيثم العطار قال سمعت يوسف بن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام لاغير كما نص عليه الائمة وفى شرح الشفاء للتلمسانى عن بعضهم انه يجوز فيه التشديد وعبد الله بن سلام هذا صحابى جليل اسرائيلى مدنى من علمائهم وأهل الشرف منهم شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام أسلم هو وجميع أهله بنفس دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وقضية اسلامه ومناقبه مذكورة فى الصحيحين وغيرهما (قال) يوسف (سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوسف وأقعدنى فى حجره) فى المغرب هو بفتح الحاء وكسرها الحضن وهو ما دون الابط الى الكشح وفى ابن حجران الحجر بالكسر ما بين يديك من بدنك وبالفتح فرج الرجل والمرأة وفى النهاية الحجر بالفتح المنع من التصرف واليتيمة فى حجر وليها يجوز ان يكون من حجر الثوب وهو طرفه المقدم لان الانسان يربى ولده فى حجره والحجر بالفتح والكسر الثوب اه (ومسح على رأسى) زاد فى رواية الطبرانى ودعا لى بالبركة فهو من صغار الصحابة وقد تقدمت روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر باب الادام قال الواقدى كنيته أبو يعقوب قال ابن حجر وفى الحديث انه يندب ان يقتدى ويتبرك به تسمية ولد أصحابه وتحسين الاسم وان أسماء الانبياء من الاسماء الحسنة ووضعه فى الحجر ومسح رأسه وفى ذلك كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وعظيم رحمته وتواضعه وملاطفته * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا أبو داود أنا الربيع هو ابن صبيح نا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم جج على رحل رث وقطيفة كنا نرى ثمنها أربعة دراهم) تقدم الجزم بانها لا تساوى أربعة دراهم والقضية متحدة لانه لم يحج الا مرة واحدة فاثبات المساواة على التنزل والمسامحة ونفيها على المضايقة والمماكسة (فلما استوت به راحلته) قال التورپشتى أى رفعته مستويا على ظهرها وقال الطيبى أى استوت راحلته ملتبسة به فقوله به حال والراحلة من الابل البعير القوى على الاسفار والاحمال الذكر والانثى فيه سواء (قال لبيك) اى اقامة على اجابتك بعد اقامة (بحجة لا سمعة فيها ولا رياء) بل خالصة لوجه الله تعالى فى الرواية المتقدمة انه دعا بذلك فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وتقدم ان ذلك من باب التواضع واظهار الفاقة والفقر بين يدى الله تعالى وللتشريع والتعليم وكذا قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى عن أبى موسى اللهم اغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وهزلى وكل ذلك عندى * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق أنا معمر عن ثابت البنانى وعاصم الاحول عن أنس بن مالك ان رجلا خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب له ثريدا عليه دباء قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الدباء وكان يحب الدباء قال ثابت فسمعت أنسا يقول فما صنع لى طعام أقدر على ان يصنع

يطيق ذلك فنزلت الآية الاولى مبينة أو ناسخة مخففة قال معروف الكرخى رضى الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقوله فقد يسقط الثمار الاتاء اى قد يفتح القليل مالا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وانكسار كما انه قد يسقط الثمار الكثيرة النفيسة الاتاء أى النخل الصغار اذا خلصت أرضه وزاد ريه وخصبه ولا يسقط ذلك البكار فكذلك أقت قد تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق مالم يفز به القوى الناظر الى قوته ونفسه ولا يخفى ما فى كلامه من التخييل والتذييل وتفسير الاتاء بالنخيل الصغار وقع فى كلام الشارح

لى فيه دباء الاصنع) تقدم أثناء أحاديث باب الادام ما يتعلق بمعنى هذا الحديث وان لم يكن بلفظه وذكره المصنف هنا لان فيه دلالة على مزيد تواضعه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى (نا عبد الله بن صالح نى معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت قيل لعائشة ماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته قالت كان بشرا من البشر) اى فيعمل فى بيته ما يعمله عامة البشر تواضعا وارشادا للتواضع ولا يترفع عن الافعال العادية تكبرا كعادة الملوك ومن ثم قالت (يفلى ثوبه) أى يلتقط القمل منه وان كان محفوظا من اذايته له صلى الله عليه وسلم كما انه محفوظ من توله من ذاته الشريفة لطهارته وطهارة سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويحلب شاته) بضم اللام ويجوز كسرها (ويخدم) بضم الدال وتكسر (نفسه) من عطف العام على الخاص وذلك كصب الماء فى الوضوء والغسل على الاعضاء وجاء فى رواية عنها أيضا كان يخيط ثوبه ويخصف نعله وفى رواية أحمد ويرقع دلوه وفى البخارى عن الاسود قال سألت عائشة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله قالت كان فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة ففى ذلك انه ينبغى للرجل ان يكون فى بيته متواضعا فلا يتربب على أهله ويكون عندهم كالاسير عليهم وفى مختصر السيرة للمحب الطبرى انه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفونى ولكن أكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا عن أصحابه وروى ابن عساكر هذه القصة وروى أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان فى الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه ناولنى أصلحه فقال هذه أثرة ولا أحب الاثرة وفى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم قدم وفد النجاشى فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكافئين وأنا احب ان أكرمهم اه ثم من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان بشرا من الابشار لكنه كالياقوت بين الاحجار وقد أبان هذا المعنى وكشف عنه غطاءه من قال فى صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار وأشار الى ذلك بعضهم بقوله

محمد بشر لا كالبشر * بل هو كالياقوت بين الحجر

يشير الى انه صلى الله عليه وسلم كان بشرى الظاهر ملكوتى الباطن فمعانى الانبياء وأخلاقهم وصفات بواطنهم من عصمة وعلوم ومعارف وشهود وغير ذلك كمعانى الملائكة بل أكمل على ما هو الصحيح من انهم أفضل من الملائكة على جميعهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتى شيأ من أحوال البشرية الا تأنيسا لامته ونشر يعالها لا انه محتاج الى شئ من ذلك وقد لوح لهذا المعنى سيدنا عمر بن الخطاب

والذى فى القاموس الاناء بالفوقية كسحاب ما يخرج من الشجر والثمار والاناء كاناء المثلثة الحجارة وعلى هذا يمكن تنزيل كلام الناظم اى ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط بعض ثمرها بضربة بحجر

(وجب النبى فابغ رضا الله * ففى حبه الرضا والحباء)

اعلم ان أفضل الاعمال وأسرعها انتاجا وأعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فانها سبب لكل خير دنيوى وأخروى وحينئذ فعليك ان تكون ممن امتلأ قلبه بحب هذا النبى الكريم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

قوله بشر يتعين ترك تنوينه لو وزن اه صحيح

رضى الله عنه بقوله والله يارسول الله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت الا انا والحاصل انه صلى الله عليه وسلم داخل فى جنس البشر وخارج عنه باعتبارين مختلفين داخل باعتبار ذاته الكريمة وصفاته الظاهرة وخارج باعتبار باطنه المقدس ومعانيه العلية ويرحم الله البوصيرى حيث قال

فبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

(باب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الخلق بالضم وبضمتين السجية والطبيعة فهو عبارة عن أوصاف الصورة الباطنة والسجايا النفسية التى طبع الانسان عليها كما ان الخلق بالفتح عبارة عن أوصاف الصورة الظاهرة وكل من أوصاف الظاهر وأوصاف الباطن يكون حسنا ويكون قبيحا والمراد من الترجمة بيان ما جاء من الاخبار فى أوصافه الباطنة صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها التواضع وقد تقدمت ترجمته ومنها الحياء وستأتى ترجمته ومنها حسن المعاشرة والصفح والعفو والاحتمال والسخاء وهى المذكورة فى هذه الترجمة ومنها الصبر والشكر والعدل والزهد والشجاعة والصمت والوقار والتؤدة والمحبة والامانة والعبادة والخوف والشفقة وغير ذلك وقد سبق الكلام عليها فى مواضع متفرقة وبالجملة فكما حاز ظاهره صلى الله عليه وسلم الجمال كله على أتم ما ينبغى وأكمل ما يكون فقد حاز باطنه صلى الله عليه وسلم الكمال كله على أتم ما ينبغى وأكمل ما يكون فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل وقد تقدم ان المحاسن الظاهرة أعلام على الاخلاق الباطنة ولاجل ذلك لما اختص صلى الله عليه وسلم من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الاخلاق الجميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

واعلم ان أصول هذه الاخلاق العظيمة جبلية جبل عليها صلى الله عليه وسلم فى أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى بعثتهم حقق ذلك كما قال فى الشفاء وأما كمالها وتمامها فهو مكتسب من القرآن فهى جبلية مكتسبة من القرآن باعتبارين فقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن تعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره كقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتى هى

فاتبعونى يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم نرى مؤمنا يخشع ومؤمنا لا يخشع فقيل بم توجد أو بم تنال وتكتسب قال بصدق الحب فى الله قيل وبم يوجد حبه الله أو يكتسب فقال بحب رسوله فالتمسوا رضا الله ورضا رسوله فى حبهما وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون

أحسن الآية وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن الآية وغير ذلك من التأديبات التي لا تحصر * قال العارف السهروردي وفي قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن هذا بأن خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستر للحال بلطيف المقال لوفور عقلها وكمال أدبها اه وقد تقرر عند العارفين ان أسماءه تعالى كلها صالحة للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق لا للتخلق قال في جمع الوسائل وفيه ايماء الى أن أوصاف خلقه العظيم لا تتناهى كما ان معاني القرآن كذلك وهذا غاية في الاتساع ونهاية في الابتداع ومن ثم وسعت أخلاقه أخلاق أفرادا أصناف بني آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم ولذا أرسله الله الى العرب والعجم والانس والجن وسائر الامم بل والى الملائكة والنباتات والجمادات كما بينته في شرح الصلوات على ما يدل عليه قوله في صحيح مسلم بعثت الى الخلق كافة اه أي فجعله الله تعالى القدوة العظمى لجميع الخلق في كل علم وحكم وحكمة وخلق حسن وكل كمال على الاطلاق * قال الشيخ أبو الحسن الحرالي رضي الله عنه لما كان عرفان قلبه عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل كما قال عليه الصلاة والسلام ربي عرفت كل شئ كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم فكل من كان الله ربه فمحمد صلى الله عليه وسلم رسوله وكما ان الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين اه ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه صلى الله عليه وسلم ويتضح معنى قوله لا يعرف في حقيقة غير ربي قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعب الايمان من ذا الذي يصف خلقه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فلا أعظم مما عظم الله عز وجل (حدثنا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين) كذا في أكثر الروايات وفي رواية مسلم تسع سنين وكأنه ألغى الكسر لان خدمة أنس له كانت في أثناء السنة الاولى (فما قال لي أف) اسم فعل للتضجر والتأوه وأصل الاف وسخ الظفر والاذن ويقال لكل ما يتضجر ويستثقل أف له ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى فلا تقل لهما أف وذكر القاضي وغيره فيها عشر لغات فتح الفاء وضمها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين فهذه ست وبضم الهمزة واسكان الفاء وبكسر الهمزة وفتح الفاء وأفي وأفه بضم همزتهما وذكر الكرماني فيها تسعا وثلاثين لغة وزاد ابن عطية واحدة فاكملها أربعين (قط) قال ابن حجر بضم الطاء المشددة مع فتح أوله وضمه وبفتح فسكون أو كسر مع التشديد وعدمه وهي لتوكيد نفي الماضي اه (وما قال لي لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) قال المناوي زاد في رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل وما قدر الله كان ولو قضى

لكان

يارب أي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهو قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اه والحباء بكسر الحاء العطاء ولله در القائل ألا يا محب الخ(١)

(يا نبي الهدى اغاثة ملهو
ف أضرت بحاله الحوباء)

هذا رجوع منه الى الضراعة واظهار ما به من التحسر والتحزن والاستغاثة لمن لا يخيب المستغيثين به والهدى يطلق على الدلالة على الله وهو عام ومنه وانك لتهدي الى صراط مستقيم ويطلق على الايصال اليه وهو خاص بالمؤمنين ولذا قال له انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله اغاثة اما بالرفع خبر مبتدا محذوف اي مسئولي الاغاثة بان يخلص من

(١) قوله ألا يا محب الخ لفظ البيت ألا يا محب المصطفى زد صبابة
وضمخ لسان الذكر أبا بطيبه
اه من هامش الاصل

لكان وماذاك الا لكمال معرفته بأنه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله وان الخلق آلات
و وسايط فلا معنى للغضب عليهم حينئذ وقال بعضهم سبب ذلك انه كان يشهد
تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب فى المحب لا يعلل بل يسلم اذ كل ما يفعله المحبوب
محبوب اه فعدم مؤاخذته صلى الله عليه وسلم لانس فى هذه المدة المديدة من كمال
خلقه وتفويض أمره وملاحظة تقدير ربه لا من كمال أدب أنس رضى الله عنه كما قيل
لان المقام يقتضى مدحه عليه السلام لا مدح أنس نفسه بهذا الكلام وقد أورد ابن
الجوزى فى كتاب الوفا عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما سبنى سبة قط ولا ضربنى ضربة قط ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بامر قط فتوانيت
فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئ كان اه فهذا صريح فى
انه كان يقع منه ما يعاتب عليه ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يؤاخذه فى ذلك
وهذا كله بالنسبة لما يتعلق بآداب خدمته عليه السلام وحقوق ملازمته لا فيما يتعلق
بالتكاليف الشرعية من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده فانه انما كان يجرى فيها على
الصواب اذ لا يسعه صلى الله عليه وسلم السكوت عليها لانها من قبيل الامر بالمعروف
وفى ذلك فضيلة تامة لانس حيث لم ينتهك من محارم الله شيأ ولم يرتكب فى تلك السنين فى
خدمته ما يوجب المؤاخذة شرعا وذلك كله ببركة خدمة النبى صلى الله عليه وسلم
ومحبته فان من تحقق بحالة لم يخل حاضر وهو منها او المرء على دين خليله فالمحبوب اذا
كانت له بركة وجرى على السداد والتوفيق يكون من صحبه كذلك ببركته فالصاحب
بالنسبة للمحبوب كالفتيلة اذا قربت من السراج اشتعلت منه بالمجاورة * قال شيخ
شيوخنا سيدى عبد القادر الفاسى رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ومن هذا الحديث أخذ
الصوفية التربية بالهمة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤدب أنسا بمجرد الهمة قال
وهذا هو الذى بقى اليوم وأما التربية بالاصطلاح فنقل الشيخ زروق رضى الله تعالى
عنه انها انقرضت منذ أعصار ولم يبق الا الافادة بالهمة والحال قال فى الاصابة جاءت
به أمه أم سليم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وقالت له
يا رسول الله هذا ابنى غلام كيس يخدمك فقبله وكناه أبا حمزة ومازحه فقال له يا ذا الاذنين
وخرج معه الى بدر وشهد بدرا ولم يعد من البدريين لانه لم يكن فى سن من يقاتل وفى
البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى طلحة التمس غلاما من غلمانكم يخدمنى
حتى أخرج الى خيبر فخرج أبو طلحة يردفنى وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وفى الصحيحين عن أنس قال قالت أمى يا رسول الله
خادمك ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته الحديث فلم يمت حتى
رأى من ولده وولد ولده نحو المائة والعشرين وج ومعه نحو السبعين وكان له بستان
بالبصرة يطعم فى السنة مرتين وتشم من رياحينه روائح المسك وكانت عنده شعرات

شدة أو يخفها واما بالنصب
مفعول مطلق أى أستغيث بك
استغاثة ملهوف مضطرب
متحسر محتاج الى من ينقذه من
الهلاك من صفته انه أضرت
بحاله الحوباء اى مسكنة ذنوبه

(يدعى الحب وهو يأمر بالسو
ومن لى أن تصدق الرغباء)

أى يزعم انه يحب الله ورسوله
والحالة انه يصدر منه ما يكذب
دعواه لانه يأمر نفسه أو غيره
بالسوء أى الاثم فعلا وتركا
والمخالفة تفضح عن عدم المحبة
وتفضح مدعيها قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

ولذا قيل
تعصى الاله وانت تظهر حبه
هذا العمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لثابت البنانى ضعها تحت لسانى فوضعها ودفن وهى تحت لسانه وعن أبى هريرة قال مارأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعنى أنسا وتوفى فى قصره بالطف على فرسخين من البصرة سنة احدى وتسعين أوثلاث وتسعين عن مائة سنة الا سنة أوعن مائة وسبع سنين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة الا أبا الطفيل وهو أحد المكثرين من الرواية وجملة ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتا حديث وستة وثلاثون حديثا فى الصحيحين منها ثلثمائة وثمانية عشر وهو أنس بن مالك ابن النضر بن ضمضم بن زيد النجارى يكنى أبا حمزة كما تقدم وفى الصحابة رجل آخر يسمى أنس بن مالك ويكنى أبا أمية القشيرى وقيل الكعبى وكعب أخو قشير (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا) الاشهر أنه بضم الخاء واللام وعليه فهذا تعميم بعد تخصيص لئلا يتوهم ان هذا شأنه مع أنس فقط ويحتمل كما قال الكرمانى أنه بفتح الخاء وعلى كل حال فلا حاجة الى ادعاء زيادة من لانك اذا قلت زيد من أفضل علماء البلد لم ينف ذلك كونه أفضلهم اذ الافضل المتعدد بعضه أفضل من بعض كما قاله ابن حجر وزيادة من فى الايجاب لا يقول بها الجمهور اه وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال قلت يارسول الله وماحسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك (ولا مست) هذا انتقال من صفات الخلق بالضم الى صفات الخلق بالفتح (خزا) هو المركب من حرير وغيره وأظهر الاقوال فيه عندنا انه مكروه لتعارض الادلة فيه وعند الشافعية مباح ان لم يزد الحرير وزنا وعند الحنفية ان كان السدى حريرا واللحمة غيره فهو مباح وعكسه حرام الا فى الحرب (قط) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها بعد قوله (ولا حريرا) أى خالصا (ولا شيأ) تعميم بعد تخصيص (كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت) بكسر الميم وفتحها (مسكا قط ولا عطرا) هو مطلق الطيب فهو تعميم بعد تخصيص (كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق الكلام على هذا فى صدر ترجمة التعطر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن عبدة هو الضبى والمعنى واحد قالا نا حماد بن زيد عن سلم) بفتح فسكون (العلوى) بفتح أوله (عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عن حاله (انه كان عنده) عليه السلام (رجل به أثر صفرة) أى من طيب أو زعفران (قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يواجه) أى لا يقرب من أن يقابل (أحدا بشئ) أى مما ليس بمحرم (يكرهه فلما قام) ذلك الرجل (قال للقوم لو) تمنية أو شرطية وجوابها محذوف أى لو (قلتم له يدع هذه الصفرة) لكان ذلك حسنا قال عياض اختلف فى المغير بالزعفران فاجازه مالك لحديث ابن عمر رأيتك تصنع أربعا لم قال ورأيتك تصبغ بالصفرة وبحجة من نهى حديث نهى أن يتزعفر الرجل وهو عندنا محمول على ان

ولهذا أشار الى غنه ان يصدق فى دعواه المحبة فقال ومن لى ان تصدق الرغباء فمن استفهامية أى من الذى يتكفل لى وفيه التفات والرغباء العزيمة المصممة فى الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب مع ظهور ما يكذبه نقص من كماله فلا ينافى اصله

(أى حب يصح منى وطرفى واصل للكرى وطيف لمراه)

يعنى انه لاجل ما صحبه من الغفلة عن محبوبه فاى حب يصح والحال ان طرفه واصل للكرى أى النوم فى سائر أوقاته المعتاد له وليس هذا من شأن الحب وطيف لمراه أى خيال أيها المحبوب راءه أى محبب عنى كما اجتنبت الراء عن واصل بن عطاء كان يجتنب الراء فى كلامه

بغير بدنه بزعفران لما فيه من التشبه بالنسوان اه قلت اذا كان هذا الاثر فى الثوب كان القول بالجواز مشكلا لانه خلاف ما فى هذا الحديث وان كان فى البدن كان تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس مشكلا لانه يجب على القادر المبادرة الى النهى عن المنكر وقد ثبت فى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفى رواية قلت أغسلهما قال بل أحرقهما فبادر صلى الله عليه وسلم بالنهى ولعل الامر بالاحراق محمول على التغليظ كما قال عياض وقد تقدم أثناء باب اللباس ما فى لبس الاحمر من الخلاف بين العلماء وان مالكا قال لا أعلمه حراما وغيره أحب الى منه اللهم الا أن يقال المراد بالجواز عند القائل به مقابل المنع فلا ينافى ذلك أنه مكروه وحينئذ فلا يشكل تأخير الامر بتركه لمفارقة المجلس بل يكون التأخير اشارة الى أن النهى للكراهة أو خلاف الاولى كما أشار اليه ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق عن أبى عبد الله الجدلى) بفتح الجيم والدال نسبة الى قبيلة جديلة (عن عائشة أنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا) أى ذا فحش فى أقواله ولا فى أفعاله وهو ما يخرج عن مقداره حتى يستقبح ويستهجن شرعا أو طبعا واستعماله فى القول أكثر منه فى الفعل والصفة ومنه السب واللعن (ولا متفحشا) أى ولا متخلقا بالفحش فنفت عنه الغريزى منه والمكتسب (ولا صخابا) الصخب بالصاد المهملة الصياح ويقال بالسين والاول أشهر والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل على حد ما قيل فى آية وما ربك بظلام للعبيد بقرينة ان المقام للمدح ولا يكفى نفى المبالغة فيه فقط (فى الاسواق) ليس بقيد بل المعنى انه لا يصخب فى الاسواق التى هى محل الخصومات فيكون عدم صخبه فى غير الاسواق من باب أحرى أى لانه ليس ممن ينافس فى الدنيا وجمعها حتى يخاصم عليها ويرفع صوته لاجلها وقد تقدم قول هند لا تغضبه الدنيا وما كان لها وهذا لا ينافى جهره بالقراءة حال الصلاة ولا مبالغته فى رفع الصوت حال الخطبة خلافا لما فى جمع الوسائل حيث جعل قوله فى الاسواق احترازا عن رفع صوته بالقراءة والخطبة (ولا يجزى) بفتح الياء من الجزاء أى لا يكافئ ولا يجازى (بالسيئة السيئة) الباء للبدل واطلاق السيئة على الثانية للمشاكلة (ولكن يعفو) بباطنه (ويصفح) يعرض بظاهره امتثالا للامر بذلك فى غير ما آية وقد تقدمت أول الباب وانما احتاجت الى هذا الاستدراك دفعا لما يتوهم انه ترك الجزاء عجزا أو مع بقاء الغضب وحسبك عفوه وصفحه عن أعدائه الذين حاربوه وبالغوا فى ايذائه حتى شجوا وجنته وكسروا رباعيته فقال له أصحابه لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى أو اهد قومى فانهم لا يعلمون وما من حليم قط الا وقد عرف له زلة وهفوة تخدش فى كمال حلمه الا المصطفى صلى الله عليه

لما كان لثغة لسانه يحكى انه أتى بما كور فى طيفوره من صفر وسئل ما هذا فقال التى فى آنية الصين وورى به الشعراء فى أشعارهم فمن ذلك قوله

ولما رأيت الشيب راه بعارضى
تيقنت ان الوصل منك واصل
فصار هجر الشئ المستمر تمثيلا
عندهم بهجر واصل للراء ففى
بيت الناظم التورية لان واصلا
اسم علم وتلميح بالقصة المشار
اليها والاستفهام انكارى أى
كيف تصدق محبتى وأنا موا صل
للكسل والنوم ومن هو بهذه
الحالة فان محبوبه يعامله بالهجر
وعدم المواصلة

(ليت شعرى أذا لثمن عظم ذنب
أم حظوظ المتيمين حظاء)

أى ليتنى علمت اذا لثمت أى عدم
حضور خيال محبوبى بقلبى هو

وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا عفوا وصفحا روى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن رجل من أحبار اليهود الذين أسلموا يقال له زيد بن سعنة بالنون على قول الاكثر وقيل بالتحتانية انه قال لم يبق من علامات النبوة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لأن اخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضينى يا محمد حتى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر أى عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد خبرتهما فاشهدك أنى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا قال فى الاصابة ثم شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم مشاهده واستشهد بتبوك مقبلا غير مدبر وروى أبو داود أن اعرابيا جذبه برداءه حتى أثر فى رقبته الشريفة لخشونته وهو يقول احملنى على بعيرى هذين أى حملهما لى طعاما فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله ثلاث مرات لا أحملك حتى تقيدنى من جذبتك فقال لا والله لا أقيدكها ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى انه لما جبذه تلك الجبذة الشديدة التفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء ولله در القائل

عاشر الناس بأخلاق الرضا * تملك الاحرار من غير ثمن
لا تقل فى الحلم ذل فلقد * ساد أهل الحلم فى كل زمن
ان للصبر على مسلكا * ليس يرقى فيه الا من ومن

* قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيأ قط الا أن يجاهد فى سبيل الله) أى فيضرب ان احتاج الى ذلك وقد وقع ذلك منه فى الجهاد حتى قتل أبى ابن خلف بيده فى أحد ولم يقتل بيده أحدا غيره قبل وأشقى الناس من قتل نبيا أو قتله نبى وفيه فضل الجهاد وأن الاولى للامام التنزه عن اقامة الحدود والتعازير بنفسه بل يقيم لها من يستوفيها وعليه عمل الخلفاء (ولا ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ونكتته المبالغة فى نفى الضرب لكثرة وقوع ضربهما للابتلاء بمخالطتهما

ومخالفتهما

من أجل ذنب عظيم وقع منى ومن أعظم آفات الذنب الحجب عن المحبوب أم حظوظ جمع حظ أى انصباء المتيمين أى المحبين حظاء جمع حظوة بالكسر والضم أى الرفعة والمكانة أى انصباؤهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كثير عمل وبعضهم بالعكس وبين حظوظ وحظاء الجناس المطلق والاحتمال الاول أظهر فلذا رجع اليه فقال

(ان يكن عظم زلتى حجب رؤيا
لك فقد عز داءه قلبى الدواء)

يعنى انه ان كان الذى أوجب حجب رؤياك ايها المحبوب هو عظيم ذنبى فقد عدم الدواء الذى يكون لمرض قلبى فلا يوجد له شفاء أصلا اذ لا طريق اليه الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه

ومخالفتهما غالبا ان لم يكن دائما وفيه جواز ضرب النساء والخدم للتأديب اذا لم يكن مباحا لما مدح بالتنزه عنه لكن التنزه عنه حيث ما أمكن أفضل لاسيما لاهل المروأة والكمال بخلاف الولد فالاولى تأديبه والفرق ان ضربه لمصلحة تعود عليه بخلاف ضربهما فانه لحظ النفس غالبا وأبلغ مما هنا اخبار أنس بأنه لم يعاتبه قط * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبي نا فضيل بن عياض) من أشياخ الشافعي مناقبه شهيرة (عن منصور عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ما رأيت) أي علمت فانه أبلغ من أبصرت (رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا) أي منتقما (من مظلمة) المعتمد انها بكسر اللام اسم لما تطلبه من الظالم وبفتحها مصدر ظلمه يظلمه وقيل هي بالوجهين مصدر فالضمير المنصوب في قوله (ظلمها) على الاول مفعول به وعلى الثاني مفعول مطلق كما في ابن حجر (قط) أي في وقت من الاوقات الماضية لان ايذاءه صلى الله عليه وسلم بأمر دنيوي أو جسمي وان كان اثما عظيما كايذاء لبيد بن الاعصم الذي سحره واليهودية التي سمته والاعرابي الذي جذبه برداءه حتى أثر حاشية الرداء في رقبته وغير ذلك لكنه حق آدمي فيسقط بعفوه بخلاف ما يرجع لتعظيمه بأن يكون القصد اذايته من حيث وصفه بالنبوة فانه لا يتركه لانه حق لله تعالى ولذا ليس للقاضي ان يعفو عن أدب من تعرض لمنصبه باذايته بخلاف من تعرض لذاته فما يرجع لتعظيمه صلى الله عليه وسلم هو من محارم الله تعالى المندرجة تحت قولها (ما لم ينتهك) أي يتناول (من محارم الله شئ) جمع محرم أي مما حرمه الله على عباده ومن ذلك حق المخلوق اذا لم يعف فحرم مصدر ميمي بمعنى المفعول (فاذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان من أشدهم) لا ينافي كونه أشدهم كما سبق نظيره (في ذلك غضبا) حتى ينتقم ممن ارتكب ذلك ومن ذلك قوله لما شجه الكفار اللهم اهد قومي وقوله حين شغلوه عن الصلاة ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه المنيف قال ابن حجر فان قيل ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم كفر وهو حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه أجيب بأن الايذاء مطلقا ليس بكفر لان ايذاءه قد يصدر من مسلم جاف وهذا نوع عذر فلم يكفره وأما تجاوزه عن المنافقين فلئلا ينفر الناس عنه وقد قيل له الا تقتلهم فقال لا يتحدث الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه وأما المعاهد فصلحة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريرته وأما الحربي فهو غير ملتزم للاحكام اه وأما عفوه صلى الله عليه وسلم عن قائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وان كان فيها غضاضة على الدين فقد يكون عفوه عنه كما في الابي لانه لم يقصد الطعن عليه بالميل عن الحق بل اعتقد أنه من مصالح الدنيا التي يصح منه فيها الصواب وضده أو لانه كان استئلافا لمثله في الاسلام كما استألفهم بماله ومال الله تعالى رغبة في اسلامهم أو لانه تثبيت لقومه اه قال ابن حجر وفيه الحث على العفو والحلم واحتمال الاذى والانتصار لدين الله تعالى وانه

آخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يمكن أحدا غيره ان ينقذه منه وأنت باب الله أي أمرئ أتاه من غيرك لا يدخل

(كيف يصد أبا الذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاه)

لما ذكر احتمال ان يكون عظم ذنبه أوجب سوء عجبه لمزيد الخوف والمؤاخذة التي لا دواء لدائها أخبر انه مع ذلك مقيم على المحبة في الجناب الافخم وكيف يصد أي يسود بسبب ذلك الذنب الذي ارتكبه قلب محبك وقوله وله ذكرك الخ له يتعلق بجلاه وضميره عائد على قلب محب وذكرك مبتدأ من اضافة المصدر للمفعول أي ذكره لك والجميل نعته وجلاه خبر أي صقل لذلك الصدا والمراد بالذكر الصلاة والتسليم وسؤال

يسن لكل ذى ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى * قال عياض فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الصبر والحلم وما كان عليه من القيام بالحق والصلابة فى الدين وهذا هو الخلق الحسن المحمود لانه لو ترك القيام فى حق الله تعالى وفى حق غيره كان ذلك مهانة وضعفا ولو انتقم لنفسه لم يكن ثم صبر وكان هذا الخلق بطشا فانتفى عنه الطرفان المذمومان وبقى الوسط وخير الامور أوسطها (وما خير بين أمرين) أى فيما يرجع اليه أو يرجع الى غيره (الا اختار أيسرهما مالم يكن مأثما) رواية البخارى مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه * قال عياض ان كان التخيير من الله تعالى فالاستثناء منقطع لان الله تعالى لا يخير فى اثم وكذلك من الامة وان كان من المنافقين فالاستثناء على وجهه اه قلت ويحتمل ان يكون مالم يكن اثما مالم يفض الى النقص والقصور لا حقيقة الذنب للعصمة وذلك كالتخيير بين فتح كنوز الارض عليه والكفاف فاختار الكفاف وان كانت السعة أسهل خوف الاشتغال عن كمال التفرغ للعبادة قال ابن حجر التخيير اما أن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الاخف أو فى قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو فى حق أمته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد واما بأن يخيره المنافقون أو الكفار قال فى جمع الوسائل بقى تخييرا آخر من الله فى حق أمته بين وجوب الشئ وندبه أو حرمته واباحته وتخيير من المسلمين له فى أمرين فيختار الايسر على نفسه أو عليهم اه قلت بقى تخيير من الله له بين الانتقام والعفو ومنه قول الملك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين قال ابن عبد البر وفيه انه ينبغى ترك ما عسر من أمور الدنيا والآخرة وترك الالحاح فى الامر اذا لم يضطر اليه والميل الى اليسر أبدا وفى معناه الامر برخص الله تعالى ورسوله ورخص العلماء مالم يكن ذلك القول خطأ بينا ولم يتتبع ذلك بحيث تنحل ربقة التكليف من عنقه اه * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة قالت استأذن رجل) هو كما قال النووى وغيره عيينة بن حصن الفزارى وكان يقال له الاحمق المطاع وفى رواية انه مخرمة قال ابن حجر ولا يعدانهما نصيتان (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة) أى القبيلة (أو أخو القبيلة) فى رواية للبخارى بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة من غير شك وانما قال صلى الله عليه وسلم فيه هذا القول تعريفا بحاله لمن هو جاهل بها وليتزل منزلته لانه عليه السلام فى مقام التعليم فهو تحذير من مخالطته وافشاء السر اليه لانه كان متزلزل الايمان مظهرا للنفاق وقد ظهر مصداق ذلك فانه كما فى فتح البارى ارتد فى مدة أبى بكر وحارب ثم رجع الى الاسلام وحضر بعض الفتوح فى عصر عمر رضى الله عنه ولما جئ به الى أبى بكر أسيرا كان الصبيان يقولون فى أزقة المدينة هذا هو الذى خرج من الدين فيقول عمكم لم يدخل حتى خرج فكان ذلك القول من المصطفى صلى الله عليه وسلم علما

من

الوسيلة ويحتمل ان يكون من اضافة المصدر للفاعل أى ذكرك له حيث أحبك وذكرك وفضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمر ضرورى عند كل مؤمن ومن أراد تفاصيل بعض مجملها فعليه بمطالعة الكتب المدونة فيها واللائق فى دايته وتزود التقوى فان لم تستطع فمن الصلاة على النبى محمد صلى عليه الله ان صلاة من صلى عليه ذخيرة لم تنفد

(هذه علتى وأنت طبيبى
ليس يخفى عليك فى القلب داء)

أى هذه الاوصاف المذكورة التى صيرت صورة محبوبى عنى محجوبة عنى التى أنحلت جسمى وأدهشت قلبى ولبى لا غيرها

من أعلام نبوته ومعجزة له لاخباره بغيب وقع واذا كان كذلك فيراد ان هذا من الغيبة مدفوع اذ غيبة الفاسق المعلن فضلا عن الكافر ليس بأمر ممنوع (ثم أذن له) أى فى الدخول (فالان له القول) أى بعد دخوله وفى رواية البخارى تطلق فى وجهه وانبسط اليه (فلما خرج قلت يارسول الله قلت ماقلت) أى فى عينه (ثم ألنت له القول) أى عند معاينته (فقال ياعائشة ان شر الناس) وفى نسخة ان من شر الناس (من تركه الناس أو ودعه الناس) شك من سفيان (اتقاء فحشه) فى رواية للبخارى متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره فبين صلى الله عليه وسلم انه انما ألان له القول تأليفا له واتقاء لفحشه لانه كان رئيس قومه فاولم يلن له القول لافسد حال عشيرته وزين لهم العصيان وحثهم على عدم الايمان وقد كان المصطفى يتألفهم ببذل الاموال العظيمة فضلا عن طلاقة الوجه كل ذلك شفقة على الخلق وتكثيرا للامة كيف لا وهو نبى الرحمة وأيضا فانه لم يمدحه بالقول وانما تلطف له فلا منافاة كما قال القرطبى ففيه تعليم للاخيار كيف يتخلصون من شر الاشرار وان مداراة من يتقى شره من أخلاق المؤمنين ولله در القائل

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المداراة

والقائل

ودارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

ووجد بخط القلشانى شارح الرسالة

خبرت الرجال ومازجتهم * فكل يميل الى شهوته
فلله در فتى عاقل * يدير الامور على فطنته
يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى مدته
ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

والمداراة هى الرفق بالناس فى مخالطتهم وسوقهم الى الحق بلطف فهى بذل شئ من الدنيا لاجل التوصل الى حق بخلاف المداهنة فانها معاشرة الفاسق مع اظهار الرضا بما هو عليه فهى بذل الدين لصلاح الدنيا * (تنبيه) * ماتقدم فى تفسير هذا الحديث هو الاقرب قال المناوى ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم علل بقوله ان من شر الناس الخ مداراته لعموم الناس هذا وغيره وانه ليس فحاشا بل شأنه اكرام الناس واحسان العشرة وتحمل الاذاية لما يترتب على ذلك من جموع الفوائد وعموم العوائد اه أى فيكون المعنى انما ألنت له القول لانى لو قلت له فى حضوره ماقلت له فى غيبته لتركنى اتقاء فحشى فاكون من شر الناس وهذا الاحتمال جعله فى جمع الوسائل خطأ فانظره مع ان فى رواية البخارى المتقدمة متى عهدتنى فحاشا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ماسئل

والحال انك أنت طبيبى العالم
بها الماهر فى ازالتها فانه ليس
يخفى عليك فى القلب داء وأنت
لاأحد من الخلق أكرم منك
ولاأحلم فجعل لى بدواء ذلك
المحصل للشفاء من وصمة جميع
ماهنالك فان شفاعتك لاترد
والمتوسل بك لايخيب فالخير كله
بيديك وأنت أكرم الكرماء
ياأجود الاجوادين من له
بين النبيين المقام الاغر
الجود بيت أنت مالكه
مفتاحه فى الكف منك استقر
فجد بما ترجوه يابغيتى
فان كل الخير منك ظهر

(غيره)

اليك رسول الله أشكو وانثنى
من الدهر لايقوى لها متحمل

رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا) أى لا يأتى بصريح الرد فلا ينافى قول على رضى الله عنه فيما سبق من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول أى كأن يدعوله أو يعده فكان صلى الله عليه وسلم ان وجد جاد والا وعد ولا يخلف الميعاد وانما صرح صلى الله عليه وسلم للاشعريين بالرد تأديبا لهم على تعنتهم بسؤالهم ما ليس عنده مع تحققهم ذلك ومن ثم حلف فقال والله لا أحملكم حسما لطمعهم فى تكليفه نحو استدانة مع عدم الاضطرار لذلك انظر العسقلانى واعلم ان قضايا صلى الله عليه وسلم فى الكرم والسخاء كثيرة يأتى فى الباب بعضها وقد أعطى صفوان بن أمية غنما ملأت واديا بين جبلين فقال أرى محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وردعلى هوازن سبايا هم وكانت ستة آلاف قومت بخمسمائة ألف ألف وأعطى العباس من الذهب ما لا يطيق حمله وحملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال ابن المبارك صدرت عنه صلى الله عليه وسلم نفائس فى السخاء لم يسمع بمثلها المشهور بالكرم قط وذلك لان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والغنى بملكه والانفاق على الكون لوقته من خزائنه تعالى التى لا نفاد لها ومن كان هكذا فلا نهاية لجوده وقال بعض المحققين لم يكمل وصف الايثار الا فى سيد الاكوان فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول أمتى أمتى فكرمه صلى الله عليه وسلم خارق للعادة فى الدنيا والآخرة وحسبك من جاد على الكون كله بالسعادة الابدية وبذل المجهود فى تحصيل النعيم المقيم وهداية سائر الخلق من انس وجان وصديق وعدو وقريب وبعيد بالمال والعلوم والاحوال والاخلاق والمقامات وبنفسه حتى قال تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ويرحم الله القائل

يا أجود الاجواد يا من له * بين النبيين المقام الاغر
الجود فيك أنت مالكه * مفتاحه فى الكف منك استقر
فجد بما أرجوه يا بغيتى * فان كل الجود من فضلك ظهر

ويأتى فى قول ابن عباس كان أجود الناس شئ من هذا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن زياد بن أبى زياد عن محمد بن كعب القرظى) نسبة الى قريظة مصغرا قبيلة معروفة من يهود المدينة (عن عمرو بن العاصى) الجمهور على كتابته بالياء وحذفها لغة كما قرئ به فى السبع فى الكبير المتعال قاله ابن حجر قال فى جمع الوسائل وهو مبنى على ان العاصى اسم فاعل من المعتل اللام وليس كذلك بل هو الاجوف على ما حققه صاحب القاموس حيث قال والاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشر) بالالف لغة قليلة والاكثر بدونها (القوم يتألفه بذلك) أى بما ذكر من الاقبال والحديث ليزداد رغبة فى الاسلام

وفيه

وانى لارجو أخا بك تنجلى
لانك لى جاه وحسن ومعقل
(غيره)
ما للنوازل والخطوب تنوبه
الا الشفيع ومن يقول أنالها
ألق العنان بباب مستشفعا
وأت البيوت أخى من أبوابها
(غيره)
يا أكرم الخلق على ربه
يا خير من فيهم به يسئل
قد مسنى الكرب وكم مرة
فرجت كربا بعضه يذهل
وان ترى أعجز فى فما
لشدة أقوى ولا أحمل
فبالذى خصك بين الورى
برتبة عنها العلا تنزل
عجل بأذهاب الذى اشتكى
وان توقفت فمن أسئل

(ومن الفوز أن أبثك شكوى هى شكوى اليك وهى اقتضاه)

رفيه اشارة الى أن المؤمن الضعيف أحوج الى الارشاد والهداية من غيره فالشفقة عليه أكثر ولهذا يكون توجه المشايخ الى المريد المبتدئ أكثر من توجههم الى المنتهى ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية ان يكبه الله فى النار وقوله انى أعطى قوما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل قوما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب الظلع الميل والانحراف (فكان يقبل بوجهه وحديثه على) لانه كان حديث عهد بالاسلام ومن رؤساء قومه أسلم هو وخالد بن الوليد قرب الفتح (حتى ظننت أنى خير القوم) مقتضى تفريعه على ما قبله ان يقال حتى ظننت انى شر القوم قال ابن حجر ويجاب بأنه رضى الله عنه حكى أولا شيمته صلى الله عليه وسلم باعتبار ما فى باطن الامر كما عرفها فى ثانى حال وقال حتى ظننت أنى خير القوم باعتبار ما ظنه لجهله بها أولا فالتفريع بالاعتبار الاول والظن بالاعتبار الثانى (فقلت يارسول الله أنا خير أو أبو بكر فقال أبو بكر فقلت يارسول الله أنا خير أو عمر فقال عمر فقلت يارسول الله أنا خير أو عثمان فقال عثمان فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقنى) بتخفيف الدال أى أخبرنى بالصدق وهو جواب لما على القول بجواز اقتران جوابها بالفاء وعلى مقابله فالجواب محذوف أى ندمت وفى بعض النسخ صدقنى بدون فاء فيتعين ان يكون جوابا خلافا لقول ابن حجر ان الجملة حينئذ حالية بتقدير قد وأما نسخة فصدقنى بتشديد الدال فلا يظهر لها معنى صحيح خلافا لابن حجر لانه صلى الله عليه وسلم لم يصدقه فى ظنه بل كذبه وخطأه وأما قوله (فلوددت) أى تمنيت وأحببت فهو عطف على الجواب المذكور أو المقدر (أنى لم أكن سألته) أى حياء لما ظهر من خطأ ظنه أو من الشر الموجب لكثرة اقباله والحامل لعمرو على ذلك بيان ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم من عظيم التألف لتقتدى به أمته فى ذلك وارشاد السائل الى انه لا ينبغى ان يسأل عن شئ الا بعد تحقق أمره والابان خطؤه وظهرت فضيحته وكان عمرو بن العاصى من فرسان قريش وأبطالهم فى الجاهلية مذكورا بذلك فيهم وكان حسن الشعر ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشى

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وهو أحد الدهاة وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا استضعف رجلا فى عقله يقول أشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الاضداد ولما قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر اليهم وقال قد رمتكم مكة بافلاذ كبدها وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان وعمل لعمر وعثمان وهو الذى فتح مصر فى زمان عمر فقاتل المقاتلة وسبى الذرية وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم أسلم الناس وآمن عمرو بن العاصى وقال اللهم صل على عمرو بن

أى وانما رفعت اليك فصدق وشكوت اليك قلة حيلتى مما جنيت على نفسى لان من الفوز أى الظفر والنجاة المثلى بجميع المطلوب الذى لا فوز أعظم منه ان أبثك من بث وأبث أى نشر وأظهر وهو بعد سبكه والشكوى الاخبار بما يضرك وهى هنا شكوى اليك لا الى غيرك وهى اقتضاء أى طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان أتخلص من تلك الفرطات وأنجو من بوائق سائر الورطات وان يحصل لى

العاصى فانه يحب الله ورسوله وقال يقدم عليكم الليلة رجل حكيم مهاجر فقدم عمرو ابن العاصى رواه ابن عساكر * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلى قال نى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على قال قال الحسين بن على سألت أبى عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى جلسائه) أى فى حق مجالسه من أصحابه (فقال) أى على (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر) بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته وفى قوله كان دائم البشر اشعار بان حسن خلقه كان عاما ولم يكن خاصا بجلسائه وتقدم فى باب الضحك انه لا منافاة بين قوله هنا دائم البشر وقول هند متواصل الاحزان فانظره هنالك (سهل الخلق) اما ضد صعوبته بمعنى ان خلقه الحسن ينقاد له فى كل شئ اراده واما ضد خشونته بمعنى أنه لا يصدر عن خلقه ما يكون سببا لاذى بغير حق (لين الجانب) أى مربع العطف جميل الصفح أو هو قليل الخلاف أو هو كناية عن السكون والوقار والخضوع والخشوع (ليس بفظ) أى سئ الخلق (ولا غليظ) أى جاف الطبع قاسى القلب قال العسقلانى هذا موافق لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا ينافيه قوله تعالى واغلظ عليهم لان النفى بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به فى الآية أو النفى محمول على طبعه والامر محمول على المعالجة قال فى جمع الوسائل قلت وفيه نكتة لطيفة وهى ان صفة الجمال من الرحمة واللين كانت غالبة عليه حتى احتاج لمعالجة الامر (ولا صخاب ولا فحاش) سبق الكلام على الصخب والفحش وان المراد نفى أصل الفعل (ولا عياب) أى لا يعيب شيأ فالمراد أيضا نفى أصل الفعل وفى الصحيحين ما عاب طعاما قط ان اشتهى أكل والا تركه وتقدم وجه ذلك فى حديث هند لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ومن المعلوم ان هذا فى المباح وأما الحرام فكان يعيبه ويذمه وأخذ العلماء من هذا ان من آداب الطعام ان لا يعاب قال النووى كملح حامض قليل الملح غير ناضج ومن التمثيل بهذا يعلم أن لا فرق بين عيبه من جهة الخلقة ومن جهة الصنعة وللفرق وجه وهو كسر قلب الصانع اللهم الا ان قصد تأديبه بذلك فلا بأس وعليه يحمل قول بعضهم انما يكره ذمه من جهة الخلقة لا من جهة الصنعة لان صنعة الله لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب قاله ابن حجر ونقله فى جمع الوسائل وسلمه (ولا مداح) وفى نسخة ولا مزاح قال ابن حجر والمراد نفى المبالغة فى هذين لانفى أصلهما الوقوع منه صلى الله عليه وسلم احيانا وفى نسخة ولا مشاح بضم الميم وتشديد الحاء المهملة والظاهر انه من المشاحة أى ليس بمجادل ولا مناقش ومنه قولهم لا مشاحة فى الاصطلاح وجعله ابن حجر من الشح (يتغافل عما لا يشتهى) أى يظهر الغفلة والاعراض عما لا يستحسنه من القول والفعل (ولا يؤيس منه) بضم ياء وسكون همز فيا مكسورة أى لا يجعل غيره

(١) الثناء من جميع الادواء فان جاهل متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسؤل ومرغوب لاسيما لمن صرف عنان العناية لمدحك فجدير أن يفوز بحبك

أأذكر حاجتى أم قد كفانى
حياؤك ان شيمتك الحياء

اذا أثنى عليك المرء يوما

(٢) كفاك من تعرضه الثناء

(ضمنتها مدائح مستطاب
فيك منها المديح والاصغاء

ضمنتها البناء للمفعول ومدائح نائب الفاعل وضمير الشكوى مفعول ضمنت وأصله ضمنت المدائح الشكوى أى جعلت المدائح متضمنة ومشتملة على شكواى والمدائح جمع مدحة

(٢) قوله كفاك كذا فى نسخة كفاه بالهاء وكل صحيح

آيسا مما لا يشتهى وفى نسخة يؤيس بضم ياء فسكون واو ففهمزة مكسورة أى لا يجعل غيره يائسا مما لا يشتهى فالاول من الايأس والثانى من اليأس والمعنى واحد ويحتمل أن يكون ضمير منه راجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لا يجعل راجيه آيسا من بره وخيره وكرمه (ولا يجيبه) من الاجابة اى ولا يجيبه الى ما لا يشرع الاعظم فلا يفعل الا ما يقتدى به فيه بل يسكت عنه عفوا وكرما وفى نسخة ولا يخيب فيه بالتشديد من التخييب أى لا يجعله محروما بالكلية أو بالتخفيف من الخيبة بمعنى الحرمان والظاهر انه مبهم لان الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه فى هذا المقام (قد ترك نفسه) أى منعها (من ثلاث المراء) أى الجدال مطلقا فان العموم أبلغ فى المدح لحديث من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى رياض الجنة خلافا لمن قصره على المراء بغير حق * وأما قوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن فالضمير المنصوب للكفار اى جادل معاندیهم بالطريق التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر وقيل بين المراء والجدال فرق قال بعض شراح الرسالة الجدال هو دفع الحق بالباطل والمراء هو قصد الظهور فى المناظرة بحق كان أو بباطل اه وعن الشافعى رضى الله عنه ما جادلت أحدا وقصدت الخامه وانما اذا كره لاظهار الحق من حيث هو حق وقال أيضا ما ناظرت أحدا الا أريد أن يظهر الحق من عنده اه وفى نسخة الرياء بدل المراء (والاكثار) بالباء الموحدة أى استعظام نفسه فى جلوسه ومشيه ومعاشرته مع الناس من أكبره اذا استعظمه ومنه قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفى بعض النسخ والاكثار بالمثلثة أى من الكلام أو من الدنيا زيادة على ما يحتاجه (وما لا يعنيه) أى ما لا يهمه فى دينه أو دنياه وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه أى ما لا تدعو الضرورة والحاجة اليه وهو الفضول ويعم الاقوال والافعال والعوارض القلبية قاله الشيخ زروق (وترك الناس) أى ذكرهم (من ثلاث) أولها قوله (كان لا يذم أحدا ولا يعيبه) يحتمل أن يفرق بينهما بان الذم انما يكون بالامور الاختيارية بخلاف العيب فانه قد يكون بالامور الخلقية كالطول والقصر والسواد وامثال ذلك أو بأن الاول يكون فى المواجهة والثانى فى الغيبة وأما احتمال انهما بمعنى فبعيد لان الافادة خير من الاعادة ثانيها قوله (ولا يطلب عورته) أى لا يتجسس عن أموره الباطنة التى يخفيها ولا يعارضه بسؤال الناس عما فى الناس لان ذلك فى الامور الظاهرة التى تناط بها الاحكام الشرعية والمصالح البشرية قاله المناوى وغيره وقال فى جمع الوسائل المعنى لا يظهر ما يريد الشخص ستره ويخفيه الناس عن الغير ثالثها قوله (ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه) قال فى جمع الوسائل القصد بهذه الثلاث رعاية أحوالهم كما ان القصد بالثلاث الاول مراعاة حاله والا فقد يندرج بعضها فى بعض (واذا تكلم أطرق جلساؤه) أى خفضوا أبصارهم وسكتوا وسكنوا مما ألبسه الله سبحانه من العز والمهابة والعظمة

أى الكلام المتضمن للثناء الجميل
ومستطاب بالرفع صفة مدائح
وضمير منها يعود على الشكوى
والمجروران متعلقان بما قبلهما
أو بعدهما ومن تبعيضية والمديح
نائب فاعل مستطاب والاصغاء
الميل الى سماع تلك المدائح
وكيف لا واوصافك الكريمة
زينتها فصارت بها فى غاية الكمال
الذى يشنف الاسماع ويملأ عبيره
ارجاء القلوب والبقاع

(قلما حاولت مديحك الا
ساعدتها اميم ودال وحاء)

قل فعل ماض وما مصدرية تسبك
مع ما بعدها بمصدر وهو الفاعل
وعبر بالقلة عن العدم أى قلت
محاولة شكواى أو قريحتى
مديحك فى حال من الاحوال الا فى
حال ساعدتها اميم الخ أى لم تتوجه
الا وتهيأت لها الاسباب فشرط

التى ليست من تلقاء نفسه ولا صنع له فيها أو لكمال ميلهم لاستماع كلامه وارتياح ارواحهم لحديثه وقد فسر فى الصحاح الاطراق بالوجهين الا انه صدر بالوجه الثانى وهو أنسب فى هذا المقام والله أعلم (كأنما على رؤسهم الطير) مبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكون لان الطير لا يقع الا على ساكت ساكن قال الجوهرى أصله ان الغراب اذا وقع على رأس البعير ليلتقط منه القراد لم يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب لما يجد فيه من الراحة اه فشبه حال جلسائه عليه السلام بحال ذلك البعير لكمال ميلهم وتلذذهم باستماع كلامه وقال بعضهم أصل ذلك ان سليمان عليه السلام كان اذا أمر الطير أن يظل على أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة منه فان أدب الظاهر عنوان الباطن فقيل للقوم اذا سكتوا مهابة كأنما على رؤسهم الطير (فاذا سكت تكلموا) ولا يتكلمون فى أثناء حديثه كما هو مقتضى الادب وكذلك لا يتكلمون اثناء حديث غيره كما أشار اليه بقوله (لا يتنازعون عنده الحديث) وفسره بقوله (من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ) فيه ما كانوا عليه من عظيم أدبهم فى حضرته وخضوعهم بين يديه واجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم على شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم باخلاقه صلى الله عليه وسلم واعلم انه يطلب من الادب عند سماع حديثه صلى الله عليه وسلم ما يطلب من الادب معه فى حياته لان حرمته ميتا كحرمته حيا ورفع الصوت على حديثه كرفعه عليه وقد ورد عن السلف فى هذا المعنى شئ كثير قال معروف كان اذا أتى الناس ما لك رضى الله عنه خرجت اليهم الجارية فتقول يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبى أويس فقيل لمالك فى ذلك فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا اه (حديثهم عنده حديث أولهم) أى كحديث أولهم فى الاصغاء اليه وعدم الملل منه اذ العادة جارية بالملل اذا كثر المقال أو حديث أسبقهم فى الكلام أو حديث أفضلهم اذ كان لا يتقدم غالبا بالكلام بين يديه الا أكابر أصحابه وفى نسخة حديث أوليتهم أى جاهليتهم ليتذكروا بذلك نعمة الله عليهم (يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم ورفقا بهم اذ لو لا تنزله صلى الله عليه وسلم معهم لم يقدروا على التلقى منه لما كساه الله تعالى من الجلالة والمهابة وقد سبق ذلك فى قوله من رآه بديهة هابه (ويصبر للغريب على الجفوة) أى الغلظة وسوء الادب (فى منطقه ومسئلته) لعلمه صلى الله عليه وسلم بان ما يصدر من الغريب لا يكون

كون التفريغ بعد النفى موجودا خلافا لابن حجر لما صرح به النحاة من أنه لا فرق فى النفى بين أن يكون فى اللفظ أو فى المعنى وقالوا فى قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره معناه لا يريد لانهما بمعنى على ان ابن الحاجب لا يسلم الاشتراط المذكور كما هو مقرر فى محله ولما خفى هذا على ابن حجر عين أن تكون ما نافية وفاعل قل محذوف والتقدير قل أن يستصعب على ما أردته من مدحك لانى ما حاولته فى حال من الاحوال الا ساعدتنى الحروف المذكورة أى مساعدا أى ما توقف على معنى أو نوع من المعانى الرائقة والانواع الفائقة اللائقة الا وجدت الالفاظ الدالة على مدحك تبادرنى الى تأديته بغاية اللطف وتساعدنى عليه بنهاية الاسعاف فتأتى

من أجل الاستخفاف بجانبه صلى الله عليه وسلم بل من جفاء الطبع (حتى ان) مخففة من الثقيلة (كان أصحابه ليستجلبونهم) ذكروا فيه احتمالات منها ان المراد جذبهم عن مجلسه ومنعهم من الجفاء وترك الادب ومنها وهو أظهر ان المراد مجيئهم بالغرباء الى مجلسه ليستفيدوا من أسئلتهم ومبالغتهم فى السؤال مالا يقدرون عليه بأنفسهم مهابة له (و يقول) صلى الله عليه وسلم (اذا رأيتم طالب حاجة) أى دنيوية أو دينية (يطلبها فارفدوه) أى أعينوه بالعطاء والصلة والشفاعة ونحو ذلك مما يوصله الى حاجته (ولا يقبل الثناء) أى المدح (الا من مكافئ) فيه أوجه منها ان المراد المكافأة فى الدين بان يكون المادح مسلما ظاهرا وباطنا لا كالمنافق ومنها ان المراد بالمكافئ المقتصد فى ثنائه أى المقارب فى مدحه بان لا يتجاوز به عن حد مثله وان لا يقصر به عما رفعه الله اليه من علو مقامه يقال هو كفؤه أى مثله فالمراد مكافأة الواقع ومطابقته ومنها ان المراد انه اذا أنعم على أحد نعمة فكافأه وأثنى عليه قبل ثناءه واذا ابتدأه بالثناء لم يقبل فالمكافئ حينئذ بمعنى المجازى قال ابن حجر وغلط قائله بان أحدا لا ينفك عن نعمته صلى الله عليه وسلم فالثناء عليه فرض عين اه قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان الكلام انما هو فى النعمة الصورية لا فى النعمة المعنوية اه وكأن المراد النعمة الدنيوية لا الدينية فانها عامة لا ينفك عنها أحد كما قال والله أعلم (ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز) بالجيم والزاى أى يتعدى الحق وفى نسخة حتى يجور بالراء من الجور (فيقطعه) بالرفع (بنهى) له عن ذلك الحديث (أو قيام) أى عن المجلس ففى هذا بيان حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ورفقه ولطفه وحلمه وصبره وشفقته ورأفته ورحمته * قال المصنف رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (حدثنا عبد الله بن عمران أبو القاسم القرشى المكى نا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) أى ابن مسعود (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس) سبق فى حديث جابر ان وجه ذلك ان مصدر كرمه عن الوثوق بالله والانفاق من خزائنه التى لا تنفد لها وقال ابن حجر سبب ذلك ان نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة ومن هو كذلك يكون فعله أحسن الافعال وخلقه أحسن الاخلاق ومن هو كذلك يكون أجود الناس ولان جوده لم يقصر على نوع بل كان يجمع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وكان جوده كله لله وفى ابتغاء مرضاته وكان يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء من لا يخشى الفقر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فيمر عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نارا وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع وقد أتاه سبى فشكت اليه فاطمة رضى الله عنها ما تلقاه من الخدمة وطلبت منه خادما يكفيها ذلك فأمرها ان تسبح بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا أعطيك وادع

قر يحتى منه بما هو أبلغ وأبدع
وما ذلك الا انها علمت جناب من
يمدح فتنافست فى أن تستعمل
هنالك

(حق لى فيك أن أساجل قوما
سلمت منهم لدلوى الدلاء)

أى ثبت واستقر لى فى مدحك
ان أساجل أى أفاخر قوما هم
الشعراء العارفون بانواع المديح
وحيث اطلعوا على ما لدى
أنصفوا فسلمت الدلاء جمع دلو فى
حال كونها منهم والسجل الدلو
العظيمة المملوأة ومنه قولهم
الحرب بينهم سجال أى سجل منها
على هؤلاء مرة وأخرى على هؤلاء
والمساجلة المنازع على البئر
بالدلاء المختلفة شبه جمع المادحين
فى تنازعهم فيما يبرزونه وادعاء
كل أن ما أبرزه خير مما أبرزه غيره
استعارة بالكناية واثبات

أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كسته امرأة بردة فلبسها محتاجا اليها فسأله بعض أصحابه فاعطاه اياها رواه البخارى اه وقد تقدم شئ من آثار سخائه صلى الله عليه وسلم فقوله (بالخير) شامل لجميع أنواع الجود كما تقدم وفيه اشارة الى انه كان يتكرم بافضل ما يكون عنده لابادناه لاقباله على مولاه واعراضه عما سواه واستغنائه عن الفانيات بالباقيات الصالحات ولان الانفاق عبادة مالية فكما يقدم الاهم فى الاعمال البدنية يقدمه فى العبادات المالية (وكان أجود) بالرفع فى أكثر الروايات على حد أخطب ما يكون الامير قائما (ما يكون فى شهر رمضان حتى ينسلخ) يعنى انه كان دائم الجود وكان جوده فى رمضان يتضاعف على جوده فى غيره أى فينبغى للمؤمن أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم فى ذلك فيكون له فى هذا الشهر المبارك نصيب من كل نوع من أنواع الخير الصدقة والتلاوة والذكر وقيام الليل وقضاء الحوائج يتعرض بذلك لنفحات الرحمة الالهية ان لله تعالى فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها وذلك لانه موسم الخيرات ولان الله يتفضل على عباده فى ذلك الشهر مالا يتفضل عليهم فى غيره من الاوقات وكان صلى الله عليه وسلم متخلقا باخلاق ربه وكانت ارادته تابعة لارادة ربه ولما ذكره بقوله (فيأتيه جبريل) فان الفاء للتعليل أى سبب تضاعف جوده فى رمضان على سائر الازمان اتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما فى الصحيحين ففى كتاب الصيام من صحيح البخارى وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه الخ وفى كتاب فضائل القرآن منه كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل الخ قال العسقلانى فى هذه الرواية بيان سبب الاجودية وهى ابين من رواية حين يلقاه اه قال ابن حجر وانما كان اتيانه سببا لذلك لانه رسول ربه اليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولانه أمين حضرته المتولى لقسمة مواهبه وعطيته ولانه بعرض القرآن يتجدد تخلقه باخلاق الرحمن (فيعرض عليه القرآن) المتبادر ان ضمير يعرض لجبريل وضمير عليه للرسول ويؤيده ما عند الاسماعيلى من طريق اسرائيل عن أبى حصين كان جبريل يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى كل رمضان ويحتمل العكس وهو المصرح به فى روايتى البخارى المتقدمتين ولما ترجم بباب كان جبريل يعرض القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ذكر حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل قال العسقلانى كأن البخارى اشار بالترجمة الى رواية الاسماعيلى وفيه اشارة الى أن كلا منهما كان يعرض على الآخر ويؤيده ما وقع عند البخارى أيضا بلفظ فيدارسه القرآن وفى حديث فاطمة قالت أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى

بالقرآن

المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح

(ان لى غيرة وقد زاحتنى
فى معانى مديحك الشعراء
ولقلبى فيك الغلو وأنى
لاسانى فى مدحك الغلواء)

الغيرة بالفتح الحمية توجب لى ان لا أحب غيرى يسبقنى لى مدحك والحال انه قد زاحتنى فى معانى ألفاظ مديحك الشعراء وأرادوا أن يسبقونى فيه والحال انه استحكم لقلبى فى محبتك الغلواء اى الافراط ومجاوزة الحد وأنى يكون للسانى فى مدحك الغلواء اى الاسراع والتقدم عليهم لولا امدادك ونظرك الى بما يميزنى عليهم فأنى استطيعه بمعنى كيف نحو أنى يحيى هذه الله بعد موتها أو بمعنى من أين نحو أنى لك هذا ويجوز كسر الهمزة

بالقرآن اذ المدارسة والمعارضة مفاعلة من الجانبين فأفاد أن كلا منهما تارة يقرأ ويسمع الآخر وتارة العكس ثم المراد عرض ما كان نزل من القرآن لا القرآن كله لانه لم يكن كاملا فى رمضان وانما كمل بعد ذلك والاتفاق على أن قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم انما نزل بعرفة يوم عرفة وهل المراد أنه كان يعرض عليه صلى الله عليه وسلم كل ليلة جزأ من القرآن وانه كان يقسمه على عدد ليالى رمضان أو المراد انه كان يقرأ كل ليلة جميع ما نزل منه لكنه كان يقرؤه فى ليلة بحرف وفى أخرى بحرف آخر يحتمل وقد اختلف فى العرضة الاخيرة هل كانت بجميع الاحرف المأذون فى قراءتها أو بحرف واحد منها وعلى الثانى هل هو الحرف الذى جمع عليه عثمان الناس أو غيره انظر جمع الوسائل وفائدة هذه المدارسة مع ان الله تعالى يقول ان علينا جمعه وقرآنه ما كان يتجدد له عليه السلام بذلك العرض من البركات والخيرات والامدادات الالهية والنفحات الربانية ولهذا قال (فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) أى بالمطر شبه نشر جوده الخير فى العباد بنشر الريح القطر فى البلاد وشتان ما بين الاثرين فاحدهما يحيى القلب بعد موته والآخر يحيى الارض بعد موتها قاله الكرمانى وأيضا فريح المطر وان كانت تعم وتصيب كل ما تمر عليه كما أن جوده صلى الله عليه وسلم لا يختص به أحد عن أحد لكنها تهب وتسكن وجود النبى دائم مستمر ولهذا كان أجود بالخير من الريح المرسلة ويحتمل أن يكون المراد بالمرسلة المطلقة بمعنى أنه فى الاسراع بالجود أسرع منها وفى الكلام ترق لانه فضل أولا جوده على جود جميع افراد الانسان وثانيا جوده فى رمضان على جوده فى سائر الازمان وثالثا عند لقاء جبريل ومعارضة القرآن فانه حينئذ كان أجود من كل ما يتصور فى الاذهان وما ذلك الا لتيان أفضل ملائكة الرحمن الى أفضل الخلق بافضل كلام من أفضل متكلم فى أفضل زمان وفيه ان صحبة الصالحين مؤثرة فى دين الرجل وعلمه وسبب فى عمارة قلبه قال يحيى بن معاذ ولى الله ريحان فى الارض فاذا شمه المريدون وصلت رائحته الى قلوبهم فتشتاق بهم الى ربهم ولهذا حض العلماء على صحبة مشايخ الطريق رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم حتى قال أبو على الثقفى رضى الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات اه وقد قالوا من أحسن علاج النفس صحبة مجتهد فى العبادة قال بعضهم كنت اذا اعترتنى فترة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده وقد كان امامنا مالك رضى الله عنه يأتى محمد بن المنكدر وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكان الامام الشافعى يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب قال فى

والباء اسمها ويرحم الله الامام سبط ابن الفارض اذ يقول

ولما تجلت للقلوب تزاحمت
على حسنها للعاشقين مطامع

واعلم ان كل ما يحبه الانسان فانه يحب الاستبداد به ويحب ان لا يزاحم فيه ومن هنا كان من طبع المحب الغيرة على المحبوب فان قلت كيف تستقيم الغيرة من المحب لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة الاستبداد وارادة الانفراد قلت المحب فى وقت تعطشه وشدة اشتياقه وتلهفه يلزمه عدم القناعة من المحبوب فتغتفر فى حقه ارادة الاستبداد ويعذر فى قصد الاستقلال ولا ينظر الى لازم ذلك لغيبته عنه فى محبوبه فاذا نبه عنه من غيبته وقيل له أتريد ان يظهر فضل محبوبك وكرمه

الاحياء الان هذا قد تعذر فينبغى أن يرجع الى سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا عباس بن محمد الدورى نا عبد الله بن يزيد المقرى نا ليث بن سعد نى أبو عثمان الوليد بن أبى الوليد عن سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد بن ثابت قال دخل نفر) يقع على الثلاثة الى العشرة لا واحد له من لفظه على ما فى الصحاح (على زيد بن ثابت فقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله) فى نسخة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال ماذا أحدثكم) أى أى شئ أحدثكم وكانهم طلبوا منه أحاديث شمائله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بأحواله وأفعاله وأقواله فلذلك أعظم التحديث بها وأفادهم بهذا التعجب ردما وقع فى خلدهم من طلب الاحاطة بشمائله فان شمائله لا يحاط بها كمية ولا كيفية فان المعانى كلها دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فاذا الايقوم أحد بحق مدحه صلى الله عليه وسلم كيف وقد أفصحت آيات الكتاب العزيز فى تعظيمه بما يبهر العقول وصرحت من رفيع صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول ولهذا قال ابن الخطيب

يا مصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما * أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رى عن ابن الفارض فى النوم فقيل له لم تمدح النبى صلى الله عليه وسلم أى بالتصريح والا فنظمه فى الحقيقة انما فى الحضرة الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح فى النبى مقصرا * وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذى هو أهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولما استشعر أكابر الشعراء كأبى تمام والبحترى وابن الرومى عجزهم عن الوفاء بحق مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطوه ورأوا ان ذلك من أصعب ما يحاولونه ويرحم الله القائل

تجاوز قدر المدح حتى كانه * باحسن ما يثنى عليه يعاب

(وقال ابن جزى)

أروم امتداح المصطفى فيصدنى * قصورى عن ادراك تلك المواهب
ومن لى بحصر البحر والبر زاخر * ومن لى باحصاء الحصا والكواكب
ورب سكوت كان فيه بلاغة * ورب كلام فيه عتب لعاتب

ولما لام أبو نواس عفا الله عنه فى تركه مدح مولانا على الرضا ابن مولانا موسى الكاظم ابن مولانا جعفر الصادق ابن مولانا محمد الباقر ابن مولانا على زين العابدين ابن مولانا الحسين ابن سيدنا ومولانا على بن أبى طالب رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم قال

قيل لى أنت أحسن الناس طرا * فى فنون من المديح النزيه

على الناس ويشتهر قدره وعزه فيما بينهم قال نعم وقد يغار المحب على المحبوب من نفسه لشدة نفاسته وعظمة عزته ونفاسة جماله وجلاله فيريد أن يصان حتى عنه * وعن الشبلى المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وقد أكثر امام العاشقين سيدى عمر بن الفارض فى شعره من هذا المعنى فمن ذلك قوله

سمه باطنى اذ أنت فيه ظاهرى
بعضى يغار عليك من بعضى وبى

(فأثب خاطرا بالذله حك عليا بانه الالاء)

أى فبسبب صدق محبتى وشدة

للث من جيد القريض مديح * يثمر الدر فى يدى مجتنيه
فعلى ماتركت مدح ابن موسى * والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام * كان جبريل خادما لابيه

وقد تقدم فى أول الباب شئ من هذا المعنى ولما بين لهم العجز عن الاحاطة بما طلبوا وكان من القواعد المقررة ان مالا يدرك كله لا يترك كله أرادان يفيدهم ببعض البعض من كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته وغاية تلطفه فقال مشيرا الى غاية ضبطه ونهاية حفظه واتقانه لما يرويه (كنت جاره) أى فلى خبرة به أتم من غيرى (فكان اذا نزل عليه الوحى بعث الى فكتبته له) أى فلى من يد مخالطة به صلى الله عليه وسلم ومعرفة باحواله ولى عنده حظوة حيث جعلنى أمينا ممن يحفظ أمور الدين ويضبطها وممن يصلح لحمل الشريعة وتبليغها وفى البخارى ان أبا بكر رضى الله عنه قال لزيد انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه وفى البخارى أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتابة اليهود ليقرأها عليه اذا كتبوا اليه فتعلمها فى خمسة عشر يوما وروى فى أحاديث كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه أفرضكم زيد وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم الكتب التى يرسلها للملوك وغيرهم وكان يكتب لابى بكر وعمر وعثمان وكان عمر يستخلفه اذا حج قال ابن حجر وهو أحد الاربعة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف فى خلافة أبى بكر بامره كعمر لهم بذلك وهذا هو الجمع الاول والجمع الثانى كان فى زمن عثمان وهو الذى استقر عليه الامر اه وهو أحد علماء الصحابة ومفتيهم وقد كانوا ستة عمر وعلى وأبى وابن مسعود وأبو موسى وزيد ولما مات قال أبو هريرة رضى الله عنه اليوم مات حبر هذه الامة وعسى الله أن يجعل فى ابن عباس منه خلفا ورثاه حسان بقوله

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

وقد عد المعمرى من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو الاربعين منهم الخلفاء الاربعة (فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا) يعنى انه صلى الله عليه وسلم مع كمال شرفه وعلو درجته ورفعة منصبه وفخامة قدره كان على غاية التواضع وحسن خلقه مع أصحابه كى لا يدهشوا ويتكلموا فى مجلسه بما يشاؤن وكان من شدة تلطفه باصحابه وحسن عشرته معهم يتكلم فى سائر ما يتكلمون فيه ولا يأنف من الكلام فى الدنيا والطعام ونحو ذلك من الامور العادية وحكمة ذلك ان يزيد اقبالهم عليه واستفادتهم منه ولولا ذلك لما قدر أحد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه لما رزقه الله تعالى من الجلالة والهابة والعظمة فى القلوب * قال فى القوت لابى طالب المكى رضى الله عنه قد أعطى صلى الله عليه وسلم اضعاف

غيرتى ومن احتشامى أقرانى مع ارادتهم التقدم على أثب خاطرا
أى قريحة لى على هذا المدح البديع بأن تمدها بما تفوق به جميع من احياها ومسابقيها فانك أكرم من جازى محبيه وأجود من جاد على مادحيه وانا من أصدقهم محبة وأبلغهم مدحة كيف وقلبى يلذله مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك فى اختراع مالم يسبق اليه ولا حام أحد قبله عليه لاجل علمه بان مديحك الالآء أى الفرح التام أو من قولهم تلألأ البرق اذا لمع أى علما بان مدحك يضئ القلوب المادحين لاسيما من أتى فى ذلك بالمعانى البديعة والاساليب العجيبة الرفيعة

(حال من صنعة القريض برودا
للث لم يحك وشيا صنعاء)

حال أى نسج ذلك الخاطر فى نظم مديحك والقريض الشعر والبرود جمع برد وهو نوع من أنواع ثياب اليمانية يتزين به والوشى النقش بالالوان المختلفة وصنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة الوشى والنسج شبه ما اشتمل عليه نظمه من المعانى

عقول الخليقة وحلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره للصبر عليهم فكان مع الاعرابى كانه اعرابى ومع الصبى بعناه ومع المرأة بنحوها يقاربهم فى علومهم ويخاطبهم بعقولهم و يظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ولئلا تعظم هيبته فى صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها انظر تمام كلامه ثم أظهر الاهتمام بهذا الذى حدثهم به من شمائله صلى الله عليه وسلم ليحفظوه ويعرفوا قدره فقال (بكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣) * قال ابن حجر ولا ينافى هذا ما تقدم من أحواله فى مجلسه لان ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو أدبية و بتقدير خلوه عنها ففيه بيان جواز تحدث الكبير مع أصحابه فى المباحات و بيان مثل هذا واجب عليه صلى الله عليه وسلم اه وراجع ما تقدم عن مالك وغيره فى آخر باب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد) أى لنفسه لما كان عليه من غاية الكرم والايثار ولكمال ثقته بالله تعالى وتوكله عليه وقد يدخر لعياله قوت سنتهم ففى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنتهم ولكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيؤثرهم عليهم وعلى نفسه فلم يكن ادخاره لخشية العدم بل لاجل الكرم قال فى المطامح وفى الصحيح انه كان يدخر لنسائه فى كل عام مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير لكل واحدة منهن فلا يقوم ذلك بهن ولا يكفيهن و يبقين الشهر والشهرين لا يوقدن فى بيوتهن نار امع كثرة هذا العدد ولو قصر عليهن لكنه لم يكن حظهن من ذلك الاحظ الوارد عليهن من الفقراء وذوى الحاجات اه وقد تقدم شئ من هذا أول باب صفة خبزه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا هارون بن موسى بن أبى علقمة المدينى نا أبى عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه) أى شيأ من الدنيا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما عندى شئ ولكن ابتع على) أى اشتر شيأ بثمن فى الذمة يكون على اداؤه وفى نسخة اتبع على بتقديم التاء المثناة على الباء الموحدة أى احمل على (فاذا جاءنى شئ قضيته فقال عمر) فيه التفات والقياس فقلت (يارسول الله قد أعطيته) اى قبل هذا (فما كلفك الله ما لا تقدر عليه) اى من أمره بالشراء ووعده بالقضاء (فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر) لانه مخالف لمقتضى كمال الكرم والجود (فقال رجل من الانصار) قيل هو بلال رضى الله عنه وعليه فقوله من الانصار يعنى النصرة العامة (يارسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا) أى شيأ من الفقر والاحتياج أى لا تخش ان يضيع منك من هو مدبر الامر من السماء الى الارض بالطول والعرض اى دم على ما أنت عليه من عدم خشية ذلك اذ هو صلى الله عليه وسلم لا يخشى من الفقر

ولا

البديعة فى ادهاشهم القلوب عند سماعها بالبرود الموشاة المدهشة للابصار عند رؤيتها بجامع الادهاش لكن المعانى تدهش البصائر والافكار والبرود تدهش الابصار والانظار ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الحلل والوشى ترشيحا وأثبت للمشبه ما هو ملائم له وهو القريض تجريدا

(أعجز الدر نظمه فاستوت فيه والبدان الصناع والحرقاء)

أى فاق نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها الدر النفيس

٣ قوله بكل هذا هكذا فى نسختين بايدينا بالباء والذى فى حاشية العلامة البيجورى على الشمائل وكل بالفاء وقال الرواية برفع كل وان كان الاولى من حيث العربية النصب فانظره اه صحح

ولا يخاف عليه من ذلك (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بقول الانصاري ثم قال بهذا أمرت) اي لا بما قاله عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر أي قصر القلب رد الاعتقاد عمر رضي الله عنه * قال المصنف (حدثنا علي بن حجر انا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب واجر زغب فاعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا) الشك من الراوي وقد تقدم هذا الحديث في باب الفاكهة وأعاده هنا لما فيه من المناسبة لكمال خلقه صلى الله عليه وسلم الذي منه الكرم والسخاء * قال المصنف (حدثنا علي بن خشرم وغير واحد قالوا نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها) اي يجازي قال في النهاية الاثابة هي المجازاة في الخير بأكثر منه اه قال العسقلاني رواية وكيع وصلها ابن أبي شيبة عنه بلفظ ويثيب ما هو خير منها اه فهذا من عظيم خلقه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر فيسن التأسي به صلى الله عليه وسلم في ذلك لكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها وندب الاثابة حيث لم يظن المهدى اليه ان المهدى انما أهدى له حياء لا في مقابلة شئ اما اذا ظن ان الباعث على الاهداء هو الحياء قال الغزالي كمن يقدم من سفر ويفرق هداياه خوفا من العار فلا يجوز القبول اجماعا لانه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ولانه مكره في الباطن فهو كالمكره في الظاهر وأما اذا ظن ان الباعث عليه انما هو الاثابة فلا يجوز له القبول الا ان أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن أحواله وانما أطلت في ذلك لان أكثر الناس يستهزؤن فيه فيقبلون الهدية من غير بحث عن شئ مما ذكرته اه قال في جمع الوسائل البحث لا يجب فانك اذا فتشت عن ضيافات العامة وهداياهم وعطاياهم رأيتها كلها ملطخة بالرياء والسمعة أو ناشئة عن الحياء نعم اذا ظهر ان سبب الاهداء ليس الا الحياء فله ان يرد وله ان يقبل ولكن يثيب بحيث يظن ان خاطره يطيب لانه وان أعطى مكرها في الباطن فانه يصير راضيا فينقلب الحرام حلالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم وهذه تجارة عن تراض في آخر الامر ولهذا عد علماؤنا الهبة بشرط الاثابة بيعا بل ولو كان عطاؤه حياء ولم يحصل له جزاء ثم طاب خاطره فالظاهر أنه لا يؤاخذ به لانه في المعنى براءة واحلال له ثم الظاهر ان الاثابة بقدر الهبة واجبة وأما الزيادة فلا فعمل الاجماع على عدم جواز القبول اذا لم يجازه مطلقا اه * (تنبيه) * قال الآجري سألت أبا داود عن هذا الحديث فقال تفرد بوصله عيسى بن يونس وهو عند الناس مرسل انظر جمع الوسائل

* (باب ما جاء في حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

الحياء هنا بالمد واما بالقصر فهو المطر وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان

للنظم الذي يدهش بضوئه وصفائه فاذ ذلك استوت في العجز عنه البدان أي القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون المخففة والعين المهملة أي الحاذقة الماهرة والخرقاء ضدهما وهما بدلان أو عطفا بيان من قوله البدان

(فارضه أفصح امرئ نطق الضا دفصارت تغار منها الظباء)

أي اقبل هذا النظم يا أفصح امرئ نطق بالضاد اي يا أفصح العرب وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح من نطق بالضاد الحديث أي لان غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب أحسنوه وأفصحهم على الاطلاق هو النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه يقول يا أفصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشم أدنى رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفى بعشار عشر كمالك فبسبب اختصاص الضاد بتعذر أو تعسر النطق بها على غير العرب وتعذرها به على غيره صلى الله

من ترك أو فعل ما يعاب عليه وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويحض على ارتكاب الحسن ومجانبة التقصير فى الحق وهو من جملة الخلق الحسن فافرده بالترجمة للتنبيه على عظم شأنه لان به ملاك الامر كله فى حسن معاملة الحق ومعاشرة الخلق ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحياء كله خير وهو أقسام منها حياء الكرم كاستحيائه صلى الله عليه وسلم ممن طول القيام فى وليمة زينب حتى نزل ولا مستأنسين لحديث الآية وحياء المحب من محبوبه حتى اذا خطر بقلبه هاج الحياء منه فيخجل من غير ان يدرى ماسببه وحياء العبودية ان يشهد تقصيره فيها فيزداد خوفه وخجله وحياء المرء من نفسه بان تشرف همته فيستحيى من رضا نفسه بالنقص فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسين تستحى احداهما من الاخرى وهذا أكمل أنواع الحياء اذ المستحيى من نفسه أجدر بالاستحياء من غيره انظر ابن حجر والمناوى ولا شك أن من رأى المنة وأيقن بالتقصير حقيق أن تصدر منه الحالة التى هى ثمرتها وهى الحياء من الله حق الحياء * وقد دل الحسن البصرى على رجل لم يرقط جالسا مع الناس فقال له يا عبد الله ما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلنى عن الناس قال فما يمنعك ان تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه فقال أمر شغلنى عن الحسن وعن الناس فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال انى أصبح وأمسى بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسى بالاستغفار لذنبى وبالشكر على نعم ربى فقال له الحسن يا عبد الله أنت أفقه عندى من الحسن فالزم ما أنت عليه اه (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود نا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله بن أبى عتبة يحدث عن أبى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء) هى البكر التى لم تتزع عذرتها سميت بذلك لبقاء عذرتها وهى جلدة البكارة أو ضيقها من قولهم تعذر الامر اذا ضاق (فى خدرها) بكسر المعجمة وسكون المهملة وهو ستر يجعل للبكر اذا ترعرعت فى جانب البيت لتنفرد به حتى عن النساء ولا شك ان العذراء التى تتربى فيه أشد حياء من التى تخالط غيرها أو تكون داخله خارجة وقال ابن حجر تبعا لغيره انما قيد بقوله فى خدرها لانه يدركها فى الخلوة من الحياء لكونها مظنة ان تساوم وان يطمع فيها ما لا يدركها فى الجلوة وبحضرة الناس فعلم ان المراد الحالة التى تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التى تكون حالة انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه اه وفيه انه لو كان هذا هو المراد لقيل أشد حياء من العذراء عند الدخول عليها فى خدرها فانه فى جميع الوسائل (وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه) أى لان وجهه كالشمس والقمر فاذا كره شيأ لم يصرح بكراهيته لشدة حيائه ولكن يظهر فى وجهه أثر كراهيته له كالغيم على النيرين كما ان المخدرة يعرف أثر رضاها وكراهتها فى وجهها ولا تحتاج الى التكلم بذلك بحضرة الناس وفيه ان الحياء من الاوصاف المحمودة المطلوبة وفى الحديث الصحيح الحياء شعبة من الايمان وفيه الحياء

عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها ولم تظفر الضاد الموصوفة بالقائمة بما ظفرت به فى حال كونها تغار منها أى والضاد اقربها عليها بتلك المرتبة العالية أرادت الظاء فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهى تلك المرتبة

(أبذكر الآيات أوفيك مدحا
أين منى وأين منها الوفاء)

المراد بالآيات الخصائص والمعجزات المذكورة فى هذا النظم الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق والاستفهام للانكار وبذكر يتعلق بأوفيك اذ لا يمكن بشرا أن يوفيك حقك فى المدح بل ليس ذلك الا لله تعالى فأين منى الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين وأين من تلك الآيات الوفاء بذلك وهى محصورة وكمالاتك غير محصورة فهو صلى الله عليه وسلم لم يحط ولا يحيط بمعرفته مخلوق على الاطلاق ومعرفته على ما هو عليه مما انفرد به الواحد

لا يأتى الا بخير وفيه الحياء خير كله قال المناوى واستشكل بان الحياء قد يفرط بصاحبه حتى يمنعه من القيام بحقوق الله تعالى ومعلوم ان هذا الاخير فيه وأجاب ابن الصلاح بان هذا ليس بحياء حقيقة وانما هو خور ومهانة اه والخور ان يستحي من كل شئ وهو مذموم لانه يؤدى الى ترك الواجب وعدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويمنع من كثير من الخير كما قال صلى الله عليه وسلم نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن فى الدين وهذا الحديث يقتضى ان ذلك حياء حقيقة ولذلك اختار الابى ان يجاب بانه عام مخصوص ان جعلت الاداة فى الحياء للعموم وان لم تجعل فالحديث قضية مهملة وهى فى قوة الجزئية ولا تناقض بين جزئيتين فالمعنى بعض الحياء لا يأتى الا بخير وبعض الحياء لا خير فيه وبهذا تعلم ان حياءه صلى الله عليه وسلم انما كان فيما لا يؤدى الى تضييع حق شرعى ولذلك كان يقيم الحدود على من وجبت عليه وقال للذى أقر بالزنا أنكتها لا تكنى اى صرح بالنيك ولا تكنى به ٣ رواه البزار عن أنس * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا سفيان عن منصور عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمى) نسبة الى خطم قبيلة من العرب (عن مولى لعائشة قال قالت عائشة ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو) شك من الراوى (قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا من كمال حيائه صلى الله عليه وسلم اذ لم يفعل ما يقتضى نظرها الفرج بل فعل ما يقتضى منعها من رؤيته وهو عظيم حيائه اذ لا تستحى المرأة على رؤية عورة زوجها الا من اشتهاره فى ذلك على ان فى رواية ما رأيت منه ولا رأى منى وروى أبو صالح عن ابن عباس قال قالت عائشة ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من نسائه الا مقنعا يرخى الثوب على رأسه وما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأى منى أورده ابن الجوزى فى كتاب الوفاء نقلا عن الخطيب وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكره لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وعن عمرو بن العاصى انه كان من حيائه أن لا يثبت بصره فى وجه أحد وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وقد تقدم فى حديث هند قوله خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدر من لقى بالسلام وقوله (قط) الظاهر انه متعلق بكلتا الروايتين فلا شك فى لفظة قط

(باب ما جاء فى خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال المناوى وجه مناسبة هذا الباب للشمائل ان من أجلها التوكل وقضيته ان يكل حفظ بدنه اليه سبحانه ولا يتداوى بحجم ولا بغيره فأزال ذلك ببيان ان تدبير البدن

الخلاق
وفى البغداديات
اخلاى من يحصى مديح محمد
وفى مدحه كتب من الله تقرأ
أيمدح من أثنى الاله بنفسه
عليه فكيف المدح
من بعد ينشأ
ورؤى ابن الخطيب بعد موته
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى
بقولى
يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له اغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاق
لكن قصد الانحياش الى الجناب
الافخم والركن الاعظم حلهم
على بذل مجهودهم وكيف
لا وقد قال مولانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مدحنى
ولو ببيت واحد كنت شفيعا له
يوم القيامة أى لان ذكر المدحة
تنبئ عن المحبة والظاهر ان
لا فرق بين منشئ ومنشد ومدرس

(أم أمارى بين قوم نبى
ساء ما ظنه بى الاغبياء

٣ قوله لا تكنى هكذا بأصلين بأيدينا والمحفوظ فى الحديث لا يكنى أى النبى صلى الله عليه وسلم أى صرح بالنيك ولم يكن به

مشروع غير مناف للتوكل لانه اسناد الامر اليه تعالى واعتقاد استغنائه فى التأثير عن السبب نعم تركه توكلا فضيلة ولا ينافيه فعل المصطفى وهو سيد المتوكلين لانه انما فعله للتشريع كما تقرر اه قلت استفيد من هذا الكلام فائدتان * احداهما ان التداوى غير مناف للتوكل وهو كذلك وقد تقدم فى باب صفة الورع انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل قال العسقلانى قال الطبرى قيل لا يستحق اسم التوكل الا من لم يخالط قلبه خوف شئ البتة حتى السبع الضارى ومن لا يسعى فى طلب الرزق ولا فى مداواة ألم والحق أن من وثق بالله وأيقن ان قضاءه عليه ماض لم يقدح فى توكله تعاطيه الاسباب اتباعا لسنته صلى الله عليه وسلم فقد ظاهر بين درعين ولبس المغفر واقعد الرماة على فم الشعب وخندق على المدينة وأذن فى الهجرة وهاجر وقال اعقلها وتوكل الى غير ذلك فاشار الى أن الاحتراز لا يدفع التوكل والله أعلم اه وأما حديث من استرقى واكتوى برئ من التوكل فقد تقدم تأويله قرب باب صفة الوضوء عند الطعام * الفائدة الثانية ان ترك التداوى فضيلة وان النبى عليه الصلاة والسلام انما تداوى تشريعا ورفقا بالامة وتنزلا لدرجة الضعفاء لانه فى محل الاقتداء وأهل الاقتداء انما يسيرون بسير الضعفاء وعلى هذا فيكون وجه ذكر هذا الباب فى شمائله صلى الله عليه وسلم بيان أن الحجامة ليست من باب التوغل فى الاسباب القادحة فى التوكل وعلى تسليم ان ترك التداوى فضيلة فانما ذلك فى حق غير النبى صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام انما تداوى تسهيلا على الامة وتنزيلا لدرجة الضعفاء لانه كان رفيقا رحيما بأمته وتذكر هنا قول عمر رضى الله عنه والله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت الا الى ما يدلك على انه صلى الله عليه وسلم انما تعاطى الاسباب لاجل أمته وهذا أحد القولين والقول الآخر ان التداوى بالاسترقاء وغيره أفضل من الترك ولذلك ورد الامر به وقد ترجم البخارى بعد ذكره أبوابا فى الرقية باب من لم يرق وأورد حديث السبعين ألفا وفيهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قال العسقلانى تمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكى وزعم انهما قادحان فى التوكل وأجيب باجوبة أحدها انه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيين أو الرقى التى لا تحل مما هو من كلام الجاهلية أو الذى لا يعقل معناه بخلاف الرقى بالذكر ونحوه وتعقبه عياض وغيره بان الحديث دل على مزية هؤلاء على غيرهم والذى يعتقد تأثير الادوية بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ليس مسلما وثانيها ان المراد من يجتنب ذلك فى الصحة خشية وقوع الداء وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا وهو معترض بما ثبت من الاستعاذة قبل وقوع الداء وثالثها أن المراد ان هؤلاء ممن غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الاسباب المعدة لدفع العوارض فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء وليس لهم ملجأ الى ما يعتريهم الا الدعاء والاعتصام بالله والرضا بقضائه فهم غافلون عن طب الاطباء ورقى الرقاة ورابعها ان

المراد

ولك الامة التى غبطتها
بك لما أتيتها الانبياء)

أم متصلة وامارى أجادل بهن أى بتلك الآيات حيث ذكرتها فى نظمى قوم نبى وهم المادحون لنبينا صلى الله عليه وسلم اى لم أذكر تلك الآيات بقصد أنى اوفى بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد انى أجادل بها أمته ومن ظن بى واحدا منهما فهو عندى لا يفهم ولا يعقل شيأ ولذا قال ساه ما ظنه بى الاغبياء لانهم لقلة بطشهم يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه وكيف يتصور منى ان أمارى أمتك ولك الامة ويحتمل الاستئناف أو معطوف على محذوف أى لك الآيات التى لا تحصى ولك الامة وهى الامة الوسطى أى الفضلى لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى كنتم خير أمة

المراد بترك الرقى واليكى الاعتماد على الله فى دفع الداء والرضا بقدره لا القدح فى جواز ذلك لثبوته فى الاحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطى الاسباب ولا يرد على هذا وقوع ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم فعلا وأمرا لانه كان فى أعلى مقامات العرفان ودرجات التوكل وكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله الكامل فلا يؤثر فيه تعاطى الاسباب شيأ بخلاف غيره اه وهذا الجواب الاخير هو الذى أشار له المناوى بما تقدم والله أعلم ثم نقل العسقلانى كلام الطبرى المتقدم الدال على ان تعاطى الاسباب لا يكون قادحا فى التوكل مطلقا بل فى حق من يكون مستندا اليها فتأمل ذلك فقوله لا يرقون ولا يكتوون أى لا يعتمدون على ذلك وهذا هو الظاهر فليس التداوى مرجوحا وقد ذكر فى الاحياء أن تعطيل الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قادح فى التوكل وان ترك من ترك التداوى من السلف ليس لان الترك أفضل بل لانه علم اقتراب أجله بمكاشفة أو برؤيا صادقة أولانه رأى علة من منة أولانه اعتقد عدم نفع الادوية لعدم تجربته ذلك وغلبة الظن بنفعها انما هو بالتجربة ولذلك كان الاطباء أقوى الناس ظنا بنفعها أو ايصال أجر المرض وقد جاء فى ثوابه كثيرا ولانه خاف آفة الصحة وذكر لكل واحد من هذه التأويلات مناسبات من الحكايات وقد قال فى الاحياء أيضا بعد ان قسم العلوم المحمودة وذكر ان علم الطب والحساب من فروض الكفاية ما نصه لا تعجب من كون هذين من فروض الكفاية فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفاية حتى الحجامة لو خلا البلد من حجام لاشرع الهلاك اليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله اه واعلم ان أهل الرضا رضى الله عنهم تارة يعطيهم الحق من المعرفة والتعظيم ما يغيبون به عن البلوى ولا يحسون بها وتارة يعطيهم مع الاحساس بها من السرور بموافقة ارادته ولا هم ما يتلاشى الالم فى جنبه فيكون الجسم متوجعا فى قبضة المصائب أسيرا والقلب عند الله فرحا بحلول البلاء مسرورا فهم فى نعيم معجل لزوال الضيق والحرج من قلوبهم بمشاهدة الافعال من محبوبهم فهؤلاء الصنف قلوبهم عند الله لا عندهم ولو كانت قلوبهم عندهم ما حملوا البلوى ولا قطعوا الشكوى ولا وجدوا لذة ارادة المولى أوحى الله تعالى الى أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام انى مبتليك فقال يارب أين يكون قلبى قال عندى قال يارب صب على البلاء صبا فلما بلغ البلاء منتهاه أوحى الله اليه انى معافيك فقال يارب أين يكون قلبى قال عندك قال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ولله در القائل

الوصل ان سكن الجحيم تحولت * نارا الجحيم على العبيد نعيما
والهجر ان سكن الجنان تحولت * دار النعيم على العبيد جحيما

ومما ينسب لابى بكر الصديق رضى الله عنه لما كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فى

أخرجت للناس ثم وصف الامة بقوله التى غبطتها أى تمنت ان يكون الانبياء مثلها بسببك لما أى حين أتيتها اى أرسلت اليها فشرفها بك وبمنك وقد روى أبو نعيم ان الله تعالى لما ذكر لموسى صفات هذه الامة قال يارب اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها معها قال فاجعلنى من أمته ذلك النبى قال استقبلت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال * ثم اعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام يشاهد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال على وابن عباس ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ العهد فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به

طريق هجرته

لو ضمنى بيت نمل والحبيب معى * لكان ذلك لى ظل وبستان
وأطيب الارض ما للقلب فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان

وقال الكسائى للمبرد يا أبا العباس شبر أرض يسع متحابين والفلاة كلها لا تسع متباغضين وأنشد

رحب الفلاة مع الاعداء ضيقة * سم الخياط مع الاحباب ميدان

(حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر عن حميد قال سئل أنس بن مالك عن كسب الحجام فقال أنس احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طيبة) اسمه نافع على الصحيح فقد روى أحمد وابن السكن والطبرانى من طريق محيصة بن مسعود انه كان له غلام حجام يقال له نافع أبو طيبة فانطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن خراجه الحديث وحكى ابن عبد البر فى اسم أبى طيبة انه دينار ووهموه فى ذلك لان دينارا الحجام تابعى روى عن أبى طيبة انظر العسقلانى وقال العسكرى الصحيح انه لا يعرف اسمه وذكر ابن الحداد فى رجال الموطا انه عاش مائة وثلاثا وأربعين سنة وذكر الكرمانى والنووى انه عبد لبنى بياضة وهو وهم بل هو لبنى حارثة مولاه محيصة بن مسعود الانصارى كما تقدم والذى كان مولى لبنى بياضة آخر يقال له أبو هند (فأمر له بصاعين من طعام) فى رواية البخارى وأعطاه صاعين من طعام وفى رواية من طريق شعبة عن حميد بلفظ أمر له بصاع أو صاعين أو مد أو مدين قال العسقلانى الشك من شعبة ومن طريق مالك عن حميد بلفظ فأمر له بصاع من تمر من غير شك وفيها تعيين الطعام والصاع مكيال يسع أربعة امداد بمده صلى الله عليه وسلم قال الداودى معياره الذى لا يختلف أربع حفنات بكف الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبى صلى الله عليه وسلم قال صاحب القاموس وجربت ذلك فوجدته صحيحا (وكلم أهله) أى مواليه كما فى البخارى (فوضعوا عنه) وفى رواية للبخارى وأمر أهله ان يخففوا (من خراجه) هو ما يوظف على المملوك كل يوم وسيأتى فى رواية المصنف ان مقداره كان ثلاثة آصع (وقال ان أفضل ما تداويتم به الحجامة أو ان من أمثل دوائكم الحجامة) فى العبارة الاولى صيغة المبالغة ليست فى الثانية والشك من الراوى قال القسطلانى والظن اسمعيل بن جعفر فان البخارى أخرجه من طريق عبد الله بن المبارك عن حميد عن أنس بلفظ ان امثل ما تداويتم به الحجامة وأخرجه النسائى من طريق زياد ابن سعد عن حميد عن أنس بن مالك بلفظ خير ما تداويتم به الحجامة ومن طريق معتمر عن حميد بلفظ أفضل من غير شك ثم اعلم ان الاصل فى الاحكام الشرعية العموم حتى يدل دليل على الخصوص وفى الاحكام العلاجية الخصوص حتى يدل دليل على العموم فالخطاب هنا للشاب من أهل الحرمين كمكة ومن بقطرها كالحجاز لان دماءهم رقيقة

ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه قال السبكى فى الآية انه على تقدير مجيئه صلى الله عليه وسلم فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة فالانبياء وأممهم كلهم من أمته يكون قوله بعثت الى الناس كافة عاما لمن تقدم ومن تأخر وبه تفهم قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال وقد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بالحديث الى روحه الشريفة وحقيقته المنيفة والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن أيده الله بنور الوحى فدعاهم النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم الارواح

وتميل

وتميل الى ظاهر الابدان لجذب الحرارة الخارجة لها الى سطح البدن للمناسبة التى بين
مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالبدن فتمس الحاجة الى الحجامة لانها تجتذب الدم من
ظاهر البدن فحسب ولا تمس الحاجة الى الفصد لانه يجتذب الدم من أعماق العروق
وبواطن الاعضاء وانما تمس الحاجة اليه فى البلاد الباردة لان الحرارة تميل فيها من ظاهر
البدن الى باطنه هربا من ضدها الذى هو برودة الهواء ولهذا لم يخاطبهم صلى الله عليه
وسلم بالفصد مع انه ركن عظيم فى حفظ الصحة أيضا ويفهم مما ذكرنا ان الخطاب لغير
الشيوخ لقلة الحرارة فى ابدانهم وكان ابن عوف يقول اذا بلغ الرجل أربعين لا يحتجم
أى لانه فى انتقاص من عمره فجماعته وهن على وهن الا أن يتبع به الدم حتى يكون ضرر
الترك أشد من ضرر الاخراج قال ابن حجر وفيه جواز كسب الحجام وتناوله للحر والعبد
والحجامة نفسها والتكسب بها وانها من أفضل الادوية وجواز التداوى بل استحبابه
بالحجامة وجواز أخذ الاجرة على المعالجة بالطب واعطائها ومخارجة الرقيق بان يقول
سيده أعطنى من كسبك كذا ولك الباقى فيقول رضيت والشفاعة الى صاحب حق
من دين أو غيره بالتخفيف منه اه وذهب أحمد الى الفرق بين الحر والعبد فكره
للحر الاحتراف بها وحرم عليه الانفاق على نفسه منها وجوز له الانفاق على الرقيق
والدواب وأباح للعبد مطلقا وحجته حديث محيصة انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن
كسب الحجامة فنهاه فذكر له الحاجة فقال له اعلفه ناضحك أخرجه مالك واحمد وأصحاب
السنن ورجاله ثقات والجمهور القائلون بالجواز مطلقا حملوا حديث النهى على التنزيه لما
فى الحجامة من مباشرة النجاسة ويطرد ذلك فى كل ما يشبهها ففيه الحث على معالى الامور
والتنزه عن دنىء الاكتساب ومن العلماء من ادعى النسخ وانه كان حراما ثم أبيح وجنح
الى ذلك الطحاوى انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عمرو بن على نا أبو داود
نا ورقاء بن عمر عن عبد الاعلى عن أبى جميلة عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم
وأمرنى ان أعطى الحجام أجره) هذا أصرح فى اباحة أخذ الاجرة من حديث أنس المتقدم
* قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة عن سفيان الثورى عن جابر
عن الشعبى عن ابن عباس قال) فى نسخة أظنه قال (ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم
فى الاخدعين) هما عرقان فى جانبى العنق (وبين الكتفين) هو الكاهل الآتى فى الرواية
بعد وقد روى ابن ماجه عن على كرم الله وجهه قال نزل جبريل على النبى صلى الله عليه
وسلم بحجامة الاخدعين والكاهل قال الاطباء الحجامة على الاخدعين تنفع من
امراض الرأس والوجه والاذنين والعينين والاسنان والانف وعلى الكاهل تنفع من
وجع المنكب والحلق وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم لما أكل من الشاة التى سمتها
اليهودية بخيبر احتجم على كاهله لينجذب السم الذى حصل فى البدن وقصد القلب الذى
هو مركز الحياة الى ضد الجهة التى مال السم اليها باختصاص الحاجم له واخراجه من

وأمدهم وأفادهم ثم دعاهم بعد
ذلك فى عالم الاشباح وشرائعهم
التى كانوا مكلفين بها هى شريعة
النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك
الاوقات بالنسبة الى أولئك
الامم فقوله تعالى ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به معناه والله أعلم لتظهرن
به ولتجددنه فى عالم
الاجساد والاشباح والافقد
تقدم منهم الايمان به فى عالم
الارواح والكلام على الآية
المذكورة طويل أفرد
بالتصنيف

(لم نخف بعدك الضلال وفينا
وارثو نورهدى العلماء)

البدن بامهل طريق يمكن فى ذلك الوقت لكن لم تخرج المادة كلها بل لما أراده الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة التى ودها صلى الله عليه وسلم (وأعطى الحجام أجره ولو كان حراما لم يعطه) كذا فى الصحيحين أيضا * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن ابن أبى ليلى عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا حجاما) هو أبو طيبة (فحجمه وسأله كم خراجك فقال ثلاثة آصع) صح فى رواية أن خراجه صاعان وجمع بانه صاعان وشئ فمن قال صاعان ألغى الكسر ومن قال ثلاثة جبر انظر ابن حجر والعسقلانى (فوضع عنه صاعا وأعطاه أجره) * قال المصنف (حدثنا عبد القدوس بن محمد العطار البصرى نا عمرو بن عاصم نا همام وجرير بن حازم قالا نا قتادة عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) أى فى هذه الايام من الشهر أخرج أبو داود من حديث أبى هريرة مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء سيبه غلبة الدم قال الاطباء وانما اختيرت هذه الاوقات لهيجان الدم فى الربع الثالث من الشهر لان الدم فى أوله وآخره يسكن وفى وسطه وبعده يكون فى نهاية التزايد والقوة وقد ورد النهى عنها يوم الاربعاء والجمعة والسبت واختلفت الرواية فى يوم الثلاثاء كما فى ابن حجر ففى حديث احتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه أيوب من البلاء وفى حديث ان يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وجمع شيخنا المحقق سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى كان الله تعالى له بان الاول محمول على ما اذا وافق سابع عشر الشهر والثانى محمول على غير ذلك قال ويؤيد هذا التخصيص ما أخرجه ابن سعد والبيهقى من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجامة يوم الثلاثاء لسبعة عشر مضت من الشهر دواء لداء السنة ثم نقل عن ابن رسلان والعلقمى والطيبى ما يوافق ذلك فانظره قال الشيخ زروق رحمه الله وتتقى الايام التى يذكر فيها شئ الا لقوة ايمان أو خوف ضلال جاهل كما فعل مالك ويحكى ان بعض العلماء احتجم يوم الاربعاء فأصابه مرض فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فشكا اليه ما به فقال اما سمعت من احتجم يوم السبت أو من احتجم يوم الاربعاء فأصابه مرض لا يلومن الا نفسه قال نعم لكنه لم يصح قال أما يكفيك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغزالى فينبغى ان يعمل بمثل هذا ولا ينظر فى الصحة الا فى باب الاحكام ونحوها اه قال ابن حجر وأفضل الايام لها يوم الاثنين اذا وافق يوم السابع عشر أو التاسع عشر أو الحادى والعشرين اه وأفضل أوقاتها فى النهار كما قال ابن سينا الساعة الثانية أو الثالثة وان لا تقع عقب استفراغ من حمام أو جماع أو غيرهما ولا عقب شبع ولا جوع قال ابن القيم ومحل اختيار الاوقات المذكورة ما اذا أريد بها حفظ الصحة ودوام السلامة فان كانت

الضلال الزيغ والانحراف عن الشريعة الواضحة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك والهدى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمراد بالعلماء أهل السنة والجماعة الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم بقوله كما فى الاحاديث الصحيحة لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم

لمداواة مرض وجب استعمالها وقت الحاجة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم بلحى) بفتح الميم واللام الاولى موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة على ما ذكره صاحب النهاية (على ظهر القدم) فيه حل الحجامة للمحرم فى موضع لا يحتاج فيه الى حلق الشعر ومذهب مالك كراهته الا لضرورة وفى حديث البخارى عن ابن عباس وابن بحينة ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم فى وسط رأسه بعمامة قال له لحى جمل وظاهره التعارض فى مكان الاحتجام وفى محله أيضا من البدن ويمكن الجمع بالحمل على التعدد وجزم بعضهم بان الحجامة التى وقعت فى وسط الرأس كانت فى حجة الوداع ويمكن ان تكون التى فى ظهر القدم وقعت فيها أيضا ويمكن أن تكون فى آخر عمره والله أعلم انظر جمع الوسائل والحجامة على ظهر القدم تنفع من قروح الفخذين والساقين وانقطاع الطمث والحكة العارضة فى الانثيين قال ابن حجر وفى خبر ضعيف جدا الحجامة فى الرأس تنفع من سبع الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الرأس والعينين وروى فى الحجامة فى المحل الذى اذا استلقى الانسان أصابته الارض من رأسه انه صلى الله عليه وسلم قال انها شفاء من اثنين وسبعين داء وفى رواية لابى نعيم الاصبهانى مرفوعة انها فيها شفاء من خمسة أدواء وذكر منها الجذام وقال ابن شيبان الحجامة فيها تورث النسيان حقا ونقله حديثا ولفظه مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة قال غيره ان ثبت هذا الحديث فهى انما تضعفه اذا كانت لغير ضرورة امالها الغلبة الدم فانها نافعة طبا وشرعا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه احتجم فى عدة أماكن من قفاه وغيره بحسب ما دعت ضرورته اليه اه وروى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم احتجم فى وركه من وثى كان به فتحصل مما تقدم انه صلى الله عليه وسلم احتجم فى الاخدعين والكاهل وعلى ظهر القدم وفى رأسه وفى وركه

(باب ما جاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم)

انما ذكرها والله أعلم فى كتاب الشمائل لدلالتها على ما له صلى الله عليه وسلم من المزايا والفضائل كما سيتبين ذلك ان شاء الله عند الكلام عليها والمراد بها الفاظ تطلق عليه صلى الله عليه وسلم الآن منها ما هو علم وما هو صفة (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد قالوا نا سفيان عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى أسماء) أى كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى واقتصر فى الحديث على خمسة منها اما لكونها أشهر من غيرها أو لكونها المذكورة فى الكتب الماضية أو لغير ذلك فلا مفهوم للعدد فى رواية البخارى لى خمسة أسماء بدليل ان المصنف ذكر تسعة أسماء وبدليل رواية لى فى القرآن سبعة اسماء محمد وأحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله ورواية أبى نعيم فى الدلائل من عدة طرق

يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر زاد فى رواية تحجبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر وفى أخرى انما العالم من عمل بعلمه وذكر المفسرون فى قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ان الدرجات اما فى الجنة واما فى الدنيا بالمرتبة والشرف وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء

عن أبي موسى وغيره سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا ومنها
ما لم نحفظ وأنهاها بعض الى أربعمائة وقد نقل أبو بكر بن العربي في كتاب الاحوذي في
شرح جامع الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم
وأكثرها من قبيل الصفات وصفاته صلى الله عليه وسلم كثيرة وكل وصف يجوز ان يشتق
له منه اسم (أنا محمد) هو علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف ومعناه من كثرت
محامده فيحمد حمدا بعد حمد وهو أبلغ من محمود لانه من الثلاثي سمي بذلك ليطابق اسمه
صفته لان ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه حقيقة وأوصافا وخلقا
وأعمالا وأحوالا وعلوما وأحكاما محمود في الارض وفي السماء وفي الدنيا والآخرة في
الدنيا بما نفع به من العلم والحكمة وفي الآخرة بالشفاعة (وأنا أحمد) قال السهيلي
وتبعه صاحب الشفاء وغيره معناه أحمد الحامدين لربه لانه على ما ثبت في الصحيح يفتح
عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد
ويخص بالمقام المحمود اه فهو أكثر الناس حمدا وأحمد حامد الا بواسطته صلى الله
عليه وسلم اذ هو نبي الجميع فهو الحامد لله تعالى على الاطلاق وبالتحقيق فهو أفعل بمعنى
الفاعل كأعلم فاسمه محمد يفيد المبالغة في المحمودية واسمه أحمد يفيد المبالغة في الحامدية
وأما احتمال انه بمعنى مفعول كأشهر أي أحمد المحمودين ففيه تكرار لانه حينئذ بمعنى
محمد قال في جمع الوسائل ولعله قدم محمدا في الحديث لكونه أشهر من أحمد بل ورد عند
أبي نعيم أنه سمي بهذا الاسم قبل ان يخلق الخلق بالفي عام وعن كعب ان اسم محمد مكتوب
على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى
ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين أعين الملائكة اه وبالجملة
فلهذين الاسمين الكريمين مزية على سائر أسمائه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر فينبغي
تحري التسمية بهما في خبر أبي نعيم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا عذبت أحدا تسمى
باسمك في النار وورد اني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد وروى
الديلمي عن علي ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك
المنزل كل يوم مرة أو مرتين (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) قال ابن حجر أي من
مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما زوى له صلى الله عليه وسلم ووعد أنه يبلغه
ملك أمته أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهره عليه بالحجة والغلبة قال تعالى ليظهره
على الدين كله أي فيكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة أو أنه يمحو سيئات من اتبعه
أي آمن به فيعفو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يهدم ما قبله وخص صلى الله عليه
وسلم بهذا لانه لم يمح الكفر بأحد مثل ما محي به صلى الله عليه وسلم اذ بعث وقد عم الكفر
الارض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معادا بل منهم من يعبد الحجر أو الكوكب أو النار

ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم مرتبة
هي واسطة بين النبوة والشهادة
بشهادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما خير سليمان صلوات الله
عليه بين العلم والمال والملك
فاختار العلم فاعطي المال والملك
معه وقال عليه الصلاة والسلام
أوحى الله تعالى الى ابراهيم
يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم
وعن بعض الحكماء ليت شعري
أي شيء أدرك من فاته العلم وأي
شيء فات من أدرك العلم وقد قال
الامام أبو حنيفة والشافعي
وغيرهما ان لم يكن العلماء
أولياء الله فليس لله من ولي
وصرح أبو اسحق الشاطبي
بافضلية درجة العلم على درجة
الولاية وهي مأخوذة من
أحاديث كثيرة والله أعلم وفي كلام

فعنى ذلك به صلى الله عليه وسلم نظهر دينه على كل دين و بلغ مبلغ الجديدين وسار مسير القمرين اه قلت انظر قوله فى الوجه الاول وغيرها مما روى له ووعدانه يبلغه ملك أمته مع سكنى الكفار فى غير الحجاز مما بلغه ملك هذه الامة لو اقتصر على أرض الحجاز لكان صوابا والله أعلم قال فى جمع الوسائل أو المراد انه يعود به الكفر لكن بالتدريج الى ان يضمحل فى زمان عيسى بن مريم لانه يرفع الجزية ولا يقبل الا الاسلام وفيه نظر لان كفر يأجوج ومأجوج موجود حينئذ و يجاب بانه وجد فى الجملة وأما عدم الاستقرار فامر آخر بل فيه ايماء الى أنه لما وصل الى الكمال يعقبه لزوال ولذا لا تقوم الساعة وفى الارض من يقول الله والله أعلم اه قلت قوله وجد فى الجملة الخ يقتضى ان الكفر ينقطع من الارض فى ذلك الوقت حتى من يأجوج ومأجوج ثم بعد ذلك يوجد ويعم الارض ويدل لذلك ما ورد فى مسلم من انهم اذا خرجوا من كل حدب ينسلون يحصرون عيسى وأصحابه فيرغب نبى الله وأصحابه الى الله تعالى فيرسل عليهم النغف بفتح النون والغين المعجمة وهو الدود الذى يكون فى أنوف الابل والغنم قال فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة الحديث وفرسى كقتلى وزنا ومعنى (وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية أى بعد بعثتى أو على اثرى لانه أول من تنشق عنه الارض (وأنا العاقب) أى الذى جاء عقب الانبياء ولذلك فسره بقوله (والعاقب الذى ليس بعده نبى) قال العسقلانى ظاهره انه مدرج لكنه وقع فى رواية سفيان بن عيينة عند المصنف فى الجامع بلفظ الذى ليس بعدى نبى * قال المصنف (حدثنا محمد بن طريف الكوفى نا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبى وائل عن حذيفة قال لقيت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض طريق المدينة) وفى بعض النسخ طرق جمع طريق (فقال أنا محمد وانا أحمد وأنا نبى الرحمة) أى الذى جاء بها الان الله تعالى رحم به الخلق والكثرة الرحمة وتضاعفها بسببه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين أى من المؤمنين والكافرين لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب اصلاح معاشهم ومعادهم ولامنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ولانه صلى الله عليه وسلم أمر بالرحمة وحض عليها فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء الى غير ذلك فكانت الرحمة فى هذه الامة أكثر من غيرها من الامم و بالجملة فقد ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لم يظهر على يد غيره (وأنا نبى التوبة) أى الذى جاء بها وحض عليها فظهرت على يديه أكثر مما ظهرت على يد غيره صلى الله عليه وسلم و يكفى هذا القدر فى الاختصاص وأما قول من قال ان المعنى انه الذى جاء بالتوبة على هذا الوجه المقرر فى محله بخلاف توبة الامم السالفة فانما كانت بقتل أنفسهم كما قال تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففيه نظر لان الله تعالى شدد على قوم موسى حين عبدوا العجل فجعل من شرائط توبتهم قتل

الناظم اشارة الى الخصوصيات والمزايا التى انفردت بها هذه الامة عن سائر الامم ببركة الانتساب الى ذلك الجناب الاتم منها ما تقدم ومنها ان من هم منا بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة بل تكتب له حسنة ان تركها امتثالا وان عملها كتبت له سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف فاكثر ومنها انه رفع عنا المؤاخذة بالخطا والنسيان وما وقع فيه اكراه وحديث النفس ومنها انا أول من تنشق عنهم الارض من الامم ومنها انه يقضى لهم قبل الخلائق ومنها انا ندخل الجنة قبل سائر الامم ومنها انهم يدخلون

أنفسهم وهذا الايدل على تخصيص التوبة على هذا الوجه المقرر عندنا بهذه الامة فانه مخالف لاقوال جميع الائمة وقضية الرجل الذى قتل مائة وتوبته معروفة مشهورة فى الروايات الصحيحة وكذا توبة آدم وغيره انظر جمع الوسائل (وانا المقفى) روى بصيغة اسم الفاعل أى التابع لغيره من الانبياء فكان آخرهم وقافية كل شئ آخره وقد تقدم أنه العاقب أو التابع آثار من سبقه من الانبياء كالتوحيد ومكارم الاخلاق كما قال تعالى فبهداهم اقتده وروى بصيغة اسم المفعول أى المقفى به فحذف حرف الصلة تخفيفا أى أنا الذى قفى بى على آثار الانبياء أى أرسلت الى الناس من بعدهم وختمت بى الرسالة وقد تقدم فى الباب الاول فى قول على وهو خاتم النبيين ان فى كونه خاتم النبيين مزايا كثيرة له ولامته صلى الله عليه وسلم وقد وردان أول ما خلق الله نورى ومن نورى خلق كل شئ وهذا يدل على انه أصل الموجودات كلها وورد كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أى ولا روح ولا جسد هكذا فسره المحققون وفى رواية كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أى ولا ماء ولا طين وهذا ونحوه يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان سابقا من حيث الحقيقة على جميع الانبياء متأخرا من حيث الصورة وقد ورد ان آدم عليه السلام يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى فيقول يا ولد ذاتى ووالد معناى وفى ذلك يقول ابن الفارض على لسانه صلى الله عليه وسلم

وانى وان كنت ابن أدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بابوتى

وقد قرر غير واحد من السادة الذين تلقتهم الامة بالقبول ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الداعى بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وانهم كانوا خلفاءه ونوابه فى الدعوة وقد أشار الى ذلك القطب الشهير مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين فى قوله اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه مناسابق ولا لاحق فى رياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شئ الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (وأنا الحاشر ونبى الملاحم) جمع ملحمة من التلاحم وهو الاجتماع بعد الفرقة أو من الالتحام والاشتباك لانه بعث بالسيف قال الخطابى فان قيل كيف الجمع بين كونه نبى الرحمة ونبى الملاحم لاسيما مع قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومع قوله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة فالجواب ان بعثه صلى الله عليه وسلم بالسيف والحرب من وجوه الرحمة لان الله تعالى أيد رسله عليهم السلام بالمعجزات وجرت عادته تعالى فى الامم السابقة انهم اذا كذبوا عوجلوا بالعذاب المستأصل اثر التكذيب واستؤنى بهذه الامة ولم يعاجلوا بالعذاب المستأصل وأمر بجهادهم ليرتدعوا عن الكفر ولم يجاحوا بالسيف لان للسيف بقية وليس للعذاب المستأصل

قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها ان لهم ما سعوا وما سعى لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى ومنها انهم عجل لهم عذابهم فى الدنيا وفى البرزخ ليوافوا يوم القيامة بمحصين ومنها أنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء أى بيض الوجوه والايدى والارجل ومنها انهم تغفر من نور الوضوء ومنها انهم تغفر لهم الذنوب بالاستغفار والندم لهم توبة ومنها ان أمته لا تهلك بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدو غيرهم يستبيح بيضتهم ولا يجتمعون على ضلالة

بقيـة ومن وجوه الرحمة ماصح انه صلى الله عليه وسلم جاءه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيأ ومن وجوه الرحمة أيضا ان الله تعالى وضع عن أمته الاصر والاغلال التى كانت على الامم قبلها كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام ورحمتى وسعت كل شئ الآية *قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا النضر بن شميل أنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه هكذا) أى كما تقدم فى حديث أبى وائل عن حذيفة رضى الله عنه *(تتميم)* لم يلم المصنف بشئ من كناه صلى الله عليه وسلم ومن كناه أبو ابراهيم وأبو الطاهر وأبو الطيب وأبو الاراءل وأبو المؤمنين وأشهر كناه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

(باب فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم)

تقدمت هذه الترجمة بعد باب اللباس وتقدم ان المقصود منها بيان خلقه صلى الله عليه وسلم فى عيشه وأنه كان يقتصر من ذلك على ماتدعو اليه ضرورة الحياة ويتخلى عن وجوه الترفهات زهدا فى الدنيا ونعيمها وجريا على ماتقتضيه حالة العبودية واظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى وليتأسى به الضعفاء لانه فى مقام التشريع والاقتداء فيزهدون فى الدنيا لانها عدوة الدين ويقتدون به فى تركها اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدى أولاده من الحية لاضعفه عن أخذها ولكن لعلمه بانه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا وتقدم انه انما كرر هذه الترجمة اهتماما بها لشدة الحاجة اليها فان غالب الناس يضيع عمره فيما يملأ بطنه من شهوات الدنيا ومستلذاتها أو لغير ذلك مما الله يعلمه (حدثنا قتيبة نا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين) ابن سيرين هذا تابعى جليل أدرك ثلاثين صحابيا اشتهر وا مام فى علم التعبير وغيره أخرج حديثه الائمة الستة وهو مولى أنس كاتبه على عشرين ألفا فاداها وعتق وكان له أولاد ستة كلهم نجباء محدثون (قال كنا عند أبى هريرة رضى الله عنه وعليه ثوبان ممشقان) أى مصبوغان بالمشق بكسر فسكون وهو الطين الاحمر وقيل المغرة قاله ابن حجر وغيره (من كتان) بيان للثوبين (فتمخط فى أحدهما) أى استنثر وطهر أنفه (فقال) أى أبو هريرة (بخ بخ) فى النهاية هى كلمة تقال عند الفرح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة وهى مبنية على السكون فان وصلت خفضت ونونت وربما شددت قال عياض وروى بالرفع واذا كررت فالاختيار تحريك الاول واسكان الثانى ومن كسره ونونه فقد شبهه بالاصوات كصه ومه (يتمخط أبو هريرة فى الكتان لقد) أى والله لقد (رأيتنى) أى علتنى (وانى لاخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة) اشارة الى موضع الاحباب والاصحاب أى كان يقع له فى موضع لايخفى فيه حاله على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (مغشيا على فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى يرى ان بى جنونا)

وان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا ومنها ان الطاعون رحمة لهم وكان عذابا لمن قبلهم ومنها ان فيهم أقطابا وأوتادا ونجباء وابدالا ومنها أنه يوم القيامة يدفع الى كل رجل منهم رجل من المشركين فينال هذا فداؤك من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انه ربى وعدنى ان يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بلا حساب فسألته الزيادة فزادنى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا

(فانقضت أى الانبياء وآيا
تك فى الناس مالهن انقضاء)

أى بسبب ان فى الامة وارثى هذاك الخصوصين بهذه الخصائص التى لم توجد لغيرهم من الامم انقضت أى الانبياء اى معجزاتهم لانتساخ شرائعهم بموتهم وآياتك أى معجزاتك فى الناس قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك مالهن انقضاء أما الاولان فقد مر منها جملة منها ما فى كتب الله المنزلة على الانبياء من ذكره ونعته وما ظهر فى أيام مولده وصبعثه من الامور العجيبة كقصة الفيل وخمود نار فارس وسقوط شرفات

وكان من عادتهم ان يفهموا ذلك بالجنون حتى يفيق (وما بى جنون وما هو) أى ذلك الذى بى (الا الجوع) أى غشيه كان أبو هريرة من أهل الصفة وكانوا أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتت النبى صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية ارسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها كما فى البخارى وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الاهتمام بهم فلو كان عنده شئ ما حصل هذا لابى هريرة مع انه كان عريفهم اذا احتاج اليهم النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم له وكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيثما دار وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعى أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى عصره وقد كان ابن عمر يترحم عليه فى جنازته ويقول كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والانصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والانصار بحوائطهم وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم أبو هريرة وعاء العلم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم انى قد سمعت منك حديثا كثيرا وانى أخشى ان أنسى قال ابسط رداءك قال فبسطته فغرف فيه بيده ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيأ بعده وفى البخارى انه قال ما من أصحاب النبى أحد أكثر حديثا عنه منى الا ما كان من عبد الله بن عمر فانه كان يكتب ولا أكتب قال فى الاستيعاب قال البخارى روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابى وتابعى وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وواثلة وحفظ من الحديث ما لم يحفظ غيره من الصحابة وذلك خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعين وسبعون حديثا فى الصحيحين منها ستمائة وتسعة أحاديث وفى صحيح البخارى عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فابى عليه ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته سنة ثمان وخمسين أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لكل أمة حليم وحليم هذه الامة أبو هريرة ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لامه بالاسلام فاسلمت ثم دعا له ولامه فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين قال أبو هريرة فما خلق الله من مؤمن يسمع بى ولا يرانى الا أحبنى وكان من علماء الصحابة وفضلائها ناشرا للعلم شديد التواضع والعبادة عارفا بنعم الله تعالى شاكرا لها مجتهدا فى العبادة كان هو واهرأته وخادمه يعتقبون الليل ثلاثا يصلى هذا ثم يوقظ هذا وكان يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجير البسرة بنت غزوان بطعام بطنى فكنت أخدم اذا نزلوا واحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله فالحمد لله الذى جعل الدين قواما وقد اختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا بلغ الى ثمانية عشر قولا وأشبه ما فيها ان يقال كان له فى الجاهلية اسمان عبد شمس وعبد عمرو وفى الاسلام

عبد الله وعبد الرحمن بن صخر وقد اشتهر بكنيته حتى كانه ليس له اسم غيرها ويكنى بابى هريرة لانه وجد هرة صغيرة فحملها فى كمه فكنى بها وقيل ان الذى كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم حين رآه يحملها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم فى طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) سبق الكلام على هذا الحديث فى باب العيش المتقدم وفى باب صفة الادام * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ان كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر) سبق الكلام أيضا على هذا فى باب العيش المتقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار) هو تابعى مشهور من علماء البصرة فالحديث مرسل بل معضل لانه رواه عن الحسن البصرى وهو تابعى أيضا كما أخرجه أبو موسى المدينى وأصحاب الغريب (قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز قط ولا لحم الا على ضفف) هل المراد انه ما شبع من أحدهما كما أفهمه توسط قط بينهما أو منهما معا الذى ورد عن أنس كما تقدم فى باب العيش انه لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم تردد قاله المناوى وابن حجر (قال مالك) اى ابن دينار (سألت رجلا من أهل البادية ما الضفف فقال ان يتناول مع الناس) هذا أحد معانيه كما سبق فى باب العيش المتقدم قال ابن حجر والاستثناء منقطع ووجهه ان أكله مع الناس يستلزم عدم الشبع لما علم من ايثاره صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله تعالى عنهم وجميل أحواله معهم وحمله بعضهم على الاتصال فقال لم يشبع الا فى الضيافات والولائم اه قال المناوى هذه هفوة اذ لو قيل فى حق الواحد منا انه لا يشبع الا عند الناس لم يرتضه فما بالك بذلك الجناب الافخم فالاولى ان يقال ما كان يشبع من ذلك الا اذا نزل به الضيف فيتكلف لهم حينئذ لتحصيل ما ليس عنده ويؤانسهم بمؤاكلتهم فيشبع لضرورة الايناس والمجابرة اه قلت لعل مراد البعض انه صلى الله عليه وسلم اذا أكل فى ضيافة أو وليمة كان يجبر قلب رب الطعام بان يتناول منه أكثر مما يتناول من طعامه فى بيته فكان يشبع من طعام غيره رغبة فى ادخال السرور عليه وهذا وجه حسن لا بأس به وقد تقدم ان معنى الشبع فى حقه صلى الله عليه وسلم كما قال الاثيرى انما هو ما يحمل جسمه ويحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف وفى الاكل على كثرة الايدى فوائد منها ان الانسان يأكل بالسنة لانه لا يأكل كثيرا اذا كان مع غيره ومنها كونه يؤثر غيره ببعض ما يشتهيه من الطعام فيحصل له بذلك ادخال السرور على أخيه المسلم ومنها التماس البركة من الحاضرين معه لما ورد من أكل مع مغفور له غفر له * (تنبيه) * يوجد فى بعض النسخ قبل قوله حدثنا قتيبة الخ حدثنا عبد الله ابن أبى زياد نا سيار نا مهل بن اسلم عن زيد ثم قال نا قتيبة الخ والذى فى الباب

ايوان كسرى وانتكاس الاصنام
المعبودة لولادته الى غير ذلك مما
ورد به الاخبار الى أن بعثه الله
مما هو تأسيس لنبوته وارهاص
لرسالته وأعظم من ذلك كله
القرآن الذى نزل عليه واستمر فى
أمته وفى البردة
دامت لدينا فما فاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم
وأما الاخبار فكثير جدا اذ فى كل
حين يقع خواص أمته من
خوارق العادات بسببه ما يدل
على تعظيم قدره ما لا يحصى كما
قال

المتقدم بعد قوله ثنا سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي أنيس عن طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر الحديث فلعل ذكر هذا السند في حديث ما شبع الخ سهو من الناسخ والله تعالى أعلم

(باب ما جاء في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أي مقدار عمره وسميت الجارحة سنا لانه يستدل بها على مدة العمر قال في المصباح والسن اذا عنيت بها العمر مؤنثة لانها بمعنى المدة (حدثنا أحمد بن منيع نا روح ابن عبادة نا زكريا بن اسحق نا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مكث) بضم الكاف وفتحها أي لبث (النبي صلى الله عليه وسلم بمكة) أي بعد البعثة (ثلاث عشرة) أي سنة (يوحى اليه) أي باعتبار مجموعها لان مدة فترة الوحي وهي سنتان ونصف من جملتها (وتوفي وهو ابن ثلاثة وستين) في رواية لمسلم عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ثلاث وستين وفي البخاري عن عائشة وابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا وفي مسلم أيضا عن ابن عباس أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا القرطبي يسمع أصوات الملائكة عليهم السلام والجمادات تسلم عليه بالرسالة ويحتمل الضوء أنه نور الملائكة عليهم السلام ويحتمل انها أنوار تضيء بين يديه أوقات الظلمة يحجب عنها غيره اه وهذه هي الروايات المروية عن ابن عباس في قدر اقامته بمكة بعد البعثة ولا خلاف أنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وانما الخلاف في قدر اقامته بمكة بعد النبوة فاما رواية المصنف ومثلها رواية مسلم الاولى فهي أصح الروايات وهي الموافقة لما رواه اكثر الرواة وأما الروايتان الاخيرتان عن ابن عباس فبينهما مخالفة من وجهين أحدهما في مدة الاقامة بمكة عشرة أو خمس عشرة وثانيهما في زمن الوحي عليه عشر سنين أو ثمان سنين كما ان بينهما وبين الرواية الاولى مخالفة في الامرين أيضا وقد تقدم في حديث أنس أول الكتاب التوفيق بين رواية أقام بمكة عشر سنين ورواية أقام بها ثلاث عشرة سنة وقد اختلفت الروايات أيضا في قدر عمره صلى الله عليه وسلم ففي هذه الرواية ثلاث وستون وهي أصحها وأشهرها وفي رواية ستون وفي رواية خمس وستون وقد سبق في حديث أنس أول الكتاب التوفيق بينها ولما ذكر الابي هذه الروايات الثلاث قال قلت قال ابن العربي ليس هذا باختلاف فانه لم يختلف انه أقام أربعين سنة لا يوحى اليه ثم أقام خمسة أعوام ما بين رؤيا وفترة ثم جمي الوحي وتتابع عشرين سنة فمن عد مدة تتابع الوحي قال ستين ومن عد الجملة قال خمسا وستين ومن أسقط عامي الفترة قال ثلاثا وستين اه بلفظه قلت تنزيل هذا الجمع على اختلاف الروايات في قدر عمره صلى الله عليه وسلم لا يصح كما

(والكرامات منهم معجزات حازها من توالك الاولياء)

أي الكرامات الواقعة منهم أي من الناس كالمعجزات اذ كل منهما أمر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة معجزات لك حازها من توالك أي عطائك وكرمك الاولياء وكان القياس حازوها لكنه أظهر ليبين ان مراده بالناس العائد عليهم في منهم خواصهم وهم الاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما الى ما يغضبهما أو مفعول لان الله والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد امداده

هو ظاهر بأدنى تأمل نعم يصح ان يجمع بذلك بين الروايات المختلفة فى قدر اقامته بمكة فمن
قال ثمانية أعوام أسقط الخمسة أعوام التى بين الرؤيا والفترة وأسقط سنتى ابتداء
الرؤيا وتمامها ومن قال خمسة عشر أضاف هذه السبعة للثمانية ومن قال عشرة أسقط
الخمسة التى بين الرؤيا والفترة ومن قال ثلاثة عشر أضاف لها مدة الفترة فقط على انها
أكثر من عامين وهذا الجمع يقتضى ان مدة عمره صلى الله عليه وسلم خمس وستون
سنة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى
اسحق عن عامر بن سعد عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين) تقدم ان هذه الرواية هى أصح الروايات وأشهرها
وان غيرها محمول عليها (وأبو بكر وعمر) أى كذلك أو معطوف على رسول وقيل ان
أبا بكر توفى وهو ابن تسع أو ثمان أو ست أو احدى وخمسين ولم يذكر عثمان رضى الله
عنه وقد قيل انه قتل وهو ابن اثنين وثمانين وقيل ابن ثمان وثمانين سنة ولم يذكر
عليا رضى الله عنه والاصح أنه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن خمس وستين وقيل
ابن سبعين وقيل ابن ثمان وخمسين على ما ذكره صاحب المشكاة فى أسماء الرجال (وأنا
ابن ثلاث وستين) أى فانا متوقع أن أموت فى هذا السن موافقة لهم لكنه مات وهو
ابن ثمان وسبعين سنة أو ابن ستة وثمانين وفيه ايماء الى أن هذا أحسن مدة العمر لما علم
من أن الله تعالى لم يختار لنبيه الا ما هو الافضل * قال المصنف (حدثنا حسين بن مهدى
البصرى نا عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبى
صلى الله عليه وسلم مات وهو ابن ثلاث وستين) فقد اتفقت رواية ابن عباس المتقدمة
مع رواية معاوية وعائشة رضى الله عنهم على ان مقدار عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث
وستون سنة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع و يعقوب بن ابراهيم الدورقى نا
اسمعيل بن علية) هى أمه واسم أبيه ابراهيم وكان يكره هذه النسبة لكنه اشتهر
بها (عن خالد الحذاء نى عمارة مولى بنى هاشم) كذا فى بعض النسخ وكذا هو فى جامع
المصنف وهو الصواب وفى بعض النسخ عمارة مولى بنى هاشم وهو سهو لانه لم يوجد فى
الرواة عن ابن عباس عمارة مولى بنى هاشم ولا فيمن روى عنه خالد الحذاء عمارة مولى بنى
هاشم (قال سمعت ابن عباس يقول توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين)
* قال المناوى نسبت هذه الرواية للغلط و بفرض صحتها سبق تأويلها بأنه حسب سنتى
المولد والوفاة قال العصام وانما يصح لو لم يفصل ابن عباس باربعين قبل الوحى وخمسة
عشر بمكة وعشرة بالمدينة على ما ذكره مسلم بن منهال اه * قال المصنف (حدثنا محمد
ابن بشار ومحمد بن ابان) بالصرف وبدونه (قالا نا معاذ بن هشام نى أبى عن قتادة
عن الحسن عن دغفل بن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين

وكرمه وضابط الولى انه المداوم
على فعل الطاعات واجتناب
المعاصى المعرض عن الانهماك
فى اللذات كذا قالوه و يتجه أن
هذا ضابط للولى الكامل وأن
أصل الولاية يحصل لمن وجدت
فيه صفة العدالة الباطنة
بالشروط المعتبرة ثم المعجزة هى
فعل الله تعالى خارق للعادة مقارن
لدعوى الرسالة متحدى به والا
فهى استدراج أو سحر ولذا قال
ابن حجر العسقلانى فى الفتح ان
الذى استقر عند العامة أن
خرق العادة يدل على ان من وقع
له ذلك يكون من أولياء الله غلط
فان الخارق قد يظهر على يد
المبطل من ساحر وكاهن وراهب
فلا بد من النظر الى التمسك
بالاوامر الشرعية والنواهى
المرعية فهى علامة على الولاية

قال أبو عيسى) أى الترمذى (وهذا غلط لا نعرف له سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) أى لا صبيا فقط وفى هذا ميل الى القول بانه مخضرم وقيل ان له صحبة وانه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن نا مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك انه) أى ربيعة بن أبى عبد الرحمن (سمعه) أى أنسا (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) هذا هو الخبر السابق أول الكتاب بعينه الا ان الاسناد مختلف وتقدم الجمع بين الروايات المختلفة فى مدة اقامته بمكة وفى مدة عمره صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أى ابن سعيد (عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك نحوه) أى نحو الحديث قبله الا انه بالاسناد السابق أول الكتاب

(باب ما جاء فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكر فى هذه الترجمة بعض ما ورد فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته وأحواله عند لقاء الموت وسكراته وفى ذكر المؤمن لمصيبة الاولين والآخرين بوفاة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ما يهون عليه الموت ويحببه اليه ويزهده فى الدنيا ومتعلقاتها ويبغض لذاتها اليه فانه صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة لامته حيا وميتا فان المؤمن اذا علم أن المولى سبحانه وتعالى اختار لاحب الخلق اليه الدار الآخرة فانه لا محالة يحب لنفسه ما أحبه الله لنبيه وقد ورد تحفة المؤمن الموت وورد الموت ريحانة المؤمن وورد الموت غنيمة المؤمن وورد الموت كفارة لكل مسلم حديث حسن صحيح كما فى سراج المريدين وانظر بشرى الكئيب وأيضا فاذا توفى هو فلا مطمع لاحد فى البقاء قال تعالى أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قال الحسن لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب وأيضا فمن قويت محبته للنبى صلى الله عليه وسلم لا يصبر عنه ويتشوق الى الموت فى كل نفس طمعا فى الاجتماع به صلى الله عليه وسلم وذلك من أقوى الادلة على الصدق فى المحبة وقد قال سيدنا بلال رضى الله عنه عند موته واطراباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه وفى الحديث الموت تحفة لكل مسلم وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت ويرحم الله شيخنا المحدث الصوفى سيدى عبد السلام بن حمدون جسوس حيث يقول فى هذا المعنى

أيا أمة المختار يا خير أمة * تجافوا عن الدنيا وحنوا الى القرب

والعكس بالعكس والصحيح ان كل ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى

*(تنبيهات) * الاول قال الحاتمى رضى الله عنه فى الفتوحات ان محمدا جميع الانبياء والمرسلين من روح سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب فهو محمد لجميع الناس أولا وآخرا فهو محمد كل نبى وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب ومحمد أيضا لكل ولى لاحق فيوصله بذلك الى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفى حال كونه منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ثم قال فكل نبى تقدم على زمان

ألستم بدارلا ترون حبيبكم * وكيف يطيب العيش دون لقا الحب

ولغيره

يرى الموت قوم فناءلهم * وفيه الحياة التى لا تغيب

فلا تكرهوا موتكم انه * فراق العدو ولقيا الحبيب

فهو باعتبار خروج المؤمن من سجن الدنيا تحفة وكرامة واعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حج وخطب عرض باقتراب أجله وقال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد هذا وجعل يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ولما رجع الى المدينة جمع الناس فى الطريق وخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيبه ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته ولما وصل الى المدينة مكث قليلا ثم مرض بصداع وحمى فخرج وهو معصوب الرأس فصعد المنبر ثم قال كما رواه الشيخان ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضى الله عنه وعرف أن نفسه يريد فقال نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال انظروا هذه الابواب اللاصقة بالمسجد فسدوها الا باب أبى بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه وأراد عمر فتح كوة لينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم منها فمنعه من ذلك وقال عليه السلام للعباس ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينى بعدى منى السلام وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدى فأوحى الله الى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره انه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا اجتمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن طابت نفسى وقرت عينى (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث وقتيبة بن سعيد وغير واحد قالوا نا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن أنس بن مالك قال آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف الستارة) أى الحجاب (يوم الاثنين) ان كان يوم الاثنين بالرفع كما قيل كان خبرا عن قوله آخر باعتبار مضاف مقدر وقوله كشف الستارة حال بتقدير قد او بدونها على ما جوزه بعضهم أى زمان آخر نظرة نظرتها اليه صلى الله عليه وسلم والحالة انه كشف الستارة أى رفعها يوم الاثنين وان كان منصوبا على الظرفية فخبر المبتدا محذوف تفاد من قوله كشف الستارة فانه سادمسد الخبر فكانه قال آخر نظرة

ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة اه وقال الشيخ أبو عثمان الفرغانى لم يكن داع حقيقى من الابتداء الى الانتهاء الا هذه الحقيقة الاحمدية التى هى أصل جميع الانبياء وهم كالاجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كل لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع أجزائه والاشارة الى ذلك قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس والانبياء والرسل وجميع أممهم وجميع المتقدمين والمتأخرين داخلون فى كافة الناس وكان هو داعيا بالاصالة وجميع الانبياء والرسل يدعون الخلق الى الحق عن تبعيته صلى الله عليه وسلم وكانوا خلفاءه ونوابه اه ولذا قال الناظم فى الدعوة اه

نظرتها اليه حين كشف الستارة يوم الاثنين (فنظرت الى وجهه كانه ورقة مصحف) بتثليث الميم قال ابن حجر والاشهر الضم والتشبيه فى حسن البشرة وضياء الوجه وبياضه واستنارته (والناس خلف أبى بكر) فأراد الناس الخروج عن الاقتداء بأبى بكر رجاء أن يتم الصلاة بهم النبى صلى الله عليه وسلم أو أرادوا أن يعطوه الطريق ليصل اليهم (فأشار الى الناس أن اثبتوا) أى كونوا على ما أنتم عليه من الصلاة مع أبى بكر أو القيام فى الصف وزاد قوله (وأبو بكر يؤمهم) اشارة الى أنه كان فى اثناء الصلاة (وألقى الستجف) بفتح السين وكسرها كما فى القاموس زاد فى النهاية وقيل اذا كان مشقوق الوسط (وتوفى من آخر ذلك اليوم) رواية البخارى عن الزهرى قال أخبرنى أنس أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة فكشف النبى صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم خارج الى الصلاة فأشار الينا النبى صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه اه وليس فى هذه الرواية ما ينافى ما جزم به أهل السيرة من أنه عليه السلام توفى حين اشتد الضحى بخلاف رواية المصنف لكن قال العسقلانى يجمع بينهما بأن اطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول فى النصف الثانى من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابى الاسود عن عروة فهذا يؤيد الجمع الذى اشرت اليه اه قال بعضهم ويمكن أن يجمع بينهما بأن يحمل قوله وتوفى من آخر ذلك اليوم على تحقق وفاته عند الناس اه قال ابن سيد الناس فى عيون الاثر اختلف أهل العلم فى اليوم الذى توفى فيه بعد اتفاقهم على انه يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول فذكر الواقدى وجمهور الناس انه الثانى عشر قال أبو الربيع بن سالم وهذا لا يصح وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علمنا بيانه وقد تقدمه السهيلى الى بيانه بأن حجة الوداع كانت وقفتها يوم الجمعة فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول سواء تمت الاشهر كلها أو نقصت كلها أو أتم بعضها ونقص بعضها وقال الطبرى يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول وقال أبو بكر الخوارزمى أول يوم منه وكلاهما ممكن اه وأجيب عن اشكال قول الجمهور بانه يحتمل اختلاف أهل مكة والمدينة فى رؤية هلال ذى الحجة بواسطة مانع من السحاب أو غيره أو بسبب اختلاف المطالع فتكون غرة ذى الحجة عند أهل مكة يوم الخميس وعند أهل المدينة يوم الجمعة وكان عرفة واقعا برؤية أهل مكة ولما رجع الى المدينة اعتبروا التاريخ برؤية أهل المدينة وكانت الشهور الثلاثة كوامل فيكون أول

ربيع

فى البردة
وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
ويؤخذ من استمداد الانبياء منه
صلى الله عليه وسلم استمداد
الاولياء منه بطريق الاحروية
ولكن الحظوظ مختلفة فحظ
النبى زق من عسل وحظ الولى
مارشح منه كما قال أبو يزيد
البسطامى رضى الله عنه فينبغى
لمن زار وليا من أولياء الله أن
يستحضر استمداده من حضرته
صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك
زائرا له صلى الله عليه وسلم
* (التنبيه الثانى) * اعلم ان
الاولياء أفاض الله علينا من
بركاتهم ورضى عنهم قسمان
قسم مريد سالك واصل الى ربه

فى نسخ الشمائل المصرية بعد
والناس خلف ابى بكر ما نصه
فكاد الناس أن يضطربوا فاشار
الخ وليس ذلك بالاصلين بايدينا
اه مصحح

ربيع الاول يوم الخميس ويوم الاثنين الثانى عشر منه وقد صحح النووى اعتبارا اختلاف المطالع عند الشافعية خلافا للعصام فى قوله انهم لا يعتبرونه انظر المناوى * قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة البصرى نا سليم بن أخضر عن ابن عون عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت مسندة النبى صلى الله عليه وسلم الى صدرى أو قالت الى حجرى) بفتح الحاء ويكسر وهو ما دون الابط الى الكشح (فدعا بطست) التاء فيه بدل من السين ولهذا يجمع على طساس وطسوس ويصغر على طسيس اعتبارا باصله (ليبول فيه ثم مال) قال شارح فى نسخة مال أى بالميم قال فى جمع الوسائل والظاهر انه تصحيف اه قلت فى البخارى ذكر عند عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى الى على فقالت من قاله لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وانى لمسندته الى صدرى فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت فكيف أوصى الى على اه ومعنى انخنث استرخت أعضاؤه (فمات) ظاهره انه مات فى حجرها ويوافقه رواية البخارى عنها توفى فى بيتى فى يومى وبين سحرى ونحرى وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى والسحر الرئة والنحر موضع القلادة من الصدر والحاقنة محل الحفرة التى فى أسفل العنق والذاقنة الذقن * قال ابن حجر ولا يعارضه ما للحاكم وابن سعد من طرق ان رأسه الكريم كان فى حجر على رضى الله عنه لان كل طريق منها لا يخلو عن شئ قاله العسقلانى وبتقدير صحتها المراد انه كان فى حجره قبيل الوفاة اه وفيه حل الاستناد للزوجة والبول فى الطست ولو بحضرة الزوجة وفيه مزية عائشة رضى الله عنها على غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث عن ابن الهاد) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد (عن موسى بن سرجس عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت) أى مشغول وملتبس به (وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل) أى يغمس (يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء) لانه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق وفى البخارى الحمى من فيح جهنم فاطفؤها بالماء والخطاب لاهل الحجاز لان غالب حماياتهم حرارة عارضة بسبب حرارة القطر وليس كل حمى تعالج بالماء وفيه عن ابن مسعود قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك بأن لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها والوعك الحمى أو ألمها أو ترعيدها للمريض وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت أحدا الوجع عليه أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وفيه انه يسن فعل ذلك لمن حضره الموت فان لم يفعل فعل به ما لم تظهر كراهيته لذلك لان فيه نوع تخفيف من كرب الحرارة كالتجريع بل يجب التجريع ان ظهرت حاجته له (ثم يقول اللهم أعنى على منكرات الموت) أى شدائده وغمراته التى

المالك وقسم غائب مجذوب فى حضرة علام الغيوب فاجأهم التجلى الالهى فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الله تعالى منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول ولما تكلم أبو زيد بن خلدون فى أوائل تاريخه على السادات الصوفية قال ومن هؤلاء قوم بهم الميل معتوهون أشبهوا بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم

تغطى العقل وفى تلك الشدائد زيادة رفع درجات للاصفياء وكفارة لسيئات أهل
الابتلاء (أو قال على سكرات الموت) مايحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر فقال
المسكرات والسكرات واحد. واو للشك والشك انما هو فى اللفظ وفى رواية أحمد
سكرات الموت من غير شك وفى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات
والاعانة على ذلك بالصبر والتثبت وعدم الجزع والفزع لشدتها وفى البخارى عن عائشة
رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم رفع يده أو اصبعه ثم قال فى الرفيق الاعلى ثلاثا ثم
قضى وفى رواية انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى
بالرفيق الاعلى وفى رواية عنها قالت كنت أسمع انه لا يموت نبى حتى يخير بين الدنيا
والآخرة فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه وأخذته بحة
يقول مع الذين انعم الله عليهم الآية فظننت انه خير فاختار لقاء الله تعالى والمقصود
من هذا التخيير اظهار رمزيتهم والا فلا يختارون على لقاء الله شيأ وفى رواية عنها قالت
كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة
ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت
وقال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو
صحيح قالت فكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الاعلى اى أسألك الرفيق وهم
المذكورون فى قوله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
الآية وقيل ان المراد بالرفيق الله تعالى من الرفق بمعنى اللطف لا بمعنى المرافقة بمعنى
الصحبة والمخالطة كما فى الوجه الاول وقد تقدم انه قال وهو على المنبر ان عبدا خيره
الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر قلت
طلب سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم لمغفرة الله ورحمته والالحاق بأهل
طاعته فى آخر يوم من أيام الدنيا يدل على ان المؤمن وان بلغ ما بلغ فى معرفة الله تعالى
والجد والاجتهاد فى عبادته لا يسعه الرضا عن نفسه ولا يرى أن له فضلا على غيره وان
اللائق بحاله دوام الانكسار وملازمة الاستغفار وطلب رحمة الرحيم الغفار وما
قدر والله حق قدره ولذلك يقولون الاستغفار دأب العارفين وسنة خير الخلق من
الانبياء والمرسلين وتقدم انه كان يعد له عليه الصلاة والسلام فى المجلس الواحد أكثر
من مائة مرة رب اغفر لى وتب على ولما نزلت سورة النصر بعد ان نصر الله دينه ودخل
الناس فيه أفواجا ثبت فى الصحيحين انه عليه السلام ما صلى بعد ذلك صلاة الا يقول فيها
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى * قال المصنف (حدثنا الحسين بن الصباح البزار
نا مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء عن أبيه عن ابن عمر عن عائشة رضى الله
عنها قالت لا أغبط أحدا) من الغبطة وهى اشتهاء أن يكون للمثل من غبطته (بهون
موت) من اضافة الصفة للموصوف أى بموت هون سهل ليس فيه شدة فى الصحاح

من الاخبار عن المغيبات عجائب
لانهم لا يتقيدون بشئ فيطلقون
كلامهم فى ذلك ويأتون منه
بالعجائب الى أن قال ولا يتوقف
اصطفاء الله عباده للمعرفة
على شئ من التكاليف واذا صح
ذلك فاعلم انه يلتبس حال هؤلاء
بالمجانين الذين تفسد نفوسهم
الناطقة ولك فى تمييزهم علامات
منها أن هؤلاء اليها اليل تجد لهم
وجهة ما لا يخلون عنها أصلا
من ذكر وعبادة لكن على غير
الشروط الشرعية لما قلناه من
عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم
وجهة أصلا ومنها انهم يخلقون
على البله من أول نشأتهم
والمجانين يعرض لهم الجنون

الهون

الهون مصدر هان عليه الشئ أى خف وهونه الله عليه سهله وخففه (بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجه ذلك ان شدة موته عليه السلام مما يدل على أن شدة الموت ليست من علامات السوء وان سهولته ليست من الكرامات والا لكان النبى صلى الله عليه وسلم أولى الناس بهذه الكرامة فاذا لا تكره شدتها ولا تغبط سهولتها وأما العكس فمما لا يتوهم ولهذا لم تقل أغبط كل من يموت بشدة فان الشدة لا تدل على خير وبالعكس والرفق لا يدل على سوء وبالعكس قال فى جمع الوسائل والتحقيق أن الشدة انما كانت فى مقدمات موته لا فى نفس سكراته كما يتوهم فراد عائشة أنى لا أتمنى الموت من غير سبق مرض شديد كما يقع لبعض الناس ويحسبه العوام ان الله هون عليه اكراما له فتأمل فانه موضع زلل اهو قد تقدم قول عائشة رضى الله عنها فاتحنث فمات فشعرت وهو يؤيد ما قاله فى جمع الوسائل وقد سبق قوله انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقول عائشة رضى الله عنها ما رأيت أحدا الوجع عليه أشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انه لما اشتد وجعه قال اهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن الحديث وكأن للسبع خاصية فى كسر سورة السم الذى كان به مرضه صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع ابهرى من ذلك السم وفى الحديث أشدكم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقد قال العلماء رضى الله عنهم ان ابتلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مشتمل على حكم منها علم كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو وكالتداوى عند المرض وان ذلك لا ينافى التوكل وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمردين ووجوب الهجرة بشروطه الى غير ذلك من أحكام الظاهر والباطن ومنها تكثير الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء ومنها رفعة المنزلة وعلو الدرجة وذلك ان رضا الله عن العبد غير رضا العبد ورضاه تعالى عن عبده على الدرجات قال تعالى ورضوان من الله أكبر أى من النعيم الذى يكون فيه أهل الجنة وظهور أثر الرضا فيما يخالف هوى النفس أزيد وأكثر ومنها الاقتداء بهم أى التخلق بأخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل وذلك كالصبر الجميل والرحمة والعفو عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم وكرؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وقد أشار شيخنا العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن زكرى كان الله تعالى له بمنه فى قصيدته الهمزية الى هذه الحكم الاربعة بقوله

بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم فى الناس فى الخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف فى حقهم والجانبين لا تصرف لهم اه

(التنبيه الثالث) تقدم الفرق بين المعجزة والكرامة وذكر فى لطائف المنن أن الكرامة تارة تظهر للولى فى نفسه فيكون المراد منها تعريفه بقدرة الله وانها لا تتوقف على الاسباب وتكون شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى وتارة

حكمة فى امتحانهم علم أحكا * م وأجر ورفعة وانتساء

ومنها أن لا يفتتن الناس بهم ويعبدوهم لما ظهر على أيديهم من خوارق المعجزات وواضح البينات قاله ابن حجر (قال أبو عيسى سألت أبا زرعة) هو من أكابر مشايخ الترمذى وهو العمدة فى معرفة الرجال عند المحدثين (فقلت له من عبد الرحمن بن العلاء هذا) المذكور فى السند أى لان عبد الرحمن بن العلاء متعدد فى الرواة (فقال هو عبد الرحمن ابن العلاء بن اللجلاج) بجيمين * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبى بكر هو المليكى) بالتصغير (عن ابن أبى مليكة) بالتصغير (عن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه) أى فى أصل دفنه وسيأتى أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى مكان دفنه فقيل يمسجده وقيل بالبقيع وقيل عند جده ابراهيم عليه السلام وقيل بمكة (فقال أبو بكر) جوابا عن كل من السؤالين فلا معنى لقول شارح لا فى أصل الدفن قاله فى جمع الوسائل وقد رواه مالك فى الموطا وابن ماجه أيضا عنه (سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ ما نسيته) فيه ايماء الى كمال استحضاره وحفظه (قال ما قبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يحب) أى الله أو النبى وحب النبى تابع لحب الله (ان يدفن فيه) قال ابن حجر لا يشكل هذا بنقل موسى ليوسف صلى الله عليه وسلم من مصر الى آبائه بفلسطين لان يوسف أقبر فى المحل الذى قبض فيه وأما نقله منه بعد ذلك فهذا الحديث لا يدل على امتناعه لاسيما وموسى انما فعله بوحى كما هو الظاهر أو ان محبة يوسف لدفنه بمصر كانت مغياة بتقدم نقله الى آبائه * وجاء ان عيسى عليه الصلاة والسلام يدفن بجنب نبينا صلى الله عليه وسلم وانه ترك له موضع ثم ويؤخذ منه بفرض صحته ان عيسى عليه السلام يقبض فى الحجرة فى المحل المحاذى لدفنه انظر مرامه (ادفنوه فى موضع فراشه) أى فى المحل الذى تحت فراشه الذى مات وهو عليه وقد ورد مثل هذا عن على ولفظه انه ليس فى الارض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه قال ابن بطال وقد جاء فى الحديث ان المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فتكون تربة المدينة أفضل التربة كما أنه صلى الله عليه وسلم أفضل البشر قال فى المواهب أجمعوا على ان الموضع الذى ضم اعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض بل قد نقل التاج السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلى انها أفضل من العرش وصرح الفاكهى بتفضيلها على السموات اه وفى ذلك يقول بعض المشارقة رحمه الله تعالى

وبقعته التى ضمت عظاما * رياض من جنان تستطيل
وأفضل من سموات وأرض * وأفلاك بها تعلو تجول
ومن عرش ومن جنات عدن * وفردوس بها خير جزيل

تظهر فى الولى لغيره فتكون معرفة له بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه فينتفع به وهى من آثار محبة الله لعبده ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وليست شرطا فى الولى ولا دالة على انه أفضل من غيره ممن لم تظهر على يديه كرامة لان الفضيلة انما هى بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله فكل من كان أقوى يقينا وأكمل معرفة كان أفضل ولهذا رب ما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم لما هم عليه من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ولهذا لم تكثر الكرامات فى الصحابة كثرتها فيمن بعدهم لانهم ببركة مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لنزول الوحى تنورت

* قال

* قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا محمد بن بشار وعباس العنبرى وسوار) بواو مشددة (ابن عبد الله وغير واحد قالوا نا يحيى بن سعيد عن سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وعائشة ان أبا بكر قبل النبى صلى الله عليه وسلم) أى بين عينيه كما سيأتى أو قبل جبهته كما رواه أحمد (بعد مامات) وكذا رواه البخارى وغيره أيضا وفعل ذلك تيمنا وتبركا واتباعا له صلى الله عليه وسلم فى تقبيله عثمان بن مظعون بعد موته وهو يبكى حتى سالت دموعه على وجه عثمان

* قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى نا مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبى عمران الجونى) نسبة الى بطن من الازد (عن يزيد بن بابنوس) بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة وواو ساكنة ومهملة بصرى مقبول من الثالثة (عن عائشة ان أبا بكر دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صاعديه وقال وانبياه واصفياه واخليلاه) وفى رواية ابن أبى شيبة فوضع فاه على جبينه فجعل يقبله ويبكى ويقول بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا قال فى جمع الوسائل وفى ذلك دليل على جواز عد أوصاف الميت بصيغة المندوب لكن بلا نوح بل ينبغى ان يكون مندوبا لانه من سنة الخلفاء الراشدين اه وفى البخارى عن أنس لما ثقل نبى الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرب أباه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ثم لا ينافى هذا ما يأتى من ثباته لانه محمول على أنه قال ذلك من غير انزعاج وقلق وجزع وفزع على ماذكره الطبرى * قال المصنف (حدثنا بشر بن هلال الصواف البصرى نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ) من بيانية قدمت هى ومجرورها العائد على المدينة على المبين وهو كل شئ قال فى جمع الوسائل والاظهر ان كلا من الاضاءة والاظلام معنويان خلافا لابن حجر حيث قال الظاهر انهما محسوسان لما فيه من المعجزة اه اذ لا يخفى ان المعجزة لا تثبت بمثل هذا ولم ير واحد من الصحابة ما يدل على انهما محسوسان سيما وفى ألسنة الفصحاء عند الهناء أضاء العالم وعند موت العظماء أظلمت الدنيا اه قلت الامر محتمل وربما يرشح ما قاله فى جمع الوسائل قوله (وما نفضنا أيدينا من التراب) أى تراب القبر (وانا) بالكسر أى والحال انا (لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) أى لم تبق قلوبنا على ما كانت عليه من الصفاء والرقة بل تغير حالها لفقدها ما كان يحصل لها بمعاينته صلى الله عليه وسلم من الانوار والبركات فبنفس موته صلى الله عليه وسلم ظهر النقص فى الخير وفى حديث مسلم عن حنظلة الاسدى وكان من كتاب رسول الله صلى الله

بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وزكت نفوسهم فاستغنوا عن الكرامة الحسية لما أعطوا من العلوم الغيبية والمعارف الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة بنحو هذا أجاب الامام أحمد لما سئل عن هذا وقد قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وتقدم لم يزده كشف الغطاء يقينا بل هو الشمس ما عليه غطاء وقال سيدى ابن عباد الكرامة الكاملة انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ولهذا قال الشيخ أبو العباس المرسى ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا

عليه وسلم قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت ياحنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا نرى رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذلك قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار وقد تقدم فى باب التواضع عند قوله ويحفظون الغريب نحو هذا عن أبى هريرة ومعنى عافسنا حاولنا ومارسنا ما نحتاج من أمور الازواج والاولاد والضيعات وهى ما يكون منه معاش الرجل من مال أو حرفة * قال المصنف (حدثنا محمد بن حاتم نا عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين) سبق أن هذا متفق عليه بين أرباب السير وانما وقع الخلاف فى محل اليوم الذى توفى فيه من الشهر هل هو اليوم الاول أو الثانى أو الثانى عشر من ربيع الاول وفيه الاشكال المتقدم كما وقع الخلاف أيضا فى أى وقت مات من النهار * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر وهو من التابعين فالحديث مرسل (قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء ودفن من الليل) أى ليلة الاربعاء وهذا قول الاكثر وقيل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء (قال سفيان وقال غيره) أى غير محمد الباقر (سمع صوت المساحى من آخر الليل) فيه بيان لاجمال رواية الباقر وانما أخروا دفنه صلى الله عليه وسلم مع ان المطلوب الاسراع بالتجهيز لقوله صلى الله عليه وسلم لاهل بيت أخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه لانهم كانوا أميين لم يجربوا موت نبى كما يأتى فلما نزلت بهم هذه المصيبة وقع لهم اضطراب وتحيروا وصاروا كاجساد بلا روح وأجسام بلا عقول وطاشت عقولهم ودهشوا وتوقعوا هجوم الكفار فلم يتفق لهم الاسراع بالتجهيز أولا شتغالهم بأمر الخلافة ليكون لهم امام يرجعون اليه عند التنازع فى شئ من أحواله ولو تركوا البيعة لربما وقع اختلاف وفتن عظيمة فلما بايعوا أبا بكر وكشف به الكربة من أهل الردة رجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فجهزوه أولا لعدم اتفاقهم على موته أو على محل دفنه أولا من من تغيره أو ليبلغ خبر موته النواحى القريبة فيحضروا جنازته اغتناما للثواب * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا عبد العزيز بن محمد عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال توفى رسول

الله

هو بمكة انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وقال أبو الحسن انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل بالاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم يجعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطا فى العلم والعمل بالصواب وقال أبو يزيد البسطامى لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة اه وقال أبو القاسم الجنيد قد مشى رجال بالليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم بقينا

الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء قال أبو عيسى هذا حديث غريب) أى والمشهور ما تقدم انه دفن ليلة الاربعاء وجمع بينهما بانهم شرعوا فى تجهيزه آخر يوم الثلاثاء فلم يفرغوا منه الا آخر ليلة الاربعاء وقيل ان هذا اسمه ومن شريك بن عبد الله

* قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى أنا عبد الله بن داود قال نا سلمة) وفى نسخة قال سلمة (بن نبيط) بالتصغير (أخبرنا) بصيغة المعلوم وفى نسخة بصيغة المجهول (عن نعيم) وفى نسخة أخبرنا نعيم وهو مما يؤيد النسخة الاولى (ابن أبى هند عن نبيط بن شريط) بفتح المعجمة (عن سالم بن عبيد) بالتصغير (وكانت له صحبة) قال العسقلانى سالم بن عبيد الاشجعى صحابى من أهل الصفة (قال أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه) فيه جواز الاغماء على الانبياء وانه من جملة المرض الجائز فى حقهم لكن قيده الشيخ أبو حامد من الشافعية بغير الطويل وجزم به البلقينى قال السبكى وليس اغماؤهم كاغماء غيرهم لانه انما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم وقوتهم الباطنة لانها اذا عصمت من النوم الاخف فالاغماء أولى أما الجنون فيمتنع عليهم قليله وكثيره لانه نقص وألحق به السبكى العمى قال ولم يعم نبى قط وأما ما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت وحكى الرازى عن جمع ما يوافقه اه من ابن حجر وعليه فقوله تعالى وابيضت عيناه وارتد بصيرا مؤول (فافاق فقال حضرت الصلاة) بتقدير الاستفهام وفى البخارى انها صلاة العشاء والمعنى أحضر وقتها (فقالوا نعم فقال مروا بلالا) تقدمت ترجمته اثناء باب صفة الاذان (فليؤذن) يحتمل الاذان أو الاقامة والثانى أقرب وأنسب بقوله (ومروا أبا بكر فليصل للناس أو قال بالناس) أى امامهم (ثم أغمى عليه فأفاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس) فيه الاهتمام بالصلاة وبالاجتماع لها وفى تكرار الامر بامامة أبى بكر اشارة الى أن أولى الناس بالخلافة بعده صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه وأنه لا يتولى الخطط الشرعية الا من يستحقها ويكون أحق بها من غيره وفى عيون الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه ذلك لعبد الله بن زمعة بن الاسود مر الناس فليصلوا فتقدم عمر لغيبة أبى بكر فلما سمع صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه حتى اطلعه الناس من حجرته ثم قال لا لا ليصل لهم ابن أبى قحافة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى هذا الخبر قال فانتفضت الصفوف وانصرف عمر فعبر حنا حتى طلع ابن أبى قحافة وكان بالسنح وتقدم فصلى بالناس اه (فقالت عائشة ان أبى رجل أسيف) أى سريع الحزن رقيق القلب (اذا قام ذلك المقام بكى) أى اذ فقد خليله صلى الله عليه وسلم وأما قول ابن حجر لتدبره القرآن فبعيد من قوله اذا قام ذلك المقام (فلا يستطيع) أى الامامة أو القراءة (فلو أمرت غيره) أى لكان حسنا لجواب لو محذوف ويحتمل ان لا تكون شرطية بل للتمنى فلا تحتاج الى جواب (قال)

(ان من معجزاتك العجز عن وصفك اذ لا يحده الاحصاء كيف يستوعب الكلام سجايا كأوهل تنزح البحار الركاء)

هذا فى معنى التوكيد لقوله وآياتك فى الناس سالفة أى انقضاء أى ان من جملة معجزاتك عجز كل الناس عن الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها لاجل انه لا يحد ولا يحصى أوصافك احصاء حصر ولا عد عاد والعموم مأخوذ من اضافة المفرد المنكر الى المعرفة وكيف يمكن ان يستوعب الكلام كل من مدحك الصادر من سجاياك أى أخلاقك الكريمة وفضائلك الفخيمة وأوصافك العظيمة وما هى فى كثرتها وعدم احصائها وقيام الوجود المعنوى

اى سالم (ثم أغمى عليه فافاق فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس
فانكن صواحب) جمع صاحبة (أوصواحبات يوسف) جمع صواحب فهو جمع الجمع
خلافا لابن حجر والمراد انكن مثل صواحب يوسف والتشبيه فى اظهار خلاف مافى
الباطن والخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهى عائشة فقط كما أن المراد
بصواحب يوسف زليخا فقط ووجه الشبه بينهما انهما استدعت النسوة وأظهرت لهن
الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن الى حسن يوسف عليه السلام
ويعذرنها فى محبتها له كما أن عائشة أظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن أبيها
كونه لا يسمع الناس لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به لقيامه
مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه أو فهمت منه التنبيه على الخلافة فظنت انه
لا يستطيع القيام بأمر الناس كما ورد عنها ويحتمل ان الجمع فى الموضعين على ظاهره
وان المراد بالخطاب عائشة وحفصة وجمع تعظيما لهما أو تغليبا لمن معهما أو بناء على
ان أقل الجمع اثنان أو اشارة الى أن هذا شأن النساء ففى البخارى ان عائشة طلبت من
حفصة أن تقول للنبى صلى الله عليه وسلم مثل ما قالت له عائشة فقال لها النبى صلى الله
عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف فقالت لها حفصة ما كنت لاصيب منك خيرا
وأن المراد بصواحب يوسف نساء المدينة فقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فلما
سمعت بمكرهن انما سماهن مكرا لانهن قلن ذلك وأظهرن معاتبتها توسلا الى ارادتها يوسف
لهن وكان يوصف حسنه وجماله عندهن وقيل التشبيه فى التظاهر على ما يردن وكثرة
الحاحهن على ما يمليه اليه كتظاهر امرأة العزيز ونسائها على يوسف ليصرفنه عن رأيه
فى الاستعصام وفى هذا الحديث جواز مراجعة الامام فى الامر يأمر به لكن على غير
وجه المناقضة بل باللطف وحسن القول واظهار الحجة لخلافه كما فعلته عائشة وحفصة
وفيه ان التوبيخ من الامام أو العقوبة انما تكون لمن رأى خلاف رأيه اذا كرر عليه
لا من أول مرة اذ لا معنى للكلام بعد التكرار نعم اذا كان غلطا أو خطأ لزم التكرار
حتى يتبين كما فى حديث ذى اليدين انظر ابن مخلص (قال فأمر بلال فأذن وأمر أبو بكر
فصلى بالناس) قال فى عيون الاثر صلى بهم أبو بكر سبع عشرة صلاة وصلى النبى صلى الله
عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية وقال لم يقبض نبى
حتى يؤمه رجل من قومه (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة فقال انظروا لى
من أتكئ عليه) أى لأخرج للصلاة (فجاءت بريرة) هى مولاة لعائشة بنت أبى بكر وكانت
مولاة لبعض بنى هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة وجاء الحديث فى شأنها بأن الولاء
لمن أعتق وفى الاستيعاب عن عبد الملك بن مروان انه قال كنت أجالس بريرة بالمدينة
قبل ان أتى هذا الامر فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق ان
تلى هذا الامر فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان

الرجل

بم الانه صلى الله عليه وسلم روح
الكون والخليفة الاكبر عن
الله فى امداده الاكالبحر اذ به
أيضا يقوم الوجود الحسى وما
الالفاظ التى يعبر بها عن الاوصاف
المأخوذة من أوصاف الاكارك
جمع ركوة فيؤخذ بها من البحر
ما يراد وهو لا انقضاء له فقوله
وهل تنزح البحار الركاء فيه تشبيه
الاوصاف بالبحار بالجامع
المذكور ثم أطلق اسم المشبه به
على المشبه استعارة تصريحية
وفيه تشبيه الالفاظ بالركاء بجامع
التوصل الى المطلوب وأطلق
اسم المشبه به على المشبه استعارة
تصريحية أيضا ورشحها بذكر
النزح

(ليس من غاية لوصفك ابتغيـ
ـها وللقول غاية وانتهاء)

قد علم ان أوصافه صلى الله عليه

الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها بل محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق (ورجل آخر) فى رواية ابن حبان بريرة ونوبة بضم النون وموحدة عبد أسود قال ابن حجر فى رواية الشيخين فى سياق آخر رجلين عباس وعلى وفى رواية مسلم العباس وولده الفضل وفى أخرى العباس وأسامة وعند الدارقطنى اسامة والفضل وعند ابن سعد الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد متعددا من اتكأ عليه انظر تمامه (فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص) بكسر الكاف كما فى القرآن على أعقابكم تنكصون قال الزجاج ويجوز ضم الكاف والنكوص الرجوع قهقرى وفى نسخة لينقض (فأومأ) النبى صلى الله عليه وسلم (اليه ان يثبت مكانه) الضمائر الثلاثة لابى بكر رضى الله عنه (حتى قضى) المعطوف عليه محذوف أى ثبت أبو بكر حتى قضى أى أتم (أبو بكر) أظهر فى مقام الاضمار لئلا يتوهم ان الضمير النبى صلى الله عليه وسلم واشارة الى أن أبا بكر هو الامام (صلاته) وهل رجع النبى صلى الله عليه وسلم أو صلى مع أبى بكر وعليه فهل اماما فكان الناس يقتدون بأبى بكر وأبو بكر بالنبى أو صاموما يحتمل (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض) وأبو بكر بالعالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام اذن له فى الذهاب اليها لحكمة الهية (فقال عمر) وقد سل سيفه (والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الا ضربته بسيفى هذا) وقال عمر أيضا انما أرسل اليه صلى الله عليه وسلم كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لارجو ان يقطع أيدى رجال وأرجلهم لكن ذكر بعضهم انه رجع عن هذه المقالة وان ذلك كان لعظيم ما نزل به أو خشى الفتنة وظهور المنافقين أو ظن ان ما عرض له صلى الله عليه وسلم انما هو اغشى أو ذهل عن حسه فأحال الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال فى عيون الاثر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجته الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فى ذلك فأما عمر رضى الله عنه فكان ممن خبل فجعل يقول انه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد على وأضنى عبد الله بن أنيس من الضنى وهو المرض (قال) أى سالم (وكان الناس) أى العرب (أميين) جمع أمى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة منسوب الى الام فكأنه شبه بالطفل الذى خرج من بطن أمه لم يعلم شيأ وقيل منسوب الى أم القرى وهى مكة فانهم سكانها مشهورون بانهم ليسوا أهل كتابة والكتابة كانت فيهم قليلة نادرة فاذ لم يتعلموا الكتب ولم يقرؤها حتى يعرفوا حقائق الامور ولا تذهلهم عظائم المحن عند وقوع الفتن فلا جرم تحيروا فى أمر موته صلى الله عليه وسلم اذ سبب العلم بجواز موت الانبياء وكيفية انتقالهم الى دار الجزاء انما هو الممارسة أو المشاهدة ولذا قال (لم يكن فيهم نبى قبله) أى لم يجربوا موت نبى قط (فأمسك

وسلم لو عبر عنها من أول الزمان
الى آخره لا تحد ولا تحصى وعما
يزيدك بيانا وايضاحا لذلك ما أخبر
به الناظم عن نفسه وهو انه ليس
من غاية يطلبها الوصف له لعدم
الغاية لها ولقوله هو غاية وانتهاء
فليس للنفى ومن غاية اسمها جر
بمن لافادة الاستغراق والجملة من
قوله أبغيها خبر ولو صفة يتعلق
بما بعده أو بما قبله وعطف
الانتهاء على الغاية للتأكيد وما
أحسن قول الناظم فى البردة
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

الناس) أى عن القول بانه صلى الله عليه وسلم مات (وقالوا ياسالم انطلق الى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) عدلوا عن اسمه الى وصفه لشهرته دون غيره بهذا الوصف لان الله تعالى وصفه به فى قوله اذ يقول لصاحبه (فاذعه فاتيت أبا بكر وهو فى المسجد) أى مسجد محلته التى كان فيها وهو بالعوالى والظاهر انه وقت الظهر لما سبق انه صلى الله عليه وسلم مات ضحى (فاتيته أبكى دهشا فلما رآنى قال لى أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى بعض النسخ فلما رآنى وقال لى الخ بالواو وقبل قال وعليه فيكون جواب لما قوله (قلت ان عمر يقول لا أسمع أحدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض الا ضربته بسيفى هذا فقال لى انطلق فانطلقت معه) وفى رواية ان أبا بكر كان أرسل غلامه ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الغلام فقال سمعت انهم يقولون مات محمد فركب أبو بكر على الفور فقال وامحمداه وبكى فى الطريق حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فجاء هو والناس قد دخلوا) وفى نسخة حفوا بفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المضمومة أى أحدقوا وفى نسخة فجاء والناس قد دخلوا (على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس) وفى نسخة يا أيها الناس (أفرجوا لى) أى اجعلوا لى فرجة (فأفرجوا له فجاء حتى أكب عليه ومسه) أى قبله كما سبق (فقال) أى قرأ أبو بكر قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) أى انك يا محمد ستموت وان أعداءك سيموتون وانكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون أى وقوله حق ووعده صدق وفى رواية ان أبا بكر جاء وعيناه تهملان وزفراته تتصاعد فكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا ومينا وانقطع موتك ما لم ينقطع موت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك (ثم قالوا ياصاحب رسول الله أقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فعلموا ان) مخففة من الثقيلة وفى نسخة ان الله (قد صدق) أى لم يبق لهم شك فى موته صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بذلك أبو بكر لانه لم يقع له من الدهش والتحير عند نزول هذه المصيبة ما وقع لغيره من أكابر الصحابة ووجد عنده من العلم والقوة والثبات ونور اليقين المانع من استيلاء الحزن والنوائب على قلبه ما لم يوجد عند غيره ومن ثم تلا الآية المتقدمة وغيرها كما يأتى وقال رداء على عمر فى مقالته السابقة بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها قال ابن حجر اذ يلزم من قول عمر أنه اذا جاء يموت وهو أكرم على الله من ان يجمعهما عليه كما جمعهما على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وعلى الذى مر على قرية وهذا أوضح وأسلم من حمله على انه لا يموت موتة أخرى فى القبر كغيره أو لا يجمع الله عليه بين موت نفسه وموت شريعته أو الموتة الثانية الكرب أى يلقى بعد كرب الموت كربا آخر اه وروى ابن أبى شيبة عن ابن عمر أن عمر انما قال ما مر فى المنافقين لانهم أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم وفى رواية

فبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنواره للناس فى الظلم
وقول سيدى محمد بن الحبيش
آيات خير المرسلين محمد
نور الهدى بحر العقول سناها
من حين مبعثه الوجود لوقتنا
هذا يعد دها فما أحصاها
من ذا يروم لمجده أحدا منتهى
ومجده كل الكمال تناهى
وقد قال سيدنا أويس القرنى
رضى الله عنه لاصحاب مولانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم

لو اتلى عن أنس ان عمر قال كنت أرجو ان يعيش حتى يكون آخرنا موتا وفى البخارى
عن ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس قال اجلس يا عمر فابى عمر أن
يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان منكم يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين وقال والله لكأن الناس
لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا
من الناس الا يتلوها اه وفى ابن أبى شيبة ان أبا بكر ضم الى تلك الآيات قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وأشار أبو بكر رضى الله عنه بما تقدم الى ان عمدة المؤمن
وتعلقه انما يكون حقيقة بالله تعالى وان الرسل عليهم السلام انما بعثوا ليعرفوا الناس
بربهم ويبلغوهم أوامره ونواهيه فاذا ذهبوا لم يذهب الدين بذهابهم لان المقصود انما
هو الله وحده وهو حى لا يموت والرسل عليهم السلام انما هم وسايط قال القشيرى
فى تفسيره والسلمى فى حقائقه سقمت البصائر عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم
الا رجل وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فان الله تعالى أيده بقوة لسكينة فقال أيها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت فصار
الكل مقهورا تحت سلطان مقالته لما بسط الله تعالى عليه من نور جلالته فالشمس
بطلوعها يندرج فى شعاعها أنوار الكواكب اه نقله ابن نبهان الصفورى فى باب
وفاته صلى الله عليه وسلم (قالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيصلى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كما يصلى على غيره من الاموات لان الاصل عدم
الخصوصية أو لا يصلى عليه كالشهداء الذين أغنتهم فضيلتهم عن الصلاة عليهم وهو
صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد (قال نعم) لان الاصل مشاركته لامته فى الاحكام
(قالوا وكيف) يصلى عليه هل بامام أو لا (قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون) أى على
النبى صلى الله عليه وسلم (ويدعون ثم يخرجون ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون
ثم يخرجون حتى يدخل الناس) أى كلهم فلا تفوت أحدا منهم بركة الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم قال فى جمع الوسائل وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال لا يؤم أحدكم
عليه لانه امامكم حال حياته وحال مماته ولعله وصل اليه من صاحب الوحى وورد فى بعض
الروايات انه صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يصلى عليه على الوجه المذكور ولعل وجه
ذلك انهم لما أرادوا دفنه فى محله ولم يمكن خروجه الى المصلى خوف ان يترتب على خروجه
فتنة ولم تسع الحجرة جميع الناس جملة واحدة أمروا بالصلاة عليه افذاذا وأما قول ابن
حجر لانهم كانوا لم يتفقوا على خليفة يؤمهم فمناقض لما سبق له ان سبب تأخير دفنه هو
انعقاد الامامة مع ان الامامة كانت ثابتة لابى بكر على طريق النيابة اه بالمعنى وقد
وقع خلاف فى هذه الصلاة هل كانت صلاة الجنازة حقيقة ويكون سكت عن السلام

ما أبيتم من مولانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ظله قالوا
ولا ابن أبى قحافة قال ولا ابن
أبى قحافه ولما ذكر هذا الكلام
عند العارف الاكبر سيدنا أبى
الحسن الشاذلى رضى الله عنه
قال صدق أويس القرنى رضى
الله عنه والى هذا يشير البغدادى
بقوله
صدقت لقد حاز الحبيب مناقبا
تقاصر عن احصائها كل مستقصى
صحابته لم تحص ما خصه به
اله البرايا ليت شعرى من يحصى
الا الذى أفصح عنه القطب
الاشهر مولانا عبد السلام بن
مشيش رضى الله عنه حيث

لوضوح ان كل صلاة لابد لها من احرام وسلام أولم تكن صلاة حقيقة قال فى كفاية الطالب فى الموطا وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم أحد أثر مجمع عليه واختلف فى تعليله فقيل هو من باب التعبد الذى يعسر تعقل معناه وقيل ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه اليه قال شيخنا الحافظ جلال الدين يعنى السيوطى فى حاشية الموطا رحمه الله تعالى والمراد بقوله صلى عليه الخ ماذهب اليه جماعة انه صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه الصلاة المعتادة وانما كان الناس يأتون فيدعون ويترحمون قال الباجى ووجهه أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل شهيد والشهيد تغنيه فضيلته عن الصلاة عليه فهو أولى قال وانما فارق الشهيد فى الغسل لان الشهيد لو غسل لزال دمه والمطلوب بقاؤه لطيبه لانه عنوان شهادته فى الآخرة وليس على النبى صلى الله عليه وسلم ما تكره ازالته عنه اه وعلى انها الصلاة المعتادة فلا ضرر فى تكرارها لان تكرارها انما كره والله أعلم فى حق غيره صلى الله عليه وسلم لان المطلوب اسراع التجهيز خوف التغير والتغير مأمون فى حقه صلى الله عليه وسلم (فقالوا يا صاحب رسول الله أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى أو يترك على وجه الارض لانه يؤمن عليه من التغير فليس كغيره (قال نعم) لان الدفن من سنن سائر الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (قالوا أين قال فى المكان الذى قبض فيه روحه فان الله لم يقبض روحه الا فى مكان طيب) تقدم الكلام على هذا (فعلموا ان قد صدق ثم أمرهم ان يغسله بنو أبيه) أى عصبته لان الحق فى الغسل لهم قال فى عيون الاثر فغسله على والعباس وابناه الفضل وقثم ومولياه أسامة وشقران وحضرهم أوس بن خولى الانصارى اه الا أن الذى باشر غسله على رضى الله عنه لحديث جماعة انه قال أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يغسله أحد غيرى فانه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه زاد ابن سعد قال على فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين وفى رواية ان العباس وابنه الفضل كانا يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه عليه السلام يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر وصح عن على غسلته فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيأ وكان طيبا حيا وميتا وعنه رضى الله عنه ما تناولت عضوا الا كأنما يقلبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله قال فى عيون الاثر وكانوا قد اختلفوا فى غسله فقالوا والله ما ندرى انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم وكلهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو غسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم فأسنده على الى صدره والعباس والفضل وقثم يقلبونه معه واسامة وشقران يصبان الماء وعلى يغسله بيده وكفن عليه السلام فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها

قميص

قال وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه مناسابق ولا لاحق

(انما فضائلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء)

أى انما فضائلك ⟸ الزمان فى الكثرة والامتداد وعدم حصرها بالاعداد وآياتك أى خصائصك التى هى جزئيات تلك الفضائل كالآناء أى اللحظات والساعات التى اشتمل عليها الزمان فى العجز عن الاحاطة بكل منهما قلت ويحتمل ان يكون المعنى انما

قميص ولا عمامة قال البرماوى يحتمل انه ليس موجودا أصلا بل الثلاثة فقط ويحتمل أن تكون الثلاثة الاثواب زائدة على القميص والعمامة فتكون خمسة وعليه حمل مالك ولكل من الاحتمالين مرجح قال النووى الاول هو ما فسر به الشافعى وجمهور العلماء وهو الصواب الذى يقتضيه ظاهر الحديث وهذا الحديث يتضمن ان قميصه الذى غسل فيه نزع عند تكفينه النووى وهو الصواب الذى لا يتجه غيره اه قال فى عيون الاثر وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كضرح أهل مكة وأبو طلحة زيد بن سهل يلحد كأهل المدينة فاختلفوا كيف يصنع بالنبى صلى الله عليه وسلم فوجه العباس رجلين أحدهما لابى عبيدة بن الجراح والآخر لابى طلحة وقال اللهم خر لنبيك فخضر أبو طلحة فلحد له اه وأصح ما روى فيمن نزل فى القبر انه على والعباس وابناه الفضل وقثم وكان آخر الناس به عهدا قثم وورد انه بنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران فى القبر وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وأخذ منه البغوى انه لا بأس بفرشها لكنه شاذ والصواب كراهته وأجابوا عن فعل شقران بانه شئ انفرد به ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا عملوا به على ان ابن عبد البر قال انها أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع قال رزين ورش قبره بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصا العرصة حمراء وبيضاء قال عياض وكان قبره عليه السلام مسنما كما فى البخارى وكذا قبر أبى بكر وعمر وهو أثبت من رواية تسطيحها لانه زى أهل الكتاب وشعار الرافضة (واجتمع المهاجرون) أى أكثرهم (يتشاورون) أى فى شأن الخلافة وقد أجمع الصحابة على ان نصب الامام من واجبات الاحكام ومن ثم لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ولابد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا رأيكم فقالوا صدقت واجتمع المهاجرون وكان اجتماعهم لذلك قبل الدفن كما ذكره الطبرى فالوا وفى قوله واجتمع الخ لمطلق الجمع أو الجملة حالية (فقالوا انطلقوا بنا الى اخواننا من الانصار ندخلهم) بالجزم على جواب الامر وفى نسخة بالرفع (معنا فى هذا الامر) أى امر نصب الخلافة قال عمر مخافة ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة لهم معنا ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساد (فقالت الانصار) لما وصل المهاجرون اليهم وتكلموا معهم وهم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة (منا أمير ومنكم أمير) فاحتج أبو بكر عليهم بحديث الائمة من قريش وفى رواية الخلافة لقريش وهو حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابيا قال فى جمع الوسائل وهذا الكلام من الانصار انما وقع على قواعد الجاهلية قبل تقرر الاحكام الاسلامية حيث كان لكل قبيلة شيخ يسوسهم وينظر فى أمورهم ولهذا كانت الفتنة مستمرة فيما بينهم الى ان جاء النبى صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبهم وعفا الله عما سلف من ذنوبهم (فقال عمر بن

أبدا وتبقى بقيته على مر الازمنة
الى ما لا منتهى لآخره لك البأواه
أى الفخر وأى فخر فسأل من الله
تعالى ان يسلم على نبيه صلى الله
عليه وسلم لان سلامنا عليه ليس
فيه مكافأة له على احسانه الينا
وانعامه علينا ولذا شرع لنا ان
نطلب من الله تعالى ان يصلى
عليه صلى الله عليه وسلم لانا
عاجزون عن مكافأته فانه أحسن
الينا احسانا لم يحسن الينا أحد
مثله ولا مقاربه ولا نستطيع
ان نحسن الى أنفسنا مثله وتأمل
قوله جل وعلا لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم

الخطاب من له مثل هذه الثلاث) استفهام انكاري على الانصار وغيرهم ممن يظن من نفسه أنه أولى بالخلافة والمعنى هل رجل ورد في شأنه في نص القرآن مثل هذه الفضائل في قضية واحدة مع قطع النظر عن سائر المحاسن والشمائل أولها قوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار) حال من الضمير في قوله تعالى اذ أخرجه الذين كفروا العائد على النبي صلى الله عليه وسلم أي الا تنصروه فقد نصره الله الخ أي فسينصره من نصره وليس معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد هذا معنى الحال ولم يأت بهذه العبارة أو مثلها وعدل الى قوله ثاني اثنين ليفيد الاعتناء بشأن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وانه ليس معتبرا في هذا المقام بحسب التبع فقط اذ الاضافة على معنى بعض فأفاد اللفظ انه بعض اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهما الشدة الاتصال والارتباط والامتزاج والقرب ولتمكن اعادة ضمير واحد عليهما معا في قوله اذ هما في الغار فجمع بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في دلالة لفظ واحد مرتين ثم افرده بعد ذلك وميزه في ثانيها وهو قوله (اذ يقول لصاحبه) ليسمه بسمته ويثني عليه باشرف أوصافه المقتضى شدة قربه من الحضرة النبوية فان الضمير لا يفيد ذلك وناهيك بشهادته تعالى له بالصحبة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر لتكذيبه القرآن وذكر ثبوت الصحبة له بعد قوله اذ هما في الغار اشارة الى موجب ثبوتها له وصدقه فيها فان الصاحب الحق هو الصاحب في وقت الشدة كما قيل

صديق الصدق في الدنيا قليل * فمن لك ان ظفرت بذا الثمن لك
لحاجته يودك كل شخص * وذاك اذا قضاها منك ملك
صديقك من اذا ما أنت منه * طلبت الروح بالتمليك ملك

(وقال غيره)

صاحبك الصادق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال آخر)

جزى الله الشدائد كل خير * وان كانت تغصصني بريقي
وما مدحي لها شكرا ولكن * عرفت بها عدوي من صديقي

وثالثها قوله (لا تحزن ان الله معنا) فان فيه شهادة من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى بانه رضي الله عنه ثبتت له معية الحق الاخصية الثابتة للانبياء بل لافضل الانبياء قال ابن دهاق المعية على ثلاثة أقسام معية الاحاطة وشمول العلم وهي تشمل المؤمن والكافر قال الله تعالى وهو معكم أين ما كنتم ومعية بمعنى النصر والحفظ قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وهذه تخص المؤمن ومعية الاخذ والاجتباء وهي للخواص فيصطفيهم الله لمناجاته فهم عنده وان كانوا في الدنيا اه والثابت

هنا

حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلما عجزنا عن مكافأته طلبنا من الله ان يكافئه ويجازيه اذ لا يقدر على مكافأته سواه تعالى وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس من قال جزى الله عنا سيدنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح وفي رواية الفي صباح بالتثنية فيكون أعلم أولا بالالف ثم أعلم بزيادة ألف آخر فأعلم به

(وسلام عليك منك فاغتنم * سرك منه لك السلام كفاه)

بعد ان ذكر سلام الله عليه لاشرفيته شفى بسلامه على نفسه لاقربيته منه فاغتنم من

هذا هو القسم الثانى والثالث وقد ورد انه لما جاء الكفار الى الغار وقفوا بقربه فقال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم الى قدميه لرآنا فقال اسكت ما ظنك باثنين الله ثالثهما فتقدم جمع منهم فنظروا الحمامتين والعنكبوت فقالوا ليس فى الغار شئ ان عليه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد ولا يشكل على ثبوت المعية الاخصية تمكن الاعداء من الاتقياء ووصولهم الى اذايتهم كما قال تعالى وكأين من نبى قتل لان النصر الذى تقتضيه المعية الخاصة هو الطمأنينة والسكينة وقوة اليقين وكون القلب مع الله وفرحا به وراضيا بقدره غير مخذل ولا مضطرب ولا جزع ولا متزلزل لرؤية الفعل منه مع حسن الظن به فتسهل المصيبة حتى لا تضر القلب ولا يتأثر بها الباطن كما قال الامام الشاذلى رضى الله عنه وانصرنا باليقين والتوكل عليك ولا نسئلك دفع ما تريد ولكن نسئلك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت انبياءك ورسلك فقوله ما ظنك الخ رد لابى بكر عن طريق الجزع الى قوة اليقين وراسخ السكينة وامداد له بذلك فحصلت له الحال وهو معنى فأنزل الله سكينته عليه اذ الضمير لابى بكر رضى الله عنه والا فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يزل ذا سكينة ولا ينافيه كون مرجع الضمير فى أيده للنبى صلى الله عليه وسلم لان تفكيك الضمير جائز عند المحققين فى مقام امن اللبس وقيل ان ثانى المزايا الثلاث قوله اذ هما فى الغار وثالثهما مابعده قال فى جمع الوسائل والاول أظهر وعليه اقتصر ابن حجر وفى هذه الآية أيضا من مزايا أبى بكر رضى الله عنه زيادة على ماتقدم من الثلاث ونزول السكينة ما أشار اليه سفيان بن عيينة حيث قال عاتب الله المسلمين جميعا فى نبيه صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر وحده فانه أخرجه من المعاتبة ثم قرأ الا تنصروه الآية ومثله للحسن رضى الله عنه وفيها ان نصره تعالى لنبيه عليه السلام متضمن لنصر الصديق أيضا لكونه معه فهو ناصر ومنصور من عند الله تعالى فهو اذا أولى بالخلافة وقوله (من هما) أى من الاثنان المذكوران فى هذه الآية المتضمنة للمزايا المذكورة هل هما الا النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه والاستفهام للتعظيم والتقرير وفى رواية النسائى وأبى يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود انه لما قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير أتاهم عمر بن الخطاب فقال يا معشر الانصار ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر ان يؤم بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم على أبى بكر فقالت الانصار نعوذ بالله ان نتقدم على أبى بكر وفى البخارى من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لقد هممت أو أردت أن أرسل الى أبى بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون (قال) الراوى (ثم بسط) أى أبو بكر (يده فبايعه) أى عمر (و بايعه الناس بيعة حسنة جميلة) فى البخارى فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون ثم بايعته الانصار ووصف البيعة بكونها حسنة

الخلوقين السلام الصادر منه

عليك كفاءلك أى مكافئ لحضرتك لما تقدم من تقرير العجز والقصور وكفاء فعال مصدر كفأ يكافئ فأنا فيه وغيرك مبتدأ أول والسلام مبتدأ ثان وكفاء خبر عن الاول والرابط ضمير منه العائد على غير وهو متعلق بالسلام ولك ان جعلناه متعلقا بالسلام كانت اللام بمعنى على ومعمول كفاء محذوف وان جعلناه متعلقا بكفاء فلا حاجة الى ذلك

(وسلام من كل ما خلق الله)

تصيابذ كرك الاملاء)

جميله اشارة الى رضا نفوسهم بها وان الله تعالى دفع بها فتنة عظيمة وفيه دليل على جلالة قدر أبى بكر عند الصحابة ومتانته وقوة قلبه ووفور علمه وقد أخرج موسى بن عقبة فى مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خطبنا أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما وليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها سرا ولا علانية ولكن أشفقت الفتنة ومالى فى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة ولا يد الا بقوية الله تعالى فقال على والزبير ما أغضبنا الا أنا أخرنا عن المشورة وانا نرى ان أبا بكر أحق الناس بها وانه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى بالناس وهو حى وفى رواية انه رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا وقد روى ابن اسحق عن الزهرى عن أنس انه لما بويع أبو بكر فى السقيفة جلس الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ولا يدع الجهاد قوم فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله اه قال المصنف (حدثنا نصر بن على نا عبد الله بن الزبير شيخ باهلى قديم بصرى نا ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال لما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرب الموت) أى شدته (ما وجد) لانه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليحوز تضاعيف الاجور ولغيره ذلك من الحكم السابقة (قالت فاطمة واكرباه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم) قال فى جمع الوسائل الظاهر ان فاطمة رضى الله عنها لما رأت شدة كربه قالت واكرباه مسندة الى نفسها لما بينهما من المناسبة الظاهرة والملاءمة الباطنة فسلاها صلى الله عليه وسلم بهذا القول وبين لها ان كرب أبيها سريع الزوال منتقل الى حسن الحال فأنت أيضا لا تكربى فان محن الدنيا فانية وان العبرة بالمحن الباقية اه قلت والذى فى البخارى ان فاطمة قالت واكرب أباه ويرحم الله القائل

كل أذى واجعله ما شئته * يقطعه الموت فأهون به

فليحذر العبد دوام الاذى * وأصله الغفلة عن ربه

قال المناوى وغيره وليس المراد بالكرب شفقته على أمته لوقوع الفتن والخلاف بعده لانها لا تنقطع بالموت لانه عليه السلام مهتم بهم بعد الموت وأعمالهم تعرض عليه وفى

هذا كالاستدراك لما قبله لانا وان كنا عاجزين عن السلام المكافئ فلا بد من الاتيان بالمستطاع والقصد منه التعرض والمسئلة وطلب المكافأة منكم عليه وان لم نستحقها عليكم لان اليسير عندكم كثير والحقير لديكم خطير وقاصدكم بأى وجه لا يخيب وفى الحديث قال جبريل لولا نار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقد ذكر أهل العلم ان من خواص السلام مفردا التسليم من المشاق ومن المجرب ان من قال كل يوم مائة

قوله

قوله لا كرب على أبيك بعد اليوم تصريح بسلامة عاقبته وذلك أمر مقطوع به لسائر الانبياء وقد سبق أن خوفهم خوف هيبة واجلال والمطلوب من كل مؤمن تغليب الرجاء على الخوف فى أيام المرض (انه قد حضر بأبيك ما ليس بتارك منه أحدا) هذه تسلية أخرى سلاها أولا بان ذلك الكرب غير مستمر وانما هو منقطع بالقرب وثانيا بان هذا الامر النازل عام لجميع الخلائق والمصيبة اذا عمت هانت واذا خصت هالت فاصبرى وسلى ولا تحزنى (لموافاة يوم القيامة) متعلق بتارك أو خبر لمحذوف أى وذلك لاتيان يوم القيامة وفى نسخة الموافاة يوم القيامة فيكون مبتدأ بمعنى الملاقاة ويوم القيامة بالنصب على الظرفية خبر المبتدا وفى بعضها الوفاة يوم القيامة أى الممات الى يوم القيامة فيكون بيانا لما أى وهو الوفاة الخ ويحتمل أن يكون يوم مرفوعا أى الموت يوم القيامة لان من مات قامت قيامته وفى ختم المصنف رحمه الله أحاديث الوفاة بهذا الحديث والذى بعده تعزية للمؤمنين وتسلية لهم وتهوين عليهم وأيضا فان موت العارفين مجرد انتقال من هذه الدار المتدانية المسافات الضيقة الاقطار الموسومة بالفناء ودوام الاكدار الى دار النعيم المقيم كما قال فى الحكم انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها فليس موتهم كموت غيرهم ولذلك يتمنون الموت وهو أحب اليهم من البقاء قال تعالى ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقد كتب سيدى رضوان عند وفاته

قرب الرحيل الى الحبيب فرحبا * أهلا به أهلا وسهلا مرحبا

وجاء رجل الى عبد الله بن منازل فقال رأيت فى المنام انك تموت الى سنة فقال أجلتنا الى أمد بعيد ومما ينسب للامام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه

قل لاخوان رأونى ميتا * فبكونى ورثونى حزنا
أتخالون بأنى ميتكم * ليس ذا الميت والله أنا

الى أن يقول

كنت قبل الموت ميتا بينكم * فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجى ملأ * وأرى الله جهارا علنا

الى أن يقول

لاترعكم هجمة الموت فما * هى الا نقلة من ههنا
لاتظنوا الموت موتا انه * لحياة هى غايات المنى
فاخلعوا الاجسام عن أنفسكم * تبصروا الحق جهارا علنا

وقد نص المحققون على ان النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم وقد نقل شيخنا العلامة فى شرح الحصن الحصين قضايا تدل على ذلك

مرة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته لا يذوق مرارة الموت ورأى بعضهم جابر بن عبد الله فى النوم فحدثه بهذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولازمه بعضهم فمات وهو ساجد فى صلاة الصبح واعلم أن المحب يسلم على المحبوب فى حالتى غيبته وحضوره أى فى حالتى الشهود وعدمه اما سلامه فى الغيبة فقالى وتعالق واجلال واعظام ورجاء لان يكون ذلك ذريعة الى الوصول وتفاؤلا ووسيلة الى الاقبال فيأتى بما فى بالظفر بالاقبال فيأتى بالفتح أو طوقه عسى الله أن يأتى بالفتح أو

منها سماع رد سلامه على من سلم عليه ومنها مديده لسيدى أحمد الرفاعى ليقبلها حين أنشد تجاه الحضرة الشريفة

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

وسيأتى شئ من هذا المعنى فى الباب بعده فى قوله ماتركت بعدى فتنة أضر على الخ * قال المصنف (حدثنا ابو الخطاب زياد بن يحيى البصرى ونصر بن على قالا نا عبد ربه بن بارق الحنفى قال سمعت جدى أبا أمى سماك بن الوليد يحدث انه سمع ابن عباس يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان) تثنية فرط بفتح الفاء والراء وهو السابق المهيئ للمنزل والمراد به هنا الولد الذى يموت قبل أحد أبويه فانه يهيئ لهما منزلا ومنزلا فى الجنة كما يتقدم فرط القافلة الى المنازل فيعد لهم ما يحتاجون اليه من سقى الماء وضرب الخيمة ونحو ذلك (من أمتى) أى أمة الاجابة (أدخله الله بهما الجنة) ظاهره سواء كان الولد صغيرا أو كبيرا وفى البخارى من حديث أنس ما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وقد اختلف العلماء هل لقوله لم يبلغوا الحنث مفهوم لان الصبى حبه أشد والشفقة عليه أعظم أو البالغ يدخل فى ذلك بطريق الفحوى لانه اذا ثبت ذلك فى الطفل الذى هو كل على والديه فكيف لا يثبت فى الكبير الذى بلغ معه السعى ولا ريب أن التفجع على فقد الكبير أشد والمصيبة به أعظم سيما اذا كان نجيبا يقوم عن أبيه بأموره ويساعده فى معيشته كما هو مشاهد ثم دخول الجنة لا يستلزم عدم نفوذ الوعيد لكن المراد هنا دخول الجنة من غير نفوذ وعيد وأما دخولها بعد نفوذه فيكون بالايمان ولا يتوقف على عمل آخر ويدل له ما فى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم وعظ النساء فقال أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كن حجابا من النار قالت امرأة واثنان قال واثنان وفى مسلم عن أبى حسان قال قلت لابى هريرة انه قد مات لى ابنان فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال يده كما آخذ انا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال يتهى حتى يدخل الله وأبويه الجنة ودعاميص الجنة قال فى القاموس أى سياحون فى الجنة لا يعنون من بيت وصنفة الثوب حاشيته والشئ يذكر بالشئ مات لمطرف بن الشخير ابن فخرج قد رجل جمته وليس حلته فقيل له أترضى بهذا وقد مات ابنك فقال أنا أهرونى أن استكين للمصيبة فوالله لو أن الدنيا وما فيها لى وأخذها الله منى ووعدنى عليها شربة ماء يوم القيامة ما رأيتها تلك الشربة أهلا فكيف بالصلوات والهدى والرحمة يشير لقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (فقالت عائشة ومن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقة) أى لاستكشاف المسائل

أمر من عنده فيما ليس فى طوقه لكن سر الله فى صدق الطلب
ومن كثر لهجه بالاحباب فلا بد أن يذكروه ومن دام تسليمه عليهم فلا بد أن يزوروه وأما سلامه فى وقت الشهود والحضور فشكر على الانعام وحمد فى مقابلة الكلام وزيادة خضوع عند شهود الجلال وتضاعف شغف عند شهود الجمال فعند ذلك يسلم بعوالمه الظاهرة من رأس وعين وجبين ووجه ولسان وشعر

العلمية والمسائل الدينية وهذا تحريض لها على السؤال فمن ثم كررته (فقالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فأنا فرط لامتى) فندخلهم الجنة من باب أولى (قال المصنف هذا حديث غريب) قال فى جمع الوسائل لكن روى مسلم ان الله اذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره اه وفيه ان نفعه لامته لا ينقطع بموته عليه الصلاة والسلام وقد ورد ما يدل على دعائه لامته واستغفاره لهم بعد موته صلى الله عليه وسلم (لن يصابوا بمثلى) جملة استئنافية كالتعليل لقوله فأنا فرط لامتى أى فمصيبتهم بوفاتى أشد عليهم من سائر مصائبهم قال فى جمع الوسائل وهذا شامل لمن ادرك زمانه ولمن لم يدركه كما يدل عليه تعبيره بأمتى بل المصيبة بالنسبة الى من لم يره اعظم من وجه اه ولا شك ان المصيبة به صلى الله عليه وسلم لا تماثلها مصيبة وأنشد حسان بن ثابت

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

(وقال أيضا)

وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد
وما فقدنا الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد

وانما كانت المصيبة به صلى الله عليه وسلم أعظم المصائب لانقطاع الوحى وظهور الشر بارتداد العرب وتحزف المنافقين وبنفس موته ظهر النقص فى الناس كما قال أنس ما نفضنا أيدينا من التراب وانا فى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا وكتب بعضهم لاخيه يعزيه فى ابنه ويسليه

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واذا ذكرت محمدا ومصابه * فاذكر مصابك بالنبى محمد

ويقال ان عائشة رضى الله عنها لما وقفت على القبر الشريف أنشدت

قل للمغيب تحت أطباق الثرى * هل أنت تسمع ضرعتى وندائيا
ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

ثم قالت للقبر ثانية وتمثلت بقول صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد كان بعدك أنباء وهيمنة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها * واختل قومك فافقدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا * فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت نورا وبدرا يستضاء به * عليك تنزل من ذى العزة الكتب

و بشر وكل ذرة من ذراته وجوهرة من جواهره وبعوالمه الباطنة من روح وعقل وقلب وحياة وسائر القوى الباطنة

(وصلاة كالمسك تحمله من شمال اليك أو نكباء)

سنى والشائع هو تقديم المعهود والشائع هو تقديم الصلاة على السلام اقتداء بالآية الشهيرة والاحاديث الكثيرة لان الصلاة خاصة بالانبياء

فقد وزنا بما لم يرز أبه أحد * من البرية لا عجم ولا عرب

ومما ورد في الحض على السؤال قوله صلى الله عليه وسلم هلا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العمى السؤال وقيل لابن عباس بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بشار بن برد

شفاء العمى طول السؤال وانما * دوام العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلا عما عنالك قائما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

وفي القوت في الخبر الذي رويناه من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحه السؤال فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ذو النون المصري في حسن سؤال الصادقين مفاتيح قلوب العارفين

(باب في ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الميراث مصدر بمعنى الموروث أو بمعنى الارث وعلى كل حال ففي الكلام حذف والتقدير في حكم ميراثه أي متروكه أو ارثه خلافا لابن حجر والحكم انه لا يورث كما يأتي في الاحاديث (حدثنا أحمد بن منيع نا حسين بن محمد نا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن الحرث أخي جويرية) احدى أمهات المؤمنين (له صحبة قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه) نحو السيف والرمح والدرع والمغفر والحربة (وبغلته) أي البيضاء التي كان يختص بركوبها وهي دلدل (وأرضا) قال الكرماني هي نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهم من خمس خيبر وحصة من أرض بني النضير ويأتي ان منها حوائط مخيريق التي أوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر ولم يضفها اليه كالاولين لاختصاصها به دونها اذ نفعها كان عاما له ولغيره من عياله وفقراء المسلمين اه (جعلها صدقة) اختار الكرماني في شرح البخاري ان الضمير راجع للثلاثة وهو ظاهر ايراد هذا الحديث في هذه الترجمة ويحتمل أن الضمير للارض ومعنى جعلها صدقة بين في حياته انها من الصدقات لا انها صارت صدقة بعد مماته ولا يلزم على هذا كون السلاح والبغلة ميراثا لان قوله صلى الله عليه وسلم ما تركناه صدقة صريح في ان ما خلفه يصير صدقة بنفس الموت وان لم يتصدق به ويأتي ان الصدقة ما زاد على نفقة عياله ومؤنة عامله عليه السلام وان معنى الصدقة الوقف ولعله سكت عن ثياب بدنه وامتعة بيته لان ذلك معلوم اذ لا يخلو انسان عن شيء من ذلك نعم قال ابن حجر ذكر بعض أهل السير انه صلى الله عليه وسلم خلف ابلا كثيرة وانه كان له عشرون ناقة كانوا يرعونها حول المدينة ويأتون بألبانها اليه كل ليلة وكان له سبع معز يشربون لبنها كل ليلة قال في جمع الوسائل والظاهر ان الابل الكثيرة هي من ابل الصدقة وان الناقة والمعز كانت من المنائح كما جاءت بذلك الروايات الصريحة ويجيء في رواية عن عائشة عند المصنف انه ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا فيتعين التأويل الذي ذكرناه والعجب من ابن حجر حيث ذكر ما نقل عن

أهل

استقلالا بخلاف السلام والاختصاص يؤذن بالافضلية وبالافضلية يستحق التقديم وأيضا السلام من الله تعالى زيادة تكرمة وانعام على التكرمة والانعام الحاصلين من الصلاة فاستحق السلام التأخير لان الزيادة على الشيء فرع ذلك الشيء

أهل السير وسكت عنه اه قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو الوليد نا حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال جاءت فاطمة الى أبي بكر رضى الله عنهما) حين سمعت عنه انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث (فقالت) مستدلة على الارث بطريق القياس لان الاصل عدم الخصوصية (من يرثك فقال أهلي) أي زوجتي (وولدي) يشمل الذكور والاناث (فقالت مالي لا ارث أبي فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث) من باب الحذف والايصال والاصل لا يورث منا وهذا اذا قلنا انه لا يتعدى الى المفعول بنفسه على ما ذهب اليه صاحب القاموس وغيره وأما على ما قاله بعض اللغويين من انه يتعدى اليه بنفسه كما يتعدى اليه بمن فلا حذف ولا تحويل عن الاسناد للغائب الى التكلم ويوافقه قول فاطمة في هذا الحديث من يرثك مالي لا ارث أبي وكذا قوله تعالى يرثني ويرث من آل يعقوب وورث سليمان داود والجمهور على ان قوله لا نورث غير خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم لحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وعليه فالمراد بالارث في الآيات المتقدمة ارث النبوة والعلم وفي الحديث العلماء ورثة الانبياء والحكمة في انهم لا يورثون انهم لو ورثوا الرتبة عاهم منهم الرغبة في الدنيا وجمعها لورثتهم فيهلك الظان وينفر الناس عنهم أو يقتدون بهم في جمع الدنيا أو خشية ان يتمنى بعض ورثتهم موتهم فيهلك وقال النووي حرم الله ان يورث عنهم شيء من الدنيا ترفيعا لهم وتنزيها عنها اه قلت وقد يكون من الحكمة في ذلك الترغيب في نفقة المال والتزهيد في امساكه للوارث ففي البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر اي واذا كان كذلك فليكن حرصه على ما يقدم أكثر من حرصه على ما يؤخر وأما حديث لان تذر ورثتك أغنياء الخ فيحتمل انه عليه السلام منع سعدا من التصرف في أكثر من الثلث لانه كان مريضا أو ان ذلك يختلف باختلاف الورثة فقرا وغنى أو ان سعدا أراد بذلك حرمان الورثة اذ لم يكن له اذ ذاك ابن فلم تخلص نيته في الصدقة وهو بعيد والله أعلم ويأتي ما يدل على ان الحكمة في كونهم لا يورثون انهم احياء فلا عدة على أزواجهم وتستمر النفقة عليهن لعدم انتقال أموالهم لغيرهم والله تعالى أعلم (ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه) في الصحاح عال الرجل عياله يعولهم قاتهم وانفق عليهم اه فالعطف للتفسير ويمكن ان يفرق بينهما بان يخص قوله أعول بأهل داخل بيته كما يشير اليه لفظ أعول ويخص قوله انفق بغير أهل بيته فلا يتعين ان يكون الجمع بينهما للتأكيد وأشار الصديق رضى الله عنه بهذا الاستدراك الى دفع التوهم الناشئ من النفي المطلق في قوله لا نورث وهو انه لا ينفق عليهم من منافع متروكه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ان فاطمة هجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت

والفرع يتبع أصله لكن لما كان المقام مقام ختام وحصل فيه الاشراف على التمام حسن فيه القلب الى تكرير السلام فصار المقام له وذكرت الصلاة اثناء آحاده المكررة تحقيقا لما هو أمس بالمقام من التقديم والتكريم أو يقال انه لما أكثر من ذكر المحبوب على غاية الشغف بفيل المرغوب تخيل انه جاد عليه بعظيم اللقاء فأتى بالسلام الذي هو من شعاره تفاؤلا أن يتم له ما استشعره وفي لفظ السلام اشارة الى انه ترقى الى مطلوبه لاشتراك السلام

وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر انظر تمامه فى غزوة خيبر وكانها هجرته لانها رأت ان الحديث خاص بغير العقار أو هو من باب خبر الآحاد بالنسبة اليها وان كان قطعيا بالنسبة الى أبى بكر والظنى لا يخصص القطعى وهو آية الميراث على نزاع من الاصوليين فى هذا أو فهمت ان متروكه صدقة بمعنى الوقف ورأت ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته كما يأتى ان شاء الله فى كلام السيد السمهودى نعم يشكل تعاديها على هجرانه مع ان الهجران لا يجوز أكثر من ثلاث لكن قال العسقلانى قال بعض الائمة انما كانت هجرتها انقباضا عن لقائه والاجتماع به وليس ذلك من الهجران المحرم لان شرطه ان يلتقيا فيعرض هذا ويعرض هذا وكان فاطمة رضى الله عنها لما خرجت غضبى من عند أبى بكر تعادت لاشتغالها بحزنها ثم بمرضها على ان البيهقى روى من طريق الشعبى ان أبا بكر عاد فاطمة فقال لها على هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت تحب ان آذن له قال نعم فأذنت له فدخل عليها فرضاها حتى رضيت وهو وان كان مرسلا فاسناده الى الشعبى صحيح وبه يزول الاشكال فى جواز تعادى فاطمة رضى الله عنها على هجر أبى بكر اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا يحيى بن كثير العنبرى أبو غسان نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى) قال ابن حجر بالحاء المهملة منسوب الى البحتر وهو حسن المشى اه قال فى جمع الوسائل وهو سهو والصواب انه بالباء الموحدة مفتوحة أو مضمومة وبالخاء المعجمة واسمه سعيد بن فيروز أو ابن عمران (ان العباس وعليا جاآ الى عمر يختصمان يقول كل واحد منهما لصاحبه أنت كذا أنت كذا) قال ابن حجر وتبعه فى جمع الوسائل اى أنت لا تستحق الولاية على هذه الصدقة أو انا أولى منك بها ونحو ذلك واخطأ شارح فى حمل كلامهما على السب والشتم اه وفى رواية فقال العباس يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا الظالم ولم يرد فى طريق انه وقع شئ من على فى جانب العباس خلاف ظاهر قوله فى رواية فاستبا قاله العسقلانى (فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد نشدتكم بالله) يقال نشدتك الله وبالله اى سألتك وأقسمت عليك (أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل مال نبى صدقة) قال ابن حجر كل هنا انما يفيد العموم فى افراد مال النبى الواحد لا فى افراد الانبياء لكن الرواية الاخرى الصحيحة نحن معاشر الانبياء تبين ان المراد العموم فى المضاف والمضاف اليه (الا ما أطعمه) أى الله كما فى بعض النسخ أو النبى وبينه ما جاء فى رواية أبى داود بهذا الاسناد بلفظ كل مال نبى صدقة الا ما أطعمه أهله وكساهم وفى بعض النسخ بصيغة المضارع من الرباعى اى انا لكونى المتصرف فى أمور المسلمين وفى بعض النسخ بصيغة المضارع من الثلاثى وعلى هاتين النسختين ففيه التفات من الغيبة الى التكلم (انا لا نورث) استئناف للتعليل (وفى الحديث قصة) فيها اشكالات من قبل فاطمة وعلى والعباس والشيخين صارت من ضلالة المبتدعين وعمايات الناقصين

مع السلم فى المادة فقدمه وصلاة أى عظيمة من الله ومنك لك ومن كل مخلوق كالمسك فى الطيب والنفع البليغ تحمل ذلك المسك شمال التى تهب من جهة القطب الى الغرب منى اليك حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحملها الارواح بعبيقه ومسيره وفى دلائل الخيرات روى عن بعض الصحابة انه قال ما من مجلس يصلى فيه على محمد صلى الله عليه وسلم الا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذا مجلس صلى فيه على النبى صلى الله عليه وسلم والنكباء هى الصبا

والاعراض

والاعراض عن سماعها والبحث عنها أولى ولقد أحسن المصنف حيث تركها قاله المناوى
و يأتى بيان بعضها وقد بسطها مسلم فى أبواب الفىء والبخارى فى باب فرض الخمس وفى
كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا صفوان بن
عيسى عن اسامة بن زيد عن الزهرى عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لانورث ماتركنا فهو صدقة) صدقة بالرفع على انه خبر المبتدا وهو ضمير الرفع
والجملة خبر ما الموصولة أى الذى تركناه فهو صدقة وهذه الرواية صريحة فى معنى رواية
ماتركنا صدقة فبطل قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا وأيضا لو كانت
الرواية والمعنى كما قالوا لكان آخر الكلام مناقضا لصدره وبتقدير صحة الرواية بالنصب
فيجب حملها على رواية الرفع والتقدير ماتركنا يكون صدقة قال عياض فى الاكمال وقد
حرف الامامية هذا الحديث وقالوا انما هو لا يورث بالياء وما مفعوله وصدقة منصوب
على الحال وقالوا ان المعنى ان الذى تركه صدقة لا يورث و يورث غيره وهذا مخالف لما
عليه الصحابة وأئمة السنة ولما جاء فى رواية كل مال نبى صدقة انا لانورث وفى حديث
لا يقتسم و رثتى دينارا ولا درهما ماتركنا صدقة وقد اعترض بهذا الهوس أبو عبد الله
ابن المعلم من أئمة الامامية على القاضى أبى على بن شاذان صاحب القاضى أبى بكر
الباقلانى لعلمه بضعفه فى العربية فلم ينقطع ابن شاذان بل قال ما معناه هذا الذى تنبهت
له لو كان حقا التنبه له أبو بكر أو على أو العباس أو فاطمة وهم من أفصح العرب فاما ان
تكون الرواية الرفع فقط فيبطل نصبه حالا أولا فرق بينهما فيبطل تفريقك فانقطع ابن
المعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى
الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم) قال
العسقلانى باسكان الميم على النهى و بضمها على النفى وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى
لا يعارض ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك مالا يورث عنه وتوجيه رواية النهى انه لم
يقطع بانه لا يخلف شيأ بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان اتفق اه قلت قوله
ماتركت بعد كذا وكذا صدقة يدل على انه ترك شيأ ولكنه نهى عن قسمته فرواية النهى
ظاهرة والله أعلم (و رثتى) أى من يصلح لوراثتى لو جازت (دينارا ولا درهما) قيدبهما لان
مرجع التركة عند القسمة اليهما أو المعنى ما يساوى قيمة أحدهما وهذا أولى مما قاله ابن
حجر من ان التقييد بهما للتنبيه على ان ما فوقهما بذلك أولى فانه يبقى مفهوم ما دونهما قاله
فى جمع الوسائل وفى الاكمال هو من التنبيه بالادنى على الاعلى كقوله تعالى ومنهم من ان
تأمنه بدينار وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (ماتركت بعد نفقة نسائى) انما وجبت
لهن النفقة بعد موته عليه السلام لكونهن محبوسات عن الازواج بسببه لقوله تعالى
ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا فهن فى
حكم من فى العصمة ما دمن فى الحياة أو لعظم حقوقهن وكونهن أمهات المؤمنين وليس

والرياح أربعة باعتبار جهة
الكعبة فان هبت من تجاه
الكعبة فالصبا وهى حارة يابسة
أو من ظهرها فالدبور وهى باردة
رطبة أو من يمينها فالجنوب وهى
حارة رطبة أو من شمالها
فالشمال وهى باردة يابسة وهى
ريح أهل الجنة التى تهب عليهم
رواه مسلم ولذا قدمها الناظم
* (تنبيه) * اعلم انه يتأكد ههنا
التنبيه على بعض ما تضمنه قول
مولانا جل وعلا ان الله وملائكته
يصلون على النبى يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فانظر كيف أفرد الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم عن

ذلك لارثهن منه ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن بعدهن وفى ابن حجر قال ابن عيينة هن فى معنى المعتدات لحرمة النكاح عليهن أبدا فجرت لهن النفقة وقيل لاعدة على أزواجه صلى الله عليه وسلم لانه حى فى قبره وكذا سائر الانبياء عليهم السلام اه وفى قوله هن فى معنى المعتدات شئ لان المعتدة لانفقة لها فالاولى ان يقال انهن فى معنى من فى العصمة كما تقدم وفى الخطاب عند قول المختصر ومدخولته لغيره قال فى الشامل وأصله فى الجواهر وفى بقاء نكاح من مات عنها قولان وعلى انقطاعه ففى وجوب العدة ونفيها قولان بناء على انها متوفى عنها أولانها لاتنتظر الاباحة اه القرطبى الصحيح انه لاعدة على من مات عنهن وبقاء نكاحهن قال ابن العربى وبيقائه أقول اه ونقل عند قوله ولايورث مانصه قال الاقفهسى اختلف هل ماتركه باق على ملكه ينفق على أهله منه كحياته أو سبيله سبيل الصدقات والصواب انه صدقة لقوله صلى الله عليه وسلم ماتركناه صدقة اه وتقدم عند قول المصنف ومدخولته لغيره عن المشاور مايخالف ماصوبه فتأمله والله أعلم اه وفى ابن حجر عند قوله لانورث قيل لبقائه على ملكه وعليه صاحب التلخيص من أئمتنا وقيل لمصيره صدقة اه المراد منه قلت قد بين فى هذا الحديث ان الصدقة ماعدا نفقة أزواجه ومؤنة عامله فلا سبيل الى اطلاق القول بان الجميع ملك أو صدقة وقضية بقائه على ملكه وان الانبياء أحياء ان حياتهم زائدة على حياة الشهداء وانها قد تعطى بعض احكام الدنيا قال ابن حجر وقد صح ان الانبياء يحجون ويلبون فاعمالهم ليست تكليفية بل يتلذذون بها ومن ذلك سجوده صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ولايأتى فى ذلك اطلاق الكتاب والسنة والاجماع الموت عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى لانه أحيى بعده وعليه فانتقال الملك مشروط بموت مستمر وقد ثبت ان اجساد الانبياء لاتبلى وان الروح تعود فى الجسد فى سائر الموتى وانما النظر فى استمرارها فى البدن وفى انه يصير حيا كهو فى الدنيا أو حيا بدون روح وهى حيث شاء الله فان ملازمة الحياة لها أمر عادى فالعقل يجوز خلاف ذلك فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك صفات الانبياء المذكورة ليلة الاسراء كلها صفات للاجساد ولا امتناع من انها حياة حقيقية وان لم تحتج الى نحو طعام وأما نحو العلم والسماع فثابت لهم بل لسائر الموتى بلاشك اه (ومؤنة عاملى) قال ابن حجر هو الخليفة بعده وقيل القائم على هذه الصدقات والناظر فيها وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له صلى الله عليه وسلم وهو نائب عنه فى أمته اه قال المناوى وفيه ان كل قيم بامر من أمور المسلمين مما يعم نفعه سبيله سبيل عامل المصطفى فى ان له المؤنة فى بيت المال والكفاية مادام مشتغلا به كالعلماء والقضاة والامراء وسائر أهل الشغل بمنافع الاسلام اه (فهو صدقة) معنى الصدقة هنا كما فى الاكمال الوقف لصالح المسلمين وفى مسلم عن عمر قال كانت أموال بنى النضير مما

سائر الاعمال بان عملها هو وملائكته أولا ثم أمر عباده بها ولم يشاركها فى ذلك فرض ولا نفل فأمرنا أولا أمر اضمنيا بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى فرغبنا بفعله وفعل ملائكته فى تعظيم من عظمهم هو وملائكته لان الكبير اذا فعل شيأ ركل محب له الى فعله ثم بعد ذلك أمرنا أمرا صريحا ليتحقق التكليف ونقوم بالمأمور به على وجه التعظيم والمحبة من غير مشقة ولاتعمل لان ذلك خدمة لمن أحبه الله وعظمه وعبر بالمضارع

أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل وفي ابن حجر كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم وليها أبو بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم تزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز اه وفي المناوي قال السيد السمهودي عن الواقدي وغيره كانت تركة النبي صلى الله عليه وسلم التي جعلها صدقة أموالا لخمسة أوصى لهم أو قتل بأحد وهي سبع حوائط الدلال وبومسة والاعوان والصافية ومثيب وحسنا ومشربة أم ابراهيم وهذه الحوائط مما طلبته فاطمة وعلى والعباس من أبي بكر وعمر فأبيا واحتجا بالحديث كما تقدم فعلي والعباس وفاطمة فهموا من قوله ما تركناه صدقة الوقف ورأوا ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته فرأى أبو بكر ان الامر في ذلك له وأما عمر فاعطاها لعلي والعباس ليعملا فيها بما عمل المصطفى صلى الله عليه وسلم فكانت هذه الصدقة بيد علي غلب عليها العباس ثم بيد الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين والحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبيد الله بن الحسن حتى ولي بنو العباس فقبضوها فكانت بيد كل خليفة يولي عليها ويعزل ويقسم غلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة اه ومخبر بق هذا محب بلغ به صدق المحبة ان بذل نفسه وماله في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبقيته ولحوقه باخوته سلمان وبلال وهو مخبر بق النضري الاسرائيلي من بني النضير ذكر الواقدي انه أسلم واستشهد باحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبر بق سابق يهود وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة وكان عالما ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد قال لليهود ألا تنصرون محمدا والله لتعلمون ان نصرته حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال لا سبت وأخذ سيفه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فلما حضره الموت قال أموالي الى محمد يضعها حيث شاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن علي الخلال نا بشر بن عمر قال سمعت مالك بن أنس عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال دخلت على عمر فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وطلحة وسعد وجاء علي والعباس يختصمان فقال عمر أنشدكم بالذي باذنه) أي ارادته وقدرته (تقوم السماء والارض) أي تثبت ولا تزول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا (أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالوا اللهم نعم) هذا جواب الاستفهام أي نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال في جمع الوسائل وتصديره باللهم اما لتأكيد الحكم أو للاحتياط والتحرز عن الوقوع في الغلط والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان الميم فيه بدل من حرف النداء

اشارة الى استقرار صلاة الله وصلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم واقتصر أولا على ذكر الصلاة ولم يقل يصلون ويسلمون لان تسليم الله والملائكة عليه صلى الله عليه وسلم كان معروفا عندهم مشهورا فيما بينهم وقال على النبي دون الرسول لانه فعيل من النبوة وهي رفعة القدر والمنزلة ففيه تعليق الحكم على الوصف المناسب وقد أطالوا في تفسير الصلاة وأقسامها وكل ذلك يرجع الى معنى الوصلة واظهار الشرف فهي لازمة لكل ما ذكر في تفسيرها ولذا فسر البيضاوي قوله يصلون

وان المقصود من النداء فى حقه سبحانه هو التضرع والتذلل لا حقيقة النداء فانه ليس ببعيد حتى ينادى ولا بغائب حضوره يرتجى بل هو أقرب الى العبد من حبل الوريد اه وفى المرادى على النظم ان اللهم يستعمل على ثلاثة انحاء منها ان يذكره المجيب تمكينا للجواب فى نفس السامع كان يقول لك القائل أزيد قام فتقول أنت اللهم نعم أو اللهم لا اه وكان الاصل والله أعلم اللهم اشهد ان الجواب كذا (وفى الحديث قصة طويلة) تقدم قول المناوى قد أحسن المصنف حيث تركها وعما تضمنته القصة المذكورة ان عليا والعباس ترافعا الى أبى بكر ثم ترافعا الى عمر مرتين فيشكل ترافعهما الى أبى بكر مع قوله عليه السلام لا نورث وعلمهما بهذا الحديث سواء كانا سمعاه من النبى عليه السلام أو من غيره الا ان يقال حملاه على غير عمومه أو رأوا ان حق النظر على الوقف يورث دون رقبته ثم يشكل ترافعهما الى عمر والجواب لعله ان لا يرى رأى أبى بكر ويشكل عليه ترافعهما اليه ثانيا والجواب انهما ترافعا ثانيا فى غير الميراث بل فى ولاية تلك الصدقة اذ لو كان فى الميراث لاخذ على النصف وعباس الربع ونصفه ولم يكن تنازع فكان تنازعهما اذا اما فى الاستبداد بالولاية بان يريد كل منهما ان يستبد بالولاية أو فى بعض مصارف هذه الصدقات لكن فى رواية مايدل على انهما ترافعا ثانيا فى مثل ما ترافعا فيه أولا فبقى الاشكال ولم يجب عنه ابن حجر والجواب انهما ترافعا اليه ثانيا لعله ان يكون تغير اجتهاده والله أعلم قال ابن حجر وقد استوفينا الكلام على ما وقع لفاطمة مع أبى بكر ولعلى والعباس مع عمر رضى الله عنهم فى كتاب الصواعق المحرقة فاطلبه فانك تعجب به من ضلالات وقع فيها المبتدعة وعمايات خذل بها من أضله الله ووضعه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن عاصم بن بهدلة) على وزن فعللة وعاصم هو الامام المقرئ المشهور الذى راوياه أبو بكر وحفص (عن زر) هو بكسر الزاى وتشديد الراء (ابن حبيش) تصغير حبش (عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا) أى مملوكين (قال) أى زر الراوى عن عائشة كما جزم به ابن حجر أو الراوى الصادق بمن دونه (وأشك فى العبد والامة) أى فى ان عائشة هل ذكرتهما أم لا وفى رواية البخارى عن جويرية ولا عبدا ولا أمة أى مملوكين والا فقد بقى بعده صلى الله عليه وسلم كثير من موالية وقد ترجم البخارى باب ما ذكر من درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته ومراده ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يورث لان هذه الامور بقيت فى يد من كانت تحت يده من الاقارب وغيرهم يتبركون بها ولم تبع ويقسم ثمنها وقد ذكر داخل الترجمة مايدل على الكساء والرداء والصحيفة ولم يذكر ما يشهد للدرع والعصا والشعر والله أعلم * (تنبيه) * فى الحديث العلماء ورثة الانبياء وان

يعتنون بأظهار شرفه وتعظيم شأنه وساوا بقوله قولوا السلام عليك وانقادوا لاوامره فلما تأخر فى هذا المعنى وكان هو المراد أكد لفظ التسليم تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد فهو مؤكد لصلوا بمعناه ولساوا بلفظه وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه لانه آكد فى هذا المقام لما فيه من المسالمة والاذعان والقبول وبه يحصل نهاية المأمول ويصلح أن يكون عليه أوله بمعنى الاذعان والانقياد هذا وأخرج ابن وداعة من حديث عبد الله بن عمر قال قال مولانا رسول الله صلى الله عليه

الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ومن ثم قال العلماء أهم الاشياء لاهل البيت طلب العلم وتحصيله بنية صالحة اذهو الذى ورثه جدهم صلى الله عليه وسلم ولم يورث دينارا ولا درهما فحقهم ان يتنافسوا فيه كل المنافسة ويعتنوا به غاية الاعتناء اذ أولى الناس بالارث الاقارب وقبيح بهم ان يحرموا أنفسهم من ذلك الارث ويزهدوا فيه ويعرضوا عنه مع غاية جلالته ونهاية شرفه واحقيتهم به ولا يمنعهم من ذلك احتياجهم الى التأدب مع المعلمين والتواضع لهم والجلوس بين أيديهم لان التواضع خلق شريف به تخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومدحه وأثنى عليه لاسيما مع أهل العلم فان التواضع لهم تواضع فى الحقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذهم خلفاؤه ونوابه وقد تقدمت حكاية أبى معاوية الضرير مع هرون الرشيد وروى أبو نعيم فى الحلية ان على بن الحسين كان يذهب لزيد بن أسلم فيجلس اليه يعنى للاخذ عنه فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس اليه قال العلم يتبع حيث كان وممن كان اه وأخرج فى الصفوة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفى الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركته وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فان كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد الباب فيخرج فيرانى فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك الا أرسلت الى فآتيك فأقول بل أنت أحق ان آتيك فأسأله عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى فيقول هذا الفتى كان أعقل منى وانى هذا بشىء قول ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقد قام الصحابة رضى الله عنهم بوظيفة تعلم العلم وتعليمه لان العلم هو روح الدين فجميع ما يظهر فى هذه الامة من العلوم فى ميزان حسناتهم وهم وحسناتهم فى ميزانه صلى الله عليه وسلم ولا يزال الخير فى هذه الامة الى يوم القيامة لحديث لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون ومن ثم قال البوصيرى رحمه الله

لم تخف بعدك الضلال وفينا * وارثو نور حديثك العلماء
فانقضت آى الانبياء وآيا * تك فى الناس مالهن انقضاء
والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

(باب فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام)

قال ابن القوطية رأيت الشىء رؤية وفى العلم والامور رأيا وفى النوم رؤيا اه ومقتضاه اختصاص المقصور بالحلمية والمؤنث بالتاء بالبصرية قيل وقد يستعمل أحدهما

وسلم أكثروا من الصلاة على فانها نور فى القبر ونور على الصراط ونور فى الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة على فانها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الارزاق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل ان يقوم من مجلسه اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة وصرح أبو طالب المكى فى قوت القلوب والغزالى فى الاحياء بان ذلك

مكان الآخر مجازا وقال ابن هشام لاتختص الرؤيا بمصدر الحلمية بل قد تقع مصدر للبصرية خلافا للحريري وابن مالك اه وقد استعمل المصنف في هذه الترجمة مصدر البصرية وهو الرؤية بالتاء في الحلمية وكأنها عنده لاتختص بالبصرية ولذلك قيدها بقوله في المنام على ما في بعض النسخ وقد اختلف في حقيقة الرؤيا المناسبة قال الشيخ زروق في شرح الرسالة الرؤيا مثال يلقيه الله تعالى لعبده في منامه بواسطة ملك او غيره اه ولهم فيها كلام طويل قد نقل بعضه شيخنا العلامة في شرح الحصن الحصين قلت وذكر المصنف باب الرؤيا اثر باب الميراث وجمع بينهما في نسق واحد لان عدم الارث من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما ان رؤياه لاتكون الا صادقة من خصائصه صلى الله عليه وسلم والله أعلم وذكر بعض الشراح ان ايراد باب الرؤية في آخر الكتاب بعد ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية ليسهل تطبيق ما يراه في المنام عليها قلت ويحتمل انه ختم تراجم الكتاب بترجمة الرؤية في المنام دون غيرها من الابواب تفاؤلا بان يكون خاتمة عمل الانسان ظفره برؤيته صلى الله عليه وسلم والاجتماع به واشارة الى ان من ثمرات الاشتغال بمعرفة سيره وشمائله الفوز برؤيته والقرب منه صلى الله عليه وسلم لان الاشتغال بذلك يستدعي كثرة الاستحضار لصورته الكريمة وتعلق القلب برؤية محاسنه الفخيمة وذلك من أقوى أسباب رؤيته صلى الله عليه وسلم وقد نقل في الحلية عن المثنى بن سعيد انه قال سمعت مالكا يقول ما بت ليلة الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالاكثار من استحضار صورته الشريفة ومعرفة شمائله المنيفة كالتوطئة والتمهيد لرؤيته في المنام ورؤيته في المنام كالتوطئة والتمهيد لرؤيته في اليقظة وسيأتي الكلام على ذلك واعلم ان العارفين يتصورونه صلى الله عليه وسلم على هيآت عظيمة وحالات كبيرة جسيمة فتارة يستحضرون دخوله المدينة من هجرته وقد خرجت ذوات الخدور والولائد والصبيان يقلن

طلع البدر علينا * من ثنية الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويجعلون أنفسهم كأنهم يقولون ذلك ويفرحون وتارة يتصورونه امام المؤمنين ببدر وهم يأذنون به في جهاد أعدائه ويستحضرون ان ملائكة الله تتبعه وتقاتل معه وتارة يستحضرونه تحت شجرة الرضوان والصحابة يبايعونه على ان يموتوا دونه ويستحضرون قوله تعالى في ذلك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وتارة يتصورون دخوله لمكة يوم الفتح ومعه جنود الله وقد أحدقت به الانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد وهو على ناقته القصواء وهو بين سيدنا أبي بكر وسيدنا أسيد بن حضير يتحدث معهما وتارة يستحضرونه ساجدا عند العرش بين يدي الله تعالى وهو

لا يتقيد بلفظ صلاة مخصوصة وأخرج الامام أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وصححه عن كعب بن عجرة قلت يارسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفى همك ويغفر ذنبك وفي رواية اذا يكفيك الله هم دنياك وآخرتك قال الحافظ المنذري معنى قوله كم أجعل لك من صلاتي كم أجعل

يقال له ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وتارة يستحضرون قرعه لباب الجنة
وأمته وجميع الامم تتبعه اليها وهكذا (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن
ابن مهدى نا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله) أى ابن مسعود
كما فى بعض النسخ (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى) أى
فقد رآنى حقا وليست رؤياه بباطلة ولا أضغاث أحلام ولا من تمثل الشيطان بل هى
من قبل الله تعالى وهذا معنى رواية فكأنما رآنى فى اليقظة فقوله (فان الشيطان
لا يتمثل بى) كالتعميم للمعنى والتعليل للحكم والتمثل يتعدى بنفسه كما يأتى فى رواية
يتمثلنى وبالباء كما فى هذه الرواية وباللام أى لان الشيطان وان مكنه الله تعالى من التصور
فى أى صورة أراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم فكما حفظ
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حال الحياة من تمكن الشيطان منه وايصال الوسوسة
فكذلك حفظه بعد خروجه من دار التكليف فلا يقدر أن يتمثل بصورته ويتشكل
بشكله وهذا معنى رواية لا يتكوننى أى لا يتكون كونى أى لا يصير كائنا فى مثل
صورتى ورواية فان الشيطان لا يتخيل بى ورواية لا يستطيع أن يتشبه بى كما يأتى
قال فى سمط الجوهر الفاخر وقد اختلفوا فى رؤياه صلى الله عليه وسلم هل لا تكون الا على
صورته المعلومة التى كان عليها فى الدنيا أو يرى فى صورته المعلومة وغيرها والصحيح
التعميم وان رؤياه فى أى حالة كانت هى حق ليست باطلة ولا اضغاثا الا انه ان رؤى على
صورته المعروفة فى حياته لم تحتج رؤياه الى تعبير وان رؤى على غير صورته المعلومة
احتاجت الى التعبير والتأويل وهذا والله أعلم بشرط أن يكون لصورته الحقيقية
الاصلية بقاء فيكون مثال ذلك كما اذا كان لك شخص من أقاربك تعرفه معرفة تامة فغاب
عنك مدة مديدة ثم اتصلت به وقد شاب وصار شيخا وكان حين غاب عنك شابا لم يشب أو
غيرته الشمس وسودته وقد ذهب أبيض أو وقع له أثر فى وجهه أو نقص فى بعض أعضائه
فانك مع ذلك لا تعترى فيه أنه الشخص الذى غاب عنك بخلاف ما لو أتاك غيره وادعى انه هو
وهو مخالف له فى صورته الاصلية والمعنى والسر الذى امتازت به صورته عن غيرها
فانك لا تقبل دعواه أصلا ولو احتج على ذلك بما عسى أن يحتج وعلى هذا يجمع بين
قول من قال لا يرى الا على صورته المعروفة وبين من قال يرى فى كل صورة وأما لو
رأى فى منامه شخصا مخالفا لصفة النبى صلى الله عليه وسلم من كل وجه فقال له انه
النبى صلى الله عليه وسلم أو قيل له ذلك فيه أو توهمه فى نومه فالظاهر ان رؤياه غير صحيحة
وتلك الصورة التى رأى غير محفوظة ولا ممنوعة من الشيطان أن يتصور فيها والشيطان
ليس بمجبور عليه أن يتصور فى أى صورة شاء ويكذب ويدعى ما شاء فيدعى أنه رسول الله
أو غير ذلك وانما الممنوع منه صورة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى صورته المعلومة
المقدسة الشريفة أن يتكونها الشيطان ويريها ظاهرا فى مثلها وشكلها هذا الذى

للا من دعائى صلاة عليك وهو
بعيد من قوله انى أكثر الصلاة
عليك اه وقال الشيخ أبو
المواهب الشاذلى رأيت النبى
صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول
الله ما معنى قول كعب بن عجرة
فكم أجعل لك من صلاتى قال
أن تصلى على وتهدى ثواب ذلك
الى لا الى نفسك اه وغفران
الذنوب بها بالنسبة الى الصغائر
ظاهر وأما بالنسبة الى الكبائر
فلانها تكون سببا التوبة منها
لانها تشرق فى القلب نورا يحمل
على اجتناب قبائح الذنوب

يقتضيه قوله لا يتكونني ولا يتمثل بي ولا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي اه ثم اعلم انهم اختلفوا أيضا فقال بعضهم المرئي في جميع الاحوال هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم لا حقيقة شخصه أو روحه لان روحه لا صورة لها ولا لون ولا شكل ورؤيا شخصه باطلة ببديهة العقل لانه قد يراه ألف راء في ليلة واحدة في ألف موضع في صور مختلفة من الطول والقصر والشباب والشيخوخة والصحة والسقم وغير ذلك فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة في هذه الصور المختلفة كلها وكيف يعتقد انه خرج من قبره مرتحلا الى مواضع كلها في آن واحد فلم يبق الا أن رائيه انما رأى مثال روحه المقدسة وروحه تتشكل بصورة جسده الطاهر واطلاق رؤيته على رؤية مثاله صحيح لا اشكال فيه اه وهذا هو الذي قرر به الغزالي الحديث وهو مرتضى الأبي قال فمعنى من رآني فقد رآني من رأى مثالي فقد رأى مثالي وهذا هو التوجيه الحق في أنه يصح أن يراه اثنان في مكانين ووجهه بعض الصوفية بأنه صلى الله عليه وسلم كالشمس هي واحدة وترى في اماكن عدة وهو تنظير لا يصح لانه غير موازن لان الشمس وهي بالافق ترى من مكانين لا في مكانين ورؤية واحدة من مكانين تصح بخلاف رؤية في مكانين وانما الذي يوازن أن يرى زيد جرم الشمس في بيت ويراه عمرو في ذلك الوقت في بيت آخر ولو فرض ذلك كان فرض محال كاستحالة أن يرى ذاته الكريمة اثنان في مكانين اه وقال آخرون بل الحديث محمول على ظاهره والمراد ان من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك وأما كونه قد يرى على غير صفته أو يرى في مكانين مختلفين معا فان ذلك غلط في صفته وتخيل لها على غير ما هي عليه فتكون ذاته مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه تحديد البصر ولا قرب المسافة ولا كون المرئي ظاهرا على وجه الارض أو مدفونا وانما يشترط أن يكون موجودا ولم يقم دليل على فناء جسمه بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل على بقائه اه فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في بصر الرائي فقد يرى من الصفات ما يخالف صفته صلى الله عليه وسلم وقد يخيل له أنه في مكان كذا وفي بلد كذا دون روضة المدينة المشرفة وقال شيخ الاسلام زكريا تبعا لابن العربي رؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك لذاته وبغير صفته ادراك لمثاله فالاولى لا تحتاج الى تعبير والثانية تحتاج اليه ويحمل على هذا قول النووي والصحيح انه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعلومة أو غيرها كما ذكره المازري اه فهذه ثلاثة أقوال في المرئي هل هو المثال مطلقا أو الذات الكريمة مطلقا أو التفصيل قال بعضهم وثمرة اختلاف الصفات اختلاف الدلالات فقد قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو عام سلم ومن رآه شابا فهو عام حرب وقال العارف ابن أبي جمرة من رآه في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا

لانها حاجبة عن المحبوب وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وأخرج النسائي وابن حبان والدارمي وأحمد والحاكم أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا والمراد تضعيف الحسنة بعشر على قاعدة تضعيف الاعمال الصالحة

الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا وقد صرح النووى بأن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام لا يختص بها الصالحون وهو ظاهر قوله فى الحديث من رآنى فان من من صيغ العموم * قال المصنف (حدثنا محمد ابن بشار ومحمد بن المثنى قالا نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتصور أو قال لا يتشبه بى) التصور والتشبه والتمثل متقاربة المعنى والشك فى غير الجار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا خلف بن خليفة عن أبى مالك الاشجعى عن أبيه) طارق بن أشيم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى) سبق ما للعلماء فى معناه (قال أبو عيسى) أى المصنف (وأبو مالك) أى المذكور فى هذا السند (هو سعد بن طارق بن أشيم وطارق بن أشيم هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث) أى غير هذا الحديث فثبت له صحبة ورواية وأن أبا مالك من التابعين * قال المصنف (وسمعت على بن حجر يقول قال خلف بن خليفة رأيت عمرو بن حريث صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام صغير) فكل من قتيبة وعلى بن حجر شيخى المصنف من تابعى التابعين والترمذى من تابعى تابعى التابعين فبين المصنف وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة انظر المناوى لكن قول على بن حجر قال خلف بن خليفة ليس بصريح فى اللقى بخلاف قول قتيبة حدثنا خلف بن خليفة فانه صريح فى اللقى والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة هو ابن سعيد نا عبد الواحد بن زياد عن عاصم بن كليب قال نى أبى انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثلنى قال أبى) أى كليب (فحدثت به) أى بهذا الحديث (ابن عباس وقلت قد رأيته) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام (فذكرت الحسن بن على فقلت شبهته به) قد تقدم فى حديث على فى الباب الاول ذكر من كان يشبهه صلى الله عليه وسلم فى صورة ذاته الكريمة (فقال ابن عباس انه) أى الحسن بن على (كان يشبهه) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى رواية الحاكم بسند جيد عن عاصم بن كليب أيضا بلفظ قلت لابن عباس رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال صفه لى فذكرت الحسن بن على فشبهته به فقال قد رأيته وفى هذا الحديث جواز التحدث برؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وقد ورد فى الحديث الرؤيا الحسنة من الله فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره اه قال شيخنا العلامة فى شرح الحصن الحصين قلت وأعظم المحبوبات رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فتجرى هذا المجرى من عدم الافشاء لكل أحد بل هى بذلك أحرى خلاف ما شاع وذاع

ولكن أخبر الله تعالى بأن التضعيف هنا ليس بأمثال عمل العبد كما فى غير هذا العمل بل بعمل الرب جل وعلا وهذا هو وجه الخصوصية بأن توصل العبد الى صلاة الله عليه كذا أشار اليه القاضى عياض فى الاكمال وتبعه الشيخ السنوسى وغيره انظر شرح الشيخ ابن زكرى له من بيته

(وسلام على ضريح يحل تخضل ـل به منه تربة وعساء)

الضريح القبر الاكرم الذى ضم الجسد الاعظم

عند من لم يتأدب بالسنة ولا عرفها بل الغالب عدم صدقه فينوه برؤياه أو يعمل وليمة وربما تعرض بها للمطامع أو الرياسة والظهور وقد يعتمد على رؤياه حتى فيما يخالف الحق مع كونها على فرض صحتها قد تحتاج الى تعبير اه المراد منه * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا ابن أبي عدى ومحمد بن جعفر قالا نا عوف بن أبي جميلة عن يزيد الفارسي وكان يكتب المصاحف) اشارة الى بركة عمله وأنه من أحل الحلال فلذلك رأى تلك الرؤيا العظيمة (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام زمن ابن عباس) أي زمن وجوده (فقلت لابن عباس اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي فمن رآني في المنام فقد رآني هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم) في النهاية ان النعت ذكر المحاسن والوصف يقال في الحسن والقبح وليس في هذا السؤال ما يدل للقول بأنه عليه السلام لا يرى الا في صورته المعلومة بل فيه ما يدل لما تقدم من أن من رأى شخصا مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم من كل وجه فان رؤياه لا تكون حقا (قال نعم أنعت لك رجلا) في نسخة رجل أي هو رجل (بين الرجلين جسمه ولحمه) فاعل الظرف أو مبتدأ مؤخر والظرف خبر مقدم والجملة نعت رجل أي ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير اللحم ولا بقليله (أسمر) بالرفع أو النصب على انه نعت لرجل (الى البياض) أي ما مثل اليه فيكون بين البياض والحمرة وقد سبق ان بياضه مشوب بالحمرة (أكحل) بالوجهين أيضا (العينين) أي خلقة (حسن الضحك) أي التبسم (جميل دوائر الوجه) أي أطرافه (قد ملأت لحيته ما بين هذه الى هذه) الاشارة الى الاذنين (قد ملأت نحره) أي عنقه فهي اذا عريضة طويلة (قال عوف) الراوي عن يزيد الراوي (ولا أدري ما كان مع هذا النعت) أي من النعوت التي ذكرها يزيد لاني نسيتها هذا هو الظاهر المتبادر في معنى هذا الكلام كما في جمع الوسائل وقال ابن حجر أي لا أعلم الذي وجد من صفاته في الخارج مع هذا النعت هل هو مطابق له أولا وهذا ظاهر لا غبار عليه اه وتأمله مع قوله (فقال ابن عباس لو رأيته في اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا) قال المناوي كأنه لم يترك شيأ من أوصافه حتى أوجب أن يقول ابن عباس هذا الا انه نسي عوف بعض ما ذكره كما قاله اه * (تنبيه) * ظاهر الروايات المتقدمة وغيرها ان رؤياه صلى الله عليه وسلم تصح وان لم يكن الرائي صحابيا ولا ممن تكرر سماعه بصفته صلى الله عليه وسلم وقال القرافي قال العلماء انما تصح رؤيته عليه الصلاة والسلام لاحد رجلين لصحابي رآه فانطبع مثاله في نفسه فاذا رآه علم انه رأى مثاله المعصوم من الشيطان والثاني رجل تكرر عليه سماع صفته صلى الله عليه وسلم المنقولة في الكتب حتى انطبع في نفسه المثال المعصوم فاذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان كما يجزم الصحابي بذلك وأما غيرهذين فلا يجزم انه رأى مثاله

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه
طوبى لمنتشق منه وملتثم
وتخضل تبتل وزنا ومعنى وضمير
به يعود على السلام وضمير منه
يعود على القبر والتربة الوعساء
اللينة ذات الرمل شبه السلام
بالماء الكثير الطيب البارد
البالغ في النفع تشبيها مضمرا في
النفس فهو استعارة بالكناية
وقوله تخضل تخييل ووجه الشبه
بين السلام والماء ان كلا منهما
اذا وصل امتزج كل الامتزاج
(وثناه قدمت بين يدي نجب
سواي اذ لم يكن لدي ثراه)

بل يجوز أن يكون رأى مثاله ويحتمل أن يكون من تخيل الشيطان ولا يفيده قول المثال انا رسول الله ولا قول من حضر معه هذا رسول الله لان الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره اه قال الابى وهو مشكل ووضع الاشكال قصر الرؤياء على الرجلين وتجويزه فى غير الرجلين أن يكون ما رآه من تمثيل الشيطان مع شهادته صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يتمثل به فان قلت اذا لم تقصر رؤياه على الرجلين فبم يعلم غيرهما انه رأى مثاله قلت يجوز أن يكون باعتقاد خلقه الله تعالى للرائى ان الذى رآه هو مثاله صلى الله عليه وسلم اه * قال المصنف (ويزيد الفارسى) أى المذكور فى هذا السند (هو يزيد ابن هرمز) بضم الهاء والميم ممنوع من الصرف قال فى جمع الوسائل والصحيح انه غيره فان يزيد بن هرمز مدنى من أوساط التابعين ويزيد الفارسى مقبول من صغار التابعين كما يعلم من التقريب وتهذيب الكمال (وهو) أى ابن هرمز (أقدم من يزيد الرقاشى) بتخفيف القاف ثم معجمة (وروى يزيد الفارسى عن ابن عباس أحاديث) أى عديدة (ويزيد الرقاشى لم يدرك ابن عباس وهو يزيد بن ابان) بالصرف ويجوز منعه (الرقاشى وهو) أى الرقاشى (يروى عن أنس بن مالك ويزيد الفارسى ويزيد الرقاشى كلاهما من أهل البصرة) أى فمن قال انهما واحد لاتحاد اسمهما وبلدهما فقد وهم (وعوف بن أبى جميلة) أى الراوى عن يزيد الفارسى (هو عوف الاعرابى) * قال المصنف (حدثنا أبو داود سليمان) بدل أو بيان (ابن سالم البلخى نا النضر بن شميل قال قال عوف الاعرابى أنا أكبر) أى سنا (من قتادة) أى راوى ابن عباس ففى هذا السند رواية تابعى وهو عوف عن تابعى وهو يزيد الفارسى والمقصود من ايراد هذا الاسناد أن عوفا هو الاعرابى بدليل تعبير النضر عنه بعوف الاعرابى وقيل وعليه اقتصر ابن حجر أن المقصود الاستدلال على ما تقدم من أن يزيد أدرك ابن عباس ووجه ذلك انه اذا كان راوى يزيد الذى هو عوف أكبر من راوى ابن عباس لزم أن يزيد ادرك ابن عباس وهو وان لم يستلزم رؤيته لكن يستأنس به لذلك قال فى جمع الوسائل وهو غير صحيح لان الترمذى قد جزم بأن يزيد الفارسى روى عن ابن عباس أحاديث فلا يحتاج الى الاستدلال بمثل هذا المقال مع ان كلا من الرؤية والرواية لا يثبت بمجرد الاحتمال لان امكان رؤية يزيد الفارسى ابن عباس لا يستلزم رؤيته بالفعل مع ان المدعى ذلك * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن أبى زياد نا يعقوب بن ابراهيم بن سعد نا ابن أخى ابن شهاب الزهرى) ابن شهاب هو محمد بن مسلم وابن أخيه محمد بن عبد الله بن مسلم (عن عمه) أى الزهرى (قال قال أبو سلمة قال أبو قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى يعنى فى النوم فقد رأى الحق) يحتمل أن يكون مفعولا مطلقا أى فقد رأى الرؤيا الحق وهى التى ليست من الشيطان ولا بأضغاث أحلام فيرجع الى معنى قوله فقد رآنى فى الروايات المتقدمة ويحتمل أن يكون مفعولا به أى فقد رأى الله سبحانه وتعالى لانه صلى الله عليه وسلم

اى قدمت بين سؤالى منك بلوغ المأمول ثناء عظيما على قدرى وسعى وطاقتى لاجل انه لم يكن عندى ثراء المثلثة اى مال أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اذا الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو أأشفقتم الآية فبقى الندب حتى عند زيارة قبره الشريف والناظم حيث لم يكن له مال يحصل به هذا المندوب جعل حسن الثناء عوضا والامر بتقديم الصدقة امام النجوى قيل بقى عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة

المجلى الاعظم والمرآة الكبرى اظهوره تعالى وظهور صفاته اذ أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به فمن رآه شهد فيه جلال الله وجماله أما أقواله فظاهر واما أفعاله فلان ارادته تابعة لارادة الله تعالى بمقتضى الخلاف والتمكين فى العوالم فتعرف من مشاهدة أفعاله افعال الله تعالى وأما أحواله وأخلاقه فلانه متخلق بأخلاق الرحمن قال الورتجبى فى قوله تعالى ان الذين يبايعونك الآية جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال فى قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله أى ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك فى محل الجلال والجمال ويعرفوا قدرك فى قدرى وقدرى فى قدرك حيث صرت مرآتى أتجلى منك لهم لذلك قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فقد رأى الحق اه وهذا هو معنى قولهم ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الانسان الكامل وانه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن وقد ورد الخبر بذلك وفى آية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم تصريح بمقام الخلافة العظمى اشارة الى أن المطلوب التمسك بسنته والتعاون بشريعته وعدم الانحراف عن طريقته وانه باب الله الاعظم وان جميع ما يخرج من الخزائن الالهية دنيا وأخرى انما يخرج على يديه صلى الله عليه وسلم الله المعطى وأنا القاسم *(تنبيه)* فى البخارى من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى وفى مسلم من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو فكأنما رآنى فى اليقظة قال المازرى هو شك من الراوى فان كان المسموع الثانى فتأويله ما تقدم وان كان المسموع الاول فيحتمل أن يريد من لم يهاجر من أهل عصره وانه اذا رآه فى النوم فسيراه فى اليقظة ويكون الله تعالى جعل رؤياه فى النوم علما على ذلك وأوحى اليه به عياض وقيل المعنى انه يرى تصديق تلك الرؤيا فى اليقظة وقيل المعنى يراه فى الآخرة وان كان سيراه هنالك جميع أمته لكن من رآه فى المنام يكرم يوم القيامة برؤيته رؤية خاصة زائدة على رؤية من لم يره فى المنام من القرب منه أو الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات وقيل هو بشارة ووعد برؤيته فى اليقظة ويقع ذلك لومرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذى لا يخلف قال ابن أبى جمرة وهو عام وليس بخاص بمن فيه الاهلية والاتباع لسنته عليه الصلاة والسلام قال السيوطى وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده الصادق وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية فى طول حياتهم اما كثيرا واما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة اه قال ابن حجر وقد ذكر ابن أبى جمرة عن جمع انهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم نوما فرأوه بعد ذلك يقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم الى طريق تفريجها فكان الامر كذلك وحكيت رؤيته صلى الله عليه وسلم كذلك عن جماعة من الاماثل كالامام عبد القادر الجيلى كما فى

من نهار وقال على رضى الله عنه ما عمل هذه الآية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة

عوارف المعارف للسهروردى والامام أبى الحسن الشاذلى كما حكاه التاج ابن عطاء الله وكصاحبه الامام أبى العباس المرسى والامام على الوفائى والقطب القسطلانى والسيد نور الدين الايجى وجرى على ذلك الغزالى فقال فى كتابه المنقذ من الضلال وهم يعنى أرباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد اه وأنكر ذلك جماعة منهم الامام بدر الدين الاهدل اليمنى أحد فقهاء الشافعية فى كتاب الرؤيا ومنهم صاحب فتح البارى ومنهم الامام القرطبى وغيرهم وقد نقل ابن حجر كلامهم وتعقب ما ذكروه من الالزامات وبين انه لا يلزم شئ منها وكذلك الامام أبو الفضل عبد القادر بن مغيزل فى كتابه الكواكب الزاهرة فى اجتماع الاولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة فقد نقل كلام الائمة فى ذلك وبسط القول فيه فانظره والظاهر ان رؤياه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة تجرى على ما مر فى رؤياه نوما ومقتضى كلام الامام حجة الاسلام وغيره من الصوفية ان ما يقع من ذلك انما هو أمر روحانى ومشاهدة قلبية ولا مدخل لعينى الرأس فى شئ من ذلك ومن ظن انه رآه يقظة ببصره فانما رآه ببصيرته ولكن صرف نوره من بصيرته الى بصره فلبس عليه فظن انه رآه ببصره على قياس ما قاله الشيخ ابو محمد عبد القادر نفعنا الله به فى مريد ادعى انه رأى الله بعين رأسه بعد ان استخبره وانتهره انظر سمط الجوهر الفاخر * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا معلى بن راشد نا عبد العزيز بن المختار نا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتخيل بى) أى فلا تكون رؤياى من أضغاث الاحلام (قال) قال فى جمع الوسائل ضمير قال لانس كما هو الظاهر والا لقال وقال والحديث موقوف لكنه فى حكم المرفوع ولا يبعد أن يكون الضمير له صلى الله عليه وسلم استغناء عن التصريح بمقتضى لتوضيح اه (ورؤيا المؤمن) أى الكامل لرواية البخارى لرؤيا الحسنة من الرجل الصالح (جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) قال الشيخ زروق فلا تكون من النبوة الا ان كانت من الرجل الصالح لانها حينئذ كرامة والكرامة من المعجزة لان مددها منها وهى شاهدة بصحتها فهى من تمام برهانها كما قيل خرق العادة كرامة للمتبع واستدراج للمبتدع يفرق بينهما التوفيق فى سلوك الطريق اه وقال القرطبى لا تكون من أجزاء النبوة الا اذا وقعت من مسلم صالح صادق لانه الذى يناسب حاله حال النبى والكافر والكاذب والمخلط وان صدقت رؤياهم فى بعض الاحيان فانهم لا تكون من الوحى ولا من النبوة اذ ليس كل من صدق فى حديث عن غيب يكون خبره نبوة بدليل الكاهن والمنجم فان أحدهم قد يحدث ويصدق ولكن على الندور والقلة وكذا الكافر قد تصدق رؤياه كرؤيا العزيز السبع بقرات ورؤيا الفتيين فى السجن ورؤيا عاتكة عمة النبى صلى الله عليه وسلم وهى كافرة لكن ذلك قليل بالنسبة الى منامات

ورسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت

منها نزل نسخها

(ما أقام الصلاة من عبد الا وقامت بره الاشياء)

ما ظرفية مصدرية والصلاة مفعول مقدم وهى تعم اللغوية والشرعية ومن موصولة فاعل أقام وعبد فعل ماض فاعله

المخلطة الفاسدة اه و بين صلى الله عليه وسلم بهذا ان رؤيا غير النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون حقا كما ان رؤيا عليه السلام حق وأن الرؤيا الصادقة من قبيل العلم الوهبي بل من قبيل الوحي قال الابي قال القرطبي هذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بأنها وحي من الله تعالى ولذلك أجاب مالك رحمه الله من قال له أيعبر الرؤيا كل أحد قال أبالنبوة يلعب وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم من منامات أصحابه كما في رؤيا الاذان ورؤيا ليلة القدر وكل ذلك بناه على انها وحي اه وفي البخاري وغيره متصلا بهذا الحديث وما كان من النبوة لا يكذب وفي البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح يعني في الصدق والظهور فهي من أعظم المزايا وأشرف الخصوصيات وأعظم المرائي وأشرفها وأكملها رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ويكفي في ذلك ما تقدم في رواية من رآني في المنام فقد رأى الحق على أحد الوجهين فيه وهو الاشارة الى أنه المجلى الاعظم فمن ظفر برؤيته صلى الله عليه وسلم فقد حصل على الكنز الاكبر والكبريت الاحمر وفاز بكيمياء السعادة اذا كانت رؤية الواحد من أولياء أمته والاجتماع به تغني فما يقال في رؤية نبي من الانبياء فما يقال في رؤية صفوة الانبياء فان وجهه الاكرم صلى الله عليه وسلم جنة المعارف فيحصل للعارفين بالنظر اليه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد كان الاجلاف من الاعراب بمجرد مثولهم بين يديه صلى الله عليه وسلم ينطقون بالمعارف والحكم التي لا يهتدي اليها أكابر العلماء وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم رأى المولى جل جلاله فمن رآه فقد رأى من رأى وهذه خصوصية عظيمة ومزية فخيمة لم تثبت في الدنيا لاحد ولا تكون لاحد ولهذا اصطفت جنود الله وملائكته ليلة الاسراء على سدرة المنتهى ينظرون فيما رجع به صلى الله عليه وسلم من أنواع الجلال وضروب الجمال والكمال وكان الامين جبريل يطوف به بين صفوف الملائكة تشويها بقدره وتفخيما لامره فكان رؤساؤهم وعظماؤهم يضعون أجنحتهم في مواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم ولهذا كان نبي الله موسى لما القيه النبي صلى الله عليه وسلم يرده الى الله تعالى ليرى من رأى وقد سأل سبعون ألفا من الملائكة مولانا جل جلاله في النزول الى الارض لينظروا اليه صلى الله عليه وسلم لما يعلمون انه أكرم الخلق على الله ولانه رأى فيرون من رأى ولانه المجلى الاعظم والمرآة الكبرى ولهذا كان الاكابر من الاولياء يغيبون في مشاهدته صلى الله عليه وسلم وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين *(فائدة)* ذكر ابن الفاكهاني في كتابه الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير أن من قال سبعين مرة اللهم صل على روح سيدنا محمد في الارواح اللهم صل على جسد سيدنا محمد في الاجساد

ضمير من والله مفعوله والجملة صلة الموصول وأبدل ذلك لعدم انقطاعه لان الصلاة لا تزال تقام في الدنيا على سبيل التكليف وفي الآخرة على سبيل التلذذ والتنعم كما يدل عليه حديث اقرأ وارق واستمرارها في الدنيا معناه الى قرب قيام الساعة للحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله وعليه يحمل الحديث الآخر لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة أي الى

اللهم صل على قبر سيدنا محمد فى القبور رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وقوله من ستة وأربعين هى رواية الاكثر وهى الاصح عند المحدثين وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين وفى أخرى جزء من أربعين وفى أخرى من خمسين وفى أخرى من ستة وعشرين وفى أخرى من أربعة وأربعين واشار الطبرى الى ان اختلاف الروايات فى قدر النسبة لاختلاف حال الرائى فرؤيا الصالح جزء من ستة وأربعين ورؤيا الفاسق جزء من سبعين قال ابن العربى وهذا الوجه أحسنها وهو ان نسبة هذه الاجزاء الى النبوة انما هو بحسب اختلاف الرائى فرؤيا الصالح على عدد والذى دونه درجة دون ذلك وقيل اختلاف الروايات يدل على ان المراد بالاعداد انما هو الكثرة لا التحديد واختلاف هذه الروايات مما يرد ما قيل من ان وجه كونها جزأ من ستة وأربعين ان زمن الوحى ثلاث وعشرون سنة منها ستة أشهر قبلها رؤيا ونسبة ذلك الى سائرها نسبة جزء الى ستة وأربعين جزأ وقد رده أيضا جمع منهم الخطابى بأنه لم يثبت كون زمن الرؤيا ستة أشهر ولم يسمع فى ذلك أثر وكأن قائله بناه على الظن والظن لا يغنى عن الحق شيأ وقد نقل الابى ما للعلماء فى توجيه الحديث وأطال فى ذلك فانظره وقال التورپشتى الاولى ان يجتنب القول فى تحديد الاجزاء بستة وأربعين جزأ ويتلقى بالتسليم لكونه من علوم النبوة التى لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض لها بالقياس اه ولا حرج على أحد فى الاخذ بظاهره فان جزأ من النبوة لا يكون نبوة كما ان جزأ من الصلاة لا يكون صلاة والذى لم نفهمه انما هو تحديد الاجزاء بالستة والاربعين أو غير ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن على قال سمعت أبى يقول قال عبد الله بن المبارك اذا اشتبهت بالقضاء فعليك بالاثر) أى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنى اللجا اليه النجاة من المهالك وهذا والله أعلم بالنسبة للمجتهد أما المقلد فحسبه اتباع مقلده ومقلد المتمسك بالسنة متمسك بالسنة قال الامام الخطاب فى أول شرحه للمختصر الذى عليه الجمهور انه يجب على من ليس فيه أهلية الاجتهاد ان يقلد أحد الائمة المجتهدين سواء كان عالما أو ليس بعالم وقيل لا يقلد العالم وان لم يكن مجتهدا لان له صلاحية أخذ الحكم من الدليل اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن على أنا النضر انا ابن عون عن ابن سيرين قال هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) أى واذا كان الحديث دينا فيجب الرجوع له وتحصيله والعمل به ففى كل من هذين الكلامين ترغيب فى التضلع من علم السنة فانه كلام صاحب الانوار المحيطة الذى لا ينطق عن الهوى وهو أحد أصول الشرائع والاحكام التى عرف منها الحلال والحرام وقد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وخرج ابن أبى جمرة من حفظ على امتى حديثا واحدا يقيم به سنة ويرد به بدعة فله الجنة وخرج أيضا من حفظ على أمتى حديثا واحدا كان له اجر احد وسبعين نبيا صديقا وهذا وجه ختم هذا الكتاب بهذين الكلامين

ان يقرب وقت قيامها لما ورد ان الله يرسل بقرب قيامها ريحا لينة فلا تمر على مؤمن ولا مؤمنة الامات وقوله وقامت برجها الاشياء هو معطوف على أقام مدخول لما الظرفية المصدرية ومعنى قامت بقيت على أبلغ نظام واتقن احكام بايجاد ربها وامداده والمراد بالاشياء

فكانه يقول بعد ان عرفتك بعض البعض من سيره صلى الله عليه وسلم وشمائله الكريمة وأخلاقه الفخيمة فعليك بالاكثار من حديثه وبذل المجهود فى مزيد تحصيله وعدم القناعة منه بهذا الكتاب فانه نجاة لمن تمسك به وعصمة لمن التجأ اليه وهو الدين الذى نعبد ناربه رب العالمين كما قيل

دين النبى محمد آثار * نعم المطية للفتى الاخبار
لاتعدلن عن الحديث وأهله * فالرأى ليل والحديث نهار

ورواية المصنف هذه تقتضى أن هذا الكلام من قول ابن سيرين وهو كذلك فى مسلم أيضا وأورده فى الجامع الصغير من حديث الحاكم عن أنس وعن أبى هريرة بلفظ ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم قال المناوى فى شرحه الكبير له قوله العلم أى الشرعى الصادق بالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وأصول الفقه ويلحق بها آلاتها وأشار بقوله فانظروا عمن تأخذون دينكم الى أن الحديث لكونه دينا يجب اتقانه وعدم التساهل فيه فان التعويل فى الدين على كل أحد تلاعب فتى الانجيل هل يستطيع أعمى ان يقود أعمى أليس يقعان كلاهما فى بئر فلا يؤخذ الا عن العدول الثقات المتقنين والعلماء العاملين ويؤخذ من كلام ابن سيرين فائدتان وكانه يقول هذا الحديث دين فاطلبوه واحضروا مجالسه وتضلعوا به فان كل حديث يشرح طرفا من الدين وهو تقوى الله تعالى وطاعته وانظروا من أهل الحديث والعلم من يليق للاخذ عنه والانتفاع بصحبته وهم أهل الزهد والورع والاتقان والفهم ولا يكفى الزهد والورع عن الاتقان والفهم ولا العكس قال مالك لقد أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى الناس بهم المطر لسقوا لقد سمعوا العلم والحديث كثيرا ما حدثت عن أحد منهم شيأ لانهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد والفتوى محتاج لمن له تقى واتقان وعلم وفهم فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل اليه غدا فاما زهد بلا اتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه اه وفى الاحياء أدركنا الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وقال ابن مسعود لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فاذا أخذوه عن شرارهم ضلوا ونقل أبو عمر بسنده أن علماء الخراسانى كان اذا صلى يتكلم بكلمات فغاب يوما فتكلم رجل من المؤذنين فسمع رجاء بن حيوة صوته فقال من هذا قال أنا قال اسكت فانا نكره ان نسمع الخير الا من أهله ونقل عياض فى مداركه تقديم من أخر الله وتأخير من قدم الله فتنة فى الارض وفساد كبير وفى الحديث من تعلم العلم ليباهى به أو ليرائى به أوقفه الله موقف الذل وجعله عليه حسرة يوم القيامة وقد قال العلماء رضى الله عنهم ان الآفة ليست من قراءة العلم وانما هى من خبث الدخيلة كالمنافق يقرأ القرآن قال وهب بن منبه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار فتحوله على قدر طعومها

الموجودات الدنيوية والاخروية وفيه حسن الختام اذ هو وظيفه من الاشياء التى تقوم بربها والرب المصلح اذ هو فى الاصل مصدر بمعنى التربية أى الاصلاح وهى تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل ففى

يزداد المرء مرارة والحلو حلاوة نعم قال ابن العربي اذا سمعت حقا فخذه وان كان من لسان مبطل واعتن أنت به وان احترف هو فيه فقد أخبر سبحانه ان الحكمة يؤتيها من يشاء ولا يتذكر بها الا من له اب قال المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير فعلى الطالب أن يتحرى الاخذ عمن اشتهرت ديانته وكملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق حسن وليحذر من التقيد بالمشهورين وترك الاخذ عن الخاملين فقد عد وا مثل ذلك من الكبر وجعلوه عين الحق لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها فان كان الخامل مرجو البركة فالنفع به أعم والتحصيل من جهته أهم واذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالبا والفلاح يدرك طالبا الا اذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر وعلى نصحه للطلبة دليل ظاهر قلت فان لم يجد طالب العلم من توفرت فيه هذه الشروط على التمام والكمال فلينظر من يقارب من توفرت فيه فليأخذ عنه فان مصيبة الجهل لا تعدلها مصيبة وقد نص الفقهاء على أنه اذا لم توجد شروط الخلافة أو شروط القضاء أو شروط الشهادة فانه يقدم لذلك أمثل أهل ذلك الزمان ولا يجوز أن يترك الناس فوضى لئلا تضيع الحقوق وقد أخذ الصوفية من هذا الخبر ان على المريد امتحان من أراد صحبته لا على جهة كشف العورات وتتبع السيآت لفقد العصمة بل خلق دون خلق وذنب دون ذنب فالمؤمن رجاع والمنافق مدمن فالعالم يمتحن بالمسائل العلمية والصوفي يمتحن بالخصائل الخلقية حكى القشيري أن أبا عثمان الحيري دعاه رجل الى ضيافة فلما وافى باب داره قال ليس لي حاجة بك وندمت فانصرف فعاد اليه وقال احضر الساعة فوصل لباب داره فقال له كذلك وهكذا خمس مرات فقال يا أستاذ انما اختبرتك واعتذر اليه ومدحه فقال له تمدحني على خلق تجد مثله في الكلب فانه اذا دعي حضر واذا زجر انزجر اه وبالجملة فالعلماء العاملون هم أهل الله الدالون عليه والعارفون بجلاله وعظمته وبكيفية التعبد له وهم الذين تكون النظرة فيهم عبادة والادب معهم وخدمتهم عبادة وهم ورثة الانبياء وخلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام فطاعتهم طاعة لله ورسوله وهم عبيد الله حقا وأولياؤه ومحل نظره من خلقه وبهم يرحم الله البلاد والعباد وهم مع الله بقلوبهم وان كانوا مع الناس بأبدانهم فيكون للاخذ عنهم قسط ونصيب من وراثته صلى الله عليه وسلم اذ الجميع منسوبون اليه ومستمدون منه صلى الله عليه وسلم لخاصتهم الا وهو سابح في نوره وممتد من بحوره على حسب مقامه ويكفي في فضل لقائهم ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم من صافح عالما صادقا فكأنما صافح نبيا مرسلا أماتنا الله تعالى على محبتهم وحشرنا في زمرتهم وجعلنا من المتمسكين بطريقتهم وسنتهم آمين يارب العالمين

الختم به نعرض لنفحاته وروى البغوي عن علي كرم الله وجهه من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اه

قال مقيده عبد الله تعالى وأفقر عبيده الى رحمته محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس كان الله تعالى له ولوالديه ولاشياخه ولجميع المسلمين دنيا وأخرى هذا آخر ما تيسر جمعه من الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية ووافق الفراغ من تبييض ذلك خامس الحجة الحرام متم عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ونسأل الله تعالى من فضله ان ينفعنا وسائر المسلمين به وان يجعله خالصا لوجهه الكريم والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد هذا بخط مؤلفه الحمد لله بلغت مقابلته أول رجب الفرد الحرام من سنة احدى وأربعين ومائة وألف تقبل الله ذلك منه ثم بلغت مراجعته مرة ثانية أوائل الشهر قبله من سنة اثنين وأربعين جعل الله ذلك من الاعمال المتقبلة بمنه آمين ثم مرة ثالثة ثالث ربيع الثانى من عام اثنين وستين ومائة وألف تقبل الله سبحانه ذلك بجاه هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المتوسل بجاه النبي الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم نحمدك يا من خصصت سيد الاواخر والاوائل بجليل الشمائل وجميل الفواضل والفضائل ونصلي ونسلم على رسولك الكريم الذى أثنيت عليه بقولك جل ثناؤك وانك لعلى خلق عظيم وعلى آله الحائزين أقصى الرتب الكماليه وأصحابه الفائزين باجتلاء محاسنه العليه (أما بعد) فقد تم طبعا وراق أسلوبا ووضعا الشرح المسمى بالفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمديه للمحقق الامام والمدقق الهمام نادرة الزمان ونتيجة الاوان العلامة النحرير البحر الخضم الغزير من ظهرت علومه فى الخافقين ظهور الشموس مولانا الشيخ محمد بن قاسم جسوس مزين الهوامش والطرر بالشرح المشحون بفرائد الدرر المسمى لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى لعلامة زمانه وفهامة أوانه كنز الدقائق ومعدن الرقائق ذى التحقيق النفيس مولانا الشيخ محمد بن أحمد بنيس تغمد الله الجميع برحمته وأسكنهم بفضله فسيح جنته ولعمرى انهما الشرحان تنشرح بهما صدور أولى العرفان حيث

*قال مؤلفه وكان الفراغ منه بحمد الله وتوفيقه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلون من ربيع الاول النبوى الانور والافضل من عام مائتين وألف والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما اه من خط من نقل من خط مؤلفه قال مصححه هكذا بالاصل الذى بأيدينا

أسفر الاول عن اسرار أحاديث الشمائل الترمذيه وما تضمنته من بديع صفات سيد
البريه وأبرز الثانى ابريز الهمزيه البوصيريه التى تفوق بحسنها نظم العقود الدريه وما
حوته من فصيح تلك المبانى و بليغ هاتيك المعانى وجميل النسق الذى لم يسبق له مثال
ولم يفسح له فاسح على منوال وكان طبعه الزاهر وحسن وضعه الباهر بمطبعة بولاق
التى اشتهرت محاسنها فى الآفاق على ذمة كل من السالكين أحسن المسالك حضرة
الفاضل الحاج محمد الازرق والعلامة الاجل السيد عبد المالك فى أيام صاحب السعاده
وحليف المجد والسياده عزيز مصر وأنموذج الفخر من هو بصدق الثناء عليه
حقيق الخديو الاعظم سعادة محمد باشا توفيق نضر الله أيامه ورفع فى الخافقين
أعلامه مشمولا طبعه بادارة الراقى فى ذرا المجد الى أرفع مكانه سعادة حسين حسنى بك
مدير المطبعة واليكا غدخانه ونظارة ذى المعارف التى عليه تثنى وكيله
حضرة محمد افندى حسنى وفاح مسك الختام أواخر شهر
رجب الحرام من عام ستة وتسعين ومائتين وألف من
هجرة من خلقه الله تعالى على أكمل وصف
صلى الله وسلم عليه وآله وكل صفيّ
اليه مادامت الارض
والسماء وقامت
بربها الاشياء
تم

DATE DUE

To renew
call 292-3900

BOXED

FEB 01 1996

The Ohio State University
Form 10620

MAIN STACKS